المسلمون قادمون؟
الإسلاموفوبيا والتمييز والحرب الداخلية على الإرهاب

تأليف
آرون كوندناني

ترجمة
شكري مجاهد
هذا الكتاب "بحث مهم ومؤثر في تكلفة الحرب على الإرهاب، لم هم ضحيّة لها،
بمن فيهم آلاف المسلمين الأبرياء الذين يتعرضون للعصور والاختراق والمراقبة
والتجسس... من قلب دولة الأمن القومي.

ديفيد كول، مؤلف كتاب الأجانب الأعداء: المعايير المزدوجة
والحرب الدستورية في الحرب على الإرهاب.

"يتناول هذا التحليل بدقة آيديولوجيات واستراتيجيات الأجهزة الأمنية...
مايجهد كوندناي مفقودًا هو نظرية التطرف الشاملة والمخاطر، والافتراضات
العنصرية المسبقة حول طبيعة الإسلام... وأثارها الكارثية على حقوق وحريات
المسلمين، ووضع الحمايات والحريات الدستورية في الولايات المتحدة والملكية
المتحدة."

جين ثيوهارس، مؤلفة كتاب الحياة المتمزقة للسيدة روزا باركس

"نقد ناقش وعلمي وجريء ومقنع للحرب التي تكاد لا تنتمي على الإرهاب، والتي
تمتدّ جذورها إلى أعمق وأبعد بكثير من مأساة 11/9."

واجهت علي، مقدم مشارك في برنامج بث النجار على قناة الجزيرة أميركا سابقاً
وكاتب مسرحية الصليبيون المليون.

"دليل إرشادي لا بد من قراءته إلى العقد الثاني من الحرب الدائرة على الجزيرة
الداخلية في الولايات المتحدة وبريطانيا".

جون فينر، مؤلف كتاب الحرب الصليبية الثانية:
ـ حرب الغرب المستعرة مجددًا ضد الإسلام.

أرون كوندناي
رئيس تحرير مجلة العرق والطبقة، وأستاذ الإعلام والثقافة في جامعة
نيويورك، ومؤلف كتاب نهاية التسامح: العنصرية في بريطانيا القرن الحادي
والعشرين.
المسلمون قادمون!
الإسلاموفوبيا والتمييز والحرب الداخلية على الإرهاب
المسلمون قادمون!

الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

تأليف
أرون كوندناني

ترجمة
شکري م合法权益
عنوان الكتاب: المسلمون هادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب
تأليف: أرون كوندناني
ترجمة: شكري ماجهود
164 صفحة - 16.5 × 24 سم.
رقم الإبداع بدار الكتب القطرية: 016 / 2016
الرقم الدولي (رميد): 0-52-103-279-798-9
جميع الحقوق محفوظة لمنتديات العلاقات العربية والدولية.
الطبعة الأولى 2016.
المحتويات

المقدمة ........................................................................ 7
الفصل الأول:
عدد مثالي ................................................................ 39
الفصل الثاني:
سياسات مكافحة التطرف ............................................. 73
الفصل الثالث:
الحروب والعنف في الشرق الأوسط .................................... 115
الفصل الرابع:
أبسطة التحول إلى التطرف ................................................ 145
الفصل الخامس:
قلب وعقل ................................................................. 189
الفصل السادس:
لا حرية لأعداء الحرية .................................................. 225
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

الفصل السابع:
بعد الانفجار ................................................................. 257
الفصل الثامن:
صليبيون في القرن الحادي والعشرين .............................. 285
الفصل التاسع:
لا علموا بمواد أخرى ...................................................... 321
كلمة أخرى ................................................................. 355
شكر وتقدير ............................................................... 363
الخواشي ................................................................. 365
المقدمة

"علمنا ترات المفهوم أن "الموقف الطارئ" الذي نعيش فيه هو القاعدة.
واللتر بنجامين في مفهوم التاريخ.

عاجلت المدينة الشيخ لقان حين أطلق عليه أربعة عمالاء من مكتب التحقيقات الفيدرالي (إ. بي. أي./ FBI) نيران بنادقهم نصف الآلية من مسافة قريبة. قبلها أحيانًا من ضباط إنفاذ القانون - منهم فرقة عمليات خاصة أرسلها مكتب التحقيقات بالطائرة من كواختيكو، فيرجينيا، وفرقة تدخل سريع (فرقة أسلحة وكتيكات خاصة/SWAT) تابعة لمكتب التحقيقات الميداني في ديتروريت، وضباط من قوة الشرطة الملكية الكندية المحمولة - أبحثوا جميعًا بالملع الكائن في ديربورن، ميشيغان، حيث كان الشيخ وأربعة من زملائه يقرون أجهزة تلفزيون إلى شاحنة في صباح يوم 28 أكتوبر 2009. كان لقان عبد الله الإمام مسجد الحق لمدة ثلاثين عامًا في الجانب الغربي الفقير من ديترويت. وفي أيام الآحاد كان يقيم بانتظام مائدة خيرية تقدم الحاجات الأساسية لسكان الحي، فقد كان أغلب قاطني إما عاطلين عن العمل أو أصحاب دخول محدودة، وكانوا يعتمدون على مثل هذه المبادرات لِبِحِفظ حياتهم. كان منظر المدينة بمبانيها المحتورة شبه الخالية شاهدًا على هجرة سكانها أفواجًا، وكانت أعداد كبيرة من الأسر تعيش في منازل مشتركة لعجزها عن
تحمل إيجار بيوعهم. كان وجه الشيخ لقين مألوفًا حاضرًا لمساعدة المسلمين وغير المسلمين على السواء. وكانت عبارته الأثيرة، كما يقول ابنه عمر رياح، الاهتمام بـ "القاعدة الشعبية".

كانت تحدوه رغبة قوية في تغيير وجه الحلي. وكان يؤمن بأن الإسلام سيساعد الناس على نبذ المخدرات والخمر والتغلب على الافتتان. لكنه لم يكن يدعوهم إلى الإسلام بقدر ما كان يجذبهم على إتيان السلوك الذي يلقى بالمسلمين. كان الجميع يحتذونه، لأنهم كانوا يبدرون أسلوبه المباشر. وكان يؤمن بأن من واجبنا أن نغير ظروف الناس حولنا لأن الحكومة لن تفعل ذلك. وكان يقول إننا نحتاج أن نقف معًا وناضل من أجل حققنا؛ لأن الحكومة تدفعنا دفعًا إلى أن نشعر أنها مسؤولون عن 11/9، ونحن لا علاقة لنا بمحذرة أن هذه الأمور. هذا ما يقوله أبو فهم ابن السينيات. (1)

اعتقن لقين عبد الله الإسلام في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، بعد انتهاء خدمته العسكرية وإضافةه بالاكتتاب. وكان حافز إسلامه جيل الأمين، وكان اسمه آنذاك راب براون، الذي كان في السينيات ناشطًا قياديًا في اللجنة التنسيقية للحركة السلمية الطلابية (SNCC). وفي خلال عشر سنين واجهت المنظمة عدداً من التهديدات ورد فعل متغيرًا على محاولاتها كسر الفصل العنصري في الجنوب، وقد دفع ذلك إلى تطرف المنظمة، فصارت تدعو إلى قوة السود وصراعات حرب فيتنام، حتى اندمجت مع حزب الفهد الأسود. وضع راب براون على رأس قائمة الثوريين السود التي يسهم فيها مكتب التحقيقات الفيدرالي، وسرعان ما تلقى المكتب الفرصة لسنجه بادعاء التحريض على الشغب. اعتنقو براون الإسلام السني وهو في السجن في عام 1971 لأسباب تشبه بلا شك الأسباب التي دفعت لقين عبد الله إلى اعتناقه بعد عقد من الزمان. كان الرجلان يريان أن الإسلام يدعو إلى النضال لتحقيق العدل بين
الأعراق بالإضافة إلى الأرتداء الروحي بالفرد، كا يقمن أسلوب حياة ورؤية أفضل
ها. أتاحت هذه النظرة للإسلام إطار عمل لمواصلة التراتبات الراديكالية لدى السود
في حزب الفهد السود لدى مالكوم إكس، بعد فترة من هزيمة النضال السياسي
للسود. كان برنامج الاستخبارات المضادة في مكتب التحقيقات الفيدرالي (المعروف
بـCointelpro) قد نجح في إرباك الحركة واستدراج نشطاتها. سمي براون
نفسه جليل الأمن، وخرج من السجن في عام 1976، واستقر في أطلانتا، جورجيا.
افتتح الرجل على بقية عائلا وساعد على تفتيت الحي من المخدرات، لكنه ظل
يواجه معركة منتهجة من جانب رجال الشرطة وتعثر في اعتقالات عشوائية. في
نهاية المطاف، ألقى القبض على الأمنين بتهم قتل بعد حادثة إطلاق رصاص على
نائي مأمور مقاطعة فولتون. قال الشرطي التالبي منه إن الأمنين هو الفاعل، وإنه
أصيب في تبادل إطلاق النار، رغم أن الأمنين لم يكن مصابا بجروح وأن شخصًا
آخر اعترف بارتكاب الجريمة، وهو الآن حيّس "غوانتانامو المحلي"، وهو سجن
شديد الحراسة في فلوريدا، كولورادو، حيث تحتجز حكومة الولايات المتحدة من
تعدهم أخطر إرهابي تنظيم القاعدة.

مع إعلان الحرب على الإرهاب في عام 2001، كان كثير من نشطاء جيل
الستينيات السود المتأرجحين قد أصابهم الإهمال أو أصبحوا جزءًا من المؤسسة أو
سجنا أو قتلوا، أو صاروا، إلى حد بعيد، ضحية جهود إف. بي. آي. لدمر
الحركة. كان لقيان عبد الله يقود حملة لتحريج جليل الأمنين، لكنه ما زال يدعو جماعة
مریديه الصغيرة في دييروت إلى الراديكالية أو الغلو. وكما يقول عمر ريغان: "كان
ذلك مهمة لم تكتمل" من أيام برنامج الاستخبارات المضادة، أما الآن فالحرب
على الإرهاب أتاحت منظورًا جديدًا على نشاطاتها. وسرعان ما تواصل إف. بي.
آي. مع عبد الله بوصفه من القيادات العليا لجماعة سنية أصولية متطرفة منتشرة في

(2) اختصار الحروف الأولى من (C)ounter INTELligence PROgram (الترجمة)

برنامجة الاستخبارات المضادة.
جميع أنحاء البلاد، تكون أساسًا من الأمريكيين من أصول أفريقية "يدعو أتباعها إلى جهاد هجومي "وليس دفاعيًا" [بغرور] إنشاء دولة إسلامية متصلة ذات سيادة... داخل حدود الولايات المتحدة تحركها الشريعة الإسلامية." وكان معنى ذلك تبني أيديولوجية تنظيم القاعدة. وكان الإعلام في السنوات الأولى يصور شخصيات مثل مالكوم إكس وعمر علي بأنهم "مطغون مسلمون"، وقد ظهرت الآن مجموعة أخرى من الصور الثمينة تتغذى على التطرف الإسلامي. يمكن استخدامها لخلق ارتباط أيديولوجي بين معتقل مسلم في وسط سايد ديترويت وأحداث 11 سبتمبر 2001.

وجد مكتب التحقيقات فرضه في استهداف مسجد الشيخ لقيان، فقد أطلق القبض على أحد مريديه منذ فترة قصيرة بتهم قتل، وفي صفقة مع الشرطة وافق على العمل مع فرقة الاستخبارات المضادة التابعة للمكتب الميداني في ديترويت، كجزء من عملية استدراج سرية. كما تم تجديد مرسدين آخرين، وبدأت عملية سرية مدتها ستة لاختراق المسجد. وكان ل كثير من رواد المسجد سوابق إجرامية، وكلهم يصارعون الفقر، وكان العرض المالي الذي قدمه المكتب مغريًا، عندما بدأ المكتب تنفيذ خطته لإلغاء من حول الشيخ لقيان للمساعدة في تهريب بضائع مسروقة كان من السهل توقيع اجتهاب عدد منهم. ادعى مرشد إف. بي. أف. أنهم يعرفون شخصًا يحتال رجالًا لنقل بضاعة مسروقة من شركة نقل. وقد منح إف. بي. أف. آي ذلك الشخص، الذي أدى دوره أحد عملاء المكتب، مائة دولار لكل رجل مقابل اللقاء معظمهم فقط. وفي اللقاء الثاني دفع عمل المكتب السري ألف دولار للمجموعة قبل أن يحدث أي شيء، ووعد بهم بالف، وخمسة دولارات أخرى في الليلة التالية. كان كل المطلوب منهم أن يأتوا إلى مخزن في ديترويت ليساعدوا في نقل ما ظن أنهم أجهزة تفاصيل وحواسب محملة مسروقة من مقطورة إلى أخرى. تكرر هذا العمل عدة مرات في الشهور التالية، حتى وصل الأمر إلى استدراج الشيخ لقيان نفسه إلى العملية ليكون موجودًا في مخزن إف. بي. أف. آي. عندما يحين الوقت لتنفيذ "المداهمة."
صدرت مذكرة اعتقال بحق الشيخ لقبان في اليوم السابق على المداهمة في أكتوبر 2009، تتهمه بالضلوع في مخطط لبيع بضائع مسروقة أثناء نقلها في عمليات تجارية بين الولايات وحيدة أسلحة بالمخالفة للقانون وعمل تغييرات غير قانونية في لوحات تعريف مركبات. لم تضمن الأ冤ية اتهامات متعلقة بالإرهاب، رغم اشتراع فرق الاستخبارات المضادة التابعة لكتيبة إف. بي. آي. وفرقة مكافحة الإرهاب المشتركة متعددة العناصر. لكن ضمت المذكرة ادعايا قائمة على تقارير عناصر الاعتداء المحلة من إف. بي. آي. يوجد محادثات دعا فيها الشيخ لقبان إلى "نشر الإسلام بالجهاد العنيف (المسلح) والعفو تجاه حكومة الولايات المتحدة وقوى إنفاذ القانون". لم تناقش هذه الادعاءات داخل المحكمة لوفاة الشيخ لقبان ولأن هذه المحادثات لم تكن مسجلة. ولكن في إحدى المحادثات التي سجلها مرشد أمين طلب من الشيخ لقبان التبرع لشخص ليفعل شيئا أثناء نهائيات بطولة كورة القدم الأمريكية، لكنه رفض الصلو عدة في إحياء وأصبح راهبا. وما من شك أن الشيخ لقبان كان يرى أن حكومة الولايات المتحدة ظالمة، وكان يدعو أتباعه للعمل المنظم ضد، وكان رواد المسجد لديهم أسلحة مثل أعضاء حزب الفهد الأسود، ولكن لم يكن هناك دليل على أي مؤامرة لتنفيذ هجمات إرهابية، وإنما كانوا مجرد مجموعة من صغار المخالفين للقانون في حي قصير يصارعون للحصول على ما يسد مرتهم ويدنون أمريكا في الوقت نفسه. وكما يقول شيخ آخر صديق للشيخ لقبان من الحي نفسه ومن أصل أفريقي مثله: لم يكن المثير المتطرف أكثر من "ادعاء فارغ" أو تفاخر شوارع. "لم يكن الأمر يحتاج إلى هذه العدة والتعتاد والهجوم من إف. بي. آي. ولا طائرات عمودية لمدغمة شهود يرقص حاسوبيا عمودا." يقول أندرو أريت، العملي المسؤول عن المكتب الميداني لكتيبة التحققات في ديترويت إن الشيخ لقبان كان "زعيم مجموعة إرهابية عالمية". ومنعأ ستان لم يك توجههم لتهم إرهاب أجباء قائله: "هناك حالات كبيرة لا نتهم الشخص فيها بالإرهاب، بل تفهم بكل ما نستطيع، حتى نخلص الشوارع منهم." وفي غياب دليل قوي يقعن
المحكمة على الإرهاب ينبغي تدبير أي تهديد أخرى. ولكن في الوقت نفسه، كي نبهر أي عملية استدراج بهذا الحجم، تم إبلاغ الصحفيين أن المسجد وكر لأصوليين خطرين. وقد ثبت أن إدانة الشيخ بالإرهاب في محكمة الرأي العام كانت أسهل من إدانته في المحكمة.

وعندما حان الوقت أن ينصب مرشد مكتب التحقيقات شراكمهم مرة أخرى، استدراجو الشيخ لقان إلى مخزن ديربورن. وفي حظة متفق عليها خرج المرشدون الثلاثة من المخزن وتم إطلاق المتفجرات في الداخل كعمل تمشيط. توجه أكثر من عشرة من رجال المكتب الفيدرالي نحو الشيخ لقان ومن معه وأمروهم بالاستلقاء على الأرض ورفع أيدتهم. ونفذ الأربعة الذين كانوا معه الأمر، وتأخر الشيخ لقان عنهم لحظة. بعد ذلك مارك الروايات حول ما حدث، والأرجح أن العملاء ارتابوا في أن الشيخ لقان يحتفظ سلاحًا فأطلقوه كلًا مدببًا يدببهم من ذراعهم، وعندما عض الكلب وجه الشيخ لقان، أطلق الرجل النار على صدره ما جعل أربعة من رجال المكتب يطلقون النار رداً على ذلك، وكانوا على مسافة قريبة فسقط الشيخ قتيلاً في الحال. وقام أحد العملاء بقيد يده بعد مورته وهو ملقى بلا حراك على أرضية المخزن، وفي الوقت نفسه حل الكلب إلى المستشفى في ثائرة عمودية لتنفيذ حياته. وعلق رجال المكتب الفيدرالي بعد ذلك بأنه في التوالي التي سبقت إطلاقهم النار نظر الشيخ لقان إليهم مباشرة ولم يكن يدفو عليه الخوف.

بلغ من حذر تشيع جنازة الشيخ الألف ساروا به لمسافة أربعة أمتار. وقد أعلنت وزارة العدل سلامة إجراءات القبض عليه وأعلنت أن قتله كان عملاً قانونياً. مع ذلك فالمؤكّد أنه لم تقرر الحكومة احترام المسجد والإيقاع به في مؤامرة جنائية من تدبيرها لظل الرجل حيًا إلى الآن.
لم يكد يرد لقتلى الشيخ لقمان ذكر في وسائل الإعلام الإخبارية، فهناك من رأى أن طريقة مقتله لم تختلف عن عشرات حالات القتل الأخرى، التي يروج ضحيتها أميركيون أفارقة كل عام على يد جهات إنفاذ القانون بالقوة المسجلة. وهناك من رأى أن الرجل لا يختلف عن آلاف المسلحين المجهولين الذين يقتلون بطائرات بدون طيار في باكستان والصومال واليمن. وسواء كان "متفقاً إسلاميًا أم أمريكيًا أفريقية، فقد كان موته حديثًا عاديًا. وإذا كانت الحرب على الإرهاب مادة جدال عنيف حول الحرب والتجربة والنصب في سنوات حكم الرئيس بوش الأب، فقد صارت في عهد الرئيس أوباما رسالة روتينية بيوترافية لا تثير جدلا ولا تستفز معارضة. وربما أن انتخاب أوباما كان يعتمد على موجة عائلة من معارضة حرب بوش على الإرهاب، فقد أخفق الرئيس الجديد في اتخاذ طرق مختلفة اختلافا جوهرية عن سابقته، فقد تمكنت إدارته من تجريد أي معارضة وجعلت ما كان "حالة طارئة" وضعًا دائنيًا. أما التحولات الثانية التي ظهرت فعلا فقد بدأت في الظهور في السنوات الأخيرة لإدارة أوباما وقدم واصل أوباما المسير في طريق سلمه متخذاً الهدف نفسه: وهو إيجاد سبيل لمواجهة فرض الهيمنة على الشرق الأوسط، والإبقاء على سياسة أميركي قومي في الداخل الأمريكي - ولكن بدون الصراعات السياسية الصاخبة المرفقة التي وضعت إدارة بوش منذ عام 2003. فقد طويت صفحة الاحتلال الأمريكي للعراق، أما الحرب في أفغانستان التي زاد عدد القوى الأمريكية فيها ثلاثة أضعاف، فقد تم تصويرها باعتبارها "حربًا من أجل الحق.
وقبل عد معتقل غروتامانو بمقادر الثلاث تقريبًا، أما السجناء الـ171 الباقون فقد طمست أخبارهم ليظلوا في اعتقال إلى أجل غير مسمى فيما تحول إلى معسكر اعتقال دائم. ولقد حاول أوباما في خطابه بالقاهرة عام 2009 أن يمحو صورة صراع الحضارات التي برزت بعد أحداث 11 سبتمبر وقدم صورة بديلة لحوار محترم بين الثقافات. لكنه لم يحدث أي تغييرات في السياسة الخارجية الأمريكية تدعم خطابه.
البلاغي ذا. بل تم تجديد قانون باتريوت 9. واستحضر مفهوم أسرار الدولة لخليفة مستولي إدارة بوش من الملاحقة القانونية بسبب سياسة التعذيب التي اتبعتها. وتم تقليص حالات نقل المشتبه بهم إلى دولة أخرى، في الوقت الذي ارتفعت فيه حالات القتل خارج دائرة المحاكمات القضائية. وقد سمى اتحاد الحريات المدنية الأمريكية هذا الإجراء "المعتاد الجديد". حتى خطاب الإرهاب المضاد المتهافت ظل مخفّاً بقوة أيديولوجية أشد تأثيرًا من الاستراتيجية التص-facebookبفة المعروفة باسم "إعادة كتابة القواعد" التي كانت سارية في إدارة بوش. إذا كان المحافظين الجدد قد أبدعوا الحرب على الإرهاب فإن ليبرالية أوباما أرسل قواعدها، وفي هذه اللحظة توقف عامة الصحفيين عن طرح الأسئلة.

تحولت اللحظة التي كان ينبغي أن تنتهي فيها الحرب على الإرهاب بأي معيار موضوعي إلى بداية خطاب الابتذال. ووجه مقتل أسامة بن لادن في 2 مايو 2011، قبل شهر قليلة من الذكرى العاشرة لمجاهدات 11 سبتمبر مع بداية الانتفاضات في تونس ومصر، مما قدم دليلاً عمليًا يدحض مقولة القاعدة بأن العنف تجاه المدنيين الغربيين هو السبيل الوحيد لطرد العدو القريب للتمثيل في الأنظمة الاستبدادية في الشرق الأوسط. مع ذلك لم توقف حرب الإرهاب، ظلت هتافات "يو إس إيه" (الولايات المتحدة) تتردد في شوارع نيوبرك وواشنطن يقودها الديمقراطيون المتهجرون لأن رئيسهم أصبح عنه الآن قصة فتح باسمه. أما موضوع الاحتلال فهو الانتصار في حرب مستمرة وليس حلول السلام. ولم يبد في الأفق أن أحدًا سيذكر مئات الآلاف من القتلى الذين سقطوا في باع مختلفة من العالم جراء الصراع بين القاعدة والحكومات الغربية. ففي مساء ذلك اليوم، بعد ساعات من مقتل ابن لادن، أعلن بيتر بيرجن، خبير الإرهاب المقيم في محطة سي إن إن، أن هذا يعني

(9) هو قانون تم إصداره في عهد الرئيس جورج ديلو بوش في عام 2001 واستمد اسمه من عشرة حروف هي اختصار عبارة "توحيد وتعزيز أمريكا من خلال توفير الأدوات الملائمة" المطلوبة لمواجهة وعرقلة قانون الإرهاب لعام 2001" (الترجمة)
نهاية الحرب على الإرهاب. لكنه في صباح الاثنين، بعد أن أعلنت هيلاري كلينتون أن "الحركة مستمرة"، عاد ليشرح تقديره السابق وفقاً للخط الرسمي، فقال إن هذه الحرب لا يمكن أن تنتهي. في الحرب التي لم يعرف لها من البداية حدود أو أهداف واضحة لا يمكن أن يوقفها موت رجل واحد. وإن التصريح باستخدام القوة العسكرية ضد الإرهابيين الذي أصدره الكونغرس بعد ثلاثة أيام من 11 سبتمبر رسم نموذج الحرب على الإرهاب على نحو مفتوح دائم عالمي. وتعاون إدارة أفغانا الاستناد إلى ذلك التصريح في دعم الادعاء بأنه يوفر أساساً قانونياً لتنفيذ عمليات تصفية بدون أحكام قضائية، دون الالتزام بحدود جغرافية. (11)

فقد تجاوز تعريف العدو مجرد الفرد من الناس أو منظمة بعينها، بل صار مجموعة من الأفكار - الإسلام المطرد - وكان هذا التعريف فضفاضاً غامضاً بحيث لا يسمح لموت بن لادن نفسه أن يوقف تزيف مئات المليارات من الدولارات التي تستنزفها هذه الحرب. وهكذا، أطلق خبراء الأمن القومي تخريجات من أن فشل الانصار بهذه تطور على خاطر أكبر. حتى إن خبراء الإرهاب أنفسهم الذين أعلنوا قرب نهاية ما سمى "قلب القاعدة" في باكستان و أفغانستان، أخذوا يتندرون بوجود تهديدات جديدة من جانب دعاة التطرف الإسلامي في أجزاء أخرى من العالم، مثل اليمن والصومال ونيجيريا وأوروبا، وداخل الولايات المتحدة نفسها. وإذا كان تبريزة الحرب في أفغانستان والعراق هو أن قتالهم "هناك" خير ما يضمن مع هجاتهم "هنا"، فقد بدأت مرحلة جديدة من الحرب على الإرهاب في عهد أوباما ضحكت الخوف من أن المواطنين المسلمين في الغرب هم أيضًا مصدر خطر.

في أغسطس 2011 نشر البيت الأبيض إستراتيجيتين الجديدة لمنع التطرف العنيف داخل الولايات المتحدة، وتمت الإشارة فيها لأول مرة إلى ضرورة مكافحة نشر الأيديولوجية المتطرفة بين المسلمين الأميركيين. (12) وفي الشهر التالي استخدمت الحكومة الأمريكية طائرة هجومية بلا طيار في قتل مواطنين أمريكيين في اليمن هما: أنور العولقي وسيمر خان. وقد وصف مسئول الأمن الرجليان
*b* 16

المسلمون قائمون: الإسلاموفوبيا والتعصب والحياة الداخلية على الإرهاب

بأنها "دعاية تطرف"، لأنها قد أدت إلى استخدام الإنترنت لتأتي على المسلمين الغربيين. (1) كانت تلك هي المرة الأولى التي تأثر فيها الحكومة الأمريكية صراحة بقتل أثنا من مواطنيها بدون حكم قضائي. وفي هجوم آخر بطائرات بدون طيار، بعدها بثلاثة أسابيع، تم تصفية عبد الرحمن العولقي، ذي السنتين عشر عاماً، ومعه ابن عمه المراهق وخمسة من زملائه آخرهم. (2) وعندما سأل الصحفي السابق بالبيت الأبيض روبرت غب، وكان وقتها المستشار الرئيس لحملة إعادة انتخابات أوباما، عن عملية القتل قال للصحفيين إن عبد الرحمن ينبغي أن "يكون له أب أكثر مسؤولا". (3) وبدأ الكونغرس في دراسة "قانون التصريح باستخدام القوة لأغراض الدفاع القومي" الذي من شأنه أن يؤدي إلى استمرار فتح سجن غوانتانامو إلى أجل غير مسمى، وكذلك تقنين الاحتجاز العسكري غير المحدد بمدة للمواطنين الأمريكيين الذين يعانون داخل الأراضي الأمريكية ولا محاكمة. ولم يعترض الرئيس أوباما على هذا القانون. فقد كان الموضوع المشترك في هذه التطورات هو التركيز على الحرب على الإرهاب، في الجبهة الداخلية. فالعدد الآن موجود بين ظهرانيا نحن الأمريكيين، كما هو موجود في الدول الأجنبية. فلم تعد الحكومة تعتبر الخطير في الإرهابيين الأجانب المتخمين الذين يعيشون بين الأمريكيين المسلمين العاديين، بل صار الخوف الآن من جزء الأمريكيين المسلمين العاديين أنفسهم إلى التطرف. وقد أشارت استطلاعات الرأي التي أجريت بعد مقتل بن لادن إلى أن الأمريكيين صاروا أكثر قلقاً من ذي قبل من أن يكون الأمريكيون المسلمون إرهابيين. (4)

كان الحادث في سبتمبر الحادث الذي أصل المفهوم الأول للحرب على الإرهاب، لكن مرحلتها التالية تشكلت بالقدر نفسه بتأثير أحداث العنف في أوروبا، مثل تفجير محطة القطار في مدريد ومقتل السنيغي ثيوفران جوخ في 2004، وهجوم 11/9 على شبكة مواصلات لندن في يوليو 2005. استعانت إدارة أوباما خريجي الداخلية على الإرهاب كثيرًا من إجراءات التطرف المضادة التي
ابنها ببريطانيا بعد 7، وكانت تهدف إلى إدخال المراقبة والاتصال والدعاية داخل التجمعات الإسلامية. والمشترك كبير بين الطريقتين الأمريكية والبريطانيا إذ يتم تبادل الأفكار والتحليلات والسياسات بين واشنطن وبلدنا. وهناك جهود من المفكرين العموميين والصحفيين ونشطاء مراكز البحوث من بريطانيا - مثل بيتر بيرجن وتيموثي جارتون آش وكريستوفر هيتشنز وإد حسين وبرنارد لويس وميلان فيليبس والسان رشدي، لعبوا أدوارًا بارزة في تشكيل الأفكار الأمريكية عن الإسلام والمنفعة. أما كريستيان فيكتوروفتش، مهندس أسلوب البيت الأبيض في الدعاية إلى التطرف المضاد، فقد وضع أفكاره أثناء عمله في السفارة الأمريكية بعد 7. وقد قدم خبراء الإرهاب الأمريكيون شهاداتهم في المحاكم البريطانية، وقامت وزارة الخارجية بالاتصال مع المسلمين في بريطانيا. وفي وقت نفسه كان يتم نشر صورة مشوهة تمامًا لما سمى "جيو" مسلمي بريطانيا يلخصهم الاسم المفضل لندنستان، وينشرها الصحفيون والمدونون في أمريكا لتحذير من وراء المحيط الأطلسي مما يحدث إذا تلقى الإسلام قدرًا أكبر من اللازم من التسامح. (17) ولكن الاختلافات الديمقراطية بين السكان المسلمين في أمريكا وبريطانيا كثيرة. فالمسلمون يمثلون نسبة مثيرة من السكان الوطنيين ويتهمون غالبًا بالفساد والاستغلال، وهو أقل تنوعًا من حيث الأصول العرقية. وهناك كذلك اختلافات مهمة في التاريخ السياسي للبلدين من جهة التعددية الثقافية ومناهضة العنصرية، والاجتهادات نحو الدين والحقوق الدينية والثقافات الرسمية المتعلقة "بدعوة التطرف المضاد". ولكن منذ عام 2005، لم تكن هذه الاختلافات تمتلئ مواقع أمام التحول إلى التطرف بين البلدان، كما يمكن أن توقع.

يستطيع كتابنا هذا الجهات الداخلية للحرب على الإرهاب في الولايات المتحدة والملكية المتحدة. أما المقالة الرئيسة لنا فينه فيها أن الدعوة إلى التطرف صارت عقدة التي ترى المجتمعات الغربية الإسلامية من خلالها في نهاية العقد
الأول من القرن الحادي والعشرين، فنظريات الدعاة إلى التطرف التي تدعي أنها تصف أسباب تحول الشباب المسلمين إلى إرهابيين هي أصل سياسات مكافحة التحول إلى التطرف على جانبي الأطلسي. غير أن هذه النماذج تقوم على افتراض لا أساس له وهو أن أيديولوجية "الإسلام السياسي" هي أصل الإرهاب. وهذا يعني نقل الحرب إلى الإرهاب من المعادين السياسيين إلى نطاق الثقافة الإسلامية نفسها. فقد صار المسلمون، كما صفهم صامويل هنتنغتون "العدو الثاني"، كونهم جامة متميزة عرقيًا وثقافيًا ومعاداة أيديولوجياً. وقد وصف عالم السياسة عمود ماماداني من قبل "حديث الثقافة" هذا بأنه التفسير النمطي للعنف عندما يحمل التحليل السياسي. (16)

يسود الحرب على الإرهاب نمطان رئيسان من التفكير، أحدهما ييمن على المحافظين والآخر على الليبراليين. يرى الفريق الأول أن أصل الإرهاب يكمن فيها بعدونه إخفاق الثقافة الإسلامية في التكيف مع الحداثة. ويرى الفريق الثاني أن أصل الإرهاب لا يكمن في الإسلام نفسه، بل في سلسلة من مفكري القرن العشرين شوهدوا الذين ليتجهوا أيديولوجياً شمولية - أي الإسلام السياسي - على غرار الشيوعية والفاشية. ويعيب هذين المذهبين أنها تجاوزت دور الظروف الاجتماعية والسياسية في تشكيل رؤية الناس للعالم ثم التصرف وفقا لهذه الرؤية. كما أن هذين النمطين من التفكير ليسا متزهين عن الهوى، بل إنها تولدة عن ممارسات الحرب على الإرهاب. وقد اجتهدت في نشر هما جامعتين ذات موارد ضخمة، وهما يعكسان في النهاية ثقافة سياسية استعمارية. ويتشترك النمطان في حق الاعتقاد بأن أصل الإرهاب هو الثقافة الإسلامية أو أيديولوجية الإسرام السياسي، ويذكر يكون معًا فكرة الإسلاموفوبيا (17) أو المشكلة الإسلامية التي يجتمع عليها كل درجات الطيف السياسي. وعلى ذلك فقد كان من أهم عنصرين سياسة الأمن القومي الرغبة في التخطيط لتحقيق تحول ثقافي كبير بين المسلمين الغربيين، وفي الوقت نفسه

(5) كرائية الإسلام أو الخوف منه. (الترجم)
التغاضي عن تحول الدول الغربية نفسها إلى التطرف، إذ صارت أمراً إلى استخدام العنف في سياقات أكثر وأوسع.

يعد الإسلاموفوبيا أحياناً جرثومة كراهية لم تتفك تظهر في الثقافة الغربية منذ الحرب الصليبية. ويرى أخرون رد فعل تلقائيًّا عن الإرهاب سيزول مع الزمن كما ستزول آثار أحداث 11 سبتمبر. ويعتقد كثيرون أنها غير موجودة. وينصب اهتمامي على الإسلاموفوبيا بوصفه شكلاً من العنصرية المنهجية المستمرة في البنية الاجتماعية الموجهة نحو المسلمين، وعلى وسائل إذابة هذه العنصرية من خلال علاقة مباشرة بدلًا من الفكر الرسمي وممارسات الحرب على الإرهاب. ولا تكمن دلالات الإسلاموفوبيا بالأساس فيها خوفًا من أفكار واحتماليات سلبية لدى الأفراد في عواقب السياسة الأوسع - إذ إنه ينتج عن انتهاكات مميتة لحقوق المسلمين ويشتمل الإجراءات التي تتخذ لعلاج تلك الانتهاكات. إن الحرب على الإرهاب وما خلفه من أعداد ضخمة من القتلى في أفغانستان والعراق وباكستان والصومال واليمن وغيرها من الدول، لم تكن تستمر دون العنصرية التي تنتج الصفة الإنسانية عن ضحاياها المسلمين. إن الكيان الاجتماعي الذي يرتبط وجوده باستخدام العنف الإمبريالي لا بد له من أن يبحث عن نهج يلغي هذا الارتباط. ولقد قامت أشكال عديدة من العنصرية بذلت الدور في العصر الحديث، والإسلاموفوبيا هو الشكل المفضل حاليًا، وأما الاعتراف المعتدل على صياغة الأمر على هذا النحو فهو أن المسلمين ليسوا عرقًا واحدًا. والآن كل أشكال العنصرية يتم صياغتها اجتماعياً وسياسياً ولا تعمد على واقع أي عرق بيولوجيٍّ فإنه يسهل تمامًا تحويل المظهر الشكلي المرتبط بين يديون بالإسلام (مثل اللغات وأشكال الملابس والشعائر) إلى دلالات عرقية. (26) وإن هذه "العرفة" للمسلمين تشبه في أوجه دلالة العداء للسامية، ولا تفصل عن تاريخ الممارسات العنصرية الطويل في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. ولا يعني هذا رسم اتفادات العقيدة الإسلامية تلقائيًا بالعنصرية. ولكنها تعني معارضة العمليات الاجتماعية والسياسية التي تتحول من خلالها كراهية
الإسلام إلى هجاء عنفة في الشوارع، أو على المستوى المؤسسي تتخذ ترتيبات حكومية معينة مثل إعداد الملفات الجنائية واتهادات الحقوق المدنية وغيرها. **(21)**

اعتمدت الحكومتان الأمريكية والبريطانية ناذاذ رسمية للتحول إلى التطرف صارت عورية في الحرب الداخلية على الإرهاب، وقد نشأت هذه الناذاذ في سياق ما سميته الحكومتان مهنيّاً وقاّياماً لكافحة التطرف، وهو عبارة عن محاولة لتحديد الأفراد الذين ليسوا بإرهابيين حاليًا، لكنهم قد يكونون كذلك في وقت لاحق. لكن كيف لنا اليوم أن نحدد إرهابيي الغد؟ كان ذلك أيضًا السؤال الضمني الذي طرحه سيفين سيلبرج في فيله "تقرير الأقلية" الذي ظهر عام 2002، حيث تستخدم وحدة متخصصة في الجرائم المتوقعة ثلاثة أشخاص ذوي قدرات نفسية (أو روحية) ساهم في "الشواهد"، ليتبعوا بمن سيكونون قتلة في المستقبل.

وعلى ذلك تستطيع الوحدة أن تلقي القبض على مرتكبي الجريمة المتوقعين قبل أن يرتكبوا الجرائم التي يدانونها على أساسها. وعلى هذا النحو، يقترح المنهج الوظيفي في الحرب على الإرهاب قدرات "شواهديها" الخاصة لتحديد إرهابيي المستقبلي وتحقيق ذلك استعان مسئولو الأمن بالناذاذ الأكاديمية التي تدعي معرفة علمية بطرق تحول المسلمين العاديين إلى إرهابيين، وعليه استخلاص استراتيجية السلوكية والثقافية والأيديولوجية التي يبدعون أنها تكشف من يخشى منه التحول إلى إرهابي في المستقبل. ففي نموذج إف. بي. آي. فإن ما يسمى "الأيديولوجية الجهادية" بعد المحرر الذي يحمل الشباب من الجنسين إلى إرهابيين. وهم يمرون بمرحلة أربع: ما قبل التطرف، التعلم، غرس العقيدة، ثم الفعل. مؤشرات المرحلة الثانية أن يطلق الشاب عليه ويدعو إلى ارتداء الملابس الإسلامية التقليدية ويعترف عن حياته السابقة. وإشارة المرحلة الثالثة هي "زيادة النشاط داخل دائرة اجتماعية إسلامية أو من أجل قضية سياسية"، وهذا يعني أنها المرحلة التي تسبق تحوله إلى إرهابي نشط. **(22)** أما المرحلة الأخيرة فقط في هذا النموذج هي ما تتضمن سلوكًا إغرافيًا، لكن "التحذي" كما تقول صحيفة دائرة شرطة نيويورك بشأن التحول
إلى التطرف، يكمن في "كيفية تحديد الهجمات الإرهابية الناشئة في الوطن ومن ثم إجهاضها ومنعها برغم أن مؤشراتها تتعلق بعناصر غير إجرامية.\(^{23}\) هذا يعني أن الطريقة الوحيدة لمنع الإرهاب هي المقاومة المنهوبة للحياة السياسية والدينية للمسلمين، والسعي إلى كشف مؤشرات التطرف التي يثبّتا بها النموذج. وعلى ذلك فإن الاشتراك مع الإرهابيين في الأيديولوجية يعد مقدما جريمة، وهي إحدى مراحل عملية التطرف. يشرح جون بيلر وهو مدير مساعد سابق في إف. بي. آي. ذلك فيقول: "ليس الخطر الحقيقي من تنظيم القاعدة المركزى بقدر ما هو من جانب فكر القاعدة.\(^{24}\) إن اعتبار فكر القاعدة خطراً يعني أن المتطرفين الذين لا يعتمدون العنف، ولكن أفكارهم ترتبط سطحيًا بالقاعدة، مثل الشيخ ليقان، سيعدون الإرهابيين محتملين، برغم أن أيديولوجية القاعدة ما هي إلا توليفة أيديولوجية من صنع إف. بي. آي. في فيلم "تقرير الأفقية" يتم غلق وحدة "مقدمات الجريمة"، بعد ثبات خطأ شروائهما. لكن إف. بي. آي. وغيره من وكالات إنفاذ القانون مستمرة في الاعتماد على نماذج كشف التطرف التي لا تتمتع بأي قدرة تنبوية، في تشكيك سياسات المراقبة والاسترداد.

لا تخاذ مفهوم التحول إلى التطرف منطلقا للحرب على الإرهاب عواقب واسعة الآثر. عندما وسعت الحكومة نطاق خطر الإرهاب المحتمل فجعلته يتجاوز الأفراد الضائعين يعمق في أفعال التحريض على الهجمات الإرهابية أو تمولها أو الإعداد لها، إلى أفراد يعتنقون أيديولوجية معينة، فإنها بذلك وضعت تحت المراقبة أنشطة يكشفها الدستور لأعداد كبيرة من الناس. ينصرف جل اهتمام المراقبات المتعلقة بالسجون والتحريض وجمع بيانات الاتصالات الشبكية (الإنترنت)، باستخدام كاميرات الدوائر التلفزيونية المغلقة، وغيرها من أشكال المراقبة الإلكترونية لحياتها على شبكة الإنترنت وخارجها. وقد أطلق إدوارد سوولد صافرة تعلية بشأن المدى الذي وصلت له وكالة الأمن القومي الأمريكية، في القيام بأعمال المراقبة لاتصالات الإنترنت والهاتف العالمي ومحللي بدون إذن قضائي.\(^{25}\) وهناك
أشكال آخر من المراقبة لا يلتفت إليه كثيرًا رغم أنه في قلب عملية مكافحة التطرف، وهو استخدام العلاقات الشخصية داخل المجتمعات المستهدفة لأغراض جمع المعلومات الاستخباراتية. فعندما تنشأ علاقات مراقبة داخل المؤسسات المجتمعية والخدمية كالمعلمين والأطباء وموظفي رعاية الشباب في ظل وكالات إنذار القانون، وعندما يُفتح غرض جمع المعلومات الاستخباراتية خلف أنشطة مشاركة مجتمعية حكومية، وعندما يتم تجديد الرشدين من داخل هذه المجتمعات تختل المراقبة بنسيج العلاقات الإنسانية، وتداخل مع خطوط الثقة التي تقوم عليها هذه العلاقات. هذه الأشكال من المراقبة قوة وحوزة تستمدهما من مرتزقها بتعاليم الإسلام اليومية على المستوى المجتمعي ولا تستمدهما من المراقبة الخارجية بإمكانات ألوان التكنولوجيات الحفيدة. وإن اعتباد هذه الصنف من المراقبة في التعامل مع تطرف الإسلام السياسي يسهل التوسع في استخدامها لتشمل صورًا أخرى من التطرف - قطاع أقصى اليمين من وقت لآخر، وتبدي اعتبادًا أكبر للمحتشمين والمعارضين من اليسار. ويتزامب على توسع نطاق المراقبة لتشمل أنشطة أيديولوجية كانت تتم من قبل مشمولها بالحرية الدستورية. يمكن أن يحدث هذا عن طريق استدراج وكالات إنذار القانون للأفراد أو باختبار إجراءات تجريم الدعم المادي للإرهاب، بعد إعطائه تعريفًا فضفاضًا يسمح بإدراج مدى واسع من الأنشطة الأيديولوجية. ولأن الأيديولوجيات التي تنتشر بين المسلمين تم اعتبارها مقدمات للإرهاب، فقد نشأ تصور مفاده أن المسلمين أميل إلى التحول إلى التطرف. وفي هذا السياق يتعرض قادة المجتمعات المسلمة المستهدفة إلى إرهاب صنعه الجو العام، حتى إنهم سعوا إلى الحكومة وعرضوا بأنفسهم أن يكونوا حلفاءها، وبيدون طراعة معارضتهم لكل تدمر داخل مجتمعاتهم بل يبلغون عنه. فكل من يعترض على لعبة الوطنية الزائفة يدخل دائرة الاستهバレ لأن معارضة التطرف صارت الخطاب المشروع الوحيد، وأخيرًا فإن بروز مشهد التطرف الإسلامي يُغذي عنف الإمبراطورية الأمريكية.
وأي معارضة لهذا العنصري يأتي من الداخل لأبد أن يصمم؛ لأن الواجب الأكبر
وهو مواجهة التطرف يمكن أي مناقشة موسمة للسياسة الخارجية.(26)

يعود زرع المرشد ومحريض الوكالات الحكومية السريين وسط شبكات
المتطرفين السياسيين إلى أكثر من 125 عامًا في الشرطة السرية للقطر الروسي;
”أوخرانا” وإلى فرع خاص قديم في أستكلندارد. وقد استخدمت أجهزة
الاستخبارات بسيطة التنظيم تقنيات التحرير لتشتيت المعارضة السياسية، ونشر
المعلومات المغلوطة وترتيب الجرائم العنف التي ما كانت تحدث من تلقاء نفسها،
ما يتبع القبض على المتضررين. كان هذا هو النموذج الذي استخدمه إف. بي. آي.
في مبادرة برنامج كويتليرو (COINTELPRO)، حيث اعتمدت على حملة المستمرة
المسلحة للقضاء على أنشطة يكفلها الدستور، ومواجهة السخط السياسي في ستينيات
القرن العشرين. شملت أهداف المبادرة حملة الحقوق المدنية وتحرير السودان واستقلال
بورتوريكو ومعارضة الحرب والحركات الطلابية. وفي محاولة لتحييد مارتن لوثر
كونغ الابن، الذي كان إف. بي. آي. يخشى من أن يتخلو عن ”ولائه للمبادئ
الليبرالية البيضاء“؛ فقد وضع الرجل تحت مراقبة كثيفة وجرت محاولات لإفساد
علاقته بزوجته والتحرير على قتله. وقد تم تحرير حزب بلاك بانثر (الفهد
الأسود) في مدن عديدة باستخدام خطابات مزيفة ومرشدان لاستغلال العنف بين
الفرق والعصابات المنافسة. (27) وقد خلصت جلسات الاستنتاج التي طالب بها
السيناتور فرانك تشيرتش في عام 1975 بغرف فحص وكالات الاستخبارات إلى
أن أنشطة إف. بي. آي.

لا يمكن أن يقبلها مجتمع ديمقراطي، ولو كان كل المستهدفين ضعفيين في أنشطة
عنيفة، بل إن مبادرة كويتليرو ذهبت إلى أبعد من ذلك. فقد كان المبدأ الضمني
لبرمجة هو أن أي وكالة لإنفاذ القانون عليها واجب عمل كل ما يلزم لمحاربة
التهديدات المحيطة للنظام الاجتماعي والسياسي القائم.(28)
وقد تغير محاكمتهم عن أنشطتهم جراء المبادرة. واستمر استخدام أساليب مماثلة في الثمانينيات بين الحركة الأمريكية الهندية ولجنة التضامن مع شعب السلفادور، على سبيل المثال. 

في السنوات الأخيرة، أحبب جهاز الأمن القومي الداخلي للولايات المتحدة إجراءات التقويض المضاد التي اتبعتها كوبينتلو. فقد أطلق جات نوع من المبادئ، مثل الجمعية الدفاع عن قانون الحقوق الأساسية اسم “كوبينتلو 2.0” على التكتيكات التي تمثل معًا إستراتيجية تقويض مضادات القرن الحادي والعشرين، ومنها المراقبة الموسيقة لتجمعات المسلمين الأمريكيين، واستخدام الرشدين وعرض الوكالات السري، والتوسع في استخدام تشريع الدعم الثاني لتجريم الأنشطة الخيرية أو التعبيرية، واستخدام المشاركة المجتمعية في جمع المعلومات الاستخباراتية، وخلق نوع من الرقابة الأيديولوجية الذاتية على هذه التجمعات. ومن المثير للاهتمام أن هذه الإجراءات وجدت التشجيع والتنظيم والشرعية في نماذج التطرف التي تسبعتها وكالات تفتيش القانون في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. لكن يظل التحول إلى التطرف، بالمعنى الحقيقي للكلمة، هو الحل وليس المشكلة. فإن مبادئ التطرف التي قدمتها “القاعدة” تزدهر في الأجزاء التي تقع فيها السياسة بشريعة أو تفرض عليها صيغة واحدة بلا تميز. وإن الانفتاح على بدلات سياسية راديكالية بحق مع إحياء الحريات السياسية التي ضاعت في السنوات الأخيرة هو خير سبيل لتقليل ما يسمى بالإرهاب الجهادي.

في عام 1966، بعد كشف وهم معاداة الشيوعية الذي ساد السنوات الأولى للحرب الباردة وقبل أن يحييها ريغان، أنتجت هوليوود فيلمًا ليساريًا صريحًا عنها. إن الروس قادمون! الروس قادمون“ فيلم يعكس من أوجه عديدة لحظتنا الراهنة من الحرب على الإرهاب. تصفدم غرامة سوفيتية عرضًا بالأرض بالقرب من جزيرة قبالة ساحل ماساتشوستس، ينزل بعض أفراد طاقمها إلى الشاطئ مما جعل السكان
المحافظين في البلدة يظلون أن غزوًا سوفيتيا قد بدأ. يتم تشكيل جيش شعبي مهلهل للإمّاساك بالروس. ولا يكشف حقًا الحدث البسيط إلا والد ويتاكر وهو كاتب ليبرالي قادم من نيويورك في زيارة. وعندما يواجه البحارة بالمواطنين تكسر موجة المسرحية، إذ تسلل صبي صغير برج الكنيسة ليشاهد المواجهة، فإذا بيه تغلب وهو يパスك، تتعلق وتعرض خطر السقوط. يتحد الروس والأمريكيون ويشكلون هرماً بشريًا لإ кино الأصي صبيان يmeyechn تناغمًا دوليًا. ويقول المؤرخ السياسي طوني شو إن فيلم “الروس قادمون” يصور أمريكا ليس يوصفها أمّة موحدة عبّة للسلام بل منقسمة بين تجار حرب مصابين بالبارانيو... وليبراليين عقلين مستعدين للتحدث مع الروس مثل والد ويتاكر. “(30) يقف الفيلم على أرضية ليبرالية صريحة ويوجه سخطه إلى مبالغات بارانيو سنوات الحرب الباردة الأولى، كما يصور الروس ليس في صورة دعاة الأيديولوجية الشيوعية الذين يمثلون خطورة؛ بل يوصفهم بشرًا يتصرون كأمريكيين تمامًا، فيهم مزيج من عدم الكفاءة والبطولة والرومانسية، وهي صورة مختلفة عن صورة “البشر المبرجين كالآلات العازمين على استعباد العالم الحر”، التي سادت أفلام الحرب الباردة في خمسينيات القرن العشرين. (31) لكن الثمن الذي يدفعه الروس لهذه الخلقية المتقدمة هو نزع الصفة السياسية عنهم. فهي لا يعرفون عن أي مقولات سياسية أو يجرون أي حرارات سياسية فيها بينهم. كما أنهم وأهل الجزيرة لا يشيرون إطلاقا إلى الخلافات السياسية المستمرة منذ زمن بين الشرق والغرب. “(32) الرسالة الضمنية للفيلم هي أن المحافظين مخطوفين في خوفهم من الروس جيّمًا، وأن الأجدى هو السباح للروس بدخول دائرة الإنسانية شريطة أن يتخلى عن أي أيديولوجيتهم السياسية. هذه الصيغة الليبرالية من الحرب الباردة تتصور أن الأيديولوجية هي ما لدى الآخر، أما أمريكا فهي بالأساس محيدة. وبالمثل، فإن أمريكا الليبرالية اليوم تستسهل إداعة الحرب الأولى على الإرهاب أيام بوس، وتصفها بأنها فترة سادتها المسرحية التي أدت إلى خوف أعظم من
المسلمون والتجارة حرب ضالة. أما الآن فإن الليبراليين يقولون لقد تجاوزنا ذلك وصرنا نفهم أن المسلمين في أمريكا مثل غيرهم من الأمريكيين. مع ذلك، فكما يحدث في فيلم "الروهذ قادمون"، فإن الشرط الليبرالي لقبول المسلمين هو نزع الصفة السياسية عنهم، أي ينبغي أن يمسكون على السياسة لا سيما السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وكذلك المنظومة الأمنية القومية الداخلية، وألا يعتنقوا أيديولوجية غريبة تتألق بها عن المعيار الليبرالي. ومن أهداف كتابي هذا أن أسأل عن أسباب تصور أن الآيديولوجيا الإسلامية هي أصل الإرهاب، وعن ربط تقبل المسلمين كمواطنين بشر بتعاطفهم عن مجموعة معينة من المعتقدات الآيديولوجية.

معنى هذا أننا نحتاج أن يوضح الليبراليون القلالة بينا كذب المستيريا وتغارة الحرب. فالمسلمون حقا ليسوا "قادمون"، بمعنى أنهم لم يمثلوا نوعا من التهديد بالعنف الخاص بهم. ومع عدم استبعاد وقوع هجمة أخرى على غرار 11/9 في الولايات المتحدة أو في بريطانيا، فإن التصورات الرسمية والشعبية للإرهاب مجرد مسألة إسقاط أيديولوجي وهم ولست تقديرًا موضوعيًا. فالنظرية السطحية لأحداث مثل تفجيرات ماراثون بوسطن(9)، في أبريل عام 2013، التي خلفت ثلاثة قتلى من المفترجين وجرح عشرات، وطعن الجندي البريطاني في ريجبي بعدها بشهر في شوارع وولتش جنوب لندن، تجعل الأمر يبدو كأنه تهديد مستمر من قبل الجهادية. كلنا الحادثين تتفانقان مع النموذج الحالي في الحرب على الإرهاب فيخض الشباب المسلمين الذين يتطرفون بسبب تعرضهم لأيديولوجية الإسلام السياسي. وقد تم إدخال الحادثين في سيناريو الحرب على الإرهاب المدع سلفيًا، على جانب الأطلسي، وعلى سبيل المثال، ادعى بيتر كنغ، رئيس اللجنة.

(9) هو تفجير تم باستخدام طائرات ضغط أعقاب تأدي إثرادات بين الجنود وقوات الشرطة الأمريكية أثناء مسار ماراثون في بوسطن وأتهم فيه أخوان من المسلمين الشيشان (زهير و تاميران نزاراليف). (الترجمة)
الفرعية البرلمانية لمكافحة الإرهاب والاستخبارات، أن هجوم بوسطن يثبت أن "الحرب الإرهاب علينا أبعد ما تكون عن النهاية". وقد أدى أن "التهديد الجديد لا مثالة من الداخل"، وأن "اللياقة السياسية" 3) ينبغي أن لا تحول دون تنفيذ مراقبة واسعة لتجمعات المسلمين. 4) وأضاف عضو الكونغرس عن تكساس لوي جوميريت أن الحكومة ينبغي أن ترحب "الشيشانيين الذين يأتون إلى هنا... إذا كانت لهم خليفة تنقسم بالعنف" 5) أما قنابل طناجر الضغط المحلية الصنع التي استخدمت في بوسطن بمواد متفجرة تم استخلاصها من ألعاب نارية متاحة تجارياً، فقد وصفها وكلاء النيابة والملحقون الرسميون بأنها "أسلحة دمار شامل"، وهو تضخيم مسرحي لاستخدام المصطلح من خلال الأصلية التي تشير إلى الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية (وكان فرصة تعويض الإخفاق في العثور على أسلحة دمار شاملي في العراق هي تغلبها في بوسطن) 6) أما في بريطانيا فقد تحدث رئيس الوزراء ديفيد كاميرون عن "نيل التطرف الذي سمي عقول [شباب المسلمين] بأفكار مريرة متحركة". 7) وأضاف: "علينا تجفيف المستنقع الذي يعومهم". 8) وقد تم تشكيل قوة خاصة للتعامل مع "التطرف وال-xl"، لتجديد جهود وقف انتشار الأيديولوجيات المتطرفة في الجامعات والسجون وعلى شبكة الإنترنت. وقد تم منح صلاحيات جديدة لوقف بث المقابلات الشخصية مع المتطرفين. 9) كتب بوريس جونسون عمدته لندن أن "آلاف الشباب المسلمين مصابون بعدوى فيروس "الإسلام السياسي"، وأن الجامعات ينبغي أن تكون أكثر حزمًا في مراقبة "الجماعيات الإسلامية" حتى يتم القضاء على الفيروس". 10) كانت الصيغة واحدة في لندن وواشنطن وهي أن "سبب أعمال العنف الأخيرة هو الأيديولوجية الخطيرة نفسها التي أسفرت عن أحداث 11/9 والتي مازالت تتأثر عقول الشباب طالما تأتي منها بعض الناس. 11)
المسلمين. إن تصوير ما حدث في بوسطن ووولاندش وكأنه تكرار لما حدث في 11/9 و7/7 من شأنه استخدام الخوف والقلق لمواجهة الحرّب على الإرهاب، مع تجديد التركيز على التهديدات الداخلية وإضفاء الشرعية على التوسع في المراقبة والتجريم والشيطنة. لم تأت صور "المستعجلات" و"سير النحل" و"الفبروسات" بجديدة، فكلها تم استخدامها على أثر 11/9 للإبقاء على طريقة تناول معينة للطرف ولإخفاء قصور التحليل الرسمي.

أما أهم دلالات هجوم بوسطن ووولاندش فلم يشر إليها. فعلى خلاف الصورة الشائعة عن الإرهابيين لدى العامة، لم يكن الجناة أعضاء في أي منظمة إرهابية، ولم يتلقوا أي تمرين، ولم يكن لديهم خطة مكثفة برأي قدر ما ارتكبوا. لم يشر أحد إلى افتقارهم الحركي لأن ذكر ذلك يتعارض مع الإطار التنسيقي الذي يعد لأي عمل إرهابي تكرارًا بدرجة ما لأحداث 11/9 - بكل ما تشيره من طاقات افتراضية. كما لم يلفت أحد إلى الصلات بين أعضاء العنف في الولايات المتحدة وبريطانيا والعديد من جانب القوات المسلحة التي تم تطبيقه في الحالتين في البلدان. ففي بوسطن مثلت ثوان طناجر الضغط عملية استيراد أساليب تفجير مزدوجة استخدمت في الحرب الأفغانية إلى السياق المدني في الولايات المتحدة. أما احتجاز ربط العنف الأوسع للسياسة الخارجية الأمريكية بالهجوم على بوسطن، فكان لابد من نفيه عن طريق استخدام مصطلحات مثل "أسلحة الدمار الشامل" و"التحول إلى التطرف." يشير زعيم تشارلزيف، أحد المتهمين بارتكاب الهجوم، إلى ذلك مباشرة وهو غموض من الشرطة في قارب بمرنا في مدينة ووترتاون بولاية ماساتشوستس، إذ كتب على جدار القارب من الداخل:

إن حكومة الولايات المتحدة تقتل مدنيننا الأوروبيين ولا يمكننا أن أترك هذا الشر بمر دون عقاب ... فنحن المسلمين جسد واحد، إن آذيت أحدنا فقد آنيتا.
كانت هذه الرسالة، برغم ما تناولت عليه من عوار فادح ووضوح، فورًا، هي ما تجمعت تحليلات المسؤولين والإعلام فيها تخص أسباب الانتفاضات. وعلى سبيل المثال، في تحقيق جانيت ريتيا تمثلة رولينج ستون - وهو أكثر التقارير الإعلامية تفصيلًا في شأن الأخوان - لم يتم التطرق مطلقاً إلى العلاقة بين الأفعال العنف الضخمة التي وقعت في شوارع بوسطن والسياسة الخارجية للولايات المتحدة. أثارت المجلة جدلًا بسبب صورة الغلاف التي جعلت من زهير سوارنايف "نجم روك". كانت المشكلة الرئيسية في المقالة معاونتها تقدم ما نسب إلى الأخوان من أفعال ووصفها نتائج "تفخيم" فإنها السبب الوحيد فيها سلسلة من الأحداث المؤسفة الفردية. تشمل دفاعات العنف لدى الأخوان، حسبها، ترى جانيت ريتيا، انتفاضات ودييها وإخفاقها في بناء حياة ناجحة في الولايات المتحدة وضغط المعاناة في دفع مصروفات الجامعة والارتفاع السريع في الإيجارات وتقلص مخصصات الإعانات الأسرية. وترى كاتبة المقال أن الأخوان وجدوا في الأيديولوجية آلية دفاعية وغذاءاً لفي الوحيد عن أوروبا بدلًا من الاعتراف بأعمالهم الانفجارية. تم توظيف هذا النموذج النفي في تفسير التطور مع الاستعانة، طبعًا، بمقولات شائعة في عالم صناعة خبراء الإرهاب، وقد تمكن الكاتبة هذا من تحقيق نجاحي لهذا العنف بضعه في سياق الحرب العالمية الإرهاب وقائمة قتاله المضادة من المدنيين. (22)

وبالمثل، في بريطانيا بعد جريمة ووليش، ظل من المحرمات الإشارة إلى أي صلة بين قتل ضابط بريطاني في شوارع لندن وما ارتكبه الجند البريطانيون من أفعال... (الترجمة)
قتل في قرى هلمن. (م) كانت تغطية الحدث في عصر الوضع الإخبارية المتواصلة ساعات الليل والنهار وعصر وسائل التواصل الاجتماعي التي يفترض حاجاتها إلى تنوع المحتوى، كانت أحادية المنظر على نحو مدهش. فقد التزمت جميعها بالرواية الرسمية عن التحول إلى التطرف بسبب أيديولوجية خطيرة. مرة أخرى، قدم الجندة بيانًا صريحًا يفسر ما ارتكتسو، واختاروا أن يتحدثوا إلى كاميرات فيديو تلفونات عمولة تنص أشخاصًا مارين بالمكان بدلاً من الهروب من المشهد. فقد أعلن أحد المهاجرين وهو يمسك بسكين نخسي بالدم وجسد الجندي المقتول عند قدميه أن

السبب الوحيد لقتله هذا الرجل اليوم هو أن المسلمين يموتون يوميًا على يد جنود بريطانيين. وهذا الجندي البريطاني واحد منهم. العين بالعين والسن بالسن ونقسم بالله العظيم لن توقف عن قتالكم حتى تدعونا وتأثنا... اخروا من بلادنا ونسعح جمييعًا في سلام. هذا كل ما أريد أن أقول.

الطريق أن الاستشهاد الديني الوحيد في هذه الكتاليف كان من الكتاب المقدس. ففي الدقائق العشر تقريبًا التي سبقت وصول الشرطة ظهر دليل آخر على الظاهر السياسي لهذا العنف، إذ أقبلت بعض النساء اللاتي تصادف ضوهر على المهاجرين على حماية جسد الضحية في تحدٍ لم يفعله المهاجرين. سألت إحدى النساء، واسمها انجريد لرباوا - كنيت، الجنائي الممسك بالسكين عن سبب ما فعل فقال لها إن الضحية كان جنديًا بريطانيًا "قتل المسلمين" في بلاد أخرى. وقال لها إنهم يلقون القنابل على النساء والأطفال ولا يلقى أحد هذا بالآلهة، فردت المرأة بأن عليه أن يذهب إلى ساحة قتال فعلية، إن أراد أن يدخل الحرب وينضم إلى الجيش ولا يتصرف كما لو كانت شوارع لندن ساحة حرب. كانت هذه الإجابة التلقائية القصيرة البسيطة السريعة، التي لم تكد تجد طريقها إلى وسائل الإعلام أهم تعليق

(م) ولاية هلمنود إحدى المحافظات الـ 34 بأفغانستان تقع جنوب البلاد. (الترجم)
ورداً في الحكاية كلها وما تبعها من مناقشات عامة، فقد أنه أشار إلى خاطر فكرة ساحة الحرب الكوكبية. فالجناة يرون حربًا دائرة بين الحكومات الغربية ومقاومة إسلامية، وأن الحروب تنثر فيgoritرة الأرضية كلها. وإن شعور لندن بالنسبة إليهم لا يختلف عن شعور مقدسي أو بغداد في كونها ساحة قاتل، ويرون أن كل مسلم في لندن لا ينظر إليها على هذا النحو؛ إنها سمعته حياة الترف وتوقع الدنيا في المجتمع الغربي الاستهلاكي، والأقرب إلى الحقيقة أن المهاجرين ظنوا أن حديثًا يحيى كاليث وقع في وولينش قدورق المسلمين من غفوتهم، قال المهاجر للسيدة لورا - كنت: أريدها حربًا في لندن. وربما كان يقصد أنه أراد أن يوقف أهل لندن عن الصرف وكأنهم ليسوا في حالة حرب، وأن يجدوا مواقفهم ويفعلوا شيئاً. اتخذ أقصى اليمنيين من هذا الحدث صحة حرب، بدأوا المنومة إليه موجة من الهيجات العنيفة على المسلمين وتفجيرات للمساجد في أنحاء متفرقة من إنجلترا. الأهم من ذلك أن اعتبار الحرب على الإرهاب ذات طابع كوكبي، الذي عبر عنه الجناة في حادث وولينش، أصله الحكومة الأمريكية التي عبرت عن ذلك صراحة وقالت إن العالم كله ساحة حرب، وهي تتفوق استخدام القوة العسكرية الذي صدر في سبتمبر 2001 - وكان سنذيع استخدام ضربات الطائرات بدون طيار خارج مناطق القتال المحددة. فإذا كانت حكومة الولايات المتحدة ترى أنها ضائعة في حرب لا تعترف حدودًا جغرافية، فليس مستغربًا أن يعترف أعداؤها الرأي نفسه.

وكما بَيَّن باحثون مثل إقبال أحمد، حتى قبل الحرب على الإرهاب، فإن وصف أي عمل عنف بالإرهاب، يعني عزله تصميقًا عن غيره من أعمال العنف التي تعد عادية عقلانية أو ضرورية. فإن مصطلح "الإرهاب" لا يستخدم مطلقًا بالإشارة إلى العنف العسكري الذي تمارسه الحكومات الغربية إلى الواقع اليومي للعنف القائم على اختلاف النوع أو الجنس، مثلاً، وهم نوعان من العنف يمكن وصفهما بالإرهاب طبقًا للتعريف المعتاد للمصطلح. وهو العنف تجاه المدنيين الأبرياء والمقصود به نصرة قضية سياسية (الحفاظ على استمرار الوجود) هي شأن سياسي

المقصود به نصرة قضية سياسية (الحفاظ على استمرار الوجود) هي شأن سياسي
باختصار، وكما كان ذلك استخدام لمصطلح "الإرهاب" وهو في أصله عمل سياسي، ولا يطبق تعريف الإرهاب على نحو متضمن على الإطلاق؛ لأن ذلك يعني أن قوة الإدارة السائدة في المصطلح ينبغي أن تنصر إلى عفنه مثل عفنه ثم، وهذا ينزع عن الكلمة فائدتها. وليس أدل على صحة فكرة إقبال أحد من موقف عضو الكونغرس بيتري كنغ الذي يقود حملة ضد تجول الأمريكيين المسلمين إلى التطرف رغم أنه في الثمانينيات قد لم يكن أي يوم دعمًا ماديًا للجيش الجمهوري الأيرلندي، عن طريق تشجيع جمع التبرعات من الأمريكيين الأيرلنديين، إذ خطاب تجمعًا في ناساو كاونتي، نيويورك، عام 1982، قائلًا: "لا بد أن نلزم أنفسنا بدعم أولئك الشجعان من الرجال والنساء الذي يعملون في هذه اللحظة عقب الكفاح ضد الإمبريالية البريطانية في شوارع بلغاست ودري.«(48) إذا كان وجود الجيش البريطاني في أيرلندا الشمالية في الثمانينيات إمبريالية؛ فالمتطلب أن يوصف وجودها بالأحداث في أفغانستان بالكلمة نفسها.

إذا كان الإرهاب يُعرف بأنه العنف ضد المدنيين الأبرياء الذي يقصد دعم قضية سياسية، فإن هجوم ووليش في لندن يستحق وصف العمل الإرهابي. صحيح أن الضحية مقاتل، لكنه لم يكن موجودًا في ميدان المعركة، لذا فمن المناسب وصفه في ذلك الوقت بالدني. لكن التعرف نفسه يصف كل جرائم القتل العنصرية التي تقع في بريطانيا وأمريكا بالصفة نفسها، فهي جميعًا من أعمال الإرهاب أيضًا لأن الجناة يحاولون إرسال رسالة سياسية إلى المجتمعات الأقلية (بمعنى تحوّفهم حتى يرضوا بمكانة مدنية). فإن العنف العنصري، مثل أعمال العنف التي تدعى إرهابًا، لا تزحل حياة ضحاياهما فقط، بل تبعث برسالة خوف أكبر إلى دائرة السكان الأوسع. "(49)

مع ذلك لا يعد الإرهاب والعنف العنصري متساويين في درجة الخطورة لدى الحكومات وأي أبواق الإعلام. فيننا كان متعلق إلى رجى حذرة قومية بهمًا استنفر موجة من الإجراءات الحكومية وردد الأخلاقيات المتعلقة بالسياسة ومناقشات عامة، فإن أعمال القتل العنصري نادرًا ما تتجاوز تغطيتها الصحفية.
المحلية. ولا يمكن تفسير هذا التباين على أساس حجم ما يحدثه كل شكل منها من ضرر. ففي أوروبا، يتأذى حجم ما يتسبب فيه العنف العنصري مع ما يحدثه العنف الجهادي من ضرر، فتجاوزات أقصى اليمين التي تقوم به تخاذل العنصرية أساسًا أيديولوجياً لها. فقد سقطت على الأقل 249 قتيلاً في أحداث العنف اليمين المتطرف بين 1990 و2012، وسقطت 263 قتيلاً على يد الجهاديين في الفترة نفسها. (48) وفي الولايات المتحدة بين 1990 و2010 وقع 145 عملاً من أعمال العنف على يد متمسكون في اليمين الأمريكيين بلغ عدد ضحاياه 348 قتيلاً. (49) وفي المقابل قتل عشرون شخص في الفترة نفسها في أحداث العنف السياسي نفذه مواطنون أمريكيون مسلمون أو مقيمون مستقرون في الولايات المتحدة. (50) يمثل نوعًا من العنف كلاهما تهديدات للقيم الديمقراطية من جانب المواطنين. يستخدم الأول العنف العنصري لتهديد تغييرًا في التركيبة العرقية للدول الغربية أو للدفاع عن السيادة العنصرية. ويعتبر الثاني العنف بغرض تقويض الحكومات الغربية حتى تغير سياساتها الخارجية. وإن الاهتمام بخطر العنف الداخلي أكثر مما سواه يعني أن الحكومات وعموم الصحفيين يعدون السياسات الخارجية أصعب من أن تراعي أمن المواطنين من الأقلام.

إن عملية وسم أشكالبعينها من العنف بالإرهاب هي عادة عمل عنصري في ذاته. وقد تجلب ذلك في الساعات التالية هجومات بوسطن وولوتش، قبل أن تعرف هويات الجناة. فقد تراوحت التكهنات في الإعلام الأمريكي بين كون الهجوم إرهابًا داخليًا أو دوليًا. وقد استخدم المصطلحان كرمزين للحديث عن كون الجناة من البيض (ومن ثم فهم مجرد "ذئاب منفردة" مسورة أو من "الوطنين" المتدينين للليمين المتطرف أو كونهم مسلمين) (ومن ثم فهم مرفوعين بالأيديولوجية الغربية نفسها التي أسفرت عن 11/9). عندما علق مذيع سي إن جون كينغ وقال إن الشخص المقبوض عليه في هجوم بوسطن "رجل أسمر البشرة" لم يكن ذلك مجرد زلة لسان فردية، بل كان إشارة صريحة للعنصر العنصري الباطن الذي يسكن خطاب الإرهاب المضاد برمته. (51)
وفي قناة إم إس إن بي سي سأل كريس نيازيف من خبراء الإرهاب: هل يستطيع المحللون الحكوميون أن يعرفوا من صور كاميرات المراقبة للمستفيد بهم، هل هم "من اليمن أو ما إلى ذلك من المناطق"؟ كان المطلوب أن يظهر وجه المشتبه به هوية عرقية وتمكننا من أن نحدد هل هو واحد "منهم" أم واحد "منا"، عليه يتحدد نوع الاستجابة الشعورية للتفجير. وكما ظهر كان المشتبه بهم قواصلين بكل ما يحمله الوصف من معنى.

عند عرضه حادث ووليتين، فلتنت من المحرر السياسي في بي بي سي، نيك روتنسون، زلة لسان شديدة الدلالة كذلك، إذ وصف واحدًا من المهاجرين بأنه ذو "مظهر إسلامي". كان الرجل الأسود الذي يصفه يرتدي الجينز وسترة لها غطاء رأس وقلنسوة من الصوف، لكن صفته "الإسلامية" كانت مرئية بشكل ما، وكان هذا ما يثير استخدام مصطلح "إرهابي" قبل ذلك بشهور وقعته جريمة قتل أخرى في بريطانيا لم تكن تلقي أي اعتبار، ناهيك عن عدم وصفها بالعمل الإرهابي. فقد تلقى محمد سليم مسلم في الخامسة والسبعين يعيش في برمغهام ثلاث طعنات في ظهره وهو خارج من مسجد الحي. وعندما ألقى القبض على الجاني في شهر يوليو التالي، تبين أنه قام بتفجير مسجد بالعنون الراسية من الأسابيع التالية هجوم ووليتين، ساعتها فقط مارس النشطاء المحليون ضغوطًا لإجبار الشرطة على وصف جريمة بالإرهاب. لكن الفرض الأساسي يظل يربط بين مصطلح "إرهابي" بآيال العنف السياسي التي يتبناها المسلمون حديثًا.

تقف أحداث 11/9 وحدها بوصفها أسوأ ما حدث في يوم واحد من إرهاب ليس موجودًا من دولة. لكن تيار الهجرات التي تتشبث به في الأثر التدميري التي تبدأ بها مستهل الأمن بعد عام 2001، لم تقطع. مع ذلك لم تغيّر شيء في البنية العقلية الأساسية لمشروع الإرهاب المضاد، فردود أفكاراً المعكوسة هي نفسها ما كانت عليه في 12/9/2001. بقيّت هناك عدد من المخططات، مثل خطة نجيب
الله زاى في عام 2009، التي خططت لتنفيذ عمل إرهابي في الولايات المتحدة، لولا أن أحبته التحقيقات الحكومية (رغم عدم ثبوت الادعاء بأن التحقيقات المثيرة كانت تعمد على مراقبة بغير إذن قضائي). كأتم كشف في بريطانيا عن سلسلة من المخططات الجهادية ذات الأثر التدميري الضخم. وبالطبع تدعي الحكومتان أن عدم وجود أرقام أكبر من الهجمات الناجحة هو نتيجة لإجراءات سياسية اتخذوها. لكن نظرة أدق حالات التوقف الفعلية التي نفذتها الحكومتان تقول شيئًا آخر. فالقبض عليهم بسبب جرائم إرهابية لا يشبهون بحال الصورة الشائعة عن المثير في المسلمين العازمين على تدمير الحضارة الغربية عن طريق أعمال عنف شنيعة. من بين 176 مسلمًا تم اتهامهم أو القبض عليهم بسبب ضموعهم في الإرهاب في الولايات المتحدة بين عامي 2001 و 2010، كان عدد كبير منهم يحاكمون بسبب أنشطة "تعبيرية" وخيرية وليس بسبب العنف، هذه الأنشطة التي اعتبارها الحكومة "دعاية خبيثة" للإرهاب لم تكن غير قانونية قبل 11/9. وقد أتهم آخرون، ليس بسبب التهديد بالعنف في الولايات المتحدة، بل للسفر إلى مناطق أخرى في العالم للانضمام إلى حركات احتجاجية فيها. أما الباقون فاغلبهم أفراد تمت إدانتهم لأن المحرضين الحكوميين ظلوا يضغطون عليهم لشهرو ليواقوا على الاشتراك في خططات وهمية، لم يكونوا يستطيعون تنفيذها بأنفسهم قط، وفي هذه الحالات، يكون نشر التطرف الوحيد هنا يقوم به إ. بي. أي.، فإلى حد بعيد تنخيل الحكومة الأمريكية وتخرج إلى الوجود ذلك التهديد بالجهاد الداخلية التي تدعي أنها تخاربها.

إذ إن حكومة الولايات المتحدة خصصت عشرات المليارات من الدولارات لكافحة خطر عنف إرهاب داخلي أغلبه وهمي، وفي خضم ذلك أغلفت تعمد إقامة مجتمع مسلم بحق. وإن اعتبار المسلمين الأمريكيين المصدر الأول للتهديد بالعنف، وما يستتبع ذلك من اهتمام مدفوع بتصور أيديولوجي يتوازي مع عملية
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

تطبيق لواحق سقوط 15 ألف أمريكي قتلى سنويًا. 86) وقد أثبتت عالم السياسة جون مولر بالدليل أن مفهوماً للإرهاب تشكّله الآيديولوجيا أكثر ما يشكله الواقع الموضوعي. وييري تقييد الرجل للموقف على النحو التالي: "إن مجمل من يُقتل في العالم كله بيد إرهابيين دوليين لا يزيد كثيرًا عن عدد من يموت غرقًا في حوسب استحمام في الولايات المتحدة." 88) أما في بريطانيا، فمع تركيز الاهتمام على "القاعدة"، كان عدد قتل الصراع الطائفي في أيرلندا الشمالية في العقد الأخير يتأل
عدد ما أوّدت به الهجمات الجهادية من أرواح، وحسب تقديرات جامعة ألستر، وقع اثنان وستون قتيلاً جراء الصراع في أيرلندا الشمالية بين عامي 2002 و2011، ووقع ثلاثة وخمسون قتيلاً جراء العنف الجهادي في بريطانيا في المدة نفسها. 80)

و сырق هذه الأرقام براح ضحية الحروب التي شنتها الولايات المتحدة في أفغانستان والعراق وباكستان منذ أحداث 11/9. حسب تقديرات الباحثين في مركز "مشروع آيزنهاور للأبحاث" في معهد واتسون للدراسات الدولية بجامعة بوسطن، أدت تلك الحروب إلى مقتل 270 ألف إنسان، وهذه أكثر التقديرات تحققًا. 61) وتقدر دراسة أجرتها كلية جوز هويكنت للصحة العامة أن حرب العراق أوقعت 655 ألف قتيل حتى عام 2006، ودضعت بذلك أسوأ أصور العنف. 62)

ومن أهم مقولات كتابي هذا أن فهم أسباب ما يسمى بالإرهاب الجهادي يقتضي توجيه اهتمام لعنف الدولة الغربية وسياسات أجنبية التي تدعمها يائلاً ما نوجه من اهتمام لأيديولوجية الإسلام السياسي. إن ما تسمى الحكومات تطرفًا هو إلى حد بعيد نتاج ما تشهه من حروب.
ملحوظة عن مصادر الكتاب

يعتمد كتاب المسلمون قادمون على ثلاثة أعوام من البحث في كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بدعم من معهد علاقات الأجانب في لندن ومؤسسات المجتمع المفتوح في نيويورك. وقد أجري البحث لإعداد الكتاب في عدد من المواقع في الولايات المتحدة (دالاس، ديربورن، ديترويت، هيوستن، مينابوليس - سانت بول، نيويورك سيتي، واشنطن العاصمة). وقد أجريت 160 مقابلة شخصية مع نشطاء وأعضاء جماعات ورعاية دينيين ومسؤولين أمن وصناع سياسة ومستشارين حكوميين وشباب. وفي شراكة مع منظمة ليبرتي للحرية المدنية، تم استخدام قانون حرية تداول المعلومات للحصول على بيانات سرية عن ديموغرافيا أفراد مصنفين في السجلات كمتطفرين حسب سياسة الوقاية البريطانية.
الفصل الأول
عبدو مثالي

ينبغي أن يكون العدو المثالي لأمريكا معاديًا أيديولوجياً، خلفًا جنسيًا وثقافيًا، وفويًا من الناحية العسكرية بحيث يمثل عددها مقومًا للأمن الأمريكي.

- صامويل هنتنغتون، من كتاب: من نحن؟

في ثمانينيات القرن العشرين كان فارسات لطيف مراقبًا ماركسيًا، وقد علمته تجارب العنصرية إبان نشأته في إنجلترا أن الإطاحة بالرأسمالية هي السبيل الوحيد لإنشاء عالم عادل. وقد عرف السفر وهو في الرابعة عشرة من مدينة ستيفنهايجر الصغيرة شهيلة لندن حيث استقرت أسرته إلى العاصمة، حيث صاحب الفوضويين واليساريين. وكان وقتًا مزجًا بين مكافحة الفاشيين في شوارع شرقي لندن والاشتراك في مظاهرات تواجه الشرطة. قرأ ماركس ولينين وصار طالبًا في كلية الاقتصاد بلندن. وفي عام 1990، عندما استحدثت حكومة ثانير ضريبة الاقتراض التي نقلت عبء ضريبة الحكومة المحلية من الأغنياء إلى الفقراء، انضم إلى مئات الآلاف من المحتجين الذين تجمعوا في ميدان ترافالغار. أصاب هذا السخط قيادات سكوتلانديارد بالفزع فأمرا قوات الشرطة الرايكية ب cámara الحشد وانزلاق الميدان إلى العنف. انتقد المتظاهرون ومنهم فارسات قوى الطلب من موقع بناء
لَيِذْفَرُوهَا عَلَى الْشَرْطَة، فَأُلْقِيَ القُبْضُ عَلَيْهِ مَتَلِيَّةً. وَلَمْ تُحْتَجِزْ فِي إِحْدَى زَنايْنِ الشَرْطَة طَلَبَ مِنْهَا الْإِبْتِيَازَةَ أَنْ يُوقِعَ عَلَى بَيَانٍ بِمَمْتَلَكَتِهِ الْشَخْصِيَّةَ وَقُدْ كَبْوَا مِنْ بَيْنَهَا "قَالَ بِلْطَوبٍ"، فَرَفَضَ الْتَوْقُيُّ عَلَى هَذَا الْرَّجَالِ الَّذِي بَدَينَهُ. وَبَعْدَ أَنْ خَرَجَ بِكَفَّالَة قِيلَ لَهُ إِنَّهُ سَيَواجِه حَكْمًا بِالسَّجْنَ وَتَقْرَرَ مُوْدَةِ المحاكَمة بَعْدَ تَسْعَة أَشْهُر.

فِي تُلَكِ الْفُرْتَا سُقِطَ سِجْدَتُ فَارَاسَاتِ الباَّلَّغِ مِنْ الْعَمَّرِ 107 أَعْوَامٍ مِرْيَانًا فِي باكَسْتَانَ، فَقُرِّرَ زِيَارَتُهَا أَخْرَجَ مَرَّةً. وَبِينَا كَانَ يَقُومُ بِنِفَاقَ مَكْتُوبَة جَدًّا، وَقَعَت عَيْنَاهُ عَلَى كَتَابٍ بِعَنْوَانِ الْمَارْكِسِيَّةَ وَالإِسْلاَمِ مِنْ مَشْرُوقَاتِ الجَامِعَةِ الإِسْلاَمِيَّةَ الدُّولِيَّةِ فِي إِسْلَامِ أَبَادَ. قَبْلَ ذِلِكَ عِنْدَا كَانَ يَسْأَلُهُ النَّاسُ هَلْ هُوَ مُسْلِمٌ، كَانَ يَرْدُ عَنْهُ نَشَأً فِي عَائِشَةِ مَسْلِمَةِ، لَكِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ مَتَأْكُدًا مِنْ أَنْتَهَائِهِ الْشَخْشِيَّ. لَمْ يَكُنْ يَشْرِبُ الْقَلَى أَوْ يَأْكُلْ لَحْمَ الْمَنْزِلِ، وَكَانَ يَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِد منْ حَيْنِ أَخْرَجَ لَأَسْبَابِ اِجْتِمَاعِ أَكْثَرُ مِنْهَا دِينِيَّةً. وَلَكِنْ يَزَعُجُ هِيَاجَةِ الْقَنْتَاعْة الْلَمْدِيَّةِ العَمْيَيْةَ عَنْهُ. أَمَّا أَنَّهُ، فَقُدِّمَ أَجْهَرَ قِرَاءَةَ هَذَا الْكَتَابِ عَلَى أَنْ يَجْسَدَ اِتْتَبَاءَهُ بِإِنْهَاءِ الْهُوَى الْمَارْكِسِيَّةَ وَالإِسْلاَمِيَّة. كَانَ الْكَتَابُ مَوْضُوْعٌ كَجْزِرٌ مِنْ مَاَكَّةٍ دَعْائِيَةٍ لِدَعْمِ الْمَجِهَدِينَ الَّذِينَ يَقَاطِعُونَ النَّظَامِ الشَيْعِيَّ فِي الْجَارِيَةِ أَفْغَانِيَّةَ، وَكَانَ يَتَضَمَّنُ نَقْدًا مَنْهَجِيَّةً لِلْمَارْكِسِيَّةَ مِنْ مِنْظُورِ إِسْلاَمِيَّة. عَادَ فَارَاسَاتِ إِلَى إِنْجِلِيَا وَقَدْ تَحَطَّتَ مَعْتَقَدَتَهُ الْمَارْكِسِيَّةَ وَلَمْ يَعُرْفَ بِهِ أَبَى يُؤْمِنُ. وَكَانَ يَنظَرُ أَنَّهُ فِي طَرِيْقَةِ إِلَى الْسَّجْنَ، لَكِنَّ الْمُرْقَفَ تَغْيِرُ إِذَا أَرْسَلَ أَحَدُ أَسَانِدَةِ فَارَاسَاتِ شَهَادَةَ حَسَنَ سَلْوَكَ عَنْ فَارَاسَاتِ أَقْنَعُ التَّقَاضِي فَأَكْتَفَيَ بِالْحُكَّم عَلَيْهِ بِغَرَّةَ قَدْرَهُ 400 جَنِينَ إِسْتِرَلِيَ. كَانَ فِي ذِلِكَ الْقُرْنِ قَدْ أَدْرَكَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَخَاطِبُ الْحَاجَّاتَ نَفْسَهَا الَّتِي كَانَتْ تَخَاطِبُهَا الْمَارْكِسِيَّة عَنْهَا مِنْ قَبْلَ.

قَبَلَتُ فَارَاسَاتُ بَعْدَهَا بِعَشْرِينَ عَامًا فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ السَّلَفِيَّةِ فِي لُوْتُونَ، وَهِي مُدِينَةُ تَقْعُ عِلَى بَعْدِ ثَلاَثِينَ مِيْلًا شَهَالًا لُونَدَ جَبْتُ إِلَيْهَا الْمَيْاهِرِينَ، وَخَاصَةُ البَاَكَسْتَانِيِّينَ، لِلْعَمْلِ فِي صَنَاعَةِ الْسَيْاَرَاتِ. يَسْتَرْجَعُ الْرَجُلُ مَا مَضَى فِيْضَ حَيْثُ قَدْ خَلَقَ الْإِسْلاَمُ مِنْ جَهَّازِهِ الْمَارْكِسِيَّةَ: "أَجَابَ الْإِسْلاَمُ عَنْ الأَسْئَلَةِ نَفْسَهَا، المَعْلِقَةَ
بالظلم. كما أنشأ منظورًا للحياة الدنيا، وهي جزء صغير من وجودنا الكلي. كنت في ذلك الوقت حائطًا ومحبطًا. كانت المذبحة الرهيبة تجري في العراق في عام 1991. كان الظلم عظيمًا، والظلمون لا يحاسبون. دمرت ثاترات الاحترام، وكان اليسار منشقًا بالجدل حول أمور تافهة. ثم ردن الإسلام إلى الأسئلة الجوهرية: ما غرض الحياة؟ ما هدف الخلق؟ وكيف يحقق الإنسان العدل؟ لم يحدث ذلك بين عشية وضحاها بل أحد يتغير لي تدريجيًا.» بدأ يقضي وقتًا مع الفرق الإسلامية المختلفة في إنجلترا مثل البرليون(5) والديوبنددين(6) وجماعة التبليغ يطرق عليهم الأسئلة التي ألقتها عليه أزمة المعنى التي كيابدها. وفي النهاية جذبها الحركة السلفية بوضوحًا الشديد، وهي فرقة صغيرة لا تتجاوز عدد أتباعها من البريطانيين المسلمين 5%. إن السلفية حرفية تمامًا، وهذا ما قاله الله ورسوله وصحابته وما ينفي فعله - إذن انتهى الكلام. وأنا أفضل ذلك، فقد رأيت فكره رسالة موصومة. يتوافق ارتباطه بالسلفيين بعد سنوات قليلة، عندما ثبت أنهم الأشد استعدادًا للدفاع عن المسلمين ضد ما كانت ترتكبه القوات الإمبراطورية ضد البوسنة من فوق، كان الآخرون يتفقدون بالحديث عن المجادل دفعًا للظلم عن المسلمين، لكن السلفيين وحدهم هم من ذهوا فعالًا للحرب.(!)

انضم فارسات إلى المسجد السلفي وسرعان ما اكتشف أن لديه موهبة جذب الشباب الذين على هامش المجتمع إلى رؤية الكونية التطورية. فقد سعى المسجد إلى من في السجون ومن ضلوا في الجريمة، وكان أغلبهم من خلفية باكستانية، وسعى إلى إحداث تحوُّل في أساليب حياتهم. وبلغ نجاح أساليب المسجد حتى إن أبرز

(5) هي حركة حفية للذبابة بدأت في مدينة برلوي شيلي افست حيث ردل مؤسستها أحمد رضا خان (1856 - 1921) ويفضل أن ينجزها الذين تجاوز عدهم 200 مليون شخصًا في جنوب آسيا أن

(6) يرموها للسلطة والجماعة (الترجم)
تأكز مخدرات في لوتون انضم إليه، وبذ حياة الجنس والعنف والسيارات السريعة والترزم أداء الصلاوات الخمس ورضي بعمل مشروع بأجر زهيد. وسرعان ما اعتنق الإسلام شباب آخرون من الطبقة العاملة من خلفية كارثية أفريقية ومن البيض أيضًا، والتزموا جميعًا أسلوب الحياة السلفي نفسه.

يدعو السلفيون إلى "إصلاح النفس"، وهي عملية تظهر شخصية هدف إلى اتخاذ النبي أسوة في الحياة قدر الإمكان. أما الأمور الدينية والملبس والشخصية والأخلاق والمبادئ والسلوك، في ينبغي أن تكون "على ما كان في زمن النبي محمد"، كما يقول فاراسات. وكان القهر السياسي للمسلمين في قلب هذا الخطاب السلفي، لكنه يعد عقبة من الله على ترك الطريق المستقيم. وعلى خلاف جماعات أخرى مثل الإخوان المسلمين وجماعة الإسلاموية وحزب التحرير وما تفرع عنها، وهي جماعات اهتممت باستخدام السلطة السياسية في إنشاء مجتمع إسلامي، فإن السلفيين المرتبين بالسعودية لم يجدوا نفعًا من وراء الدخول في هذه الصحراء السياسية قبل أن يصبح المسلمون معتقداتهم وسلوكهم. أما المطلوب حاليًا حسب ما يعتقدون فهو الجهاد في ترقية الذات والتعليم عن العادات الثقافية الشرق آسيوية التي يرون أنها تضعف الرسالة الإسلامية الأصلية، كأنهم يرفضون اجتهادات العلماء التي تلت القرن الأول للإسلام. يقول فاراسات: "نحن لا نرى الخلاف في السياسة"

نحن لا نلوم [ملك السعودية] وفهد [ملك السعودية] أو مبارك أو صدام حسين على أمراض الأمة الإسلامية، رغم أن كل دولة إسلامية يحكمها طاغية، ولا ندعو الناس إلى الخروج عليهم، بل إننا نحذر الناس من الثورة، وتقول إن الحكام مستبدين لأننا عصاة ولا بد أن نغير أنفسنا وتصلح منها، فإن فعلنا منحنا الله زعيمة يرفع بناء. وهذا المعنى، نحن ضد الثورة. نريد أن نؤدي الصلاوات الخمس، وتوقر والدين، وتطيع
رنا في كل ما أمرنا به. فإنا فعلنا، وهبنا الله النظر. هذا نصف الموقف السياسي بأنه

المرض الذي أصاب المسلمين، العلاج في إصلاح النفس.

ويرغم أن السلفيين في لوتون يتمتنون النصر لإخوانهم الذين يقاتلون من

يتدفقون المحتلين الأجانب في الشمال وكشمير وفلسطين، فإنه يرفضون العنف

ضد المدنيين ضد الدولة البريطانية. يقول فارسات: "ترفض بشدة أي صراع

مسلح في إنجلترا، لأن المسلمين في هذا الموقف لا يتعرضون للقتل والاغتصاب

بأعداد ضخمة. ولو حدث ذلك، لن ندعو للجهاد، بل للهجرة." مع ذلك،

فهذا يؤمنون أن الأفراد لا بد أن يشاركون فيها ببعضهم صراعات مسلحة تجاه في

مناطق أخرى من العالم إذا نجحوا في إصلاح أنفسهم، "وأصبحوا جوانب أخرى

من حياتهم. وهكذا تطور عدد صغير من الشباب السلفيين للحرب في البوسنة

وكشمير في التسعينات.

واقتضت الجهات الأمنية البريطانية ضمانًا على تطوع المسلمين لقتال الميليشيات

الصرية في البوسنة وكوسوفو. ولكن بعد 11/9، دخلت الجماعات السلفية دائرة

الاستهلاك بشكل أكبر. فالإعلام الوطني هبط على لوتون فجأة في الأسبوع التالي

لأحداث 11/9، عندما ظهر أن فرعًا لجماعة منافسة في المدينة، جماعة "المهاجرين"

(وعدهم في المدينة ستة) أرسلت رجليها إلى أفغانستان لينضموا إلى طالبان، واقتلا في

قصف جوي أمريكي على كابول. فعلى خلاف السلفية، يضمن خطاب "المهاجرين"

dعوة للنضال السياسي في بريطانيا لإقامة دولة إسلامية. وفجأة صور الإعلام

لوتون على أنها خليفة للنشاط المتطرف. وفي مباريات كرة القدم كان مشجعو المدينة

يتعرضون للمسخرية من جاهز الفرق المنافسة لأن في مديتهم ملتزمين مسلمين.

تświadcعت العداء العرقي بين عناصر الأغلبية البيضاء في المدينة وفي محاولة للتهديد،

أمسك السلفيون بأحد القادة المحليين لجماعة "المهاجرين" وأوضوعوا ضربًا،

وحذروه من الاستمرار في أنشطته في المدينة. ثم دعوا إلى مؤتمر صحفي أعلنوا فيه
إدانتهم للجاجعة. قال بيانهم: «لن يسمح باستمرار أنشطتهم هنا بعد الآن. وإذا رأينا «المهاجرين» في الشوارع يتورون سوهمهم سنطردهم من هذه الشوارع».
أراد السلفيون أن يعدوا برسالة إلى المدينة وإلى الجهات الأمنية مفادها أنهم يختلفون عن «المهاجرين» وأن عملهم داخل المملكة المتحدة ديني محض، وأنهم على استعداد للخصوص لإقامة مجتمعهم وأن يطردوهما من المتطرفين الذين يستخدمون العنف.
هذا تهديدات العنف العرقي ضد مساجد لوتون لفترة، ولو أن بعدها بسنوات قليلة تكون من مشجعي كرة القدم في مدينة لوتون نواة اتحاد الدفاع الإنجليزي،
وهي جامعات سياسية يمينية مفتوحة لها أجندة معاوية للمسلمين.
لم يكن فارسات وحده بصرف لفهم عام بدأ موبوّياً فأللأصنام، مع ذلك لم يكن مرجى في الأفق إحداث تغيير جذر، فأبناء وأحفاد المقيمون الكاربين الأفارقة والآسيويين الجنوبين الذين أنى إلى المملكة المتحدة في العقود التالية للحروب العالمية الثانية، نشأوا في مجتمع ينظر إليهم بوصفهم مشكلة يبنغحلنا وليسوا مواطنين لهم الحق كغيرهم في تشكيل الحياة البريطانية. لكنهم كانوا يضرون أكثر من غيرهم وتفتشهم الشرطة في الشوارع ويتعرضون لعنف وتعش عنصري في طريقهم إلى المدرسة أو الجامعة وعند عودتهم. تستهزئ بهم الصحف وتتهم عليهم برامج التلفزيون، حتى تولد لديهم شعر بالظلم العنصري - يربطون غالبًا بالاستعمار الذي حارب آباؤهم وأجدادهم - صار هذا الشعور سمة دائمة في حياتهم. كانوا يضعون وجودهم في بريطانيا في سياق التاريخ الاستعماري الأوعسع الذي يفضل أغلب البريطانيين أن ينسوه. فعندما احتجت بريطانيا عاجلة رخيمة لإعادة البناء بعد الحرب، تم استقلال رعايا بريطانيين من جنوب آسيا ومستعمرات الكاريبى.
ولأن الاستعمار كان قد اعتبرهم رعايا للشاج البريطاني، فإنهم تلقائياً لم يكونوا مهاجرين بل رعايا ينتمون من منطقة في الإمبراطورية متعددة الأعراق إلى منطقة أخرى. وعندما انتهى المشروع الإمبريالي البريطاني في الخمسينيات، ظل غير البيض الذين بدؤوا الاستقرار في «البلد الأم» كأهالي عينة تاريخية غريبة، واعتبرت إقامتهم
اقتحامًا خارجيًا للجسد السياسي للدولة. فقد كان الليبراليون والمحافظون وغيرهم من النخبة الحاكمة في السينيوات يراقبون بقلق ما كان يحدث على الجبهة الأخرى من الأطلسيتي من انتفاضات مدنية في الولايات المتحدة، ويتمنون لاستطاعوا تنفيذ حدوث مشكلات مثلها لديهم فأصدروا قوانين للجهة توعدب الباب الاستعاعي المفتوح في وجه غير البيض، وفي الوقت نفسه طبقوا إجراءات لمكافحة التمييز العنصري لدمج مجتمعات غير البيض الجديدة. وفي خضم ذلك، ظهر أن أثار الجهود الرسمية لإنهاء التمييز العنصري رمزية إلى حد كبير، بينها ساءة الأمور بسبع قوانين المجرة، إذ عززت فكرة أن غير البيض ليسوا جزءًا من بريطانيا، وهذا يتم نحو التاريخ الاستعاعي الذي أتى به بسهولة ويسر. هذا الفصل الزائف بين المجرة والإمبريالية. رفضه الكاتب السريلانكي إسماعيلدان المقيم في لندن منذ 1958 ورفع شعار «نحن هنا لأنكم كنتم هناك.»

في السينيوات والسبعينيات ظهرت الحركات المجتمعية المتاهضة للعنصرية متأثرة بـ«حركات القوة السوداء» في الولايات المتحدة والالتحال ضد الاستعاع في الكاريبي وأفريقيا وأسيا، وكانت نقطة البداية لهم هي أن خط اللون في بريطانيا هو نفسه الربط الذي يحافظ عصاكر الرأسمالية البريطانيه، وبناء عليه فقد كانت محاربة العنصرية ترتبط بالضرورة بالمعاداة الشديدة للرأسمالية، وعلى سبيل المثال، كان نموذج حزب الفهد الأسود في الولايات المتحدة هو ما تمثله «حركات الشباب الآسيوي»، وهي منظمات قيادتها من الشباب نشأت في أحيان جنوب آسيا. عديدة في إنجلترا في السبعينيات لتسهيل الدفاع الذاتي عن هذه الأحياء ضد العنف العنصري. وتشارك هذه الحركات الفهد السود الرأي أن العنصرية في أصل الرأسمالية الغربية. أما القادة الحكوميون المحليون فكانوا يتعاملون مع هذا التشدد بصيغة من التعددية الثقافية الناعمة، مع اعتبار سياسات الهوية المحافظة كمذبة تفاوضية. وكان الأمل أن يكون من «الأقاليم العرقة» حصاة ثقافية في النظام القائم في معظمهم من البحث عن بديل اشتراكي. ففي مدينة برادفورد، في قلب
المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

الجالية الباكستانية في بريطانيا، شجع مجلس المدينة على إقامة مجلس للمساجد في عام 1981، كصوت بديل للجالية عن حركة الشباب الآسيوي العلانية. ومنح المجلس أثرة المساجد شرعية بوصفهم طبقة جديدة من القيادة المجتمعية، وذلك لتيسير إجراءات التمويل والاستشارات، على أمل أن يكونوا حلفاء محافظين في عملية تقويض حركة المتشددين الشباب. وقد تم استنادًا نموذج برادوود في أماكن أخرى، ومع نهاية عقد الثمانينيات، برزت سياسات الهوية الدينية بين الآسيويين الجنوبيين وربط التطرف اليساري.

كانت اللغة الرسمية للتعددية الثقافية أقرب إلى إدارة الهوية العرقية منها إلى التمييز المؤسسي. فقد كان وزراء الحكومة يرون أن تكون المأسسة الهوية العرقية سبيلاً في انتفاضتها عن التطرف السياسي. وعلى سبيل المثال، وصف وزير الداخلية وقتها وليام وايت، استحداث برامج التلفزيون متعددة الثقافات على النحو التالي:

"إذا كنت وزير داخلياً في أي حكومة فعلية أن ارتعى وجود مصالح كثيرة للأقليات في هذا البلد لأجناس مختلفة [معتلة]. فإذا لم يتوفر لأنشطته منفذ فستتع

في مشكلات أكبر."

كان المرج أن تقتص الهوية الثقافية الاضطراب السياسي. مع ذلك، فإن الثقافة نفسها يمكن أن تقرر جملالًا للمواجهة السياسية: فقد كان السؤال عن معنى الهوية البريطانية نفسه يُسيّب تذكرًا.

وقع بين عامي 1991 و 1993 تسع جرائم قتل لأسباب عنصرية في لندن. وقد لاقت مقتل المراهق الأفريقي الكاريبي ستي芬 لورانس، على يد عصابة عنصرية جنوب شرق العاصمة، الإهمال نفسه الذي لاقت حالات غيره عندما وقع الحادث في عام 1993. إذ رفضت الشرطة اتخاذ الإجراءات رغم أن عددًا من الناس تقدموا للتعرف على الجناة. وظلت عائلة ستيفن تطالب بالقصاص في حملة متواصلة، حتى..."
استحدثت في التاريخ القضائي إجراء الاتهام الخاص. فشلت القضية لكن قوة دفع الحملة - التي تلقت دعوى من نيلسون مانديلا أثناء زيارته الأولى للدنن - جعلت الحكومة تعلّم إجراء تحقيق عام في الجريمة في عام 1997. بعدها بعامين أصدر سير وليم ماكفرسون تقرير التحقيق الذي يبين وجود مشكلة عنصرية مؤسسية متفائلة في الشرطة.

وكانت الصورة أسوأ في مجتمعات غير البيض خارج لندن التي تضم أعدادًا كبيرة من خلفية إسلامية جنوب آسيا. فمثلًا، في مدن صناعة النسيج في يوركشاير ولانكشر، تم استغلال البنغالين من الهنود الذين عملوا في النقوشات الليلية، التي لم تكن العائلة البيضاء المنوفة تقليداً عليها. ولكن مع ظهور آلات جديدة، قلّت الحاجة إلى العائلة، وأمكن الحصول على العائدة عند الحاجة بأجر أقل من أماكن أخرى. فالعمل الرخيص الذي كان يؤديه العائل الآسيويون شهابي إنجلترا، أمكن الحصول عليه في الثانوية بأجر أقل بيد عائل آسيويين في آسيا نفسها. وقد خلفت تراجع المصنع مدةً كاملاً في حالة خراب. ومع نهاية صناعة النسيج، صارت الخدمات العامة أكبر جهة توظيف، لكن التمييز العنصري خصص أغلب تلك الوظائف للبيض. وصار مستقبل الجنوب آسيويين في اقتصاد الخدمات المحلية، فيتشارك عدد من الأعمال في إقامة محل بقالة وخرادعات أو مطعم للأكواوات الجاهزة. وغير ذلك، هناك قيادة سياسات الأجرة لساعات طويلة مع احتلال التعرض للعنف والإهانة العنصرية. ففي إحدى تلك المدن الصناعية القديمة، أولدهم، كان ربع البنغاليين في الثلاثينات من العمر عاطلين، عام 1992. أما من كانت أعمارهم بين الثامنة عشرة والرابعة والعشرين فكانت نسبة البطالة بينهم 37% (a) وقد أدى الاتهام الصناعي بالجورات العرقية أن تغلقت على نفسها بطرق مختلفة. فمناطق قلب المدينة التي أصابها الكساد والتي كان يشغفها صفوف من البيض القديمة ذات الشرفات الخارجية المزينة لأسر عمال المصنع هجرها البيض القادرون على الانتقال إلى الضواحي. واستغل آخرون التمييز...
الموجود في سياسات الإسكان العامة التي خصصت للبيض أحياء سكنية جديدة اقتصعت من مناطق الجنوب آسيويين. أما الجنوب آسيويون الذين تمكنوا من الحصول على مساكن عامة في مناطق أغلبهمن البيض سرعان ما وجدوا أن بيوتهم مستهدفة: إذ تلقى الحجراء على نواخذهم، وأحيانا البنزين وأعواد نحت مشتعلة على أبواب منازلهم. وقد دفع الخوف من التحرش العنصري والعنف بأغلب الجنوب آسيويين إلى البحث عن أماكن المناطق الخاصة بهم، برغم التكدس والبيوت الرطبة الكثيفة المظلمة، وبرغم الشعور بالضياء والانغلاق الذي ينشأ في أي مسورة مزعز. وقد صارت جغرافية المدن الشهائية على نموذج البلقان تشبه رقعة شطرنج كل منطقة فيها يميزها لونا عن جارتها ويعززها. ولا غرابة في سياق الغيبو هذا ألا تلقى المشاكل عملية عامة أو خاصة، لذلك أُلزم مشكلات تعاطي المخدرات والزواج القسري في أحياء الشرق آسيويين.

صاحب هذا الفصل على الأرض عنف تجلى في يناير 2000 فيما حدث مع سارفراز وشاعر زاد نجيب. وهما أخوان يدرسان في جامعة ليدز ذهبها إلى نادي ليلي في قلب المدينة، وقد تخطت الخطوط الضمنية للفصل العريفي التي تحكم الحياة الاجتماعية في المدينة. دخلت مجموعة من الرجال البيض في مشادة معهما فضربوا سارفراز، فواتت الشاب، كما ورد في جلسة الاستماع القضائي فيما بعد، «الجراحة على رأس الضربة» - إذ كان رد الفعل المعتاد من الجنوب آسيويين ألا يردوا الاعتداء. وردًا على ما سمعه بالاستفزاز، طاردت مجموعة البيض سارفراز خارج النادي حتى لحقوا به في أحد الشوارع الضيقة فأصبحوا ضريبا حتى كاذ يموت. وفي اليوم التالي اكتشف الأخوان أن أثين من المعتدين بالأذى كانا من المشاهير: جوناثان وودجيت ولي بوبر، نجا نادي ليدز لكرة القدم والفريق الوطني الإنجليزي. وقد أدين وودجيت في النهاية بالاشتراك في المطاردة، لكنه لم يمسج، وواصل مستقبله الناجح في كرة القدم، وتمت ترثيته بوبر. لم يستطع سارفراز أن يعرض في المحكمة السباب العنصري الذي سمعه. يقول والد الأخوين الذين تعرضوا للضرب حتى
الإغواء في هجوم مماثل قبلها بثلاثين عامًا: «لو كان لدي أدنى فكرة أن شيكا كهذا يمكن أن يحدث، لما بقيت في هذا البلد، ولعدت إلى باكستان.»(12) في العام التالي اندلعت أعمال الشغب في مدن في شمال إنجلترا، واجه فيها شباب جنوب آسيويون قوات الشرطة التي جرمت أفعالهم وامتنعت عن حمايتهم من العنف العنصري.

كانت الأجواء السابقة من الشباب الجنوب آسيويين تفسر هذه المواقف في إطار سياسي سيازي ومعنفي. لم يكن هذا حالة التسعينيات. فإن ما أصاب فارارات لطيف من خيبة أمل جراء تراجع اليسار لم يكن في حال التسعينيات. أيضًا، فقد تأثرت على الاحترام الإسلامي في باكستان، كثر جانبي للرعاية الأمريكية للمجاهدين في أفغانستان في الثمانينيات. وقد أثبتت أحداث النظام الإيراني بشأن سياق رشدي في عام 1989 من جديد أن الحركات الإسلامية في السعودية، وفي جنوب آسيا نفسها، كان هجوم الجيش الهندي على المعبد الذهبي للسياح في أميرنات في عام 1984، والتبعية الهندوسية الوطنية التي انتهت بتدمير مسجد أخودا في عام 1991، أهم الأسباب التي قوضت مصداقية العلمانية الهندية. إن المسلمين البريطانيين الذين دخلوا الجامعة في التسعينيات بتجارب عنصرية مرت بهم في سنهم المراهقة وعسكرية مؤسسة من قبل الشرطة، ووعي متزايد بآلام الظلم العالمي، كما أظهر التطور البارز في البوسنة، كلها تتأقلي مع سياسات النظام الإسلامي وليس اليساري. وقد قدمت جماعات مثل حزب التحرير منهجًا للتنسج هذه الخبرات، ونجح في جذب ألاف المؤدين الشباب لما كان يُعرف بـ«الإسلام السياسي».

إن الحركات الإسلامية كحرب التحرير، الذي تأسس في الأردن في الخمسينيات، والإخوان المسلمون في مصر، والجماعة الإسلامية في جنوب آسيا ظهرت جميعًا في سياق حركة التخلص من التراث الاستعماري في متصفي القرن العشرين، وكانت بالأخص محاولة للتعامل مع ذلك التراث على المستوى الثقافي. يقول فرانس فانون، الطبيب النفسي من جزر المارتينيك الفرنسية الذي انضم إلى القناع الجزائري ضد الاستعمار: «الهيئة الاستعمارية شاملة وتميل إلى الاختزال، فإنها
سرعان ما تجلى في إرباك الحياة الثقافية للشعوب المغلوبة إرباكًا شديدًا."(13) وقد أدرك المسلمون في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، كغيرهم من الشعوب المستعمرة، أن الاستقلال السياسي الرسمي لم يجمع وحده قضية إعادة بناء الوحدة. فلم يكن يكفي أن تظل كيانات الدول القومية التي أنشأها الاستعمار وأن يحل القادة المحليون محل الأوروبيين. ففي ذلك تجاهل للسؤال الأعقد يتعلق بأنواع الذاتية السياسية اللازمة للحفاظ على هذه الدول المستقلة حديثًا عن الاستعمار، وهو ما يصفه فانون بالحاجة ليس إلى "اختفاء الاستعمار فحسب بل اختفاء الإنسان المستعمّر"."(14)

كانت الإجابة لدى الإخوان المسلمين في مصر والجماعة الإسلامية في باكستان هي تحويل الإسلام إلى أحد أشكال سياسات الوعي. فإحساس الوعي المشترك ينبغي أن يتبع من الهوية الإسلامية لا الوطنية التي رسمت حدودها قوى الاستعمار، وفي ذلك ابتنا أكثر عن الهيمنة الثقافية الأوروبية. من هذه الزاويتين تشبّه هذه الحركات الإسلامية غيرها من الجماعات التي توظف الهويات الدينية في سياق جهود التخلص من التراث الاستعمارى، مثل حركة "ريشتيتا سوايمسيفاك سانغ" (Swayamsevak Sangh) في الهند. وعمليًا، مع اكتساب تلك الحركات تأثيرًا أكبر في السبعينات، أبتقت في كثير من الأحيان على أشكال التبادل الاجتماعي التي خلفها الاستعمار، فقد دعت إلى مواقين حافظة فيما يخص العلاقات بين الرجال والنساء، واكتسبت دعماً من خلال التحريض ضد الأقليات، مثل الأقلية الأحمدية في باكستان أو الأقلية القبليّة في مصر، ولم يقتربوا من آمال فانون في "ظهور إنسان جديد" بعد التخلص من الاستعمار بطرح نآذا جدّية للإنسانية.(15)

وللوهؤلة الأول قد يبدو من الصعب تفسير انجذاب الشباب المسلمين الذين يعيشون كجزء من أقليات في بريطانيا في التسعينيات إلى هذه الحركات. فمثلاً، لم يكن لدى برنامج حزب التحرير شيء عن بريطانيا نفسها. قبل موضوع سليم رشدي، لم تكن قيادة حزب التحرير في بريطانيا تضع المسلمين المولودين في بريطانيا ضمن من تهدف ضمهم، وكانت تفضل العرب الزائرين من الطلاب وأصحاب
المهمة التخصصية، وان يحتل أن يشتركوا في انقلاب يقوده حزب التحرير عندما يعودون للوطن. ولم يكن مثل هذا البرنامج يحتاط الأفكار الإسلامية على نحو عملي في دولة غريبة على ثقافة مثل بريطانيا. لم يعتمد نجاح حزب التحرير في هذه الفترة على برنامجه السياسي نفسه، بل على قدرته على أداء دور الوسيط الداعي إلى نوع جديد من الهوية الإسلامية الكوكبية. وكما يقول الباحث الفرنسي أوليفيه روا، فإن مفهوم الإسلام الكوكبي هذا ليس نتاج منظمة "إسلام سياسي" بعينها، بل انطلاقاً من توجهات سوسيولوجية انتشرت في أوروبا نتيجة للعنصرية والهرية والعودة. (17) شعر الشباب المسلمون بالانزعاج ليس بسبب عنصرية المجتمع الأوربي وحدها، بل بسبب حياة المسجد المغلقة على نفسها التي يعيشها أهلهم، والتي كانت مقصورة على هريات عرقية بعيدة (مثل السيخية Gujari والغوجراتية Sylheti والميرورية Mirpuri) مزجت الإسلام بالثقافة الشعبية الجنوب آسيوية. لذلك، بدأت فكرة الهوية الأممية الكوكبية بدلًا بالتفوقية للذويين في مجتمع عنصرى أو اتباع تقاليد دينية ثقافية موروثة عن آبائهم. كان الشكل الإسلامي الذي ينساب هذه الرؤية مفصلاً عن الممارسات الشعبية العرقية المستمرة من جنوب آسيا (مثل البالغة في مكانة رجال الدين أو علوي الدين)، كان المطلوب هو استعاد تلك الأشياء على أساس أنها تراكب وشهاب لولع رسالة الإسلام العالمية الأصلية. وينبغي تأشير أباهم الذين من خلال التراث الشفهي المرتبط بشعر جنوب آسيا ولغاته، فإن الإسلام الكوكبي الجديد كانت لغته الإنجليزية ووطن الصدرة المطبوعة (واستمرت فيها بعد). كان هذا الفهم للإسلام الكوكبي وليس الإسلام البكستاني أو البنغالي هو ما جذب بعض الشباب البريطاني الآسيوي المسلم في التسعيينات، سواء قادهم إلى صفوف حزب التحرر أو إلى السلفية كحالة فارسات. ومن خلال هذه الحركات الإسلامية الجديدة، طبق هؤلاء الشباب المسلمون رؤيتهم لعالمية الإسلام، وتجاوز الانتفاعات العرقية والوطنية طلبا لمجتمع إسلامي كوكبي. ومع تكون جاليات مهاجرة في بريطانيا من أفغانستان والجزائر والعراق في التسعيينات، ترسخت
فكرة الإسلام الكوكيزي في مقابل فسيفساء الأعراق. فقد اختلفت الآن صورة العالم. ظلت الأحياء الجنوب آسيوية في بريطانيا ومدن وقرى جنوب آسيا التي هاجرت منها تلك الجاليات المحاور الأساسية للجغرافيا الدينية للشعب المسلم. مع ذلك نشأت إلى جوارها معركة بات była أخرى من العالم تظل فيها "الأمة" مثل فلسطين والشيشان والبوسنة وكوسوفو والعراق. ومن حيث المبدأ، اعتبرت كافة مسارات البناء من أجل تحقيق العدل للمسلمين في كل أنحاء العالم على نفس القدر من الأهمية. فلا يوجد وطن ولا يوجد شتات، بل وعي إسلامي كوكيزي لا تحده الجغرافيا. هذا الإحساس الجديد بالهوية سياسية في جهوره، إذ أتاح لغة جديدة لوصف الظلم وطريقة من الفراعنة الذي خلقه هيئة اليسار. كأ أنه واجه العولمة الرأسمالية، ليس بالعودة إلى التراث المحلي، بل بنوع خاص من تجاوز الحدود الوطنية.

تجميل هذا الاتجاه بطرق عديدة. فبعد تفليس الإسلام من التوافق الثقافي الجنوب آسيوي، سهول على فريق أن يسري حسن الانتماء للمجتمع الغربي مع كونه مسلماً. وكان ذلك هو النموذج الذي قدمه إصلاحيون مثل الفيلسوف السويسري طارق رمضان، الذي أكد على ضرورة تطبيق مبادئ الإسلام العالمية على السياق الخاص للزماني والمكاني الذي يعيش فيه كل فرد. يقول طارق رمضان إن المصادر الإسلامية الأصلية غير المخلطة بثقافات المهاجرين الخاصة التي التصقت بها وما بها من قيم عالمية تتوافق على نحو واسع مع الليبرالية. وقد أتاح ذلك أساساً إسلامياً للمواطنة النشطة والمشاركة لتحقيق العدل الاجتماعي وليس الانعزاز أو التكيف من جانب واحد مع القيم الثقافية البريطانية.18) وكانت الاتصالات التي نشأت بين المسلمين وغير المسلمين في الحركة ضد الحرب العراقية في عام 2003 قد نشأت على هذا الإفراز، أي إن القيم الإسلامية والليبرالية يمكن أن يستفكا معًا في صراعات سياسية معينة. وقد رأى آخرون مثل ناسرات لتصف أن هذا الطريق يفضي إلى الخروفة، والسعي إلى صياغة الحياة على نحو أقرب ما يكون إلى حياة النبي.

المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والطموح والحرب الداخلية على الإرثاء
( صلى الله عليه وسلم). وبرغم أن هذين المدخليين يتضمنان قضايا هوية، لا يمكن فهمها فهاً كاملاً إلا في سياق رؤية للتاريخ السياسي للعنصرية وتدهور السياسات اليسارية والاستعمار الغربي الجديد (النيكولوفليائية). (5)

اشتركت أربعة رجال في تنفيذ هجات 7/7 الإرهابية على منظومة النقل في لندن عام 2005 ما أدى إلى مصرع 52 راكباً، وقد تشكل ثلاثة من هؤلاء الأربعة في تلك الفجوة بين جيل الإسلام الشعبي لدى الآباء وإسلام كوكبي جديد. وبعد الهجات مباشرة، اتفق خبراء البرامج التلفزيونية ومراكز الأبحاث والأكاديميون والمحللون مع الاستخبارات التي دعت إلى تفسير هذا التهديد الجديد بالإرهاب "محلي النشأة"، على افتراض أن السبب هو تخلي من ارتكاب أفعال العنف عن شكل الإسلام آبائهم واتخاذهم شكلًا آخر يسمى السلفية أو الإسلام السياسي، أن هذه المصطلحات هي على الأرجح سبب عفافهم ودروع تطرفهم. أما أكثر الدراسات تأثيرًا عن أسباب هجات 7/7، فقد قام بها الصحفي شيف مالك وقال فيها إن الجناة كانوا نتاج تيار أوسع في الجاليات الإسلامية في بريطانيا، نتاج جيل أصغر يستخدم الإسلام السياسي لرفض الممارسات التقليدية التي يأتيها آباؤهم. (1) أما الادعاء بأن الأصول الثقافية للإرهاب المتحللين مصدرها اتجاه عام بين الشباب المسلم لإعادة النظر في هويتهم، فقد كان بديلًا مناسبًا لصف نظر عن عوامل أكثر ارتباطًا بالسياسة مثل سياسات بريطانيا الخارجية. كما أن هذا الادعاء الذي يوهي بأن مجموعة كبيرة من التصرفات مرتبطة بهذا الصراع بين الأجيال يمكن أن يستخدمها مسئول الأمن باعتبارها "مؤشرات" على الاقتراح من التطرف، مثل قرار ترك جمعية المسجد الذي يصلي فيه الآباء والاكتاف بمسلسل له رؤية أعم للإسلام. ومعناه كذلك أن تكتسب المشروعات الحكومية للتدخل في عواطف الحياة الإسلامية لإثارة بدائل عن الإسلام السياسي شرعية، كجزء من استراتيجية

(5) هي الممارسات السياسية والاقتصادية التي تمثل قوة عظمى عمان بنفوذما أو تأثيرها بصورة غير مباشرة على مناطق أو شعوب أخرى. وتم استخدام هذا المصطلح لأول مرة عام 1961. (الترجمة)
المسلمون قادمون إلى الإسلاموفوبيا والتطبيع والدروس الداخلية على الإرهاب

مكافحة الإرهاب. وأخيرًا فهي تعني أن التسامح مع هذه الأشكال الجديدة لهوية من باب التعدد الثقافي ينبغي على مخاطرة بالأمن القومي.

صارت هذه التحليلات العدسات الرئيسة التي ينظر من خلالها إلى الهوية الإسلامية في الغرب. ففي خطاب رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون الذي ألقاه في المؤتمر الأمني ببيونغ يانغ عام 2011، والذي تأثر حوله نقاشات واسعة، عبر الرجل عن الفكرة نفسها. إن وراء الإرهاب الإسلامي "فكتورة هوية"، وإن التسامح السني في السنوات الأخيرة لا بد أن ينتهي ويحل محله دفاع صريح عن القيم البريطانية ضد "نطرف الإسلام السياسي"، وعلى المسلمين أن يقدموا اعتذارهم إلى بريطانيا على واقعهم العالمي للمسلمين.(20) وفي اليوم نفسه، خرج أتحاد الدفاع الإنجليزي اليمني المتطرف في مسيرة جابت شوارع لندن، مرسو برسومات لطيف، رافعين مطالبات مشابهة بلغة أقل رقة. لم يخرج خطاب كاميرون عن حدود التحليل الثقافي، وتجاهل التاريخ السياسي للعنصرية ومعارضات السياسة الخارجية في الحرب على الإرهاب، ولذلك عجز عن فهم الجذور الحقيقية للعنف السياسي. وكانت المفارقة أن يطلب من المسلمين أن يكونوا أكثر تسامًا بالهوية البريطانية، رغم أنهم لا يملكون الحق كغيرهم في تعريف هذه الهوية البريطانية.

في فصول تالية سأبهر من على فساد تحليلات الإرهاب التي تزعم أن أصله في أيديولوجية الإسلام السياسي، وما تقويض عليه من صراعات ثقافية، وعلى عدم اتساقها مع الأدلة المتوفرة. باختصار، لا يمكن إثبات علاقة مباشرة بين اعتناق أيديولوجية إسلام سياسى وارتكاب أفعال عنف إرهابية. فالأمر إن "الأفكار المتطرفة"، التي رابنا تستند إلى صراعات هوية أو آليات حركة جماعية، يمكن وحدهما أن تحول الناس إلى متطرفين يستخدمون العنف قول لا يصممه أمام التحليل الدقيق، كما أنه يعزى مسألة العنف الإرهابي عن السياق الأوسع للسياسات الخارجية التي تتبعها الحكومات الغربية. ومن الجدير بالذكر أن في سياق تحليل تفجيرات 7/7/2005، تجاوزت نظريات انتشار التطرف المتعددة، مثل نظرية شيف مالفك.
قصة جبرين ليندساي الانتخابي الذي نسبت في قتل 26 شهيدًا وجرح أكثر من 340 في خطوط مترو أتفاق بيكاديللي المتدتين محلي كينغ كروس ورايسل سكوير. فقد ولد في جامايكا عام 1985، وهاجر إلى بريطانيا مع أمه طفلاً. اعتقته أمه الإسلام عندما كان في الخامسة عشرة وتبعتها ابنها فورًا، قبل أن تغادر لعيش في الولايات المتحدة. ومنذ ذلك الحين، اتجه ليندساي إلى حياة الجرائم الصغيرة، لكنه اشترك أيضًا في بعض الأنشطة السياسية. فقد قيل إنه عمل تاجر مخدرات لفترة من الوقت، وكان “دائماً مشغولاً بالعنصرية” وكان “يعتقد أن كافة البيض نفايات”.(21) واشترك في مظاهرة وطنية في أكتوبر 2002 ضد الحرب المغروطة على العراق وتأليدًا لحقوق الفلسطينيين، وفي تلك المظاهرة التقى امرأة شتريت بها علاقة طويلة، وينجب منها طفلين. وكان في النسعة عشرة عندما نفذ جريمة القتل الجماعي. لم يكن في هذه القصة ما يتفق مع نماذج التحول إلى التطرف المقبولة عمومًا، وهذا هو سبب تجاهل الخبراء عمومًا لحالتته.

على أعتاب البياض

في يوليو من عام 2011، اشتكى بعض سكان ولاية أريزونا من أن محطات التلفزيون الإخبارية المحلية تشير إلى العواصف الرتيبة الشديدة التي تجتاح الولاية بكلمة “الحبوب”, أي الكلمة العربية التي يستخدمها علية الأرصاد منذ مدة طويلة في الجنوب الغربي. كتب أحد المقدمين هناك إلى صحيفة محلية يسأل: "هل فكروا في شعور جنودنا العائدين إلى أريزونا عندما يسمعون مصطلح "شرق أوسط"؟"(22)
فهل سيعترض الجنود أيضًا على أن يدرس أنباؤهم "الحبوب"؟ إن في إثارة "مصطلح شرق أوسط" هذا اللون من رد الفعل إشارة إلى ما يمكن أن يكشفه وجود بعض ملامح ثقافات تعد غريبة من أعداء عرقيين داخل ثقافة بلد ما. فكأن قصة الهوية الإسلامية في بريطانيا لا تتفصل عن قضايا العنصرية، فإن اختلاف الأجناس هو جزء أساسي لفهم موقف الهوية لدى المسلمين في الولايات المتحدة. ففي كلا
السياقين شهد تاريخ حياة المسلمين حدوث تحول في الدلائل العنصرية أدى إلى إعادة صياغتها.

تختلف التركيبة السكانية للمسلمين بين بريطانيا والولايات المتحدة، فجنوب آسيا ليس الوطن الأصلي لأكثر المسلمين، فقد أنى المسلمون إلى أمريكا من دول عربية مختلفة وغيرها في آسيا وأفريقيا وتركيا وإيران وجنوب شرق أوروبا - وقد عانت فئات من هؤلاء المستوطنين المختلطين المسلمين من أذى واحدة واحدة عديدة من العنصرية. وتقدر نسبة المسلمين من أصول أفريقية في أمريكا بين 20% و30% من المسلمين هناك.128 بل إن واحدًا من كل أربعة من جرّبوا عبّدًا عبر الأطلسي كانت أصولهم من أجزاء في أفريقيا ذات أغلبية مسلمة. ويعكس المسلسل التلفزيوني القصير "البذور"، المأخوذ عن رواية ألكس هيلى وُرِض عام 1977، حقائق تاريخية. إذ كان كونتا كشو، الرجل الذي أخذ عادة في سن المراهقة وبيع رقيقًا في الولايات المتحدة مسلماً.129 وقد انغمست علاقة الأمريكيين الأفارقة بالإسلام بداية القرن التاسع عشر، ولكن مع انتقال السود إلى الشمال بسبب الفصل العنصري في الجنوب، بدؤوا في صياغة حرّكات دينية توليلية جديدة توجه أغلبها إلى الإسلام. وقد حضر في لقاءات جمعية ماركوس جارس في النهوض بالسود في هارلم، بعض الدعاء من الجماعة الأحمدية، الذين كانوا يدعون وجود صلة مباشرة بالأمريكيين الأفارقة بسبب ما عانوه من مصاعب تحت الاستعمار البريطاني. وقد نشأ "عَبَد العلم المغربي" في نيويورك عام 1913، على يد أمريكي أفريقي اسمه تيموثي درو (وُرد غير اسمه إلى الشريف درو علي)، وكانت تلك أول منظمة ذات تأثير في الولايات المتحدة تقدم نفسها بانتهاك إسلامي برغم قلة معرفتها بحياة المسلمين في أنحاء أخرى من العالم. وفي عام 1926، كون المصري

(128) هي حركة دينية إسلامية تأسست في الهند البريطانية قرب نهاية القرن التاسع عشر، وتأسس على حياة وتعاليم سيد جلال أحمد (1835 - 1908) وسميت الجماعة باسمه "جماعة الإسلام الأحمدية"، وقد داعي أنه من الفجر الرابع عشر الهجري. (المترجم)
دومي محمد علي "الجماعة الإسلامية العالمية" في ديترويت، وكانت تمهدًا لجمعية "أمة الإسلام" التي أسسها والاس فاريد محمد في المدينة نفسها بعدها بسنوات أربع. كانت تلك الأشكال الدينية متنوعة العناصر قاعدة جذب لتحقيق الخلاص الروحى وتحرير معنى هوية الأمريكي السود. أعلن أتباع تلك الكيانات الدينية أنهم "أمريكيون مغاربة/ مسلمون" أو "آسيويون وليسوا "زنوجاً"، وكأنهم طرحوا جابًا على المستوى الخيالي تعبيرهم العرقي داخل الولايات المتحدة، وانضموا إلى مجتمع إسلامي يتجاوز القوميات والتصنيفات العرقية. وصار الإسلام معرفًا بأنه دين يحرر أتباعه من التعريفات العرقية الأمريكية، وقد تجاوز تأثير ذلك في المجتمع الأسود عدد أتباع الدين نفسه. فعندما أعلن مالكوم إكس موقفه العقائدي المعارض الصريح للتجنيد من أجل الحرب الكورية، ذكر أنه يعد نفسه مواطنًا آسيويًا. وفي بداية الستينيات، عندما كان مالكوم إكس أكثر زعامة منظمة "أمة الإسلام" نشاطًا، كانت المنظمة قد جذبت عشرات الآلاف من الأعضاء، وإعجاب الملايين.

كانت ديترويت، وجارتها المدينة الصناعية ديربورن حيث مصنع هنري فورد للسيارات، قاعدة لأشكال الدينية الأمريكية الأفريقية، كأيًا مركز رئيسي للهجرة العربية في القرن العشرين. كان أغلب المهاجرين العرب مسيحيين، لكن العقود التالية شهدت ارتفاعًا في نسبة المسلمين. ويقدر عدد الأمريكيين العرب بنحو ربع المسلمين في الولايات المتحدة حاليًا. بدأ فورد تشغيل الفلسطينيين واليمنيين واللبنانيين في مصانع السيارات عام 1913. ونشأت المجتمعات العربية حول مصانع السيارات، وكان أكبرها في منطقة تقع في أقصى الجنوب في ديربورن، في ظل مجمع ريفر روج التابع لشركة فورد. وبحلول السبعينيات، بلغ عدد الأمريكيين العرب العاملين في مصنع سيارات "كرايسلر دود جرين" في ديترويت ألفي عامل. ومثلهم مثل العمال السود، كان يتم اختيارهم لأوصاو ظروف العمل في محاولة لتقسيم العاملين حسب فواصل عرقية والحلولة دون عملية تنظيم العمال الصناعيين عامة.
وفي ذلك اتباع لتراث وضع أصوله هنري فورد. وفي عام 1973، نظم ثلاثة آلاف عامل عربي مسيرة غاضبة جابت شوارع ديترويت للإحتجاج على قيادات اتحاد عمال صناعة السيارات، وقد اتهموا الاتحاد بالانحياز إلى الإدارة والعمالين البيض وتهميش السود والعرب، وشراء سندات إسرائيلية بقيمة 300 ألف دولار ما يعني دعم الاحتلال العسكري للمناطق الفلسطينية. (29) (كان العرب، ولسياهم اليمنيين، يمثلون قطاعًا كبيرًا من العائلة الزراعية في كاليفورنيا في السبعينيات والستينيات، وكانوا أعضاء عاملين في اتحاد سيزار شافيز للعمال الزراعيين). (30) وبسبب صناعة السيارات صارت ديربوز مركزًا للحياة الأمريكية العربية على المستوى القومي، وحتى عندما انحرفت صناعة السيارات الأمريكية، اضطرت تلك الجاليات إلى البحث عن مهن جديدة. يقول رشيد العبد، وهو عامل شاب من المنطقة:

"يسأل أي أسرة في ديربوز "أين كان يعمل ربي؟" فسيقولون في كرايسلر أو فورد أو جنرال موتورز. أنا شخصيًا كان والدي يعمل في فورد وعمي في جنرال موتورز، ولم تعد تلك الأعراض موجودة الآن. وانتج أغلب الأمريكيين العرب إلى الأغراض التجارية الصغيرة مثل إدارة محطات الوقود وعملات البقالة وما إلى ذلك. (31)


برغم أن الإسلام الأمريكي نشأ أصلًا بين الطبقة العاملة من السود والعرب، فإن متوسط الدخل الأسري للمسلمين في الولايات المتحدة يشبه في العموم دخل باقٍ الأمريكيين. فمقابل كل سائق تاكسي وعمال نظافة أو لاجئ عاطل، يوجد طبيب أو مهندس يعيش في الضواحي. (32) بعد إصلاحات سياسة الهجرة لعام 1965، بدأت حكومة الولايات المتحدة في قبول مهاجرين مختارين من أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط. ومن سُمح له بالاستقرار كان متناحًا تمامًا مع حاجات الرأسمالية الأمريكية ومتطلبات الجغرافيا السياسية للحرب الباردة. فقد اجذب الطلاب الفائقوين من العالم الثالث إلى الجامعات الأمريكية كجزء من التنافس
في استنزاف العقول مع الاتفاقات السوفيتي، وظل كثير من هؤلاء في أمريكا منهم عدد كبير من المسلمين. وتزايدت نسبة الأسودين الجنوبيين بين مسلمي أمريكا وكان مصير التوجه الحربي لإرادة المستوطين إلى الأعمال التخصصة - فإن عملية انتقاء المهاجرين نفسها كانت عملية فرز لأصحاب المهارات الفنية والتخصصة المفيدة للاقتصاد الأمريكي. وكان من السهل على الأسودين أنفسهم وعلى غيرهم أن يعتقدوا في وجود شيء أصيل في "الثقافة الأسودية" تجعلهم أقلية نموذجية في الولايات المتحدة. تفوق عند المقارنة غيرها من السود واللاتينين.

كان أمام الطبقة الوسطى من الأمريكيين العرب فرصة عقد ما سماها الباحث القانوني جون طهري "معاهدة فاوسية" مع الجنس الأبيض، فقدم نفسه ضمن البيض حتى يتفادي التمييز العرقي. فإن حكومة الولايات المتحدة للإدارة والмиزانية، وهو الجهة المسؤولة عن تحديد الفئات الجنسية والعرقية رسمياً يعرّف القائمين من "أوروبا والشرق الأوسط أو شمال أفريقيا" بوصفهم بيضًا. وكان الامتناع في جميع البيض الأمريكيين من سكان الضواحي خيار كثير من الأمريكيين العرب لاسيما المسيحيين والمسلمين غير المتزمرين، لكن ذلك كان له تأثير واضح على قوانين الهوية. وتحول ذلك الاختفاء العام وفقدان الهوية إلى شكل من مواطنة الدلالة الثانية في الإطار الذي أنشأه حدود التعددية الثقافية التي جاءت في مرحلة ما بعد قانون الحدود المدنية، بمعنى أن التحفيز داخل الباب الرئيس كان عملاً عنصريًّا يوحي أن يكتشف إذا حاول المتخونون إثارة قضايا سياسية تابع عن فئتهم. فها إن اهتممت المنظمات العربية بالقضية الفلسطينية حتى سقط عنها ادعاء الاختفاء الأبيض وبدأت أجنبية خطيرة.

في نهاية السينيوات، شكل الأمريكيون العرب منظمات مثل "اتحاد خريجي الجامعات الأمريكيين العرب" و"منظمة الطلاب العرب لمعارضة دعم". يشير المؤلف هنا إلى شخصية فارست في مسرحية كريستوفر مارلو أو مسرحية جون تايلر، الذي يعوض روحه للشيطان مقابل الحصول على ثروة العالم غير المحدودة (المترجم).
الولايات المتحدة للدولان الإسرائيليا في الشرق الأوسط.” وعلى الفور صارت هذه المنظمات هدفًا لللوي المؤيد لإسرائيل، الذي صسر التشتته العرب باعتبارهم جواسيس ومتطرفين أجانب. وفي عام 1972، أصدرت إدارة نيسون مجموعة توجهات، عرفت باسم “عملية بولدور”، مكتبت إف. بي. أي. مس. أي. إيه. من التنسيق مع اللوي الإسرائيليا لإخفاء التشتت المسلمان من الأمريكيين العرب إلى المراقبة والتشخيص، واستمرت هذه المراقبة حتى الثمانينيات، إذ قدمت التغطية الإعلامية للحرب الإيرانية والعراق في الشرق الأوسط صورًا نمطية جديدة للعرب، بوصفهم منتهؤين خطرين. في عام 1985، تم اغتيال أليكس إعددة، وهو أحد زعيا اللجنة الأمريكية العربية لمكافحة التمييز، في هجوم بقلمة يرجح أن يكون منفذه “رابطة الدفاع اليهودية.” وبعدها عامين ألقت إف. بي. أي. ودائرة المجرة والتجنس (INS) القبض على سبعة فلسطينيين وروجوا أحدهم كيّن الجنسية في لوس أنجلوس واتهمتهم بتوزيع مشورات تخريبية. وأثبتت التحقيقات عدم وجود نشاط إجرامي، مع ذلك، فلا تتأون أجانب من مجموعة (الأل) فقد كانوا معرضين لإجراءات الترحيل على أساس انتهاكهم السياسي طبقًا لقانون ماكارين - والتر (McCarren–Walter Act) الذي صدر في عهد ماكارثي.

وقد أوضحت الوثائق الحكومية أن الهدف كان تعطيل نشاط سياسي يحميه الدستور، واصلت الحكومة جهودها لترحيلهم ولم تتأسس إلا بعد عشرين عامًا من القبض عليهم أول مرة. وفي زمن القبض عليهم، تم تسريب وتغطية من دائرة المجرة والتجنس إلى صحيفة لوس أنجلوس تايمز. عرضت هذه الوثيقة خطط متابعة حوالي خمسة آلاف أجنبي يشتبه في ارتباطهم بالإرهابيين - أي دعم القضية الفلسطينية - واحتجازهم بمعسكرات في لويزيانا. عرفت وثيقة مايو 1986 باسم “الإرهابيون الأجانب وغير المرغوب بهم: خطة احتزازية.” وقد فصلت في كيفية القبض على “أجانب مختارين” من ثنائي دول من الشرق الأوسط يشتبه في
"ضواعهم في دعم الإرهاب" على أساس اتهامات ضابئة ثم ترحيلهم على أساس أدلة مكثفة. (40)

شهدت الثمانينيات إعداد أول صيغة للحرب على الإرهاب: أي استخدام معركة ضد الإرهاب كعنف أيديولوجي لعنف الدولة تجاه من يقاومون النفوذ الأمريكي والإسرائيلي، سواء كانوا إرهابيين أو لم يكونوا. فقد كان استخدام مصطلح "الإرهاب" انطلاقًا لإعادة كل الفاعلين من الدولة أو خارجها الذين يعارضون استخدام العنف لتحقيق أهدافه السياسية (كما في حالة الكونترا في نيكاراجوا) وكذللك تتفق صورة إسرائيل والولايات المتحدة تجعلها مدافعين عن "القيم الغربية" ضد "التدفق الإسلامي". وانطلقت الحكايّة تماماً على جهور التلفزيون الإخباري الأمريكي، حتى صارت فكرة أن إسرائيل ضالعة في قمع حركة مشروعة من أجل التحرر الوطني فكرة مستبعدة. وكان يتباهى نتنياهو، وكان وقتها المندوب الدائم لإسرائيل في الأمم المتحدة هو من وضع أساس هذا المهندس، من خلال مؤتمر عقدته في العاصمة واشنطن في عام 1984. بعدما أصدر نتنياهو كتابًا من تحريره يضم مجموعة من المقالات عنوان الإرهاب: كيف يفوز الغرب قال عدد من المشاركين فيها إن الإسلام مروع لعنف الإرهاب. فمتا، يعنى العالم السياسي بي. جيه، فاتيكيوتسة أن أصل الإرهاب يكمن في تلك "الثنائية القاتلة بين النظام الإسلامي وغيره من أنظمة الحكم والسلطة جميعاً"، وأنه "يتميز بالعدوة"، وبالتالي يقر "بعد وجود شيء في العقيدة الإسلامية تربط بالإرهاب بشكل خاص"، فهنالك "قاعدة إسلامية عامة بأن القوة يملكها المسلمون ليستمروا ضد غير المؤمنين، وأن يجب قتال غير المؤمنين حتى يسوع حكم الله في الأرض: "(41)" وقد نقل عن الرئيس ريفان أن قراره بشن هجوم على ليبيا في عام 1986 جاء بعد قراءة فقرات خثارة ما قبل في المؤتمر نشرته في مجلة تايم. (42) اكتسبت إدارة ريفان المزيد من الجرأة بصدور كتاب كليه ستيرلينج شبكة الإرهاب الذي يدعي أن الاتحاد السوفيتي يدير حملة إرهاب سرية ضد الغرب. (43) ولعندما كلف مدير سي أي إيه، وليم كامي، الذي كان ريفان
قد عينه حديثاً بتكقيى مزاعم الكاتب، لم يكن يدري أن مقولات الكاتب كانت مستندة جزئياً إلى حيلة مضمولة قام بها سي أي إيه في إيطاليا، كان هدفها المتعبر الخاطر بين الإرهاب والشيوعية. (44) صار الإرهاب على رأس قضايا السياسة الخارجية الأمريكية، حتى ترسخت الصلة في العقل العام بين الإسلام والإرهاب. يصف المُنظر الثقافي في دوار سعيد كيف صار الإسلام في نهاية الثمانينيات يستدعي صور الشيوخ الملتحين والانتحاريين التفجيريين والملايين الإيرانيين القساة، والأصوليين المتطرفين والخاطفين، وحشود الناس المعممين الذين لا يعرفون الرحمة، الذين يطلقون صيحات الكراهية للولايات المتحدة "الشيطان الأكبر" وكل مسألة. (45)

مع نهاية الحرب الباردة، تم تعد صيغة الأقلية النموذجية تصلح للأمريكيين المسلمين. فقد اتخذت القيادة الثقافية الأمريكية شكل الانتفاضة الاستراتيجي على الهوية العرقية، بحيث تُرشح على الجماعات التي تريد أن تدخل في التيار الرئيس أن تتخلل عن أي رغبة في إعادة تشكيل التضاريس الرئيسي للحياة السياسية الأمريكية. فالتنوع الثقافي مسموح به شريطة ألا يعوق استمرار النظام القائم. في بداية القرن العشرين لقي اليهود والأوروبيون الجنوبيون الترحيب لدخول في التيار الرئيس الأمريكي بشكل إبتداعهم عن الشيوعية والفوتوغرافية، ومن ثم يلزم بذلك، لأمي من الدورة إجراء الترحيل وما عرف بمدائمات بالخرج. (46) أما بالنسبة إلى الأمريكيين المسلمين، فقد تزايدت صعوبة تفادي ربطهم بالتطور والإرهاب. وكانت نجارة ريجان أنصارى، وهو باكستاني كان يعيش في نيويورك في التسعينيات من القرن العشرين، نموذجًا متكررًا لطبيعة الهجين المتخصصين المسلمين:

كانت أعمل بشركة سمسرة أسهم في دول ستريت في عام 1993 وكان أحد السياسة يظن أن سؤالي عن حرب الله في كل صباح أمر مضحك. وكان يلوي لسانه.

(45) سلسلة مذاعمات قامت بها وزارة العدل الأمريكية في نهاية 1919 وبداية 1920 للقبض على المتطرفين اليساريين، ولا سيما الفوضويين، وترجمتهم. (المترجم)
بالكلمة، وكان ردي عليه يتسق مع ردود أفعال الأقلية النموذجية. وعندما وقع تفجير مركز التجارة العالمي، كنت قد تركت الشركة، وكانت أسأل نسي ماذا سيقول
لو تقابلنا مرة أخرى. (46)

لأسباب تشبه الأسباب القائمة في المملكة المتحدة، صارت الهوية الإسلامية تكتسب أهمية متزايدة كأساس للتنظيم الاجتماعي للجاليات المسلمة في الولايات المتحدة في التسعينيات. كان أصل هذه المنظمات هو اتحاد الطلاب المسلمين (MSA) الذي ولد في لقاء بجامعة إلينوي، كامبين إيربانيا، في عام 1963. كان ناشطاً اتحاد الطلاب المسلمين الأوائل طلابًا من جنوب آسيا تأثروا بالإخوان المسلمين وحركات الجاليات الإسلامية في بلادهم. وبعد إتمام دراستهم استقروا في الولايات المتحدة واختذوا وظائف مهنية، كانوا محافظين دينيًا وسياسيًا. وقد أسسوا منظمات محلية وقومية تعكس هذا، مثل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (ISNA). لكن بعضهم كان نشطًا في العمل السياسي الإسلامي في السياق الاستبدادي الخطر في دولهم العربية، مما جعلهم يبدؤون النشاط السياسي، إذ كان هم المسلمين الأكبر في أمريكا كأبرزوه هو الحفاظ على الهوية الثقافية والدينية في إطار التعددية الثقافية الرسمية، وفي الوقت نفسه الاندماج الاجتماعي واقتصاديًا، كلاً رأوا اليهود يفعلون ذلك بنجاح، وكان لدى غيرهم رغبة في بناء حركات اجتماعية تجذب إليها المجتمع الأكبر، بالدعوة إلى الإسلام أو التجمع حول بعض قضايا السياسة الخارجية. ولم تكن ثمة صلة قوية بتجربة المسلمين الأمريكيين الأفارقة في الحالتين.

فيما يخص أجندة السياسة، انصب اهتمام المنظمات الإسلامية التي برزت في التسعينيات على الدعوة لدعم فلسطين - وكان ذلك النشاط يواجه احتيال التجريم. وكان صدور قانون مكافحة الإرهاب وعقوبة الإعدام الرادعة، إيجادًا بميلاد "تشريع الدعم المادي" الذي صار أساس الملاحقة القضائية للمسلمين الأمريكيين بزعم دعواتهم إلى "أيديولوجية"، كما سمح بعقد جلسات استنتاج سريعة ومحاكاة
في أماكن الاحتجاج، وذلك تم استعداد حق المهمين في إنكار دعوى النيابة. وقد استخدمت هذه الصلاحية في الأساس ضد العرب والأمريكيين المسلمين. ففي قضية LAB رفض القاضي الساحل للحكومة بتقديم الأدلة على نحو سري تم تصميم قانون 1996 لعلاج هذه الأزمة. في أثناء ذلك، وثق الحزب الديمقراطي صلاته باللوجي الإسرائيلي في التسعينيات. ومن الأحداث التاريخية قبل 11/9 المسنية إلى حد بعيد أن المنظمات الإسلامية الكبرى قررت الرد على تلك الاتجاهات الديمقراطية بالتحالف مع الجمهوريين في الانتخابات عام 2000، على أمل أن تكون "اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري" (GOP) وسيلة لتحقيق توازن أكبر في السياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط، مقابل أصوات الأمريكيين المسلمين. وفي عام 1999، نظم جورج بوش الأاب لقاءات بين زعيما من الجمهوريين والمسلمين وزار مركزا إسلاميا في ميشيغان. وفي مسار حملته الانتخابية كان يجري من محافظين على ارتباط "المؤسسة أو الكنيسة أو المسجد". وفي إحدى مناظراته مع نائب الرئيس آل غور، انتقد بوش تشريع الأدلة السرية لعام 1996، الذي تقول إلى قانون بتصديق الرئيس كلينتون. وأعلن الناشط المحافظ غروفر نوركويست في صحيفة أمريكية سيصبح أن "بوش انتخب رئيسا للولايات المتحدة بالصوت الإسلامي".

بعد تجاوز ذروة الحرب الباردة حدث تحوّل آخر في نمط الهجرة: صار المسلمون القادمون للإقامة في الولايات المتحدة أقرب إلى البحث عن جلوس سياسي، أو الفرار من الصراعات، أو يلقون بباطلهم أو يدخلون بمشاريع عمل مؤقتة لما صلة بوظائف في تكنولوجيا المعلومات أو الهندسة. فقد نشأ عدد كبير من السكان المسلمين في شمالي فرجينيا اعتقادًا على صناعة التكنولوجيا المحلية. وفي ضاحي هيوستن الغربي بتكساس، كان المهاجرين المسلمون يأتون ليشغلا وظائف في قطاع الطاقة. واستمر اللاجئون الصوماليون في مينابوليس وسانت بول في مينيسوتا وكولومبيا بداية من أواخر الثمانينيات، وغالبًا ما كانوا يواجهون حالة بطالة حادة في مواطنهم الجديدة. وفي باي ريدج، بروكلين، كان المهاجرين من
مصر ولبنان الذين أتوا في التسعينيات يلقون مشاق كبيرة ليحققوا شيئا يشبه الحلم الأمريكي. وكانوا غالبًا يتعرضون لخطر حلات سلطات الهجرة، ويتم تفتيشهم على نحو متبرد في مترو الأنفاق. 

أما الفئات التي تحملت أسوأ نتائج الإجراءات الإнтقالية الحكومية على المسلمين في الولايات المتحدة بعد أحداث 9/11 فكان من بين أولئك أوضاع إقامة غير مستقرة، مثل تعقب الأجانب وتكشف المراقبة والتصنيف العرقي، والواقع أن غالبية الأمريكيين المسلمين - بنسبة قد تصل إلى 80% - لا يرتدون المساجد وتوجههم علائيًا. لكن صرف النظر عن عدم ارتباطهم العقدي بالإسلام أو انتهاكهم إليه أو التزامهم به، صاروا منذ 9/11 في فئة "المسلمين" لأن الآخرين ينظرون إليهم على هذا النحو. 

كتب جون بول سارتر في تحليله لمعاداة السامية في فرنسا عن عملية مشابهة، حيث لم تكن صفة اليهودية تتفوق على عرق بالمعنى الديني أو الاجتماعي، بل على صلة اجتماعية "اليهودي هو من بين الآخرين يهوديًا." 

والملل، فبعد 9/11 كان ما يحدد الانتهاء الإسلامي هو الهوية الاجتماعية قبل العقدية. وكان كثير من مسلمي الضواحي يرجون أن يكون ذلك الجو السليم حالة عابرة يعودون بعدها إلى صورة الأفكار النموذجية الآسيوية أو يدخلون في زمرة البيض. وفي الوقت نفسه، رأوا أن الاستراتيجية المثل هي إظهار الوطنية المفرطة وإعلان الولاء لأسلوب الحياة الأمريكي مزراً وتكرازًا. فقد أظهر مسح "بيو (Pew)" بعد 2011 أن 44% يضعون العلم الأمريكي في البيت أو المكتب أو في سياراتهم. كان هؤلاء المسلمين الأعلى ماديًا يجدون حرجًا في الفعل القادمون المسلمين الأخذ من مهاجري الطبقة العاملة الذين لم يتدمجوا بعد في المجتمع الأمريكي، عندما يجدون معهم من الوطن الأم ما اعتبره رجل أعمال مسلم من هيوستن، تكساس "قدرًا كبيرًا من الأمتعة"، ووصفه بأنه "توجه مناف للانتهاء الأمريكي."
كان السؤال الأساسي أمام المؤسسات الوطنية الذي طرحه مناخ ما بعد 11/9 عن الاختيار بين استراتيجيتين: إما إعلان الولاء لأمريكا وتقدم المسلمين بوصفهم المواطنين النموذجيين، أو التحرك في اتجاه الاحتجاجات على الحرب وعلى السياسة الخارجية الخاصة بالحرب على الإرهاب، والعمل على حقوق الإنسان للمسلمين في الولايات المتحدة لاسيما المقيمين الأجانب. وقد اختارت قياداتهم الإستراتيجية الأولى بحيث شديد، إذ لم يكونوا مهتمين لعمل أي شيء آخر، فهم أصحاب رؤى محفزة. فقد كانت تقاليد تنظيم الحقوق الدينية التي كانت قائمة بين الأمريكيين الأفارقة المسلمين مصدرًا حاضرًا، لكن المنظمات الإسلامية الرئيسة لم تلجأ إليها. فقد استبعدوا بوجه عام تجربة الأمريكيين الأفارقة فلم توضع في الاعتبار عند تعريف المسلم الأمريكي، فكان من الصعب على المنظمات الوطنية أن تتخذها نموذجًا، ورغم أن أنشطة المسلمين الأمريكيين الأفارقة كانت تعد أحيانًا غير أمريكية من منظور المجتمع الأكبر، فإن وجودهم الاجتماعي لم يكن يعد غريبًا، وبذلك كانت تجربتهم مختلفة اختلافًا كبيرًا عن تجربة المسلمين العرب والآسيويين الجنوبيين بعد 11/9. وقد بدأت من التسعينات محاولات لتجديد تجارب الأمريكيين الأفارقة والمهاجرين المسلمين، حيث اقترب الفرق الأول من الإسلام السنوي السلفي، واعتاد الثاني على اعتبار أنفسهم داخل إطار التعددية الثقافية للولايات المتحدة. فالجماعة الإسلامية الأمريكية، مثلًا، سعت إلى تقديم تراث بناء حركة الحقوق الدينية للسعود إلى مسلمي الولايات المتحدة، إذ أعلنا أن تنظيم الجهاد ضد الحكومة فيها يخص السياسة الخارجية وقضايا حقوق الإنسان ليس نقيًا للولايات بل هو صورة أصدق للوطنية. فقد ركز برنامجها للتربيه الوطنية ومحفزات للتسجيل في القوائم الانتخابية، كما سعت إلى إقامة تحالفات مع أقليات أخرى.

لكن الخوف داخل مجتمعهم كان عائقًا كبيرًا. (53)
أثبت العرق أنه عامل لا يقل تأثيرًا عن الدين في تشكيك خبرات تجارب المسلمين الأمريكيين في الفترة اللاحقة على 11/9. وفي هذا الصدد، يقول داود ويلد، وهو ناشط أمريكي أفريقي من ديترويت:

كان الأمريكيون العرب على أعتاب ما يسمى “الياض” في أمريكا. والياض في أمريكا لا يعني لون البشرة، بل مستوى من الاندماج والسيولة الاجتماعية. فعند إجراء التعداد يعد العرب من البيض، لكنهم لم يعودوا من البيض اجتماعيًا. لذلك فبعضهم على استعداد لعمل ما يوضحهم ليقبلوا ضمن البيض أو في الوراء الرئيس. أما إذا كنت أسود فليس أنت مختلف في هذه البلاد. إذ لم أر بوكا في أن أكون أبيض، ولا ينبغي لي. وعلى فستسع حديثاً مختلفاً من المسلمين بيننا نحن الأمريكيين السود، وسأ💝ون أحياناً أنا أتبرع ما تكون إلى جمعة غاضبة من السود. ليس الأمر هكذا. كنا نحن في الأمر أني أريد مساحة كريمة لنا في أمريكا. ليس هدفي أن تقبلني فئة من الناس. وليس لدي خوف من الترحيل. أنا أتمنى إلى مزاج نفسي مختلف اختلافًا تمامًا.

وبينما لا يزال بعض الناس يرجون أن يفتح باب الياض مرة أخرى، فقد مرت لحظة، بعد المعاملة التي تلقوها من الحكومة الفيدرالي، أدركوا فيها أنهم يفضلون لإعادة تصنيف عرقي. يضيف داود قائلًا:

حتى من حققوا النجاح المادي والتعليمي، لم يشععوا أحوالهم من التوقف، ومن تقيد أيدتهم بالأعمال عند الحدود الكندية أو التحقين من إف. بي. آي. أعرف أننا من أصحاب اللئلين حدد لهم هذا، ولم تتعوهم صلة سياسية مباشرة مع إدارة يوش نفسها. من أغنى المسلمين في المنطقة عربي من أكبر الثورتين للحزب الجمهوري، إذ منح مليون دولار للحزب، لكن ذلك لم يقنعه شيئًا عندما وضعت الأصافد في يده في المطار وهو عائد إلى البلاد. (48)
يتندر الممثل الكوميدي الأمريكي العربي دين عبد الله قائلًا:

هذا شيء غريب جدًا. قبل 11/9، كنت رجلاً أبيض عاديًا، يعيش حياة الرجل الأبيض المعتادة. كل أساليب أصدقاءي جيّة بين مونيكا وتشاندلر وجري وروس...

دخلت إلى فراغي في العاشر من سبتمبر، رجلاً أبيض، واستيقظت في الحادي عشر من سبتمبر عربيًا.

برغم ضياع الحقوق المدنية وجرائم الكراهية وشن الحروب التي قتلت مئات الآلاف في الشرق الأوسط وجنوب آسيا، لم ينشأ توجه لبناء حركة جماهيرية بين مجتمعات جاليات المسلمين الأمريكيين للاحتجاج على الحرب على الإرهاب، كما حدث إلى حد ما في المملكة المتحدة. وبدلاً من ذلك، فضلت أغلب المنظمات الإسلامية الأمريكية محاولات إنشاء جماعات ضغط سياسية غير ظاهرة مع النشاط القضائي. حتى البيانات العامة التي أصدرتها المنظمة الإسلامية ضد حرب العراق عام 2003 كانت مغفولة بإعلان الولاء مزيكاً وتكرارًا. نشرت الجمعية الأمريكية الإسلامية في موقعها على الشبكة العنكبوتية، في 27 مارس 2003 التالي:

إن معارضتنا لبعض السياسات الحكومية لا ينال من حياً لبلدنا والتزامنا بأمه وخيرها. وإننا نسعى جاهدين لتحقيق مصالحنا بالوقوف الصارم في صف العدل في الوطن وخارجها، وبالدعوة للإصلاحات المجدلة.

كانت المناقشات جلية أمام عيون صغار المسلمين الأمريكيين الذين بلغوا مدارج الشباب في الفترة بعد 11/9، فإن المبالغات في إظهار الولاء كشفت عن غير قصد عن شعور كبير بعدم الأمن يعانيه المسلمون في أمريكا. ويفسر أخصائي النشاط الشبابي رشيد العبد ذلك بقوله: إن شباب الأمريكيين المسلمين في ديبرون
كادوا يبلغون نقطة "الشعور الكامل بأنهم أمريكيون" لكن ذلك الشعور انتهى بالحرب على الإرهاب.

فهم يرون هذه الأشياء كلها في التليفزيون، مثل جلسة استجواب الكونغرس الخاصة بالتحول الإسلامي إلى التطرف، والشخص الذي يريد أن يرق القدر، فشعرنا بالتالي: ماذا جرى؟ هل عندما يفعل مسلم واحد شيئاً سيئاً، يكون المسلمون جميعًا أشرارًا؟ فهم يشعرون كونهم أمريكيين ويجبون الحريه، وأشياء كهذه تدمر تقديرهم لذاتهم وتجبرهم من الداخل، لكنهم لا يظهرون ذلك. يشعرون أن كلامهم لن يحقق شيئاً في الكلام.({55)}

يشعر الشباب المسلمون خارج حي ديرورن ذي الأغلبية العربية بهذه المشاعر على نحو أعمق. فالتنافر شديد بين الوطنية المعلنة، والغضب الدفين على ما يحدث في العراق وأفغانستان وفلسطين. استمر كثير من مسلمي الطبقة الوسطى من أصحاب المهن التخصصية في الأماكن الصادقة بالحكم الأمريكي، بينما تملك آخرين الشعور بضرورة الحرص على ما يقولونه في العلن. واعتقل كثير من شباب المسلمين أن خطاب أمريكا البلاغي عن الحرية يتحول إلى كلام أمجوف. وفي المدارس، كثيراً ما تحول كل من وشي لونه أو ملبسه أو اسمه بهوية إسلامية إلى ضحية، بمن فيهم السيخ والهندوس والعرب المسيحيون. فقد أظهر مسح تم عام 2009 أن أغلبية طلاب المدارس السيخ في منطقة باي بسان فرانسيسكو عانوا التнтور أو التحرش لسبب عرقي.({66)} (بالإرهابي المسلم عادة ما يصور في الثقافة الشعبية الأمريكية مرتدًا عاجزة، وهي ما يرتديه السيخ عادة).

فرضت الحرب على الإرهاب على كثير من شباب المسلمين إعادة النظر في هوياتهم الأمريكية. يروي سهيل مظهر وهو أمريكي باكستاني مسئول مسجد في ستينز أيلاند بنغويورك فيقول:

وبعد 11/9 صارت نعرف أكثر بذينا، أي مسلمين أمريكيين، وكان ذلك أمرًا جديدًا علينا. لم تتأثر الأجيال الأقدم من المسلمين الأمريكيين بهذا، لكننا لاحظنا مرارًا أن أبناءنا كانوا يستجيبون لهذا بكود هويتهم الإسلامية. فبدأت الشابات ترتدين الحجاب والشباب يرتدون الفتنة علناً، وكأنهم يصبحون مسلمين. وبقولون: "ننظر أننا متطرفون، حسنًا، ناعظكم تطرفًا". من جانب آخر اختذ غيرهم انتهاجًا معاكسًا فسموا أنفسهم "مو بدلًا من "محمد". وكا في المملكة المتحدة، من السلبي التي سلكها شباب المسلمين في محاولة لفرض التجانس على هذه التوترات أن نأوا بأنفسهم عن الهراء العقلي الخاص بائهمهم، الذين قدموا مهاجرين وأعتقا فكرة هوية "الأمة". لكن هؤلاء الفكرة لا تطرح في العلن بسهولة - ففي بعض الدوائر ستجعل عذرًا عقليًا للدولة - لذلك يتخذ الكثيرون مسائل الإنترنت لاستكشف هويتهم. وكثيرون آخرون يبحثون عن إجابات لمعنى السؤال عن كون الأمر مسلمًا أميركيًا. فمثلًا، يعد نموذج طارق رمضان بالنسبة للكثيرين طفيفة جذابة لإعادة النظر في الإسلام للحياة من منظور مسلم في الغرب، حيث يبرز التأويل الشخصي ويتحقق تصالحًا بين القيم الأساسية.
ويجتذب دائرة أكبر من المجتمع للمشاركة في السعي الحلي لتحقيق العدل. إن هناك إشارات عديدة لنشأة قصة جديدة وسط الجيل الأصغر تبدأ من المقدم، أريد دين آبائي وليس ثقافتهم. نشريات مثل صهيب وب، إمام الجمعية الإسلامية مركز بوسطن الثقافي، وجمعية يوسف، المؤسسين المشارك لكلية زيتوة في بيركلي، كاليفورنيا، على رأس هذه الحركة التي تقصد استخدام إسلام على الطريقة الأمريكية، يجمع بين النماذج الإسلامية وثقافة الولايات المتحدة. ففي المؤتمر السنوي للجمعية الإسلامية لأمريكا الشرقية عام 2007، قال يوسف إن القيم الإسلامية والأمريكية متوافقة، بل قال إن الأمريكيين المسلمين هم الورث الحقيقيون "للقيم الأمريكية الأصيلة" التي لولاهم لنضاعت.

يسترجع خليفة صبره من الجمعية الأمريكية الإسلامية في عام 2011 عشرة أعقاب من النشاط الإسلامي الذي كان يركز أساسًا على طمأنة التيار الرئيس، فيسأل:

هل أثرنا فيهم يملكون سلطة مقاومة أنوان الظلم التي مازالت لها حضور كبير؟ أشكر أننا نجاوزنا مرحلة تقوية منطقة وجود مريحة. ولا يمكن أن أعتقد بأن المسلمين كثيرين كانوا أقرب إلى الاعتداء منهم إلى الصدق، برجاء تجنب مظهر العدوان والاقتراح من مظهر الاعتداء. فإن الشائع إلقاء السخط رداء الاعتدال لأنه يثير حماية ذاتية فردية. فهل من سبيل للمخرج من هذا التفكير الداري حيث يُجَذب المسلمون على إثبات ولائهم للدولة وبعد أن بطرفوا أنفسهم في ثوب الولاء يُهتمون بإخفاء عدم ولائهم.
الفصل الثاني
سياسات مكافحة التطرف

الحقيقة المركزية لدى المحافظين أن الثقافة ليست السياسة هي ما يتوقف عليه نجاح المجتمع. والحقيقة المركزية لدى الليبراليين أن السياسة تستطيع أن تغير الثقافة وتنقذاً من نفسها.

دانييل باتريك موينيهان، من كتاب الأسرة والأمة

توصى صناع الحرب على الإرهاب وباحثوها ومنظورها الأيديولوجيون ونشطاؤها السياسيون إلى مذهبين كبيرين في فهم "التطرف الإسلامي". يرى المذهب الأول أن المجتمعات الإسلامية أخفقت في التكيف مع الحداثة بسبب الثقافة الإسلامية. فنقول أهل هذا المذهب إن الإسلام يعجز عن فصل الدين عن الدولة وعن أن يعطي مال قصير لقيصر؛ لأن مؤسس الإسلام كان رجل دولة كا كان نبيًا، لذلك فالإسلام في أصله يرفض الاحتراء العلمي الحديث لأنه يجول دون تطلعه إلى فرض نفسه على المجتمع. ويقولون إن تعاليم الإسلام تجعله عاجرًا عن الانفصال عن الفضاء السياسي، مما يحمه مقولات التطرف الديني في المجال العام مع ما في ذلك من خطورة. هذا المذهب في تحليل التطرف يركز على ما يعد أتباعه السياق الأصيلة في الثقافة الإسلامية، أما أنا فأسمي "المذهب الثقافي".
يرى أهل المذهب الثاني أن التطرف انحرف عن رسالة الإسلام. فليس التطرف ميراث دينية شرقيا قديما، بل نتيجة عمل منظرين حولوا تعاليم الإسلام السماحة إلى أيديولوجية سياسية شمولية معادية للحداثة. من هذا المنظور، فإن النصوص الدينية الأصلية نفسها ليست أساس الإرهاب، بل إن المنظرين هم الذين أعادوا تأويل الإسلام بناءً على نهجات للفكر الجمعي والفاسئ وهو ما يقوم عليه عنف تنظيم القاعدة، وعلى فعليّة الحرب على الإرهاب من مظاهر صدام الحضارات أو بين قيم الغرب الحديثة وترقب الاتجاهات الإشكالية، فالصراع هو بين إسلام تراثي لا سياسى متوافق مع قيم الغرب، واستحوارا شموليا معنا لِلإسلام حوله إلى أيديولوجية سياسية عنيفة. وتأشير إلى هذا المنظور بمصطلح "المذهب الإصلاحي" لأنه يسعى إلى إصلاح ما يبدو كاضطرب للحرب الأولى على الإرهاب يتمر عكس ما يرغب، ولأن مشروعه يهدف عمليا إلى إصلاح الثقافة الإسلامية نفسه.

إن مفهوم الأيديولوجية في أصول التفسير الثقافي والإصلاحي، فكلاهما يرى أن أصول الإرهاب تكمن في محتوى أيديولوجية متجردة في ثقافة أجنبية، سواء كانت هذه الأيديولوجية الإسلام نفسه أو تطرف مرتبط به. هذا المفهوم للأيديولوجية مستعد من آراء عن الشمولية ظهرت في الحرب الباردة، افترض فيها المنظرون وجود ارتباط مباشر بين اعتناق أيديولوجية معينة وارتكاب أفعال عنف سياسي، لذلك فإن دور الدول الغربية في المشاركة في إنتاج حرب الإرهاب يلفه الغموض. فبدلا من النظر إلى الإرهاب بوصفه نتاجا للتفاعل بين فاعلين من الدولة، وكذلك ببعضها وضعا أنفسهم في علاقة صراع بين الغرب والإسلام التطرف، فإن الثقافيين والإصلاحيين جميعا يقبلون فكرة وجود عناصر من أيديولوجية أجنبية كتفسير لوجود هذا الصراع. وهم بذلك يعتقلون عن دور الظروف الاجتماعية والسياسية في تشكيل رؤية أناس للعالم، ثم التصرف طبقا لهذه الرؤية. في الفصل التالي سأتبع أصول هذا التفسير للأيديولوجية في الحرب الباردة بتفصيل.
أكبر. لكنه سأبدأ بعرض الإستراتيجيات المختلفة لمكافحة الإرهاب التي تتبع من مذهبي التفكير الثقافي والإصلاحي.

 أصحاب المذهب الثقعي

خير ما يمثل موقف الثقافيين أو أصحاب المذهب الثقافي مقال بيرنارد لويس ذائع الصيت الذي نشر في مجلة أتلانتيك رفيق عام 1990، بعنوان "جذور الغضب الإسلامي"، وهي مصدر رأس في مذهله في التحليل. يقول لويس إن المسلمين والغرب في صراع عميق الجذور ولا يرتبط بمجموعة قضايا سياسية مثل العنصرية أو الصراع الإسرائيلي الفلسطيني أو الدعم الغربي للحكام المستبدن في الشرق الأوسط، بل إنه لن يفهم إلا كمظهر من مظاهر الثقافة الإسلامية ذاتها ومشكلاتها الأصلية مع الخداثة. يرى لويس أن هذا الحقوقي الراسخ في الثقافة الإسلامية، ولبست السياقات السياسية هي أصل ما يسميه "الغضب الإسلامي". و"لعله من الواضح الآن"، كا يقول لويس:

أنا نواجه مزاجا وحركة تتجاوز مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تقوم عليها. ليس هذا الشيء إلا صدام حضارات - وهو رد فعل قد يكون غير عقلاني، لكنه بالتالي تأكس تأكيما لغريض قديم ضد تراثنا اليهودي المسيحية وناضرا العليا، والانثروبولوجي لكليهما.

يشير لويس إلى الأصولية الإسلامية بوصفها التعبير الحاضر عن المشكلة المتذبذبة في الثقافة الإسلامية - مع فتح الباب أمام إمكانية وصول بعض المسلمين غير الأصوليين إلى طريقة للمصالحة مع الخداثة الغربية - وتأخذ صامويل هنتنغتون الأمر إلى أبعد من هذا، فيرويا لفكرة صدام الحضارات ويجعلها صيغة لفهم العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة ورؤية الإسلام نفسه، وليس الأصولية الإسلامية، بوصفها مشكلة ماثلة للغرب. يقول هنتنغتون: "سنكون التغييرات
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطور والحرب الداخلية على الإرهاب

الكبرى بين البشر والصدر السائد للصراع على أسس ثقافية. فالإسلام حدود دموية [و] تاريخ طويل من الاشتباك العسكري مع الغرب، لا يُحتمل أن يزال، بل ربما يصير أشد قوة. فهي تفسر مقوله صدام الحضارات بصورتها إمكانية تفسير السياسات الإسلامية بأنها بيكاركة تعبير متكرر وآلي عن فكرة ثقافية مبردته اسمها الإسلام مرجحة على التطرف. وظلت هذه الفكرة كي هي غير القرون، ويمكن التعرف على محتواها من خلال قراءة نصوصها الدينية. وكما كانت قراءة هذه النصوص ظاهرة، بدأ العنف الأصيل فيها واضحًا للقارئ: فالإرهاب ببساطة نتاج قراءة سطحية للإسلام التراثي. هذه الرؤية النقطة اليهودي المسيحي واليمين الصهيوني يحاس، وعملًا معًا داعين إلى أخذ اللاذع الثقفي حتى أوصولها لأن تكون موقعاً رئيسًا إن لم يكن الموقف السائد في الحياة السياسية الأمريكية. فمن المرضى أنهم أن يصبحوا الإسلام غريبًا بطبعه عن القيم الغربية، التي يزعمون أنها أساس التحالف بين إسرائيل والولايات المتحدة.

يتميز هذا المذهب بمنهجه السطحي في فهم "العالم الإسلامي" إذ يقوم على معادلة يتم إعادة تدويرها على الدوام، وهو لا يشترط بذل أي جهد للعثور على ما يقوله المسلمون فعلاً أو مايفعلونه. وكمثال السلفيين، يعينون أتباعهم تاريخيًا اجتماعيًا اقتصاديًا سياسياً معقدًا في جوهر ثقافي حاضر دليلاً بعد أصل نطاق واسع من الظواهر التي تتم عبر سياسات تاريخية وجغرافية شديدة الاختلاف.({}) يقدم المرض الرئاسي الجمهوري ميتس رومني تنويهًا على الموضوع ذاته في تعلقه له في يوليو 2011: سبق الإسرائيليون الفلسطينيين كثيرًا من التنازل الاقتصادي لأن "الثقافة وحدها هي ما تصنع الفرق"، وبذلك يتنازل عقدًا من الاحتلال العسكري والتطهير العرقي الذي عانيته الفينسيين.({}) تقوم الثقافة هنا بدور العرق: تلك القوة الخفية التي تكمال وراء سلوك شعب بأكمله، وهذه قاعدة وحيدة يمكن تطبيقها في أي مكان لتحرير أي شيء يفعله المسلمون. ويرى أصحاب المذهب الثقافي أن المسلمين يعيشون كالناس شعوب متغلقة داخل ثقافات التجانسة التي تحدد كل عناصر حياتهم.
أما الغربيون فيعيشون خارج أي ثقافة محددة، في فضاء الحداثة الكوني، في الغرب يصنع الناس الثقافة، وفي الإسلام تصنع الثقافة الناس.

إن استخدام لغة الثقافة على هذا النحو لتعريف "مشكلة إسلامية" يأتي بالنتائج نفسها التي أتت بها خطابات العنصرية بدرجة أوضح. فالإشارات الثقافية مثل ارتداء الحاجب صارت تمثل دوالي عرقية في القرن الحادي والعشرين، وتؤدي وظيفة توازي وظيفة إشارات عنصرية مألوفة بدرجة أكبر، مثل "اللون والشعر والبنية العظمية" التي حددتها و. إ. ي. دوبوا. وكما يزعم البعض أن أوجه عدم التساوي بين الأعراق شيء طبيعي، وإن من مظاهر ذلك انتفاضات الجذاء الفضري لدى السود، فإن الأصول السياسية للعنف في الشرق الأوسط تستعيد عندما يثير الثقافيون فكرة أن المسلمين أميل ثقافيًا للعنف والغضب، وكا كتب الفيلسوف إتيان بالبيار، فمع هذه الأشكال الجديدة من العنصرية "يمكن للثقافة أن تعمل عمل الطبيعة، وتعددا تمثل كأداة لإنقلاب أفراد وجماهير مسيَّق لكي تكون سلالة وبالتالي حتمية لا تتغير ولا أصل مادي ملحوظ لها. "(6) يخلق الثقافون هوة مادية بيننا وبينهم - فعنفهم نتاج طبيعي لثقافتهم الداخلية، وعندنا رد فعل ضروري على تعصبهم. وعلى ذلك فعنف حكومة الولايات المتحدة وフトاتها واسع النطاق يتم إنكاره، بل يسقط على الآخر العدو. وإن قيم الثقافيين هذا يجعلهم يميلون صراعات سياسية بالدرجة الأولى بأنجح كبرى إلى المجال الثقافي. وهذا يكون أصل المشكلة في ثقافتهم وليس في سياستنا. وكا يقول هينتفو، يصير الإسلام "العدو الثاني" الذي تتجمع ضدّه الأمة الأمريكية التي مزقتها عدائم متعددة، وتمثل صورة وهمية خطر خارجي يغذي التصدعات التي يعانيها الجسد الاجتماعي. (7) نظل هذه الرؤية الثقافية للإسلام موقفاً مبديعاً للمحافظين، حتى بعد هدمها فكريًا، فقد أثبت إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق أن النظرية الثقافية المتحجرة التي يتفق الغرب عليها بشأن الإسلام متجذرة في الكولونيالية (الاستعمارية) الأوروبية. (8) وفي كتابه نظيفة الإسلام بين أن هذه الأفكار الكولونيالية ظلت تؤثر على التغطية
الاعتراشق الأمريكي للشرق الأوسط في تسعينيات القرن العشرين. (11) وفي مقابل النظرة الثقافية للإسلام التي تقول إنه يتميز بشخصية خاصة في الفصل بين الدين والسياسة، يشير الكاتب إقبال أحمد في مقال له عام 1984 بعنوان "الإسلام والسياسة" إلى أن السلطة الدينية والسياسية في الدول ذات الأغلبية السكانية الإسلامية، ظلت منفصلتين لعشرة قرون على الأقل. فقد شهد عقد 945 نهاية الدور المزدوج الذي يجمع بين القيادة الروحية والدينية الذي كان يقوم به الخليفة العباسي. ومن سببها، استمر أمر تولي الحكومات الدينية السلطة في الدولة. وقد صارت حركات احتجاجية باسم الدين على هذه السلطة، لكن أسبابها تجدها في السياق الديني أكثر مما نجدها في نزاعات سياسية لدى المسلمين لتطبيق الدين على السياسة. (12) أما الانتفاضات ضد الاستعمار التي كانت تتألف حول أيديولوجية دينية أو تسييس رجال الدين الشيعة في إيران منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين في مواجهة نظام الشاه، فلا تشير إلى عجز الإسلام عن فصل المسجد عن الدولة الحاكمة، بل إلى إمكانية تعبئة الإسلام لأغراض سياسية كغيره من الأديان. (13) وكغيره من الأديان، فإن أقصى ما يقدمه الإسلام للإنسانية من خيارات سياسية. أما المهم فهي الأساليب التفصيلية التي يستخدمها الناس حين يطبقون التراث الفكري الإسلامي، وهو منفتح تمامًا على مدى واسع من التأويلات، لا سيما في السياقات السياسية.

ومهما كانت عوامل الفكرية فقد أثبت المذهب الثقافي فائدته كقاعدة انطلاق أيديولوجية للسياسات الخارجية الأمريكية؛ إذ كانت بيانات الرئيس بوش الابن الرسمية أمّا إلى رفض التحليل الثقافي المحسوب في الأيام التي تلت هجمات 11/9. فقد قال أمام جلسة مشتركة للكونرس إن المسئول "شئ هامشي من التطرف الإسلامي الذي ينحدر علاه الإسلام والغالبية العظمى من شيوخه، وإن هؤلاء المثيرون يمثلون حركة "تحريف تعاليم الإسلام السمحاء". - وليس المشكلة في الإسلام نفسه بل في قلة من أتباعه سطروا عليه. (14) لكن المحافظين الجدد الذين
صاغوا سياسة الخارجية في السنوات الأولى للحرب على الإرهاب اتبعوا تحليلًا
ثقافيًا في المشكلة الإسلامية. وكان تحليلهم هذا هو ما أعكس على وصف الحرب
على الإرهاب "بالصلبية".(15) وكان برنارد لويس نفسه من أهم مستشاري
الإدارة. بل ساعدت فكرة الحرب الماحقة النهائية ضد المسلمين بين أعضاء اليمين
المسيحي. وبرزت هذه الأفكار بين القادة العسكريين أحيانًا. ففي عام 2003،
قال ويم بوكين، نائب وكيل وزارة الدفاع للاستخبارات، وهو مسيحي إنجيلي
للمعارضين في أحد الاجتماعات في أوريجون إن الحرب على الإرهاب حرب على
الشيطان يُغوصها "جيش الله."(16)

يرى أتباع المذهب الثقافي أن العالم الإسلامي يميل فظيًا إلى العنف والتكبر،
وأن الثورة فيه لا تعني إلا ثورة إسلامية على غرار ما حدث في إيران عام 1979.
ولا يمكن للديمقراطية مؤيدة للغرب أن تقوم فيه إلا بقوة خارجية، وكان ذلك
هو سيناريو الحرب العراقية الكارثي، الذي بدأ عام 2003. قدم المحافظون
الجدد سياستهم تجاه الشرق الأوسط في ثور دعوة للتحول الديمقراطي، وبدا
ذلك انقطاعًا تامًا لتراث التحالف مع الأنظمة الاستبدادية باسم الاستقرار. لكن
المحافظين الجدد ومن يفضلون السياسات التقليدية يتنبأون هذه الاختلافات
الظاهرة بناءً على المنطق الثقافي نفسه: وهو أن المسلمين عاجزون عن إنتاج شكل
مقبول للديمقراطية بأنفسهم. ويبدأ المنطق، كان الخياران الوحيدان للسياسة
الخارجية هما الاستبداد أو الحرب. فدعم الولايات المتحدة للاستراتيجية
نما الاستبداد أو الحرب. قدم المحافظون الجدد بديلًا جديداً: وهو الحرب كوسيلة لمحو طبقة
الثقافة الإسلامية حتى تنشأ منظومة قيم جديدة تنافى التطرف، وتقوم على الصفحة
البيضاء التي ستلي الحرب. يرى برنارد لويس أن أما ما أثار في فكر المحافظين الجدد
بشأ أن الشرق الأوسط ونموذج الثورة التي يعقوه هي "حركة التحديث" القرسي
التي قام بها أتاتورك في تركيا في عشرينيات القرن العشرين - فقد كانت محاولة
لمسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والنظرة والحرب الداخلية على الإرهاب

لفرض تجول ثقافي على دولة ذات أغلبية إسلامية. هذا الحل الجذري للمشكلة الإسلامية هو ما حدد الملامح الأولى للحرب على الإرهاب، لا سيما غزو العراق واحتلاله. أخذت المحافظين الجدد أحلام إعادة بناء العراق من الصفر على نموذج الليبرالية الجديدة الأمريكية - وهو مشروع يغني عمليًا هدم النسيج الاجتماعي للدولة كاملاً. وكما قال رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير، فحروب تلك الفترة لم تكن لتغيير أنظمة حاكمة فقط، بل لتغيير المنظورات القيمية التي تحكم الدول المعنية. فلم يكن الشعار "تغيير النظام" بل "تغيير القيم".

لكن مناهج الفكر الذي طرحها لويس ووكنتون لم توقف عند مسائل العلاقات الدولية، وهو موضوعها الأصلي. ذلك أنها يعتمد على مفهوم جوهري للثقافة الإسلامية، فسهل عليها استخدام مهجيتها في تحمل المسلمين القيمين في الغرب. هذه الفكرة الثقافية ما كانت تطبق على سياق مختلف اختلافًا جوهريًا، لولا افتراضها أن المسلمين شيء واحد في كل مكان. فالاحتجاجات على الرسوم المسيئة في المدن الأوروبية، والاضطرابات الحضرية في بانيسيا الفرنسية أو الشباب المسلم الذين تطوروا من الدول الغربية لتصبح الاحترامunts الأجنبي في الشرق الأوسط أو أفريقيا أو آسيا - كل هذه الأشياء المختلفة لا يفهمها أصحاب المنهج الثقافي في سياقاتها التاريخية السياسية والاجتماعية الخاصة، بل يتم تجاهلها بوصفها مجرد اعتراض لصرع حتمي كائن بين الهوية الثقافية الإسلامية المتعلقة والقيم الغربية. (19) إذا استبعد كاتب بتحذير المذهب الثقافي، مثل كير بيروني "ويكي ستانتارد" كريستوفر كالدويل، العوامل الاجتماعية والسياسية التي حركت المحتجين في فرنسا في 2005، وأعلن أن الإسلام هو السبب "حتى ولو لم يكونوا مؤمنين بالإسلام فإنهم ملزمون بالفريق الإسلامي.

استطاع أصحاب المذهب الثقافي المعاقدون للإسلام في كل من بريطانيا والولايات المتحدة أن يستلهموا على مقولات المذهب الثقافي ويعيدوا طرحها، وهي مقولات أصلية في أشكال العنصرية المعروفة. ففي الولايات المتحدة، ادعى
تقرير موينيهان لعام 1965 أن معدلات البطالة المرتفعة بين الأمريكيين الأفارقة أصلها ثقافة عائلات ضعيفة وليس العنصرية المنهجية المفروضة عليهم. ردد المحافظون هذا القول في العقود التالية في سعيهم إلى التخلص من مكاسب حركة الحقوق المدنية، وكانت نتيجة ذلك ما نجده اليوم من صيغ الهجوم على التوازن على الإعانات الحكومية للفقراء. وفي بريطانيا، بداية من أواخر السبعينات من القرن العشرين، كان المحافظون ينظرون إلى الكاريبيين الأفارقة والجنوب آسيويين بوصفهم حملة ثقافات أجنبية أربكت التناغم المفترض أنه ضروري لحياة النظام السياسي الوطني. عبرت مارجريت ثاتشر عن ذلك في عام 1978، أي قبل ستة من انتخابها رئيسة للوزراء، بقولها إن هناك فقلاً لا يتوقف سوى بالتحكم في هجرة غير البيض إليها، وإلى "ستغرق بريطانيا في فيضان شعب له ثقافة مختلفة. وتواصل تردد هذه المقولات حتى التسعينيات وما بعدها، لكن قوتها أخذت في التنافس بسبب ضغط الحركات المناهضة للعرقية. وكانت استجابة المحافظين لذلك أن حولوا اهتمامهم إلى المسلمين، حيث تجد مقولاتهم الثقافية نجاحًا أكبر.

مثال ذلك، كتب الصحافي البريطاني أنطوني براون في 2002 و2003 سلسلة مقالات عن الهجرة من العالم الثالث تدور في ذلك واحد، وهو لغة الحفوف الثقافي الذي أثارته مارجريت ثاتشر. فقد كتب في التايمز (الإنجليزية):

إن بريطانيا تفقد هويتها [الآن] موجة متواصلة من الهجرة تحدث [حاليا] تحولًا في المجتمع الذي نعيش فيه، على غير رغبة غالبية السكان، تحولًا يدمم نوع الحياة والتواصل الاجتماعي... ففي السنوات الخمس الأخيرة، زاد السكان البيض بنسبة 1% والآسيا غالية بنسبة 30% والأفارقة السود بنسبة 37% والباكستانية بنسبة...
وقد ظهر في بريطانيا، حسب قوله، مستعمرات صغيرة من العالم الثالث. (24) وعلى النقيض من الانطباع الذي تعطيه هذه الأرقام، فإن نسبة اليهود في بريطانيا مازالت 88% من السكان. (25) وفي العام نفسه، كتب براون في مجلة ذا سبيكتاتور أن الهجرة "من العالم الثالث خاصة تدخل إلى البلاد جرائم كبيرة جدًا. " (26) وبعد الهجمات الإرهابية على منظومة النقل والمواصلات في لندن، ترك براون موضوع الهجرة من العالم الثالث، وجعل هدفه الإسلام. زعم الرجل أن التسامح المفرط في التعددية الثقافية أدى إلى نشأة "غيروهات إسلامية." ولابد أن يوقف هذا التسامح في حظر الزواج العائلي المرتب، ويرحل الأئمة الذين يؤيدون الإخوان المسلمين، ويستصدر قرار بحظر ارتداء أغطية الرأس للبنات في المدارس في فرنسا. أما الباكستانيات والبنغاليات اللائي كان يعتبرهن من عوامل تشكيك "مستعمرات العالم الثالث،" براهن الآن في حاجة إلى الإقفال من تطرف أبناء دينهن من رجال الغيروه المتطرف. (27) ومع الحرب على الإرهاب تحوّلت مشاهد العنصرية التي كانت توجه لغير اليهود في بريطانيا، إلى التركيز على صورة المسلم فجعلته رمزاً طبيعاً للتهديد الثقافي.

وبالمثل، يتبناي المحامي ديفيد بروشاليامي، ومقره نيويورك، إلى مجموعة تسمى "جمعية الأمريكيين من أجل الوجود الوطني"، وقد تقلبت حوالي 1.1 مليار دولار تبرعات من 2007 إلى 2009، وشنت حملة تصم شريعة بأنها أكبر خطر على أمن الولايات المتحدة. (28) وكان استهداف المسلمين الأمريكيين الطرف الدقيق لمشروع "ويدج" عنصرية أكبر. ففي مقال نشر عام 2006 في نشرة محدودة التوزيع تابعة لليمن المتطرف، كتب يقول إن معظم "الاختلافات الجغرافية بين الأجناس وراية. " وسأل لماذا "يصعب على الناس مواجهة الحقائق التي تقول إن بعض الأجناس تتفوق في الرياضة عن غيرها، وبعضها أفضل في حل المسائل الرياضية، وبعضها في اللغة، وبعضها أفضل في مجتمعات العربية وبعضها في القبلية؟ " ودعا الولايات المتحدة إلى رفض "اللياقة السياسية" التي تعتبر سؤال "ماذا حرم الآباء
المؤسسون النساء والابن السود من حق التصويت؟"(29) وكانت جملته لتوجه القلق الشعبي إلى الثقافة الإسلامية - التي تمتثل في الشريعة - محاولة لإعادة الأيديولوجية العنصرية في عصر صار فيه الحديث عنصرى الصريح غير مقبول من العامة، لكن محاولة أمريكية بيضاء من تنقش حتماً الديموغرافياً عمومًا عنصرًا مهمًا. لم تختلف أشكال عنصرية في المملكة المتحدة والولايات المتحدة بعد 11/9، لكن التيار العنصري حدث له تحلول مع تكون تحالفات جديدة وأعداء جدد.(30)

يرتبط المذهب الثقافي داخليًا ارتباطًا وثيقًا بمارسات الهجرة التمييزية والشرطة التي تعد المسلمين "مجتمعات مشبوهة". "(31) يرى التفاني أن المسلمين خطر على الحضارة الغربية، وللدولة الحق الشرعي في استخدام سلطات طوارئ واسعة لمواجهتهم. لكن المسلمين الذين لا يعتقدون فيها حرفيًا للإسلام، لا بد أن يعدوا أيضًا من المشتبهين. يقول دوغلاس موراي، المدير المشارك لجمعية هنري جاكسون، وهو مركز أبحاث للمحافظين الجدد مقره في المملكة المتحدة: "لا بد من جعل ظروف الحياة أصعب على المسلمين في أوروبا على كل نطاق، ولا بد أن تبدو أوروبا خيالية أقل جاذبية لهم."(32)

في الشهر الذي تلت 11/9، احتجزت وزارة العدل الأمريكية آلاف الرجال المسلمين والجنوب آسيويين والشرق أوسطيين عن طريق مبادرات عدة. فقد تم ترحيل الكثيرين واحتجاز غيرهم لشهور دون تهمة، كلهم أقليات حياتهم رأسًا على عقب وتشوهت سمعتهم. "(33) كان الأساس الوحيد لهذه السياسة شكًا عامًا موجهًا إلى من يظن أنهم مسلمون، ولم تسفر هذه الحركة الواسعة سوى عن حكم واحد أو أثنتين بالإدانة."(34) وقد مات أحد المحتجزين، محمد رفيق برات، بأزمة قلبية بعد أن أودع سجن نيو جيرسي. وقد جاء من باكستان إلى نيويورك ليعمل نادلاً في جاكسون هايتس، كرينتز، وبعد 11/9 استدعى بعض جيرانه الشرطة وقالوا إنهم ظنوا أنه موضع شبهة. نتيجة لذلك أودع مع أجانب غيره مقبوض عليهم دون
موضوع: إذ سلمتهم إف. بي. آي. إلى هيئة الهجرة والجنسية التي احتجزته بتهمة تجاوز التأشيرة. (35)

وبالمثل، فإن نظام الأمن القومي لتسجيل الدخول والخروج، الذي ظهر في عام 2002، فرض على الرجال بين 16 و64 سنة المقيمين في الولايات المتحدة، أو يعودون للدخول بها تأشيرة غير مهاجرين والقادمين من 23 دولة ذات أغلبية إسلامية، أو من إريتريا أو من كوريا الشمالية أن يجري معهم مقابلة شخصية بعد أداء يمين الشهادة، وعمل صحيفة جنائية لهم وتصويرهم من قبل موظف فيبريالي.

وقررت وزارة الأمن الداخلي أن تلك الجماعات اعتبرت لأنها تمثل "خطرًا على الأمن القومي". تعرض أكثر من 200 ألف عربي ومسلم لهذا النوع من "التسجيل الخاص". ثبتت تراشهم جميعًا من الإرهاب، مع ذلك فإن 13.424 منهم مقيمين في الولايات المتحدة تعرضوا لإجراءات استباع تمهدًا لترحيلهم. (36) وطبقًا لأحد التقديرات، كتقدير 2004، فإن 100 ألف عربي ومسلم على الأقل من المقيمين في الولايات المتحدة تعرضوا لأحد الإجراءات الأمنية التي اتخذت بعد 11/9، بما في ذلك التوقف العشوائي والاحتجاز السري غير محدد المدة، والاحتجاز الطويل بصفة "شهود مهمون"، وجلسات استماع مغلقة، وتقديم أدلّة سريّة، ونصحت حكومة في محادثات المحامين مع موظفيهم وزيارات من إف. بي. آي، لليبته أو العمل، ومراقبة الاتصالات الهاتفية، ومصادرة الأملاك، والاستبعاد لمخالفات شكلية خاصة بالتأشيرة، وإجراءات تسجيل خاصة إجبارية. (37) كل هذه الإجراءات جسدت فكرة أن الإسلام خطر بطيئته. ورغم ذلك، كما يقول الباحث مصطفى بيومى "خلقوا من الدين جنّا" بعفراوض وجود جرّ وهو ثقالي داخل الثاني.

يميل المسلمين أقرب إلى استخدام العنف. (38)

أما النساء المحجبات فكن أقرب إلى التعرض للتحرش والتمييز. فقد اعتبرت كل من ترتدي الحجاب بعد 11/9""متعاطفة مع العدو، ويفترض عدم ولائها وتفيد أجنبيّة إلى الأبد." (39) تعرضت النساء إلى التمييز في العمل والعنف في
الشوارع، وكان ذلك غالبًا يشكل محاولات لزنع حجابهن.(40) فقد بينت دراسة
أجريت بعد 11/9 عن الشابات المسلمات العربيات الأمريكيات الجامعيات في
شيكاغو، وبعضهن يرتدين الحجاب، أن كل من أجرت مقابلات شخصية كانت
ضحية للإيذاء اللفظي أو البدني، أو تعرض واحدة قربة منها تعرضت لذلك.(41)
يري أصحاب المذهب الثقافي أن مواطنيهم المسلمين ليس أمامهم سوى إجراء
سياسي واحد يتبعه دون أن يُرتاد فيهم، وهو نبذ هويتهم الإسلامية. فهم يرون
أن تحرير المسلمين يكمن في التحلي عن ثقافتهم، وليس تغييرها بأنفسهم من الداخل.
وتمثل آيان هيرسي على أيقونة هذه الصيغة السياسية، وهي برلمانية هولندية سابقة
مولودة في الصومال، استعان بها معهد المشروع الأمريكي المحافظ الجديد، وتصف
نفسها بأنها "محاربة في صدام الحضارات".(42) وهي تقول: "العنف في أصل
الإسلام. فهو عقيدة موت غمامة مددة ... ولن نكسب المعركة ضد الإرهاب ما لم
ندرك أن المشكلة ليست في العناصر المطرطة في الإسلام بل في أيديولوجية الإسلام
نفسها."(43) وبعد تفجيرات بوسطن، ومقتل ووليتش.. في 2013، رددت مرة أخرى
المقولة الثقافية الأساسية نفسها: هذا العنف يعكس مباشرة "مشكلة الإسلام" التي
رفض قادة المسلمين مراّة أن يتعاملوا معها.(44)

الإصلاحيون
مع عام 2006 دخلت الحرب على الإرهاب في أزمة. فبرغم تعليق كوندوليزا
رايس وزيرة الخارجية أن العنف في العراق ما هو إلا "خاضع" ميلاد الشرق
الأوسط الجديد، فقد ثبت إخفاق الحرب على الإرهاب في إقامة التحول القيمي
المستورد.(45) ومع معارضة فرنسا وألمانيا للحرب على العراق، حدث شرخ في تحالف
الأطلسي، أما صور انتهاك حقوق الإنسان في سجنى أب غريب وغيرانتانوم فقد
ذهب بمصداقية الكلام عن نشر الديمقراطية في العالم بعد 11/9، ولأول مرة بدأ
إرهابيون مسلمون "عليون" في تنفيذ أعمال عنف ضد مواطنيهم.
وعلى أطراف المشهد كان يتظاهر عدد من الإصلاحيون ليقدمو موقفهم من الأزمة، فقد كانوا ينادون منذ بداية الحرب على الإرهاب بإعادة النظر في افتراضاتها الأساسية. وفي السنوات الأربع الأولى للحرب، كان تأثيرهم ضعيفًا، لكن مع تكرار الأفكار، احتلوا قلب المشهد، وبرزت رؤية ثانية للطرف الإسلامي. أعلن الإصلاحيون ثلاث نقاط: أولاً أنهم يرفضون الفوز إن الثقافة الإسلامية تعارض مع المصالح الغربية بطبيعتها. فالمهم، كا يرون، ليست الثقافة الإسلامية نفسها بل تسييس الثقافة الإسلامية وسط أقلية متطرفة. فينها يرى أصحاب المذهب الثقافي أن الإسلام ينزع بطبعه إلى توليد التطرف، يقول الإصلاحيون إن التطرف ليس متاجًا للإسلام بل تحريف الإسلام. من هذا المنطلق، كان ما يميز المسلمين المتطرفين عن المتدينين هو إساءة تأويل الإسلام واعتباره حامل رسالة سياسية.
وعلى خلاف الثقافيين الذين يقولون إن الإسلام بطبعه لا يرفض بالانفصال عن السياسة، يرى الإصلاحيون أن غالبية المسلمين يمارسون دينهم بعيدًا عن السياسة على نحو لا يمثل أي تهديد للغرب. لكن، كما يقولون، هناك أقلية تشهو رسائل الإسلام الأصيلة السحرة، وتحولها إلى أيديولوجية معادية للغرب. يستخدم الإصلاحيون كلمة "الإسلامية" عادة لوصف هذا التشكيل السياسي للإسلام، وأحيانًا يفضلون كلمة "السلافية".

حاول أصحاب المذهب الثقافي عقل أخطار الإسلام باستعارة صورة الشمولي. اعتبر برنارد لويس أن ثمة علاقات تربط بين الإسلام والشيوعية. كلاهما عقيدتان شموليتان "لديهما إجابات كاملة ونهائية لكل أسئلة الحياة والأرض" خلافًا للنساء والدائم للإنسان الغربي. ""(4)
يري لويس أن الاتجاه الشمولي الإسلامي فرع عن معتقداته الأساسية. ويرد الإصلاحيون بأن الإسلام لم يصبح شموليًا إلا عندما حرف معتقداتهم الأساسية، وصارت أيديولوجية سياسية. ويقولون إن التطرف الإسلامي ما هو إلا الصيغة الإسلامية من أشكال الشمولي - كالشيوعية والفاشية - التي استولت على أوروبا في القرن العشرين. يستخدم الثقافيون والإصلاحيون
جيم كتال "الفاشية الإسلامية" ويتصلون به المحتوى الشمولي للأيديولوجية التي يعدونها أسس الإرهاب. ويستخدم الثقافيون مصطلح "الفاشية الإسلامية"، ويتصلون به النزاع الأصيل في الإسلام إلى الفاشية، أما الإصلاحيين فيثرون به إلى قراءة خاطئة للإسلام لا ينبغي الخلخل بينها وبين الإسلام بوصفه ديانة كبرى.

إن قدرة هذا المصطلح على تغطية طريقة التحليل جعله مفيداً في عمل الحملات السياسية. فقد استخدم الرئيس بوش المصطلح المهم في خطابه عام 2005 أمام "منظمة المنح القومية من أجل دعم الديمقراطية" وفي عام 2007 دشن الناشط المعادي للإسلام ديفيد هورويتز سلسلة "أنشطة احتجاجية في عدد من الجامعات تحت شعار "أسبوع التوعية بالفاشية الإسلامية"."

قدم الكاتب الليبرالي بول بيرمان أدبق وصف للموقف الإصلاحي. فكتب:

الذي حقق أعلى المبيعات الإرهاب والليبرالية يقول إن هناك صيغة ثابتة واحدة وراء كل الأيديولوجيات الشمولية، وهي أن دمبوس وجود "شعب مختار من الله مع قضاتهم الأمئة الرغدة... سكان بابل المدمرن." وإن استعداد حكم الرب "مجتمع منقى من كل دنس ونجس، يحكمه قائد عظيم لن يحقق إلا بعد "معركة هرجودن"، وهي حمام الدم الذي ينهي كل شيء." فقد انتزعت هذه الأسطورة دينية الأصل شكلها العلماني في صورة "التنوير المضاد" الأوروبي. فقد اعتبَر الشيوخ البروليتاريا شعب الله، أما النازيون فاعتبروه الجنس الآري. ورأى بيرمان نفس الصيغة الثابتة في نصوص الكاتب المصري الراديكالي صاحب التأثير الواسع سيد قطب. وخلص إلى أن الشمولية الإسلامية هي "تنوير إسلامية على الفكرة الأوروبية"، وعندما ينصح الصحفي بيتير بينارتس في كتابه المركة الثالثة دعا إلى شن الحرب على الإرهاب بأسلوب ليبيريا الحرب الباردة. ووفق هذه الرؤية يكون العدو "حركة شمولية جديدة ليست لها سلطة دولة لكنها تملك قوة العولمة"، ف فقد استعم التلفزيون أفكار سيد قطب واكتسبوا "صفة الشمولية"، رغم أنهم حركة اجتماعية وليسوا دولة. (1) وأعلن الموقف نفسه في بريطانيا كاتب
العموم في صحيفة الأوبزرفر، نيك كوهين، وناشط حزب التحرير السابق إد حسين في كتابه الذي حقق أعلى المبيعات. يرى الإصلاحيون أن الصدام ليس بين حضارات بل بين المتطرفين والمعتدين داخل الحضارة الإسلامية نفسها - وهو صراع داخلي على الهوية الإسلامية، وليس معركة بين الغرب اليهودي المسيحي والإسلام، فهناك شكل متشدد من الإسلام على جانب، وشكل آخر منه محب بالغرب على الجانب الآخر.

الجزء الثاني من رأي الإصلاحيين هو أنهم يعترفون بأن الأيديولوجية ويقصدون بذلك أي مجموعة من الأفكار التي ترفض بشدة أي نظام قائم - من شأنها أن تؤدي إلى العنف كنتيجة مباشرة لمحتوها الأيديولوجي غير الليبرالي. يقول بيرمان إن إذا تفحصنا عبارة براهين الإسلام السياسي بعناية، لرأينا أن الأيديولوجية التي تجسدها كالنازية، "من شأنها أن تنهي إلى تقديرات الموت." وتحدد النقطة الثالثة لدى الإصلاحيين من النقطتين الأولتين. بما أن المعركة كانت بين تعريفات متانتة للهوية الإسلامية، فإن الحرب على الإرهاب حرب ثقافية كي هي عسكرية. دعا بيرمان إلى "الحرب مدنية" جديدة على "الإسلام السياسي" تكون "عسكرية جزئيًا، لكنها فكرية في جوهرها، أي حرب أفكار، تدور حول العالم." فبدلًا من اعتبار العالم الإسلامي عدوًا مفردا، يمكن اعتباره ناظراً ثقافياً واسعًا على الدول الغربية أن تدخل فيه لإعادة صياغة الهويات على نحو يناسب التطرف. ويرى الإصلاحيون أن اتباع السياسات الصحيحة المكافحة للشمولية من شأنه أن يغير الثقافة الإسلامية ويتخذها من نفسها. في هذه الخلاصة الكوبية ينبغي أن تستثمر "الصدمة والرهبة" بمحاولات لكسب قلوب المسلمين وعقولهم حول العالم.

إذا كانت النقطة المرجعية الرئيسية للإصلاحيين هي مفهوم الحرب الباردة عن الشمولية، فقد وجدنا أن الكلمة نفسها التي تحمل إيحاءات القمع من جانب الدولة لا تناسب الاستخدام العام في الحرب على الإرهاب - فالعدو الجديد، كما هو واضح، لا يرتبط بأي دولة. لذلك صار مصطلح التطرف يمثل نقطة ارتكاز الحرب
على الإرهاب. والتطور مصطلح له نزوع غريب إلى تطبيع الوضع الراهن. فمنذ الثورة الفرنسية على الأقل، يستخدم السياسيون همة التطرف لإدانة الأعداء الذين يعانونهم ولقد ظن أنفسهم بوصفهم الوسط المعتدل. لكن هذا الاستخدام يجعل المفهوم اعتباطياً. يسأل الليبرالي الألماني هنريش بيرنارد أوبنهايم في عام 1850: “لم يكن موقع الوسط سيتغير إذا تحرك الأطراف”. وعملًا يبدأ أن الحقيقة دائمة وسط بين طرفي فإن الحركات السياسية “من حقها أن ترفع "مطالبها" إلى أقصى حد حتى تحصل لنفسها على جزء من الوسط.” (55) وفي الخطاب السياسي البريطاني استخدم مصطلح "التطور" لأول مرة في بداية القرن العشرين. فالتحرير الشرطية التي كانت تقدمها إدارة المستعمرات في الهند وصفت النشاط المعايد للاستعمار الذين يفضلون الاستقلال دائمًا بأنهم "مترفون"، أما مطالبهم متبقياً: فالصحافة المكتوبة بالإنجليزية في الهند استخدمت المصطلح قبل أن ينتقل إلى الصحافة البريطانية. (56)

في أنحاء الحرب البالدار، تم إحياء الصيغة القديمة للوسط المعتدل. كتب المؤرخ آرثر إم. شلزينجر الأبن في كتابه الذي صدر عام 1949 الوسط الحيوي أن الليبرالية الأمريكية هي المدافع عن عملية واقعية للإصلاح الديمقراطي تعرضت لخطر بالشيوعية على اليسار والرجومات المعادية للمجتمع الديموقراطي على اليمين. وكلاهما تستولي على العقول عن طريق استفاز "العواطف المتوحشة". (57) وكما سيبحث مفكرو الحرب على الإرهاب عن أسباب الإرهاب ويجدونه في الإحصاء الجنسي، فقد سبقهم إليها شلزينجر قدم وصفًا غير سياسي لجاذبية الشيوعية، فأبرز ما ترى أنه اعتقاد على "أناس يشعرون بالوحدة والاحباط وتوقع إلى الإشاعات الجنسية الذي يعانونه من بلوغه في المجتمع القائم". (58) وبعد السينينيات، عندما صار الحركات الاجتماعية تعد مصدر تهديدات للحكومات الغربية، على نفس قدر تهديدات الدول الشيوعية، بدأ مصطلح "التطور" يستخدم لوصف الأخطار
الأيديولوجية المتضمن فيها، وهي نفسها التي تتضمنها شمولية الدول. واحتلت الحرب على الإرهاب النهج نفسه. "فالتطرف يتلف إلى تطرف الإسلام نفسه (لدى الثقافيين) أو إلى أيديولوجية الإسلام السياسي (لدى الإصلاحيين). ومع اتساع دائرة المصطلح تجاوز أعمال العنف بعينها إلى الأفكار والقيم والبنى العقلية التي يفترض أنها تسبب العنف، ومجتمعة أوسع كثيرًا من الاتجاهات والأيديولوجيات والشعوب كلها يمكن أن تقع تحت تأثير واحد من المختر. وبدلاً من تحكيم الإسلام السياسي بطريقة تحديد ظروف ظهوره في سياق ظروف مادية بعينها، فالمشاكلة العامة الوحيدة التي طرحت كانت تقول إن عقود الأيديولوجيا هو الذي أفرز العنف المعادي للغرب.

الحرب الثقافية

كما لجأ الإصلاحيون إلى نظريات الشمولية الخاصة بالحرب الباردة ليفهموا الإرهاب، فقد لجأوا إلى تاريخ الحرب الباردة أيضًا للبحث عن أفكار مكافحته. أحد المناهج كان معارضاً للأيديولوجية المطردة باستخدام التقنيات الثقافية نفسها التي كان عليها الإقبال في بداية الحرب الباردة، حيث سعت سي أي إيه إلى تجديد اليأسار غير الشيوعي في حرب أيديولوجية على موسكو. وقد تم تحقيق هذا للحرب على الإرهاب، كان معنى ذلك تجديد قادة مسلمين معتدلين ليهاجروا التطرف، وكذلك تمويل بعض من عيشون داخل المجتمعات المسلمة ومستعدين للدعوة إلى رؤية مناصرة للغرب. بحلول عام 2006، كان بعض المحافظين الجدد السابقين مثل فرانسيس فوكوايا قد انضموا إلى الليبراليين أمثال بيرمان في تفضيل هذا النهج. فقد جرى الحديث في واشنطن ولندن عن أهمية "القوة الناعمة"، فقالوا إن تدخلات وزارة الخارجية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية ومنظمة الناهض القومية من أجل دعم الديمقراطية على قدر أهمية تدخلات البتاغون. "وبعد عام أصدر المخططون العسكريون في مؤسسة راند دراسة تدعو إلى حملة أيديولوجية يوضع
فيها "مسلمو الغرب الطيون" في مواجهة "مسلمي القاعدة الأشرار". كما أوصوا بالاستفادة من "دروس تجربة الحرب الباردة" من أجل وضع "خوارطة طريق" لبناء شبكات إسلامية ليبرالية معتمدة. في الوقت نفسه كان يقول بهذا واحد من أكبر خبراء الحرب على الإرهاب تأثيرًا، وهو مارك سيفيان، ضابط عمليات سي أي إيه سابق كان مقره إسلام آباد في نهاية الثمانينيات، فقد قال إن الحكومات ينبغي أن تشارك بجهود مع القادة المسلمين المؤيدين للغرب، وقدم لهم النصيحة الخاصة بتقنيات "التأثير السياسي والثقافي" من أجل "الفوز في معركة كسب روح المجتمع" وكتب "قلوب المجتمع الإسلامي" وعقوله. 

وفي بريطانيا، تحدث رئيس الوزراء جوردون براون في أول ولائه عن ضرورة بذل "جهد ثقافي" لمقاومة "النفوذ الإسلامي" باستخدام التقنيات التي استخدمت أثناء الحرب الباردة في الأربعينات والمستويات والسنوات من القرن العشرين، عندما اضطرنا إلى بذل جهد دفاعي، بغض إعلام الناس أن قيمنا مثل أفضل ما يمكن الالتزام به فيها يخص كرامة الفرد والحرية والحياة الإنسانية.

وقد عكف كبار موظفي الحكومة على دراسة كتاب فرانسيس ستونز سوندريز الحرب الباردة الثقافية، الذي يدرس حرب الأفكار الحربية التي شنتها سي آي إيه ومكتب الخارجية البريطاني لتقديم مساعدة سياسية في عالم ما بعد الحرب الأدبي. ولكن بدلاً من قراءة دراستها بوصفها وصفًا نقديًا، وهذا ما أرادته، فقد اتخذوها دليلًا. واتبعت هذه المنهجية على رأسى الأطلبي بوصفها البديل التقدمي الذكي لحروب حرب عسكرية صريحة على الإرهاب. صحيح أن حرب الأفكار لا يمكن أن تكون بدلاً عن القوة العسكرية الفعلية، لكنها كانت ضرورية ومكملة لها.

وهناك خط آخر من الفكر الإصلاحي يعتمد على ترات الحرب الباردة لاسيما نظرية مواجهة المقاومة المسلحة، ومن هذه النظرية أتت عبارة "القلوب والعقول".
يقال إن أول من استخدمها هو الجنرال البريطاني السير جيرالد تيمبل ليصف إستراتيجية مواجهة المقاومة المسلحة في أثناء ما يسمى طوارئ المالايا بين عامي 1948 و1960. كان المبدأ الأساسي لعدم منظور مواجهة المقاومة المسلحة هو ضرورة عزل الثوار عن قاعدة دعمهم المحتملة بين الشعب. وكتبت الأساليب التي أُخرى المنظور بها لتحقيق ذلك تتضمن القوة ال=%. (إجراءات سياسية كالدعاية)، وكذلك القوة العسكرية (القوة العسكرية والقمع الشرطي). أما ما يعتبر أساسياً لتحقيق النجاح فهو وجود آلة حكومية تنسيق عال قادرة على التعامل الاستراتيجي مع الظروف والظروف الاجتماعية والسياسية، وسلطات قانونية استثنائية، ومجموعة استخباراتية متكاملة على المستوى القومي تستطيع أن تشكل بيئة معلوماتية عن الثوار، والسكان الذين يسعون للثوار إلى ضمهم إلى صفوفهم، وإستراتيجية اتصالات للتعامل مع الشكاوي ونقل الدعم الشعبي.

سعى الجيش البريطاني إلى تحقيق النصر على العصابات الشيوعية التي تمر بحكم الاستعمار في المالايا، فأدرك أن قوة الثورة هي الدعم السياسي الذي نتمدده من جمعية الشعب، فاستخدم تقنيات مختلفة لعزل العصابات عن جماعات الناس، من ذلك إعادة توطين نصف مليون نسمة والتوقيف الجماعي وعقوبة الإعدام لحمل الأسلحة والاحتجاز دون محاكمة، والرقابة وإضرام النار في بيوت المعتقلين مع الشيوخ والعقاب الجماعي ومذابح المدنين العزل. لم يكن هذا السجل الدموي ليكسب الشعب، مع ذلك صارت عبارة كسب القلوب والطفل العقول تعني منهجاً تدمج فيه القوة العسكرية في إطار إستراتيجية سياسية أوس. في النهاية، هُزم الاستعمار البريطاني في مالايا، ولكن بعد إضعاف التمرد الشيوعي بحيث سمح لقوى سياسية أخرى بالاستقلال بعد الاستقلال. وبعد هزيمة الولايات المتحدة في حرب ضد الشيوعيين الفيتناميين، اعتبر أكثر من المخططين نموذج الملالي بديلًا أفضل. (65)

في أثناء الصراع في أيرلندا الشمالية، استخدمت تقنيات مكافحة التمرد التي جُردت في المستعمرات البريطانية الأخرى بعد تنفيذها بحيث تصلح لسياق تُترَم فيه
المؤسسات الديمقراطية على نحو أكبر، فقد اعتناد على استخدام الجيش البريطاني عبّا كان في حالة الملائكة. وزاد استخدام الإجراءات الشرطية الاستثنائية، وكذلك استخدام إجراءات قضائية صارمة استبعدت المحاكمات التي تستخدم هيئة محلفين، كا استخدم العنف لاستخلاص الاعترافات. لكن ظل الهدف الرئيسي هو عزل المتمردين عن قاعدة دعمهم المحتملة من خلال استراتيجية تنسيق بين العناصر العسكرية والسياسية والقضائية والاتصالات.

ومع حلول عام 2005، أعلن عدد من المفكرين العسكريين ذوي التأثير الواسع أن الحرب على الإرهاب تفشل؛ لأنها لم تتضمن دروس نظرية مقاومة التمرد، وكان من هؤلاء المفكرين في الولايات المتحدة والملكة المتحدة ديفيد جيه. كيلكولن (الذي كان يعمل بوزارة الدفاع الأمريكية بداية من عام 2004، وساعد البنتاجون على إعادة النظر في الحرب على الإرهاب بعد رحيل دونالد رامسفيلد عن وزارة الدفاع)، وجون ماكينلاي (وهو زميل المعهد الملكي المتعدد الخدمات وقسم الدراسات الحربية بكلية كينغز كوليدج بيدن، والمستشار تابع لوزارة الدفاع). قال الرجلان إن كسب التحالف الأيديولوجي للمسلمين حول العالم - وهي الجائزة التي ينالها المتطرف في حرب الأفكار أو المعلومات - بنفس قدر أهمية قتل الإرهابيين أو القبض عليهم. يقول ماكينلاي إن النجاح، كما حدث في حالة مكافحة التمرد على الشيوعية التي حدثت أثناء الحرب الباردة "يكمن في امتلاك إستراتيجية سياسية ماضدة أصيلة وفي القدرة على تنسيق حملة تضم كل عناصر الدولة". وفي مقاله واسع الأثر الذي نشره في مجلة جورنال أوف إستراتيجيك ستاليز (دورية الدراسات الإستراتيجية) أعاد كيلكولن تعريف الحرب على الإرهاب فجعلها مكافحة كونية للتمرد، ينفي التركيز فيها على عزل "اللاعبي المحليين" من "الرعاية العالميين"، عن طريق تقويض المرجعية الأيديولوجية للراعة، وكسب قلوب الجهاد المتهدفة وعقومتهم، و"مواجهة دعاية الإسلام السياسي" بمرجعية سياسية معاكسة مكافحة في العنف، ويخلق مؤسسات بديلة واجتماعية
القيادة المحلية المؤثرين وجعلهم حلفاء، وجمع كافة المعلومات عن التجمعات السكانية المسلمة إلى درجة التفاصيل الأنثروبولوجية، والسعى إلى معالجة فعالة للمشكلة، وكل ما يتطلب التأييد الشعبي للمتمردين. ونظرًا لأن هذا التمرد ذو طبيعة كوبية، فقد استمر أن هذه الاستراتيجية مطلوبة في برافورد كيا هي مطلوبة في البصرة.

أعادت الولايات المتحدة اكتشاف مكافحة التمرد في خطة أزمة من الحرب على الإرهاب. ففي العراق وأفغانستان، ابتعد لكل ذي عينين أن الولايات المتحدة تشن حروبيا استعمارية بكل عناصرها إلا الاسم. اكتشف الجيش الأمريكي أن نظرية مكافحة التمرد وسيلة للتوافق مع ترات أوروي أسهم من الحرب الاستعمارية، التي تعمد في نجاحها على طريق ظاهر وأدى في استخدام القوة. انعكس هذه الأفكار على مطبوع شديد التأثير وهو "الدليل الميداني للكفاح التمرد"، الذي صدر في عام 2006، وكان مفتح استعادة الحرب على الإرهاب شريعتها، لاسيما بين قطاع من التقاد الليبراليين. اعتمدت عقيدة الجنرال ديفيد بتريس في الأساس على الارتباط بهذه الأفكار وتكييفها بوصفها إستراتيجية "نكرية"، بدالة عن احتلال العراق وأفغانستان، وهو ما وضع دليل الجيش للحرب مكافحة التمرد بعبارة "مستوى الدراسات العليا الحربي". وهو يقول إن الانتصار يعني خروج حرب سياسية تضم الأفكار كما تعتمد على القوة المادية، وعلى اختلاج قوات الولايات المتحدة ضباطًا يجدون تنظيم دفاع سياسيا عن "مخاطر الاقتصاد القائم على السوق"، كما يجدون إدارة الحملات العسكرية.

بدا بتريس في وسائل الإعلام الأمريكية المؤيدة "خلص" الحرب على الإرهاب بوصول دروسًا لم يتعلموها من حالات مكافحة التمرد الأوروبية في القرن العشرين فقط، بل من الحروب الاستعمارية الأمريكية في الهند الصينية وجيزر الكاريبي وأمريكا اللاتينية. (وكان قد كتب بحثًا وهو طالب في الدراسات العليا بجامعة برنستون بعنوان "عزو غربنادا: غير قانوني وغير أخلاقي وعمل صائب").

المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتطور والحرب الداخلية على الإرهاب
ظهرت سلسلة مقالات في مجلة تايم بقلم جو كلاين بعناوين مثل: "عودة الجندي الصالح" و"ديفيد بريوس ومسيرته الرائعة"، وصفت الجرائد بأنه "نموذج للفكر الإبداعي الجديد" الذي سيحول الولايات المتحدة من أداء ضعيف مصممة لخوض معارك الدبابات في سهول أوروبا إلى "مؤسسة تعليمية"، تدرب قواتها على المرونة والإبداع الضروري لخوض حروب العصابات في عصر المعلومات. (17) صورت كتابات كلاين الجيش الأمريكي في العراق وأفغانستان، وكأنه في تدريب تعليمي مسؤولي السفارة الرئيسي في الثقافات المحلية. أما تحقيق التحالف العسكري والتقدم في العراق عام 2007، الذي خطط له بريوس فهو أنه حقق نوعًا من الهدوء، من خلال إحداث انشقاقات طائفية ورعاية ميليشيات محلية وإضعاف بعض قطاعات السكان. وبعد أن تولى بريوس سفراً في إيه، صار واحدًا من أكثر العاملين خبرة وأكثر المفكرين معرفة بعمل الطائرات بدون طيار توجه لقتل أهداف محددة. (22) أما من يطردون استراتيجيًا مكافحة التمرد في الولايات المتحدة، مثل المخططين الاستخباريين البريطانيين الذين استخدموا "ستراتيجية "صنف تيش"، فقد بدؤوا من افتراض ان القبيلة هي الوحدة الأساسية للمجتمع العراقي. (23) أما العنصر السياسي في مكافحة التمرد فعندنا decay تحليل الكيانات السياسية حتى تصير مننوات قبائلية، يمكن شراء زعترها حسب مقتنيات عسكرية سياسية. لذلك لزم توفير المعلومات الإثروغرافية (التوزيعات العرقية) لهذه الكيانات القبائلية. يرى كيلكولن أن مكافحة التمرد هي "علم اجتماعي مسلح"، كما أن التعامل الذكي مع الثقافة المحلية يعد عنصرًا ضروريًا لزيادة حركات التمرد. (24) وفي عام 2007 تم تقديم برنامج عسكري أمريكي باسم "أنظمة التضاريس البشرية"، هدفه دمج علماء الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية في الوحدات القتالية واستخدامهم لتوسيع شبكة السكان المحليين. (25) وكما في حالة الملايات، جلب وسائل مكافحة التمرد في العراق وأفغانستان برامج تعذيب وقتل مخطط واسعة النطاق (غالبًا كان ينذروا مقاتلو عسكريين من الدائرة الخاصة) كان هدفها من يُظن أنهم أعضاء في قبائل
معارضة. في الوقت نفسه، كان الصحفيون الأمريكيون الذين يكتبون عن الحرب على الإرهاب يرجعون إلى قوانين الأنظمة القبلية السائدة بين العرب، وفي المنطقة التي سيماها المخططيون العسكريون الأمريكيون "أفباك" (AfPak) مستحضرين بذلك تصميمات استشرافية قديمة. فكتاب العمود الصحفي في نيويورك تايمز، توماس فريدمان مثلًا، كان يردّ تعبيره عن استيائه بشأن "القبائل العربية دائمة النطاقة" التي لا يمكن السيطرة عليها إلا "بقائد يده من جديد" أو يوجد "150 ألف جندي أمريكي" تفصل بينها — وكان الاحتلال الأمريكي للعراق جاء ليحل مشكلة العنف العراقي ولم يكن السبب فيه — وكما سرى في فصول لاحقة، عادت هذه التصورات لتكون جزءًا من جهاز الأمن القومي، بل ليشكل منهجًا جهاز إف. بي. آي. في مواجهة التطرف الإسلامي الناشئ في الولايات المتحدة.

ومع الرئيس أوباما، تصدرت فكرة كسب القلب والعقل المشهد. فخطابه الذي وجهه إلى المسلمين في العالم كله من القاهرة عام 2009، اعتمد على اقتراع أن الاعتراف بالإسلام في سياق التعددية الثقافية سيكسب المسلمين المعتدلين، ويساعد على عزل التطرف وهزيمته. وفي الوقت نفسه، سعى أوباما إلى بناء شراكات مع حكومات في الشرق الأوسط دمرها أحادية توجه المحافظين الجدد، وهي الآن ضرورية لنجاح الحملة العالمية لكافحة التطرف عن طريق القوة الناعمة. كان الحديث الأحادي عن تصدير الديمقراطية قد ارتد إلى استخدام منهجية براهينية تقليدية في آخر ستينات من حكم بوش، عقب انتخاب حاس على رأس السلطة الفلسطينية في 2006، ونجاح حزب الله في الانتخابات اللبنانية في الوقت نفسه تقريبًا. وواصل أوباما هذا التوجه عن طريق ضمان توافق دولية مع أنظمة استبدادية والاستعانة بعمليات في المنطقة في شروط أمنية. وكما أشار: "الحقيقة أن سياسي الخارج هوج هي في الواقع عودة إلى سياسة الثنائية الحزبية الواقعة التي

(5) أول حرفين من اسم دولة أفغانستان وباكستان، للتعامل معها في الحرب على الإرهاب وكأنها دولة واحدة، محكمًا نظام واحد، كما كان في الماضي في العصور الذهبية الإسلامية. (الترجمة)
استخدمها جورج بوش الأب وجون إف كينيدي و بصورة ما رونالد ريجان. "كان الجديد هو الاعتقاد بأن مع استخدام القوة الأمريكية الخشنة متمثلة في العنف العسكري، فإن الاعتراف الثقافي بالإسلام يمكن أن يؤدي دور القوة الناعمة، فقليل من المعارضة الإسلامية للسياسة الخارجية الأمريكية.

الجبهة الداخلية

صاحب دعوة الإصلاحيين إلى فتح جبهة ثقافية تتحول إلى الداخل في الحرب على الإرهاب، أي إلى القضاء الوطني. بدأ المعلقون وصناع السياسة على جانب الأطلسي توجيه اهتمام كبير لخطر المرتب من الجمعيات الإسلامية في أوروبا، وعلى النقيض من ذلك، ظهر المسلمون الأمريكيون بصورة من يمثل قصة اندماج ناجحة. في نهاية 2005، حذر فرانسيس فوكوياما من أن المسلمين الأوروبيين يمثلون خطرًا حقيقيًا على الولايات المتحدة، مثل أفرادهم في الشرق الأوسط، وأن سياسات التعددية الثقافية الأوروبية أخفقت في استيعاب السكان المسلمين. وقّال إن

"إخفاق أوروبا في دمج مسلميها على نحو أفضل، بمثابة قنبلة موقوتة تقترب من الانفجار، وقد ساهمت بالفعل في إزكاء التطرف." كتب روبرت لاكي، وهو ينتمي إلى "مركز نكسون" و "مؤسسة بروكينجز"، في مجلة شؤون خارجية (فورين أفيرز) عن "مسلمي [أوروبا] الغاضبين [وإنهم] ميزون عن غيرهم، ومتناكعون، ويشعرون بالمرارة [و] يمكنهم حرية السفر إلى الولايات المتحدة بدون تأشيرة دخول. " وكتب مارك سيفيان في 2008 أن "أكثر من ينبغي أن نحذره من الأفراد هم التشوهون المحليون - المتطوعون، الذين لا قائد لهم، وال التواصلون دوليًا عن طريق الإنترنت، ويعيش أغلبهم في أوروبا، وإن افتقارهم إلى كيان يجمعهم إلى المبادئ المنظمة يجعلهم أكثر خطرًا ومرورًا من سابقهم الإرهابيين." ومن المناورات الأيديولوجية التي شاعت في الحرب على الإرهاب أن تحول الصفات التي كانت تعد أسبابًا لتقليل الخطر (مثل غياب التدريب الجيد على بند منظمة
إرهابية أو وجود اتصال مباشر بقيادة ذات خبرة) إلى دليل على أن الخطر أعمَّ، أما السؤال عن كيفية جعل المسلمين في أوروبا يتمثلون هوية الدول الوطنية الأوروبية، فصارت موضوعًا ذا أولوية في دورات الأمن القومي في واشنطن.

كانت الإجابة على جانبي الأطلسي من الإصلاحيين الراغبين في صنع سياسات تتكون من ثلاثة أجزاء. أولاً، على خلاف أصحاب المذهب الثقافي الذين أدت رؤيتهم إلى تغريب المسلمين عن الحياة الوطنية، أعلن الإصلاحيون عن رغبتهم في الاعتراف بالثبات الإثنيلي الإسلاحي الرئيس في أوروبا، ليكون هوية مقبولة في إطار خطاب التسامح الثقافي الرسمي. وإن هذا من شأنه، كما يرون، أن يسهم الأردام السياسي. كما قالوا إن الحكومات الأوروبية لا بد أن ترعى القرارات الإسلامية المتصلة داخل دولها، ويتيج هذا بالتعاون مع الدولة تشجيع صيغ مقبولة للجمع بين الانتهاز إلى الإسلام ومعاداة التطرف. وكان المعلق الليبرالي توموثي غارتون، قد صنع شهرته في نهاية الثمانينيات، وهو يكتب عن التمدد في أوروبا الشرقية، وقد تحول الآن إلى داعية للأجنحة الإصلاحية تتضمن البحث عن سياح "المتمردون داخل الإسلام." وقد صور المسلمين بأنهم على حد شفيرة بين المواطنة الصالحة والإرهاب.

ثمة خط مواجهة خفية يقطع شوارع هادئة كثيرة في أوروبا. شئت أم أبيت، سواء كنت تعيش في لندن أو أكسفورد، برلين أو نيو أورلينز مدريد أو روتردام، فلسنت على خط المواجهة المذكور – إلا إذا كنت أثناء الحرب الباردة… إن الجزء الأكبر من هذا الصراع هو معركة قلب المسلمين الأوروبيين الشباب وعقولهم - الذكور منهم عادة - من يتحواها بعد إلى جهاديين متطرفين يستخدمون العنف، لكنهم قد يصرون إلى ذلك. في كل ركن من ركن كما يقومنها هناك مئات الآلاف من الشباب المسلم ينتظرون التوجه إلى أحد الجانبين. قد يصرون غداً مفجري قابل
إن الاستخدام الذكي لقوة الغرب الناعمة يمكن أن تغير الميزان إلى صالحنا.

إن هذا الصراع على قلوب المسلمين وعقولهم يمكن أن يسمح للمسلمون في حوار داخلي، لكننا نحن غير المسلمين نشلهم سياق الحوار - ونسيطر على كثير من وسائل الإعلام - التي يجري فيها.

تحدث غارتون آش في افتتاح مركز أبحاث جديد لمكافحة التطرف، وأعرب عن أمله في تقويض الإسلام السياسي بالطريقة نفسها التي قوضت بها الشيوعية، مع إصدار كتاب الإله الذي أخفق في خمسينيات القرن العشرين. وكما سنرى في الفصول التالية، فالاعتقاد بأن جموع المسلمين الضخمة التي لم تتحول إلى التطرف بعد - بفترات أنهم على حافة التحول إلى متطرفين - كانوا هدفاً لبرامج مراقبة جامعية تدك بعملية ستاسي الألمانية الشرقية التي وثقها غارتون آش، كما هو معروف.

في فرنسا وبلجيكا وهولندا وبريطانيا وألمانيا تواصل البحث عن قادة مسلمين معتدين ملائمين لديهم صداقة داخل مجتمعاتهم والولاء الأكيد للدول الغربية.

إذا كانت مشكلة التطرف تكمن، كما يقول الإصلاحيون في القراءة الخاطئة لتعاليم الإسلام الأساسية، فإن القيادة الإسلامية التي تعتمد برعاية الدولة يمكن أن تؤدي دورًا مهمًا في نشر المنهج الصحيح في تأويل مصطلحات دينية، مثل "الجهاد" و"الشريعة"، وحتى يمكن هذه القيادة من الظهور، لزم منح شكل من أشكال الاعتراف بالتدريجية الثقافية نحو دينية جديدة متوازنة للهويات العرقية، التي

(8) الاسم المختصر لوزارة أمن الدولة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية - ألمانيا الشرقية. (الترجم)
كانت محور سياسات التعددية الثقافية السابقة. وكان تطور هذه "العديدية الدينية" قد بدأ تدريجيًا في بعض السياقات، لكن ظهرها الآن صار على نحو أكثر مهجة.

ومن المفارقات أن يؤدي هذا بالدول الليبرالية التي تعلن في غير هذا السياق فضلاً عن الدين والسياسة أن توافق عمليًا على صيغة إسلامية رسمية. فالمستزولون الحكوميون صاروا فقهاء بحكم الواقع يوافقون ضمنًا على تأويلات دينية ويرفضون أخرى. (86)

تقول الجزء الثاني من الرؤية الإصلاحية إنه مع تقديم الحكومات الأوروبية الاختلاف بإسلام النبأ الرئيس، عليها أن تمنع انتشار أيديولوجية الإسلام السياسي، التي يعودها المحرر الرئيس للعنف الإسلامي. وعلى يجب وضع قبره واعظنة على التعبير عن أشكال الإسلام المتطرفة. في بريطانيا جاءت جريمة تمجيد الإرهاب في سياق قانون الإرهاب لعام 2006، ولا يتعلق التجريم هنا بحظر التحريض على العنف، فقد كان هذا موحدًا بالفعل في تشريع يعود إلى القرن التاسع عشر، بل يخص تجريم مجموعة كبيرة من الرسائل الأيديولوجية للإسلام السياسي. دعا رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير إلى أن يكون هذا التشريع عالياً، وأوضح في اجتماع مجلس الأمن الدولي في 14 سبتمبر 2005، أن المقصود تجريمه هو "حركة ذات أيديولوجية وإستراتيجية" لا يمكن هزيمتها إلا إذا

[اغتذ] المجلس ... في معارضة الدعاية السامة التي تقول إن سبب الإرهاب الأصلي هو [تحذيره] وليس هم. [ذلك] السبب الأولي ... ليس قرارًا في السياسة الخارجية، مهما أثار من خلاف، بل إنه عقيدة التطرف. (87)

في العام التالي طرح الاتحاد الأوروبي قانونًا مماثلاً، بغرض منع "التحريض العام على ارتكاب مغبة إرهابية" تم تعريفها بأنها التعبير عن رسائل، يمكن أن "تسبب خطر الإرهاب، سواء تم الدعوة المباشرة للإرهاب أم لم تم" (88) بالنسبة إلى غير

المسلمون قادمون الإسلاموفوبية والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

100
مواطني الاتحاد الأوروبي المقيمين في بريطانيا، أو إلى من لديهم جنسية مزدوجة، تم توسيع الحيثيات التي بمقتضاها يمكن حرمان الأفراد من الجنسية أو الإقامة، لتشمل اتهامات مبهمة مثل "توزيع مواد أو الخطاب العلني أو إدارة موقع على الإنترنت، من شأنه أن يذكر الكراهية التي قد تؤدي إلى عنف بين قطاعات في المجتمع."(98) وقد فتح ذلك الباب لوزراء الداخلية لأن ينزعوا المواطنة عن مواطني بريطانيين لا لسبب إلا ما عبر عنه من آراء.

كما ذكر عامي الحقوق المدنية البريطاني غاري ثورس، يزيد عدد من يدعون السجناء من الرجال والنساء في بريطانيا لمجرد حياثهم كتباب أو فيديوهات، أو استنادًا إلى ما دونه على الإنترنت، فكلها تتطلب دليلًا على تشجيع العنف أو تجديده.

"فالمحدود التي كانت مقبولة لحرية التعبير والفكر سابقًا أعيد تعريفها، وهي الآن تحاكم بأثر رجعي."(99) ومن ذلك أنه في مارس 2012، وضع أزه أحمد، وهو شاب في التاسعة عشرة من عمره، من ديززبري، يوركشاير، تعليقًا على صفحته على الفيسبوك يتعنى مستوى الاهتمام الإعلامي الذي اجتذبه مقتل جنود بريطانيين في أفغانستان بالمقارنة بالضحايا المدنيين الذين سقطوا جراء هذا الصراع، وفي ختام تعليقه عبر عن نفسه بقوله: "يجب أن يموت كل الجنود ويذهبوا إلى الجحيم، هؤلاء الخلاة الحرة". وقد وصل بأنه " متطرف إسلامي"، واتهم بالإرسال رسالة عدوانية شديدة وحكم عليه بأداء 240 ساعة خدمة مجتمع.

قال متحدث باسم الشرطة: "لم يحسن التعبير عن رأيه، وهذا ما جعله موضوع ريبا."(100) في الوقت نفسه، تم حذف ضيادات عدم ترحيل الأجانب الذين يتعرضون لخطر المعاملة القاسية غير الإنسانية في الدول التي ستقلاهم. أما الكتاب الإصلاحيون الذين يرون في الحرب على الإرهاب معركة أيديولوجية للدفاع عن القيم الليبرالية ضد عدد شمولي جديد، فقد كانوا غالبًا ما ليباليتهم عند تطبيق تلك القيم على معاملة المتطرفين. فحالًا، يرى نيك كوهين ضرورة ترحيل المتطرفين من بريطانيا، حتى لو أدى ذلك إلى تعرضهم للتعذيب."(92) وداً إحسان إلى اعتبار العضوية في
مجموعة حزب التحرير خلافة جنائية، برغم عدم وجود دليل على ضموع المجموعة في الإرهاب."(93) ويشير هذا إلى التناقض التالي داخل أجودة الإصلاحيين: باسم الدفاع عن القيم الليبرالية، تم حظر الحرية الليبرالية في التعبير عن أيديولوجية أو هوية إسلامية مترطة. فإن كانت أيديولوجيا الإسلام السياسي خطرًا شموليًا على المجتمع الليبرالي، فإن وضع حدود حرية التعبير عن هذه الأيديولوجية يعد أهون الشروط.(94)

الجانب الثالث في برنامج الإصلاحيين هو الدعوة إلى حملة عامة للاحتفاء بالقيم الليبرالية التي يرون أن المجتمع الغربي يقوم عليها ونشرها. وقد اعتبروا أن الدفاع الإيجابي عن هذه القيم جزءًا ضروريًا في معركة الأفكار ضد التطرف في أوروبا. وتستطيع الحكومات أن تؤدي دورًا في هذه الحملة. إذ تستطيع، مثلاً، أن تشترط أن يعتن المواطنون الجدد قسم الولاء لهذه القيم، أو يجري للمهاجرين اختبارًا للقيم قبل قبولهم. وعلى نحو عام، كأن في ذلك دعوة للمتعلمين والصحفيين والأكاديميين وعامة الناس أن يكونوا أكثر حذرًا في الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية الغربية، وفي نقد الشمولية الإسلامية التي ظن الإصلاحيون أنها حددوا معالمها. يقول الإصلاحيون إن الأمن القومي يقتضي تحولًا في اتجاهات عموم الناس، والعالم الأكبر أمام هذا التحول هو إيران الأوروبيين بالتحديد الثقافة، التي يرون أنها تضعف النقد القومي لجوانب في الثقافات الأخرى. ولا بد أن تزاح مثل هذه الأفكار المتساوية جانبيًا. تكيّع هذا القول وتردد في بريطانيا منذ متصرف التسعينيات، لكن الحرب على الإرهاب أكبت قبولًا واسعًا بعد هجمات 9/11 الإرهابية في لندن خاصة. وتجلى هذا الأفكار نحو نبذ التعددية الثقافية في مقال تم نشره على نطاق واسع حتى مثل وحده لونًا من الكتابة، كتبته في عام 2008 مجموعة من الجنرالات البريطانيين السابقين وكيار الدبلوماسيين وضباط المخابرات يطالبون فيه بقيادة قومية تواجه الوهن الذي تسببت فيه التعددية الثقافية.
تعرّض المملكة المتحدة نفسها كهدف برغبي وكمجتمع بعد مسيحي يتّفق، ويزداد اقتسامه حول تأييلات تاريخه وأهدافه القومية وقيمه وهويته السياسية. يتفاهم هذا التضخم بسبب صور عن الذات رائعة في نفس عناصر داخلها يرفضون الاندماج. ويزداد المشكلة سوءًا في غياب قيادة من الأغلبية أخفقت، بسبب احترام في غير عهده "التعتدي الثقافية"، في وضع حدود جاليات المهاجرين، وبدلكم قوضت جهودهم من محاولون مكافحة التطرف داخلها. إن انتقال الدولة إلى الثقافة بالنفس يتّقاض تقضًا واضحًا مع عنف العدو الإسلامي الإرهابي في الداخل والخارج. 

أخذ السياسيون البريطانيون طوال العقد الأول من الحرب على الإرهاب يقولون للناس إن التعددية الثقافية تجاوزت حدودها، ولا بد لها الآن من قيود. فالطلوب ما سباه تيموثي غارتون آش "هوية قومية مدنية ملزمة على نحو أكبر." فقد ابتعدت هذه الهوية عن التعريف من زاوية الأفكار المحافظة المستمرة من ترات إنجلترا، واقترنت من قيم ما بعد خياليات القرن العشرين الليبرالية مثل المساواة بين الجنسين وحرية التعبير والمساواة الجنسية والعلمانية. وصار غياب الولاء المزعم لهذه القيم إحدى الطرق التي يجذب بها الليبراليون من بعدده مترفًا إسلاميًا. ومن هنا يأتي التوتر الذي يضم مشروع الإصلاحين. فهم يريدون شكلًا من التعددية الثقافية للعثور بتيار الإسلام الرئيسي وتجهيزهم في الوقت نفسه ليوتين أو يصفونها بأنها تقوي الأفكار والأهوال المترفعة وأيضا خطر على القيم الليبرالية. وبناءً على القيم الليبرالية صيغًا متنوعة للتوافق بين هذين الأمرين الضروريين، فلا عجب أن يقال عن التعددية الثقافية إنها في أزمة في أوروبا كلها.

وباستخدام هذه الأساليب، يهدف الإصلاحي في التعامل مع التطرف الإسلامي إلى إحداث تحول ثقافي يتم فيه إعادة تشكيل هوية المسلمين الأوروبيين بصيغة غريبة. يرى صناع السياسة أن تميز الإصلاحين بين الإسلام بوصفه هوية دينية ينبغي أن
يمنح اعتراف التعددية الثقافية، وبين الإسلامية بوصفها أيديولوجية شمولية ي ينبغي مكافحتها، من شأنه أن يقدم خارطة مفيدة تسمح بوضع تصور للمسلمين محلياً ودولياً أكثر مما تتيح التعميم المماثل للإسلام التي يدعو إليها المذهب الثقافي. إذ يسمح للحكومات بتفادي اللغة الصادمة التي تشييع صراحة أعدادًا ضخمة من الناس، والدخول في عملية التعرف على الحلفاء داخل التجمعات الإسلامية. ومن يستطيعون تقديم العون في تنفيذ البرامج المصممة للتعامل مع التطرف. إن لغة التنشئة والإصلاح والشراكة يمكن أن توظف بنجاح كسب الدعم لهذا النهج من كافة ألوان الطيف السياسي. فمن يصنفون مسلمين معتدلين يمكن أن يحظوظ تراثهم الديني بالتقدير في حدود التسامح الغربي، وفي الوقت نفسه، تركز الحكومة ما تملكه من قوة المراقبة والقهر والعفرين من يصنفون متطرفين. مع ذلك فإن خطاب الإصلاحيين التقليدي يخفى برنامج تدخل ضخم وطموحًا. فهؤلاء يسعون إلى استخدام القوة المشحونة والناشئة معًا في "معركة من أجل كسب روح المجتمعات الإسلامية محليًا ودوليًا، وإعادة رسم تضاريس الهوية الإسلامية في أوروبا.

ترى الدولة أن تخلق صفًا جديدًا من المسلمين أكثر قبولًا بحيث يندمج من خلال الاحترام الثقافي والتسامح، أما من تمسكون بالرفض السياسي سيرون حقوقهم المدنية تنازلًا.

حتى عام 2009، كان الإصلاحيون ينظرون أن الولايات المتحدة محصنة بشكل كبير ضد التطرف الإسلامي الداخلي، إذ كان علمنا مثل مارك سيغمان، يعتقدون أن مجتمع السوق الحر تفوق في إدماج المهاجرين المسلمين على نموذج دولة الرقاه الأوروبي، الذي يشجع في رأيه على التواكل والكسل. وبالمثل زعم "التقرير الاستراتيجي للأمن الوطني" الذي أصدرته حكومة الولايات المتحدة عام 2007 أن:
كانت الصورة تقول إن المسلمين في الولايات المتحدة يندمجون بسلامة بفعل بوتقة انصهار ناجحة، أما أوروبا فقد تركتهم للغضب والعنف. والحقيقة أن المقارنة بين عدد الجرائم الإرهابية في الولايات المتحدة وأوروبا، كان بسبب اختلاف التعريفات والإجراءات القانونية والشرطة والفترات الزمنية بين البيانات المنشورة عنها. كما أن الأعداد على الجانبين صغيرة جدًا، وتعرضت لتشويهات ضخمة بسبب التحيز في إنفاذ القانون. (كما سرأ في الفصل السادس، وهذا لا يتيح مقارنة صلبة بين ما يستخلص من نتائج عن سلوك المسلمين، ناحية عن نسب المسؤولية عن هذه الاختلافات إلى مفهوم الرفاه الأوروبي.)

مع ذلك، فقد وقع عدد من الأحداث في عام 2009 قوضت فكرة تحسين الولايات المتحدة بسبب مغيبات الحلم الأمريكي. فهي شهر يونيو قام عبد الحكيم ماجاهد محمد، وهو أمريكي أفريقي من عفيف اعتنق الإسلام، بإطلاق النار على جنود أمريكيين أمام أحد مراكز التجنيد في ليتل روك، أركانساس، فقتل واحدًا وجرح آخر. وفي شهر سبتمبر، تم القبض على نجيب الله زاري، وهو باكستاني مولد ومقيم دائم بالولايات المتحدة، ثم أعلن أنه مذهب في المحكمة لأنه خطط لتفجير نظام مترو الأنفاق في نيويورك سيتي، وتبناه حصل على مكونات صنع وسيلة تفجير. كما تم القبض على كولين آر. لاروز، المعروفة إعلاميًا باسم "جهاد جين"، وهي توصف بأنها تمتع بالمظهر الأمريكي الكامل، في الشهر التالي، وأعتبرت بدعم الإرهاب عن طريق الإنترنت من منزله في إحدى ضواحي بنسلفانيا، والتخطيط لاغتيال فنان سويدي. وفي 5 نوفمبر عام 2009، دخل نماذج حسن، وهو أمريكي فلسطيني يحمل رتبة رائد في الجيش في القاعدة العسكرية في فورت هوود،
قتل ثلاثة عشر شخصًا وجرح اثنين وثلاثين. كان حسن مواطنًا أمريكيًا وطبيًا نفسيًا في الجيش. وفي مايو التالي منح بائع متجول يقظ في اللحظة الأخيرة محاولة
فيصل شاه زاد تفجير سيارة مفخخة في ميدان تايمز سكوير في نيويورك، وصادف
أن البائع مسلم من السنغال. وكان شاه زاد، المولود في باكستان، قد حصل على
الجنسية الأمريكية قبل عام واحد.
وفي سبتمبر 2010، نشر مركز السياسة ثنائية الحزب، وهو مركز واسع التأثير،
تقريرًا كتبه اثنان من كبار خبراء الإرهاب في أمريكا، وهما بيرت بيرج ويروس
هومان، ادعيا فيه أن:
القاعدة وحلفاءها استطاعوا - على الأقل - تأسيس بنية تحتية وليدة إجرائية
لتجنيد الإرهابيين، والدعوة إلى التطرف في الولايات المتحدة.
ويواصل التقرير تخديره من أن:
بوتفقة الصحراء الأمريكية لم تتوفر حائط صدع ضد جذب المواطنين الأمريكيين
والمحتملين إلى التطرف وتجيدهم... فسبب عزل نفسها بعداً تحت... غطاء من الأمن
الزائف، خسرت الولايات المتحدة خمس سنوات قبل أن تتعلم من الخبرة البريطانية.
وأخيرًا، كما ينص التقرير:
ما يشير القلق العميق... أنه لم تبق وكالة حكومية أو وزارة فيدرالية تحمل
على وجه التحديد مهمة اكتشاف عملية الدعوة إلى التطرف، وفتح تجنب المواطنين
الأメリكيين أو المقيميين لصالح الإرهاب.
تولى نشر هذه الدعوات المطالبة بسياسة لمواجهة التحول إلى التطرف معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى (WINEP)، وهو جناح قوي في اللوبي الإسرائيلي، وطبقًا لتحرير صحفي إسرائيلي، تملك هذه المنظمة خطًا هافينكًا مؤثرة يربطها بالبيت الأبيض حيث الرئيس أوباما. يعلن معهد واشنطن أن "الإسلامية وهي أيديولوجية سياسية مترافقة متصلة عن الدين الإسلامي - هي المحرك الأيديولوجي الأساسي لخطر التطرف العنف الذي تمثله القاعدة وغيرها من الجماعات الإسلامية المتطرفة داخل الولايات المتحدة". وعلى المستوى المحلي، ينبغي أن تقوم الولايات المتحدة بالتعرف على قادة الرأي المسلمين المحليين وتتواصل معهم، ويمكن لهم داخل الولايات المتحدة. كان البيت البلد يبرم جوزيف ليبرمان وقتها رئيس لجنة الشؤون الحكومية والأمن الوطني بمجلس الشعب، وكان يدعو دائمًا إلى وضع خطة شاملة لمجالي التحول إلى التطرف الإسلامي الناشئة داخل الوطن، كما زادت جلسات الاستماع التي أجراها عضو الكونغرس بيتر كنغ في عام 2011 عن التحول إلى التطرف الإسلامي الاهتمام بالقضية.

وقد أعلنت وزيرة الأمن الوطني جانيت ناوبليتانو اتفاقها مع الرأي القائل إن الولايات المتحدة يجب أن تولي مسألة التحول إلى التطرف اهتمامًا خاصًا، فنال: "الإرهاب الناشئ داخل الوطن موجود. ومثل التطرف العنف في الخارج، فهو الآن جزء من صورة الخطر التي ينبغي أن نواجهها." وقد نظمت وزارة لها لقاءات مع بعض المؤسسات الإنسانية الكبرى لمواجهة التحول إلى التطرف في المجتمعات الإسلامية الأمريكية. وأنشأت داخل الإدارة مجموعة عمل لمكافحة التطرف العنف، بغرض تنسيق الجهود التي تبذلها الوكالات المحلية والتابعة للولايات والوكالات الاتحادية، لمواجهة الخطر الداخلي. بدأ صناعة السياسة الأمريكيون استيراد أنظمة تفكير من المملكة المتحدة لطرق التعامل مع الإرهاب الإسلامي الناشئ المحلي. وقد انتشرت معظم مخزونات الأجهزة التي نشأت في بريطانيا - منها الاعتراف الرسمي بإسلام معتدل وحجب الحقوق المدنية للمخالفين - في الولايات
المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والترفيه والدرب الداخلية على الإرهاب

المتحدة، ولكن بأشكال مختلفة. فزاد الاهتمام بإنشاء شراكات بين الوكالات الحكومية والقاعدة الإسلامية المتعددة، سعياً لمنع التطرف. طاف مستثمر وزارة الأمن الوطني بالمجتمعات الإسلامية في أمريكا، وعقدوا لقاءات مع ممثليها. وأنشأ فرح بانديث، الممثل الخاص لوزارة الخارجية لدى المجتمعات الإسلامية علاقات دولية معها ومع مجتمعات إسلامية عالمية. كما ظهر عملاء من إف. بي. آي. يعملون في تحقيق مكافحة الإرهاب في أحداث تواصلية منظمة خصيصًا داخل مجتمعات إسلامية. وقد صورت ورقة بحثية صادرة عن البيت الأبيض في أغسطس 2011 هذه المبادرات بأنها محورية في استراتيجية الولايات المتحدة. وهي توصي بالاعتراف "بإسلام الشريعة الرئيس" من قبل الحكومة، بغرض مكافحة "الإرهاب".

وفي حدث عرض هذه الإستراتيجية الجديدة في مقابلة شخصية مع إذاعة إن بي آر. عظم دينيس ماكدونو، وكان وقتها، نائب مستشار البيت الأبيض للأمن القومي، من حجم دور الهيئات العامة في هذا السياق، ومنها المدارس، التي عليها مراقبة المجتمعات بحثًا عن علامات تحول إلى التطرف، فقال: "لا يقتصر الأمر على عملية إنفاذ القانون المحلي، برغم أن إنفاذ القانون المحلي يختص بهذه القضية ومهمتها. ينطبق كذلك بقياديات المجتمع المحلي، إنهم المعلمين ومديرو المدارس والمدراء الرياضيين."هكذا رسمت الإستراتيجية شبكة مراقبة وتفاعل بين دائرتين من أصحاب المهن التخصصية الأقرب إلى التفاعل مع الناشئة المسلمين، وإكتشاف علامات التحول إلى التطرف.

اقترح تمثل الحكومة من الحديث عن مصطلح "حقيقي" للإسلام ينبغي أن يُعرف به رسميًا، بوصفه النهج المقبول من أتباعه المسلمين في أمريكا. تحدث رشاد حسين، أكبر مستشاري الرئيس أوباما في الشؤون الإسلامية وموسعه الخاص إلى منظمة التعاون الإسلامي، عن معنى الإسلام بوصفه حائط ضد الإرهاب، فيقول: "أرى أن أهم ما يمكن أن نستخدمه من أدوات مكافحة التحول إلى التطرف واستخدام العنف هو الإسلام نفسه، لأن الإسلام يبذل العنف والتطرف. "
وقبل عام من تعيينه في البيت الأبيض، اشتركت في كتابة بحث لمعهد بروكينجز. ذي الصلات الواسعة، يقول فيه إن "کسب معركة الأفكار، يفرض على الولايات المتحدة أن تعيد صياغة إستراتيجيتها وبناءً، وأن تتعاون مع العالم الإسلامي لنشر إسلام التيار الرئيسي، حتى يتعارض مع الآيديولوجية الإرهابية. (131) الملفت فيمن اتخاذوا موقف الاعتراف بالعدالة الثقافية هو أنه الفهم أنفسهم من كانوا ضالعين في أشد الإجراءات القمعية في مكافحة الإرهاب. ولتأخذ مثلاً جون برينان، المدير الدولي في سي آي آي، قام في عام 2010 بوصفه من كبار مستشاري الرئيس أوباما في مجال مكافحة الإرهاب، بإلقاء خطاب على الطلاب المسلمين في جامعة نيويورك، اقترح فيه مستمعيه موقفاً رسمياً بشأن ما يعيه "الجهاد" وما لا يعيه - "الجهاد كفاح مقدس، جهد لتصفية النفس لغرض مشروع" - وأبدى "احترامه لذين ساعد في تشكيك رؤيته للعالم. "(144) وحين كان يقول هذه الكلمات كان على رأس برنامج حكومي يستخدم طائرات بدون طيار لتنفيذ عمليات إعدام مسلمين بدون أحكام قضائية في ثلاث دول على الأقل. وكان قبلها مسئول مكافحة الإرهاب في سي آي آي، وقت أن كانت ضالعة في تعذيب المشتبه في كونهم إرهابيين. تشيع هذه التفاوضات في حرب أوباما على الإرهاب، فالسجناء المضربون عن الطعام في غواتيمالا يبهرون على تناول الطعام بالقوة، لكن في الليل احتراماً للصوم في رمضان، ونحن ابن لادن في البحر - لكن طبقاً لما سيادي المسؤولون "إجراءات الدفاع التقليدية. "(115) وليس الأمر هنا مجرد نفاق، بل إنه منهجية تمتع احتراماً معلقاً بالهيئة للإسلام من باب التعددية الثقافية، ويستدعي أهمية المحورية لأي إستراتيجية لمكافحة التطرف تسعى إلى إعادة تشكيك السياسات الإسلامية باستخدام القوة الخشنة والنايعة. 

أما داخليًا، فقد اتخذ جانب من شق القوة الخشنة في هذه الإستراتيجية شكل وكالات فيدرالية لإنفاذ القانون، تتوسع في إهام الآخرين بالتعبير عن آيديولوجية الإسلام السياسي. افتتح التوسع في تجريم أنشطة تعبير عن الرأي ليشمل توزيع وثائق ومقاطع فيديو على الإنترنت توصف بالتطرف، وبناء دعم مادي للإرهاب.
تصل العقوبة فيها إلى السجن حتى خمس عشرة سنة. وصل عدد الأحكام المتعلقة بالإرهاب في الولايات المتحدة إلى الضعف تقريباً في عام 2009 و2010 مقارنة بالأعوام السابقة. من هذه الأحكام ارتفعت نسبة الاتهامات المتعلقة بالدعم المادي من أقل من 12% في 2007 إلى حوالي 70% في 2010. و phê سبيس المثال، اتهم طارق مهنا، وهو مواطن أمريكي من بوسطن، بالتآمر لتقديم دعم مادي لمنظمة إرهابية بسبب ترجمته نصًا واسع الانتشار على الإنترنت وتوزيع فيديوهات على الإنترنت - وهي أنشطة طالما اعتبرت من حرية التعبير التي يحميها التعديل الأول للدستور. وفي أبريل 2012، حكم عليه بالسجن سبع عشرة سنة. وقبل ذلك بعamon، لم يُقبل في العمل مرشدًا للحساب إف. ي. أي. ونظريًا، كان ينبغي أن يمثل التعديل الأول للدستور منعًا لهذه التطورات. فإن عبء التأسيسي تشترط على الحكومة أن تتمتع عن أخذ موقف رسمي من أي عقيدة دينية أو اتباع تفسيرات معينة لمصطلحات عقيدة فقهية ووصفها بالصور أو الخطأ. وعلي خلاف أوروبا حيث تنظم الدولة شئون الدين من خلال مجموعة من الترتيبات المؤسسية، يُدعى نظام الولايات المتحدة أنه يعامل الهوية الدينية بوصفها فضاء مثيراً للحرية شبه مطلقة في علاقته بالدولة. أما التنظيم الرسمي للإسلام الذي توجيهه به أجندات الإصلاحيين بغرض مكافحة التطرف، فيفترض أنه مستحيل التنفيذ في الولايات المتحدة. وفق ذلك، كانت صيغة التعديل الأول الخاصة بحرية التعبير، تنص في العقدين الثلاثة السابقة على 11/9 بأنها تمنح الحالية الدستورية للتعبير عن أي رأي سياسي أو ديني لا "يقصد به إثارة عمل غير قانوني فوري"، وهي الصياغة التي اتخذتها المحكمة الأمريكية العليا في عام 1969 في قضية براوندنج ضد أورهانو. وبناءً على هذا التعريف، عجزت الحكومة عن تجريم الأيديولوجيا المتطرفة إلا في الحالات النادرة التي يمكن فيها إثبات التحريض المباشر على النشاط الإرهابي.
أما في التطبيق فلم يثبت التبديل الأول أنه المانع المتظر. فقد خلص قرار المحكمة الأمريكية العليا في قضية هولدر ضد مشروع القانون الإنشائي لعام 2010، إلى أن نشاط التعبير عن الرأي الذي يتم بالتنسيق مع منظمة إرهابية أو توجيه منها، يمكن حظره دستوريًا بوصفه دعوةً ماديًا للإرهاب. وكان رأي الحكومة أن الشخص الذي ليس عضوًا في منظمة إرهابية، لكنه يدعو إليها، يدعوم الإرهاب على نحو غير مباشر، لأنه نتيجة لهذه الدعوة، يمكن للمنظمة أن توفر في مواردها المطلوبة لتوصيل رسالتها، وأن تركز اهتمامها على زيادة قدرتها على العنف، ولقد وُجِّهت قضية مهنيًا نطاق ما يمكن وصفه بالدعم المادي. ويرجع عدم توفر دليل على أنه يعمل بالتنسيق مع جماعة إرهابية أو تحت سيطرتها، فقد أدين على أساس أن أنشطته التعبيرية وصلت إلى حد الدعم المادي للإرهاب. ومن المؤكد أن الادعاء بأن أنشطته التعبيرية من شأنها أن "تعرض على عمل غير قانوني فوري"، كما كتب الحراري في التعبير، لا يحقق النهاية النهائية للنحو الذي يُشير إليه التعبير، ولكن نماذج التحول إلى التطرف أدحت أثره يُبقي الأيديولوجيا أسوأ الإرهاب، مما أحدث تحوِّلًا في التفسير القانوني لحرية التعبير.

منذ 2007 تقريبًا صار النهج الإصلاحي الرواية الرسمية للحرب الكوكبية على الإرهاب بين الهيئات الحكومية ومراكز أبحاث السياسة الرئيسة في الولايات المتحدة والملكية المتحدة، وكان يمثل الموافقة الأساسية للكتاب والمحليين الليبراليين. ومع عام 2009، بدأ المسؤولون الأمريكيون في الاعتداد بأن عليهم أن يطبقوا هذا النهج على الداخل أيضًا. لكن المذهب الثقافي يظل أضيقًا من بين عناصر جهاز الأمن القومي، وتنظر رواية على ألسن المحررين والمروجين اليمينيين. ينتقد الإصلاحيون تعميمات الثقافيين العشوائية - مثل افتراضهم بأن الإسلام لا يمكن إلا أن يؤول كمكيدة متطرفة، وقيامهم بأعمال تعزل الإسلام عن الغرب وهي تأتي بنتائج عكس ما تسعى إليها. ويرد الثقافيون فيهم الإصلاحين والسذاجة لظنهم أن الحكومات يمكن أن تحدث تحوالًا ثقائليًا في المجتمعات الإسلامية، وبلغة التمثيل على الفكر حين يحاولون أن يجدوا إسلامًا معتدلًا، وبالتحامل عن
خطر الشراكة مع المسلمين التي تسهل لهم التغلغل وسط الغربين. يرى الثقافيون أن الحرب على الإرهاب هي معركة بين الحضارة اليهودية المسيحية وقيم الإسلام السابقة على الحداثة، ويرد الإصلاحيون بأن الأفضل تصويرها معركة بين قيم ليبرالية وأيديولوجية معادية للحدثة اسمها الإسلامية. الإصلاحيون متفائلون بأن استراتيجيتهم الاستيعابية يمكن أن تحدث تحولاً في الثقافة الإسلامية وتجلب المسلمين إلى موقف مؤيد للغرب، أما الثقافيون فيعتقدون أن الثقافة الإسلامية غير قابلة للإصلاح، ومن ثم يشتكون التشاؤم والخوف والارتباط في الإسلام، ويعملون على عزله. إن المذهب يعاملان الثقافة الإسلامية كأنها شيء لا حياة فيه، الأول للتحكم فيها والثاني لشيطنتها.

يرى الثقافيون أن المسلمين الغربين لا يمكن أن يكونوا مواطنين متساوين مع غيرهم، ويرى الإصلاحيون أن المواطنة المتساوية للمسلمين في الواقع تتوقف على قدرتهم على إثبات ولائهم لقيم غربية غير واضحة التعريف. لكن وضع المسلمين داخليًا علاً للإشارة خوفًا من أنهم سيخرجون قواعد اللعبة السياسية الليبرالية؟ يعد أساسًا متفاهمًا للمساواة الفعلية. ومن ثم يصير السؤال الوحيد هو: كيف ندمج المسلمين في مجتمع ليبريالي قائم مسبقًا، وسيظل، إلى حد كبير، على حاله؟ ولكن إذا كان المواطنين لا يرغبون في أن يكونوا في هذا النظام القائم، ويعانون إلى تغييره مشاكلًا عن طريق تحدى الافتراضات الأساسية لسياسة الخارجية، فإن الليبراليون بروز الحل في السياق بالاختلاف ما لم يحدث تحولاً. وتعت الثقافة شأناً خاصًا يتعلق باختبارات أساليب حياة قديم لا يمثل تحديًا حقيقيًا للنظام. لكن هذا لا ينجح إلا في وجود مجموعة قيم عامة متفق عليها، عند مستوى أعمق، ويشارك فيها الجميع. أما في أوقات الصراع السياسي، عندما يكون هذا الافتراض أقل قوةً، يتجه الليبراليون عادة إلى نبذ مبادئهم، وإلى البحث عن أساليب قمعية للدفاع عن الوضع الراهن. أما المحافظون فأكثر اتساغًا في تأكيد أن أساس النظام السياسي ترتيب ثقافي واحد يرتبط ارتباطًا جذريًا بشعب معين، لكن هذا التصور لا
يقدم إجابة عن سؤال التواصي مععدد الثقافات، إلا أنه يعلن استحالة أن يتجاهل المذهبان السياسيين الأساسي الذي تطرحه التعددية الثقافية وهو: كيف يمكن إنشاء حياة مشتركة تسهم بالمشاركة الكاملة من كافة عناصر المجتمع؟

يشير الجدل بين الثقافيين والإصلاحيين قضايا حقيقية ومهمة. لكن الرسالة الأيديولوجية المتضمنة في هذا الجدل لا تتعلق بالمواقف التي يتخذها كل طرف فيها. بل يحدث هذا الجدل أو عدمه، وبالافتراضات المسكوته عنها التي يقوم عليها. إن المواقف التي يضمها هذا الجدل عند مستوى أعمق تتميز بموضوعية مشتركة، فإن ماهية الاعتقاد بأن الأيديولوجية المطرفة، سواء كانت الإسلام الحرفي نفسه أو صورة معركة مهيب أصل الإرهاب. يرى الطرفان أن الثقافة الإسلامية شيء ثابت لا يتغير، وهو محدد هدف تدخل حكومي واسع - باستخدام القوة الحشنة أو التأمين. ويجمع هذان النقطان من التفكير عمليا على خلق خطاب يجعل من المسلمين مشكلة، وذلك من خلال سيطرتها على المناقشة الرئيسية للإرهاب في الثقافة السياسية لكل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة.
الفصل الثالث
جذور الغضب الليبرالي

تزيد العلاقة بين الإمكانات والسلوك المخاطر زيادة كبيرة. فبعض الأفكار من الخطورة بحيث تسوع أخلاقياً قتل معتقليها... فإن تقدم القبض عليهم، وغالبًا ما يتمثل، فهناك مبرر لأن تقدم ناس معرفون بالتسامح في غير هذا الموافق بقتلونهم دفاعًا عن النفس. هذا ما حاولت الولايات المتحدة ألا تفعله في أفغانستان، وهذا ما نحن أن نفعله، رغم التكلفة الكبيرة التي ستكبدنا نحن وأبرياء في الخارج، في أماكن أخرى من العالم الإسلامي.

سام هاريس - نهاية الإيمان

لم يكن لدى جيسي كيرتس مورتون وصلة خط تلفزيون، أثناء فترة نشأته في الولايات المتحدة. في الثمانينيات، إذ يقول: "عندما كنت طفلاً، كانت المرحلة الجديدة تلفزيون وصلة الكابل وتم في وم يكن ذلك متاحًا. و أظن أن هذا كان من أكبر أسباب تعليه بقدر من الوعي الإنساني أثناء نشأتي. فانا أستطيع أن أكتشف ألوان الذكاء والبالية في مجتمع من أول حظة. " كان جيسي يكره المذهب الاستيالي الذي أحدث في اعتقاده عملية غسيل مخ لرمائه الطلاب في مدرسته الثانوية التي يرتد عنها أبناء الطبقة العاملة. فهم كا يقول: "يشاهدون براحهم التلفزيونية
المسلمون قادمون!: الإسلاموفوبيا والتطور والسببية على الإرهاب

المفضلة، ويأكلون حروب إدراكهم المفضلة، ويرتدون أحذثهم المفضلة. وليس في حياتهم غير هذا، أعتقد أنهم مرق، لذا لم أكن واحداً منهم قط. ترك جيبي يغمر في سن مبكرة هرباً من سوء معاملة أسرته. وتجول لفترة مع فروة "غريغوتول ديد"، إذ جذبه إلالهم رفضهم قيم المادية. وفي عام 2002 كان في خضم حرب مع إدمان المخدرات. في فيربيريا، وجهت إليه هيئة سرقة بسيطة وحيازة كوكايين بغرف التحليل.

بعدها سنوات قليلة اعتنق الإسلام، وتخرج من الجامعة وحصل على درجة البكالوريوس من جامعة كولومبيا. وهو يصف أول مرة قرأ فيها القرآن بأنها "مثقلة غامرة". وكان اعتقائه الإسلام بعدها منحه إحساسًا بالانضباط ووضوح الهدف غير اسمه إلى يونس عبد الله محمد، وشغف وظيفة مرشد نفسي لحالات الاعتداء البدني في نيويورك. كما سعيد في فهم تاريخ الشرق الأوسط وسياساته واقتصاداته، وعاش فترة في المملكة العربية السعودية، لكنه حزن عندما وجد المادية نفسها التي أبعدته عن مجتمع الولايات المتحدة. حتى صار يعتقد أن "ثوب العولمة الضيق" فرض الهدف التجاري المستبد في أمريكا على العالم كله. لا يبدو أن أخذًا يبدأ بهذا. لكنه كذلك بدأ يعتقد أن الإسلام، هذا الدين الذي أتى من إدمان المخدرات، يستطيع إزالة بصدق أن ينقذ المجتمعات الإسلامية من الвязة الغريبة. إذ يقول: "بحكم الدين، ينبغي أن نتحكم في مواردنا، وأن نتحكم في مجتمعنا، وينبغي أن نحكم عن طريق منظومة أساسية يحكمها مبدأ ونهما الله إياه.

والإسلام في رأيه يفرض التحرر من العولمة التي تقويها الولايات المتحدة. كان عبد الله محمد يعتقد أن حكومة الولايات المتحدة على دراية بأن بقاء نظامها الاقتصادي يتوقف على ما أي تطبيق للمبادئ الإسلامية. حتى خلص إلى أن أمريكا أعلنت الحرب على الإسلام دفاعاً عن إمبراطوريتها ثم سميتها حربًا على الإرهاب. وهو يقول: "إن الناس على أطراف الإمبراطورية يُتهمون، وفي قلبي يربحون. وطالما استطاعوا أن يعودوا بغنائم الحرب، وأبقوا على سعر النفط منخفضًا
وعلى الاستهلاك مرتفعًا، لن يتكلم منهم إلا القليل. يرى عبد الله محمد أن غضبه حين كان مراهقًا من مذهب اللثة الأمريكي يحوّل إلى كفاح للحيلولة دون تدمير الإسلام في حرب تصنعها الرأسالية بقيادة الولايات المتحدة.

إن دينهم دين المال، دين الاستهلاك، دين العولمة. وهو نظام شيطاني، يستغل النساء، يستغل الأسرة، يستغل كل ما هو أخلاقي وغيره. لا يسمح فيه بخلق أفعال ما شئت، ولا يسمح من يتآذى أو يتأثر.

وينبغي لـ "يريد تنفيذ أي مدنين في أمريكا" في هذا الكفاح، فقد رأى تحقيق "بعض الفائدة الاستراتيجية" من هجيات 11/9، لكنه كان صريحاً في اعتقاده بأن القوات الأمريكية في الدول ذات الأغلبية المسلمة "الذين يغيرون على الناس في أوطانهم وبوابتهم... لابد أن يبايوا."

في ديسمبر 2007، أنشأ عبد الله محمد مع راديكالي آخر اسمه يوسف خطاب منظمة اسمها "مسلم الثورة"، وكان عملها الأساس على شبكة الإنترنت من خلال موقع ومدونات وصفحة فيسبوك وقناة يوتوب. وقد انتشرت على الإنترنت فيديوهات مثل "المعرفة للتطبيق - غزوة ماهاتي" تحتوي على هجيات 11/9، وكذلك خطاب دعاة متطرفين، مثل عبد الله فيصل الذي أدين في بريطانيا عام 2003 بالتحريض على العنف ثم تم ترحيله إلى جامايكا. كما حارلت الجامعة نشر رسالتها في شوارع نيويورك. فعلى الرصف المجاور للمركز الثقافي الإسلامي في أيريست سايد في نيويورك، كان عبد الله محمد يرفع صوته بإدانة صمت المسلمين حيال اعتداءات السياسة الخارجية الأمريكية، وكان أغلب المسلمينخارجين من المسجد يتحاجلون خطبة. وبحلول عام 2009، كان موقع "مسلم الثورة" قد جذب عددًا من الشباب الأمريكيين الغاضبين، وكان تحت رقابة شديدة من الوكالات الحكومية. كان سمير خان متطرف الإنترنت البالغ 23 عامًا، الذي نشأ في لونغ أيلند على صلة
بعد عبد الله محمد في ذلك الوقت، وكان يساهم في موقع الإنترنت. وقد توجه بعدها إلى اليمن، وأنتج مواد دعائية للقاعدة في شبه الجزيرة العربية حتى قتل في ضربة أمريكية بطائرته بدون طيار في عام 2011. في يناير 2010، بدأ زكريا آدم تشيير في إدارة موقع الإنترنت بالاشتراك مع عبد الله محمد، وكان قد اعتنق الإسلام قبلها بعامين، واشتهر داخل مجتمع مترفي الإنترنت مثل سمير خان.

كان عبد الله محمد يرى أن "مسلم الثورة" لها غرض أيديولوجي مزدوج. أوهيا أن دورها مواجهة الدعاية الكاذبة التي تخرج من الإمبراطورية الأمريكية، وتقول "ننظرنا هذا كذب" وثانياً، أرادها أن تضع سياسات اقتصادية يمكن أن تتطبق إذا ما نشأت دولة إسلامية في أي مكان بالعالم.

بدأتنا نحن الناس كيف يدفع الناس بأمواجه في الاقتصاد دون الحاجة إلى الاقتراض من بنك مركزي. وكيف نحقق أجرًا كريمة للعمال، وكيف يحقق ذلك توزيعًا للثروة في المجتمع كله. نحن ندعو إلى المذهب البنية من منظور إسلامي، وفي الوقت نفسه لا نخشى أو نخلل من أن نعلن تأييدنا لم يجارب الاستعماريين في العالم كله. لا نريد أن نرى المسلمين يبدون كما أيد الأمريكيون الأصليون.

وفي بيانه الأساسي "اللازم حتي"، تصرر لم ما يمكن أن يحدث إذا قامت دولة إسلامية متباعدة في الصومال مثلاً. ستكون الدولة الجديدة معزولة وفي حاجة إلى العون. خجل عبد الله محمد أن "مسلم الثورة" ستكون "الطاقم المناسب ذا الصلاة المطلوبة [التي] ستتقدم بتوصيات سياسية جادة" كأنها بنك دولي للدولة الإسلامية الناشئة.

في أبريل 2010، نا إلى علم زكريا آدم تشيير قرب عرض حلقة جديدة من مسلسل سانت بارك على تليفزيون كوميدي سنتر، حيث ستصور شخصية النبي
محمد في زي دب أراد تشسير أن ينبه أتباع "مسلم الثورة" فوضع صورة مرسومة للمخرج الهولندي للمقتول ثور فان غيرش على الإنترنت ونتابع أن يقل لنا البرنامج تيري باركر ومتات ستون، المصري نفسه، وأضاف تفاصيل عل سكن باركر وستون في كولورادو مع إيضاحا للقراء بأن يقوموا بزيارتهما. "كانت القنوات الإخبارية التلفزيونية في يوم عمل ميداني. فقال الممثل الكوميدي بيل ماهر لمشاهدي برنامج "رجل تايم":

"برغم أن أمريكا تخب أن تعترف أنها رقم واحد، علينا أن نعرف بأننا مختلفون عن العالم النامي في شيء واحد على الأقل، وهو أن مهاويس الدين لديهم أكثر هوشا من مهاويتنا... نقلنا ليست مختلفة عن ثقافة بهد رسامي الكرتون بالموت فحسب بل إنه تفوقها."

دخلت عبارا "مسلم الثورة" قائمة المائة مائة عبارة الأكثر طلبًا للبحث في جوجل، ثم أسقط قراره الآتي: "الموقع المتواجد في عببة عبارة متواجدة من صحفين يستعرضون عن موقف المذكورة، فقرر أن يعد "بيانًا توضيحًا" مع تشسير، لكن العيان لم يulado شيئا. فقد بدأ يقول إن "مسلم الثورة" ليست ضد إجراء حوار عاقل قبل الإدعاء (زورًا) أن علامة المسلمين جميعهم على تأيد حكم الإعدام على من يخرون من محمد. وعليه، يظل موقفنا ترجيح أن صناعة "سوات بارك" سيلقون مصر ثور فان غيرش، وهذه حقيقة. مع ذلك ادعى "أننا لا نحاول التحريض على العنف مباشرة. "وفي النهاية اقتبس تعليقات أتسمة بن لادن عن الرسوم السمية للرسول التي نشرها صحيفة يولاندز بوستين الدانمركية. "إن لم تراجعوا حريكم في استخدام الكلمات، فأعدوا صوركم مع ذلك."

بعدها بثلاثة أشهر، ألقى القبض على تشسير وهو يحاول السفر إلى الصومال، وأتهم بالسعي إلى الانضمام إلى جماعة الشباب، ثم حكم عليه بالسجن 25 عامًا. و
في سجن فيدرالي. "وفي الفترة نفسها تقيّيًا، ترك عبد الله محمد عمله، وغادر الولايات المتحدة متجهًا إلى المغرب. وحين كان في المغرب استطاعت أن أجري معه مقابلة هادئة. قال لي إنه "ارتكب بعض الأخطاء" في موقع "مسلم الثورة". فقد كان يعمل معي بعض الأعيان، والإنسان يتعلم بالتجربة. لكن مشروعه الجديد (موقع إسلام بوليسي دوت كوم)، سيكون، كما قال، مهنيًا أكثر بإيجاد حلول سياسية لدولة إسلامية مستقبلية. مع ذلك، كما يصرح: "ليس لدي شك في أن الحال سيتهي إلى السجن يومًا ما"."(4) وظل موقعه الجديد لفترة ينشر مناقشات لطرح إنشاء منظمة مالية لا تعتمد على الفائدة، لتنظم موافقة للشريعة. ولكن عندما قُتل أسامة بن لادن في باكستان في مايو 2011، نشر عبد الله محمد نجيبًا له يعبر عن الإعجاب به، ودعوا إلى إنشاء "جيش أسامة"."(5) وفي نهاية ذلك الشهر، قبض عليه في المغرب، ثم تم ترحيله إلى الولايات المتحدة، وأهم بالتآمر والتحريض على تقل مواطنه، وذلك في المقام الأول لاشتراكه في كتابة البيان التوضيحي "لساوث بارك" مع تشير. وفي الولايات المتحدة، أدى حبًا انتقادًا لشخصية حتى وافق على تقديم التحريض عليه الحكومة، حتى يتجنب غيّب المحاكمة. وحكم عليه بالسجن أحد عشر عامًا ونصف العام.

يُجسد عبد الله محمد خطر عملية التحول إلى الطرف الذي يخشى بشدة كثيرون في جهاز الأمن القومي الأمريكي. فهو أمريكي أيضًا يرفض المجتمع الذي نشأ فيه، ويصر على المعجوبين بأكبر من يخشى من أعدائه، أسامة بن لادن. من السهل أن تقدم نظريات نفسية تفسر رحلته إلى الطرف. هل أنتج تزويده المهيد في نفسه شخصًا أسقطه فيها بعد عزل المجتمع الأمريكي بأمره؟ هل كان السبب الوحيد للهروب من إدمان المخدرات وبناء حياته على أسس أخلاقية متسخة بكونه ذهنية ثانوية النور والظلم، التي تستجيب بسهولة إلى الإياب المتطرف بالصراع العنيف بين قوى الخير والشر؟ هل تسببت خبرات طفولته في عجزه عن التكيف مع
الواقع، وخلق شوق جارف لمدينة فاضلة تنتهي فيها مكابدات حياته؟ ربما تقدم هذه النظريات تفسيرات جزئية. لكن الاكتفاء بالتفسير النفسي يقصر عن تناول أسلة أكبر تتعلق برحلته الأيديولوجية، ولما إذا اتخذ الشكل الذي اتخذته. وتم تناول هذا السؤل في نظريات التحول إلى التطرف التي تسعى إلى تفسير العلاقة بين الأيديولوجية والعنف. والفصل التالي يتناول هذه النظريات تفصيلًا. والواقع أن أديبات التحول إلى التطرف عاجزة عن تقديم الدليل العلمي الملائم على وجود علاقة سبيبة بين اعتناق أيديولوجية واستخدام العنف. لكن الأسس المتطرفة للمنهجين الثقافي والاصلاحي يعتبران رؤية آلية عن تأثير الأيديولوجيات.

فالأخكار المتطرفة - سواء كانت في النصوص الإسلامية التأسيسية، أو في الخطاب الإسلامي، يعد في نفسها السبب الأصيل للعنف. فالاستعارات المستخدمة لوصف أثر الأيديولوجية المتطرفة توضح هذا، فال seriologicia “سر توصيل” يدفع معتقبيها إلى العمل العنف و”قمع” ينزلقون منه إلى الإرهاب، أو هي ”فيروس” يصيب من يقتربون منه.

لم يشارك عبد الله محمد نفسه مباشرة في العنف، بل نشر مادة على الإنترنت يمكن تفسيرها كتهديد باستخدام العنف ضد مواطنيه. أثارت هذه القضية مسألة وصول بيان عبد الله محمد على الإنترنت بشأن مؤسسي ”ساقية بارك” إلى مستوى التحديد الذي يقتضي إسقاط حقهم في حرية التعبير. وتلك قضية تحتاج ردًا شاملاً.

من ناحية أخرى، ليس من العسير إيجاد مواقع إنترنت أمريكية أخرى تنتقد عفّاً دموياً دون أن تواجه خطراً جانبيًا. ومثال ذلك ”جيش العرب“، وهي جماعة مسيحية تناهض الإجهاض مقرها في جنوبية، وهي تنتقد صراحة قتل من يقومون بالإجهاض، وتعده ”قتلة مربررًا“، لكن عرض النتيجة تضم قولاً مختلفًا في هذه المسألة القانونية: فالأخكار هنا لا يتحقق بفرد يوجه هدفًا إلى شخص يعتبر أنه أهان دينه، بل هي محاولة لمنع التمييز عن حقيقة في الأيديولوجية الإسلامية، فمنظومة حكم المدعي العام الفيدرالي نيل إتش. مكيرايد يتمركز حول النقطة التالية:
إن دور المسلمين في الولايات المتحدة والعلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي ووجود صراع بين الإسلام والإرهاب، كلها قضايا ذات أهمية عامة كبيرة. لكن من يرى أن يتناولها علانية لابد أن يقدر خطرة استهداف القتل من جانب أمثال مورتون بسبب كتابة أو قول شيء يؤذى على أنه إهانة. فإن ترك الأمر بلا رقابة، فإن هذه الخطرة ستتعزز عملية اتخاذ القرار العام بسبب تعليم الخطاب العام بشأن بعض أهم قضايا عصرنا.

طبقاً لهذا الرأي، تمثل أعمال عبد الله محمد خطوة امتتاع الأمريكيين عن الحديث عن إمكانية وجود صراع بين الإسلام والعهن. والرجل لم يكن يهدد باستخدام العنف ضد من يعتبر أنهم أهؤلاء الإسلام وحسب، بل كان يسعى إلى إرهاب من يريدون فضح طبيعة الإسلام الخفية. تلك جريمة الخروقية، وهي حقيقة الحكم القاسي عليه، وسبب النظر إلى نشاطه على الإنترنت على نحو مختلف تماماً من المنظمات الإرهابية غير الإسلامية التي تدعو إلى العنف عبر الإنترنت، دون أن تواجه الملاحقة القضائية.

من المؤكد أن مكيراي كان على دراية بأن حكاية “ساوث بارك” لم تكن بحال محاولة لاستكشاف قضايا الفقه الإسلامي والعنف السياسي. وليس من دليل آخر بيد أن عبد الله محمد دافعًا أكبر لإخفاء الطبيعة الخفية المزروعة للإسلام. يبد أن مكيراي كان يتعقب حربًا نوعية حسب النموذج التفسيري للإرهاب الذي يجعل الأيديولوجية والعهن جنائي عملاً متداخلاً. من هذا المنظور تعد الأيديولوجية الإسلامية القوة التي حولت عبد الله محمد إلى التطرف، ودفعته إلى توجه تهديدات باستخدام العنف، وكان الغرض المحدد من تلك التهديدات من مناقشة هذه القوة التي تحدث التحول إلى التطرف، وبعد تقديم القضية، وكأنها تتضمن موضوعات الإسلام الأساسية، فقد ترتيب على ذلك أن المحاكمة جزء من الصراع الدائر بين الحضارات. وأضاف:
يسعى الأعداء الألداء بكل السبل إلى تدمير الغرب وتبديد ثروتaccountId في حرية الفكر وحرية التعبير وحرية الدين. فإذا نجحوا، استنجدون... وإن التخاذل عن معاقبة مورتون عقوبة تناسب جرائمه الفعلية مسيكون - كما يقول مارك ستين - بمثابة الانزلاق خطوة أخرى إلى العبودية النفسية التي صنعتنا بأيدينا.

إن مارك ستين من المحافظين الجدد، وكان قد كتب يقول أن أوروبا غر حاليًا بعملية "إعادة استعمار" إسلامي بسبب انخفاض نسبة الموارد إليها. وتبين الإشارة إليه أنه يتسدر إلى أسطورة اندلاع الغرب الذي يقول بها اليمين المتطرف. لكن المشكلة الأكبر التي يتعرض عليها نموذج تفسيري يرى أن العنف السياسي متجه تلقائي لأيديولوجية غريبة عن المجتمع، هي العجز عن فهم الدور الذي تقوم به الدول الغربية نفسها في خلق الصراع العالمي بين الغرب والإسلام المتطرف. إن السبيل الوحيد لتفسيس سلوك أي طرف في الصراع هو تحليل تفاعله مع الطرف الآخر، وكيف يفسر كل طرف أفعال الآخر. فعبد الله محمد، يقول لا تفكر الرواية الرسمية التي تقول إن الإسلام المتطرف خطر وجودي على مجتمع أمريكي صار يحتره، ثم تصرف على هذا الأساس. فلم يكن الرجل في حالة إسلامية إسلامية تدفعه إلى فكر متعلق بي من خلال أن الغرب في حالة حرب مع الإسلام، فقد كانت سياسات الهوية ذات الطبيعة العسكرية التي تسمى بها الحرب على الإرهاب كافية في ذاتها. كان تعريفه للإسلام يوصفه رفضًا عنيفًا للقيم الغربية مستمدًا في الواقع من أصحاب المذهب الثقافي الذين استشهد بكلامهم أثناء محاكمته. كل ما فعله هو أنه نزع لافتتي "الخير" و"الشر" التي وضعتها الحرب الرسمية على الإرهاب، وبدل مكانها. لم يكن لدى سياسات المجتمعات الليبرالية بعد الحرب الباردة التكنقراطية ما يشبه من بدائل أيديولوجية تقدمة لعلاج مظلم العالم، ولا شيء تقدمه إلى عبد الله محمد، أما الصورة المطرقة للإسلام فقدم له معارضة تامة للرأسمالية العالمية ومجتمعًا به مؤمنون مغامرون ملتزمون التزامًا كاملاً.
معاداة الشمولية

نشأ النموذج التفسيري للحرب على الإرهاب الذي يجعل الأيديولوجية أصل العنف السياسي عن نظرية الحرب الباردة في الشمولية، التي تفترض ارتباطًا مباشرًا مماثلًا بين الأيديولوجية ومارسات السيطرة السياسية القمعية. ولكي نفهم أنظمة التفكير الضرورية لتحليلات التطرف والتحول إلى الغло المتعلقة بالحرب على الإرهاب، من المفيد أن نبدأ بتضarse معاداة الشمولية في الحرب الباردة.

يشابه منظور الشمولية الليبراليون مع خلقي التطرف الليبراليين من أنهم صوروا التهديدات السياسية بأنها اقتصادات أيديولوجية خارجية لفضاء ثقافي غربي حيد الجوهر، وينوي هذا التصور على عجز عن إدراك موقعهم كمشاركون في الصراعات السياسية العنيفة.

في أثناء الحروب الباردة، كان العنف الأيديولوجي يعني التطلع إلى السيطرة على كل نواحي الحياة حتى أفكار المواطنين - وهذا منهج شمالي في الحكم تشتريرشية في مع الفاشية. ففي الحايل تعدد أصول قهر الدولة السياسي ناشئة عن تفكير أيديولوجي غير مفيد يتناقض مع المجتمعات الغربية التي تطبع فيها الليبرالية جون لوك، والتي أثرت أشكالًا من الحكم تتجاوز الأيديولوجية مما يحتم الحريات الأساسية. أما التصور الأمريكي للرأسمالية الديمقراطية الليبرالية فيضع نفسه بين قطبي اليمين واليسار، اللذين يشتركان في الالتزام الأيديولوجي بحكم شمولي. فإن شعار التفكيك القطيع كأن الأصل هجومًا من جانب الطبقة الوسطى على الفساد الأخلاقي لكل من الطبقيتين العليا والدنيا في مرحلة ما قبل الثورة الفرنسية، صار هذا الشعار صيغة ميزة خطاب الحرب الباردة. لم يلزم الطيف السياسي خطًا واحدًا بل كان لوفي الحركة، ومن مفاهيم ذلك أن الشعبية كانت أقرب إلى النازية من الليبرالية. كتب آرثر شلينجنر في كتابه الوسط الحيوي يقول إن...
نزاها الفرد [تكون في] تفرد تجربته وإيابه الجوهر بالليبرالية المعاصرة [و]
مستمر في التعرض للهجوم من أقصى اليمين وأقصى اليسار ... فإن اليسار الشمولي
واليمين الشمولي يلقان أخبارًا على أرض الطنان والزعب الضبابية. (1)

وعلى هذا الأساس يمكن إعادة توجيه الاتهامات التي أطلقت في الحرب العالمية
الثانية إلى النازية إلى معركة الحرب الباردة ضد الشيوعية، بعد إعادة تعريف الاتخاذ
الصوفي يعدًا رهيبًا مثل ألمانيا النازية.

نجح صيغة معاداة الشمولية في تغيير اختلافات حقيقية بين أنظمة تنتج
حريات اجتماعية وسياسية بدرجات متقدمة. لكن الخطوط المستقيمة التي حاولت
رسمها بين الأيديولوجية ومارسات السيطرة السياسية كانت مرتبة ومناسبة لدرجة
غير طبيعية. فقد كان من الخطأ تصور أن أكثر المجتمعات تساهمًا سياسياً خالية من
الدوافع الأيديولوجية. وربما لا يوجد ما هو أكثر اصطناعًا بالأيديولوجية من ادعاء
تجاوز الأيديولوجية. وكما كتب المفكر تيري إيجنلوبون: لم يكن استخدام الحرب الباردة
مفهوم الأيديولوجية متسقًا مع ذاته، فقد كان يعني شيئين: طريقة وجدانية بلاغية
مغالية شبه دينية لرؤية العالم، وكذلك منظومة مفاهيمية عقلية باردة تسعى إلى إعادة
بناء المجتمع من الأساس طبقًا لمخطط غير دموي. (14) والمؤكد أن الشعارات الغربية
عن التسامح السياسي أسهمت هالة من البراءة على الدول الليبرالية مما حمى ممارساتها
الأيديولوجية من الفحص والراجع باستعمال هزيمة شر الشمولية sofisticated الأكبر.
ويها. ونهاك من الأدلة ما يكنى للقول إن الذي ساق المجتمع للوقوع تحت سيطرة أنظمة
الفهر السياسي الشامل لم تكون أفكار الحزب الحاكم، بل الظروف المادية السائدة
فيها. أم لم يكن الشمولية في أوروبا غير متصلة عن أشكال جديدة من الحرب
الشاملة اندلعت في القارة أثناء القرن العشرين. (15)
كانت أكثر المحاولات دقة وتفصيلًا في وضع تحليل ليبرياني شمولية الحرب الباردة، ما قدمته الفيلسوفة حنا أرنت في كتابها المكون من ثلاثة أجزاء أصول الشمولية. تحتوي أجزاء الكتاب قولين متعارضين. كتب الجزء الأول والثاني بين عامي 1943 و1946، وجاء فيها أن "ظروف قيام دولة نازية "شاملة" مشوهة الكولونيالية (الاستعمار) الأوروبية ومعاداة السامية، وعنصرية حكم إقطاع ملاك الأراضي الزراعية في جنوب الولايات المتحدة. أما الجزء الثالث فكتب في السنوات قبل إصدار السلسلة كاملاً في عام 1951، وكانت الحرب الباردة قد بدأت نوحاً، وحوتلت أرنت اهتمامها من النازية إلى الاتحاد السوفيتي. عند هذه النقطة، غير التحليل مساره. يقول المنظور السياسي كوري روب أن بحلول عام 1949 "امتدت العنصرية بالمدارس والأوساط (بالكولوغ) وتحولت الفاشية إلى شيوعية" في كتابات أرنت. فقد اعتبارت الشمولية شكلاً جديداً تماماً من الحكم الإرهابي مبديئ الحاكم، ويسعى إلى إعادة صياغة الواقع طبقاً لمنظور أيديولوجي حاكم، وهدفها تسريع إيقاع قوانين التاريخ الطبيعي، حتى صار البشر مواد خامًا للقوى التي كشفت عنها الأيديولوجية. تمكنت الدولة الشاملة من الظهور بفضل "مجتمع الجاهيزي الحديث الذي تآثر فيه القضاء الذي يسمح بحياة عامة لها فكر ومعنى، مما جعل الفرد ضعيفًا إلى درجة يجعله بلا حول أمام فيضان القضايا الأيديولوجية الكاسح الذي جعله طوع الحزب. تمكنت هذه القضايا من السلاسة في ألمانيا النازية وروسيا السوفيتية، لكنها كانت تهدأً يجتمع على المجتمعات المدنية جيّعًا. وضع الجزء الثالث الحكم الشمولي في سياق تاريخ أوروبا العنصرية والاستعمار، لكن الجزء الثالث أشار إلى ارتباط "بالاستبداد الشرقي" الذي كان يعتمد دائماً، حسب قول أرنت، على "شعور الإنسان الجاهز المعتاد، بعدم الاهمية" وهو إحساس مستقر (5) معسكرات الاعتقال النازية. (6) معسكرات العمل الفهري السوفيتية.
في الهند والصين، ولم يظهر في أوروبا الحديثة إلا مع تنقل العصر الصناعي وإنهيار التراثية الاجتماعية وظهور الجماهير المكونة من أفراد يعاني كل منهم الوحدة. (12) هذه الطريقة، تم إعداد معسكرات الاعتقال على مستوى آم، من تاريخ الغرب، واعتبارها نتيجة لفساد السياسات الأوروبية عن طريق صيغة غريبة عنه - وهذا يتم التخفيف من الفكرة الرهيبة أن المحرقة لم تكن بسبب انبثاق الحادثة الغربية، بل بسبب جرها إلى منطقها الداخلي. (13) وكان نموذجاً لعملية الإفادة الخارجي هذه رواية جوزيف كونراد قلب الظلام. فالستعمر الأوروبيين الذين واجهوا "نورجسب"، سكان المستعمرات الأصليين، تحولوا إلى "متوحشين"، مقدمين بذلك ساكونة لقيادة "الدهم" الأوروبيين الشماليين في المستقبل. (14) ولهذا، فإن أصول وحضيتنا "نحن" تكمن في ثقافتهم. فالحضارة الغربية يمكن أن تفسدها بربرية الآخرين، لكنها لا تمثل أصل أي شكل من البربرية خاص بها. ساكنة تجربة الحرب العالمية الثانية أرنت إلى كتابة واحد من أعظم تحولات العنصرية في القرن العشرين، وأخذتها تجربة الحب الباردة في الاتجاه المعاكس.

كانت أرنت على وعي كبير بالمسائل التي تؤدي بالديمقراطيات إلى اكتساب بعض خصائص شمولية منتصف القرن العشرين. وظل تحليلاتها للتوسع الاستعماري الأوروبي دليلاً عمليًا قويًا على أن العنف الجماهيري الاستعماري ينحى إلى الارتداد إلى المركز. لكن الجزء الثالث من كتابها أصول الشمولية الأوعس قراءة يقدم لمصريها - ولكن من مروجي الحب على الإرهاب سبيلًا لتفادي هذه القضايا بالعودة إلى الصياغة الأيسر التي تقول: إن العنف السياسي كان داعيًا النتاج الطبيعي لأيديولوجيات خارجية غريبة. ففي مقال نشر عام 2004 في نيويورك ريفيو أوف بوكس قدمت سامانتا باور، التي صارت فيما بعد مساعدًا خاصًا للرئيس أوباما وعضوًا في مجلس الأمن القومي كتاب أصول الشمولية يوصفه بسيء نموذجاً لفسير "الإسلام العنف". وإن حكمة [أرنت] التي تقدمها
لا الأزمة المظلمة التي نعيشها تظهر في إدركي أن "المرء لم يستطع احتراق حجاب الغموض الذي يكتف القاعدة وحاس أو الجهاد الإسلامي، يُبدى بعض الخصائص التي ربطتها أرن فبالحركات الشمالية "، وبالطبع، تم تجاو جل الدروس التي يوجهها عرض أرن للاستعمار (الأمازيغية) في الجزء الثاني. تشير باور عرضًا إلى مقولة أرن ف إن إمبراطوريات أعقاب البحار تولد العنصرية في الوطن، لكن باور لا تطبق هذا على أمريكا اليوم. (20)

كان الاتجاه العام بين منظور الشمالية للحرب الباردة هو تجاو جل الظروف المادية وخصوصية السياسات السياسية، والميل إلى استخلاص وجود القيم السياسي الشامل نتيجة "حُطِّيَّة أيديولوجية أولى " (21) ففي سفر كارل بوب بجزأه المجتمع المفتوح وأعداؤه الذي كتب أثناء الحرب العالمية الثانية، نادرًا ثانويًا من نصوص معايدة الشمالية في الحرب الباردة، طبقًا للتحجج على نطاق واسع فالشمالية أصلها خطًا ذكي ضعيف، وهو الاعتبار بأن شعبًا مختارًا يرث السلطة طبقًا لعملية حمائية تحكمها قوانين التاريخ، البروليتاريا (طبقة العمال) في الماركسية هم الشعب المختار المقدر لم أن برثوا الأرض، وفي الفاشية يؤدي العرق الدور نفسه. "بين النظريات توقعاتها للمستقبل على تأويل للتاريخ يعود إلى اكتشاف قانون يحكم تطوره. " (22) المهم هو النموذج الأساسي الذي يتألق تقريباً في كلا الحالتين، ويؤدي دائماً إلى العنف وعدم التسامح إذا سمح له بالتأثير على المجتمع. يتبث هذا الخط الفكري من أفلاتون، ويستند شكله الحديث من هيغل الذي ينبغي ألا يأخذ على حمل الجد، "اذ "ساعدهي في إنهج حربين عالميين حتى الآن. " (23) يعني ذلك أن المثالية الألمانية أخذت منحنى خاطئًا بعد كائنات وكل الفلسفات الأوروبية المستمرة منها موضوع شك. يحتاج أي مجتمع مفتوح إلى أن يجمعي نفسه من خطر الأيديولوجيات "التاريخية" التي ترى أن التاريخ يتع قوانين ثابتة لا تغير. ومن المفارقات أنه يحتاج إلى إعلان إيدا بالإبداع والتسامح مع الرؤى الكونية.
المختلفة، وفي الوقت نفسه يمنع أي رؤية تاريخية من السيطرة على المجتمع. يلجأ بور إلى استعارة غربية محتملة للفقرة فيقول إنه ينبغي أن ندع "الضوء الكاشف" للتأويل التاريخي المتعدد "يعيد بإيضاح" و"يزن الحاضر بانعكاس"، لكن التاريخية، وهي أيديولوجية "من نوع غريب"، يمكن مقارنتها بضوء كاشف نوجهه إلى أنفسنا مما يجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن نرى شيئًا ما يحيط بنا.

ويقول في حاشية بكتير الاستشهاد بها: "ومن ثم علينا باستعمال التسامح أن نتمسك بالحق في عدم التسامح مع عديمي التسامح. وأن نعلن أن أي حركة تدعو إلى عدم التسامح تضع نفسها خارج القانون." لا شك أن بور كان يضع في ذهن إخفاق جمهورية فايبار بين الحربين في معن صعود النازية، ولم يكن يريد للمجتمعات الليبرالية أن تكون خطأ التسامح مع الأعداء الأيديولوجيين. لكنه تجاهل أن المسالك التي استولت بها الفاشية على السلطة في أوروبا كانت مدفوعة بالرغبة في معارضة قوية للشيوعية. اكتسبت الفاشية الاحترام من كونها تواجه تأثير البلشفية في رأي كثير من الليبراليين في النخب الإيطالية والألمانية.

كانت استثناءات القانون في قلب نموذج بور فيكفه عن الاكتشاف العلمي. فإذا وجد استثناء إمبريكي من قانون يزعم عموميته، فهذا يكشف لواسع الفساد. فإمكانية إثبات الفساد هي ما يميز العلم الحقيقي عن المبتフリー. أما استثناءات القانون في كتاباته السياسية، أي عندما تتعلق قوانين التعددية باسم مقاومة عدو أيديولوجي، فلم ينص على ها هو سوى حاشية لا تجعلها نقطة انطلاق لعرض نظرية تفصيلي. وكثير من منظور الحرب الباردة، يعتقد بور أن المجتمعات الليبرالية ينبغي أن تحدد مثلى تجاهل قواعد التسامح التي وضعها حتى يتمكن من الدفاع عن نفسها ضد عدم تسامح الأيديولوجيات الشمولية. لكن احتفال دوم هذه اللحظة الطارئة وتحولها إلى نموذج حكم طبيعي - وهو ما سيفوض الفيلسوف الإيطالي.
جورجيو أغامسين "دولة الاستثناء" - فلم يتم استكشافها. كان احتفال تبني معاداة الشمولية لأشكال غير متوقعة من الحكم الشمولي غريزًا على فكر بوير. مثلت حاشية بوير عن التسامح بابًا خليجيًا يتسلل منه القمع السياسي خفية إلى أي مجتمع مفتوح، إذ يجسدونها عندما يريد ليبراليو الحرب الباردة والحرب على الإرهاب تبريرًا لانحاءهم إجراءات غير ليبرالية.

أخفف ليبرالية الحرب الباردة حقيقةً وهي أن أرحب فرص السياسات التحريمية نشأت في فضاءات خارج النقاط المرجعية لحربها - متمثلة في الحركات التي كانت تسعي إلى تخجيز موسكو - واشنطن، وليس اتخاذ مواقع متوافقة معه، وقد تكررت طرق إخفاء هذه الحقيقة في الحرب على الإرهاب. وطوال الحرب الباردة وجدت الحركات السياسية المتطرفة نفسها على الجانب الخاطئ من التسامح الليبرالي الممدوح في يخص معاداة الشمولية. فالقوائم المكانيّة السوداء مشهورة، لكن معاداة الشيوعية في بداية الحرب الباردة كان له الأثر المدمر على حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة، إذ مارست ضغطًا كبيرًا على قادتها لليسمى فضلاً عن الفصل العنصري وحقوق التصويت من السياق الأكبر، وهو النكسة من أجل المساواة الاجتماعية في الولايات المتحدة والحرب على الاستعمار في العالم كله. فمن تأخرنا عن التكيف مع هذا الوضع تم هدمهم. في عام 1948، تم فصل ديليو. إي. ي. ديبوا من الاتحاد القومي لدعم اللولون، عندما اصطدم الأكسيس الذي قدمه إلى الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان للأمريكيين الأفارقة بدعوات المعايدة للأحذاد السوفيتي من جانب حكومة الولايات المتحدة (وكان على هذه الخطوة أن تنتظر حتى بداية السبعينيات عندما دعا مالكوم إكس إلى المنهج نفسه). هذه العدسة المعايدة للشيوعية شنت الحركات القومية في العالم الثالث إذ جعلتها تبدو جنودًا شمليين فوق رفعة شيطان الحرب الباردة، وليست حركات نضالية من أجل تحرير المصير الوطني. سار كل إجراء للتسامح الليبرالي في الوطن خطوة بخطوة.
مع تمعن وحشي لتحركات الاستقلال الوطني في العالم الثالث، سواء على شكل انقلابات عسكرية أو دموية من تنظيم السي أي إيه، ومنها إيران (1953) والعراق (1963) وインドونيسيا (1965) أو على شكل عنف عسكري كامل كما حدث في فيتنام. تسبب خطاب معاداة الشمولية في إخافة العلاقات بين الإمبراطوريات الداخلية لأمريكا الليبرالية، وأتخذها سياسة خارجية غير ليبرالية استخدمتها إرهاب الدولة لتؤمن الشرعية الدولية التي تغذي الرأسمالية والتي تزعمها الولايات المتحدة.

tلقت الحكومات التي اندتت إلى حرب الشيوعية التي تزعمها الولايات المتحدة الدعم بغض النظر عن أن ممارستها في الحكم تشبيه شمولية موسكو، ومن هذه الحكومات النظام العسكري في كوريا الجنوبية والجزر البينوشي في شيلي أو حكومتنا أسبانيا والبرتغال الفاشية. ولم ينطبق تصنيف "شيوعي" على هذه الحالات - بل كانت حكومات "سلطوية" فقط، ومن ثم لا تعود من الأعداء في الحرب الباردة. وفي نهاية الستينيات ظهرت حركة عالمية قوية تجاوزت الحزب الشيوعي كنموذج خثار في التنظيم، فقامت الحكومة بدعم من حلف الناتو باستخدام صلاحيات إجراءات مكافحة الإرهاب الطارئة لتقويض اليسار. وفي الوقت نفسه، رعت الأجهزة الأمنية البلدية التابعة لها حتى تزعم الديمقراطية. فقدت نفسها كوسيلة محاذية بين الطرفين المتعارضين، اليمين واليسار. واستطاعت بذلك أن تخفي عملها على القمع العنف لراديكالية الطبقة العاملة، باسم "الدفاع المقدس ضد الوحش الإرهابي" تستطيع الدولة أن تتزعزع من كل رعاياها قطعة أخرى من هامش حريتهم الضئيل، ويعزز هذا من السيطرة الشرطية على كامل الشعب، هكذا كتب اليساري الراديكالي جيلر بريكو سانجنيتني. باستخدام "ستراتيجية التوتر" هذه تمس كل القضايا السياسية أمام "الرسالة القديمة" وهي تأمين النظام العام من المتطرفين الشيوعيين. (28)
الأيديولوجية والعنف

تجاوز منظور الشمولية في الحرب الباردة خصوصًا السياق السياسي وافترضوا أن العنف نتاج مباشر لأيديولوجية منفصلة، ومثلهم فعل أصحاب المذهب الثقافي والملحق الإصلاحي في الحرب على الإرهاب، وتجاوزوا الحقائق وهي أن الإرهاب نمط من أنماط الفعل السياسي. فإن اختيار حق Reaper ما الانتقال إلى استخدام أحد أشكال العنف أو رفضها له لا يمكن اختزاله في محتواها الأيديولوجي. بل يلزم دراسة تقديم الحكومات نفسها كأطراف متحاربة في صراع كوكبي بين الغرب والإسلام المتطرف. ومن ركائز هذا التحليل معرفة الظروف التي اختار كل طرف في ظلها استخدام تكتيكات العنف والظروف السياسية التي دفعت إلى هذه الاستجابة، مع الاهتمام الخاص بالعلاقة بين اللاعبي الحركيين وغير الحكوميين؛ لأن هذه العلاقة هي المسئولة عن إنتاج سياق يكون العنف فيه تكتيكيًا نافعًا. 

يفرض علينا هذا الجانب الارتباطي استقصاء السبب التي أدت بالدول الغربية إلى التطرف - يقدر الحركات الإسلامية نفسها - فكلها ما شارك أكثر استعدادًا لإستخدام العنف في نطاق أكبر من السياقات. ولن يمكننا تفسير ارتفاع عدد أحداث العنف الإرهابي في بريطانيا مثلًا بعد بداية الحرب على العراق، إلا التحليل التفاعلات بين أطراف الصراع وتأويل كل طرف لأفعال الآخر. وبالمثل، بينا يسهل على جيش المحروجين التابع لإسرائيل أن يدفع أن حاس ترتبط بالعنف ارتباطًا وثيقًا، بسبب أيديولوجيتها الإسلامية، وعلى يلزم مواجهة ذلك بالعنف وليس بال الحوار، فالحقيقة أن عنف "حاس" السياسي لا يمكن تفسيره إلا في سياق الاحتلال العسكري الإسرائيلي الذي استمر عقودًا، وأنه بذلك استجابة خاطئة له. تستخدم حاس مقولات دينية لصيغ قرارات وقف إطلاق النار بالشرعية وتستخدمها كذلك في شريعة استخدامها للعنف، ويشير ذلك إلى أن الأيديولوجية الدينية لا تقدم تفسيرًا مناسبًا لسلوكها. 

المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتفريط والخوف الداخلية على الإرهاب.
ترتكب مسألة الأيديولوجية بقضية علاقة أصحاب المذهب الثقافي والإصلاحيين بالنصوص التي يظلون أنها مصدر العنف الأيديولوجي. يرى التفتيقون أن المشكلة في النصوص الإسلامية التأسيسية، أي القرآن والسنة. إذ يجمع التفتيقون قوائم من آيات وأحاديث يقولون إنها توصية إسلامية باستخدام الإرهاب. وبالطبع من السهل إيجاد عدة مثال من الاستشهادات التي تناقض ما يبدو لأول وهلة تغريضًا على العنف أو وضعه في سياقه. ولكن مشروعية استخدام العنف إسلاميًا في سياق عينيه أمر لا يمكن استخلاصه مباشرة من النصوص التأسيسية. ومجلة الإسلاموفوبيا القياسية، كما عبر عنها ميلاني فيليبس بعد واقعة قتل ووليتش في عام 2013، هي أن الإرهاب "يشأ عن تأويل للإسلام يفسر كلاً من القرآن تفسيرًا حرفياً، وكأنه أمر بقتل الكفار في حرب مقدسة (جهاد) بغض من فرض المعتقدات الإسلامية على بقية العالم"(3) لكن لا يوجد معتقد إسلامي يقول "اقتلوا الكفار" كي يرد أعداء الإسلام. فالإسلام، كغيره من الديانات، يقدم إطارًا أخلاقيًا عامًا لتناول مسائل العنف. أما السؤال الحقيقي فهو عن تطبيق المسلمين هذا الإطار في مواقف معينة. وتعكس الاختلافات حول هذه المسائل تحديات مختلفة بحيث لا يمكن أن تكون سببًا للعنف في ذاتها. وليس في الإسلام سلطة مركزية مثل الفاتيكان تضع تفسيرًا رسميًا للإسلام. والتفتيقون مضطرون إلى نبذ كل قواعد التفسير العلمي حتى يصوروا أن العقيدة الإسلامية تسبب العنف، وإلى استبعاد كل عوامل السياق ويقوم بتحويل النصوص آليًا إلى أشياء جامدة. يقول عالم الأنثروبولوجيا طلال أسد إن الأديان لا يمكن اختزالها في جوهر واحد تكشف عنه نصوص تأسيسية. ولقد تفاعلت العقيدة الإسلامية طوال تاريخها مع ممارسات إ讲述了ها على نحو معقد، ولم تقدم خارطة تفصيلية شاملة لكل جانب من جوانب الحياة.(4)

لا أول وحلة، قد يبدو أن الإصلاحيين يتجبن هذه المشكلات لأنهم على الأقل يرون بأن المعتقد هو التفسيرات المتعددة للإسلام. لكن تصوراتهم لآثار العملية كثيرة ما تكون اختزالية. وفي سبيلهم إلى إثبات أن الأيديولوجية المتطرفة متفوقة عن العنف،
وجدوا أنفسهم محضرين إلى تفصيل العلاقة بين الأفكار والأفعال. وهذا يسبب ضياع مسألة اختلاف معاني النصوص الإسلامية باختلاف الفاعلين واختلاف السياقات والأغراض. يغفل هذا التبسيط حقيقة أن الأطراف المختلفة تجد معاني مختلفة في النصوص الإسلامية في سياقات مختلفة وتوظفها لأغراض مختلفة. ويمكن التدليد على ذلك باستحضار منظورات قديمة عن المعاني السياسية للإسلام. ففي أثناء الحرب الباردة، أختلف العلماء: هل يؤيد الإسلام الشيوعي أم الرأسمالية؟ اعتقد كثيرون، ومنهم برنارد لويس، أن للإسلام ارتباطا أصيلا بالشيوعية سببه أنها يشتركان في التوجه نحو الشمولية - وهذه مقدمة لقوالات مشابهة غير متقاطعة تشيع حالياً. ويقدم آخرون أداة عائلة تشير إلى التوافق بين الإسلام والرأسيالية، فالفدين في نهاية الأمر نشأ في ثقافة تجار.

أخذ البعض خطوة أبعد وتصوروا أنهم يلمحون عملية إصلاح يضطلع بها مجددون من داخل الإسلام، يدفعون الدين إلى شكل حديث، يعتمد على الإنسان الشخصي القائم على ضمير الفرد. ويرى باحثون التنمية في الولايات المتحدة المهتمون بالشرق الأوسط مثل ليونارد بيندر، أن هذا الفكر خطوة لازمة لظهور طقة وسطى مؤيدة للرأسيالية في الدول الإسلامية. ومن المفارقات أن المجد الذي اتخذ مثالاً على هذا التوجه كان سيد قطب الذي اعتبره بيندر مقدم "عصر الفردانية"، الذي يمكن أن يمثل قاعدة ليبرالية إسلامية. كان بيندر يشير إلى فكرة في كتاب قطب مسلم في الطريق، وهي أن الهوية السياسية الإسلامية تقوم على حركة الفرد الحرة في اختياره جماعة للمؤمنين على قبول الانتهاءات القبلية أو العرقية أو القومية المروعة. يرى قطب أن المجتمع الإسلامي يقوم "على رابطة العقيدة وحدها وليس على روابط أخرى أساسا الجنس واللون، أو اللغة والدولة، أو المصالح الإقليمية والقومية." يؤكد قطب على أن تحرر الفرد عن طريق ضميره من سلطة الدولة الوطنية يتيح نشأة نموذج مجتمع إسلامي متحرر، "فمرض تجمع حر من المؤمنين الصادقين" لا يحتاج إلى قوانين أرضية. يقول قطب:
إن هذا الإعلان العام لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من كل سلطان غير سلطان الله، بإعلان الوهبة لطيفة وحده وربوبته للعالمين، لم يكن إعلاناً نظرياً، بل فعلياً، سلبياً … إنها كانت إعلاناً حركياً واقعياً، إيجابياً … إعلاناً يراد له تحقيقه في صورة نظام محكم البشر بشريعة الله، ويخرجه بالفعل من العبودية إلى العبودية لله وحده بلا شريك … ومن ثم لم يكن بد من أن يتخذ شكل "الحركة" إلى جانب شكل "البيان" … ذلك لواجهة الواقع والشري، "الواقع" يصرف مجالات كل جوانبه … لكن الإسلام ليس مجرد "عقيدة" وإن الإسلام كنا إعلانا عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، فهو يهدف بدءاً إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أسس حاكمة البشر للبقرة وعبودية الإنسان للإنسان … ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحراراً - بالفعل - في اختيار العقيدة التي يريدون بها بعض إرادتهم - بعد رفع الضغط السياسي عنهم."(10)

في سياق الحرب الباردة، عندما كان التطور الاشتراكي وليس الدين الحلف الأكبر، كانت هذه المقاطع بالنسبة إلى بيندر كافية لتقديم قطاب كمتعت لآفكار التحرر الفردية الحديثة من السلطة التقليدية والذاتية الدينية في سياق ثورة فردية حديثة لا تحتاج إلى رجال الدين التقليديين. في عام 1988، وصل بيندر إلى حد القول بأن "الدالالة السياسية لعمل قطاب قد لا تتسم بالثورة العنيفة التي تبدو حالياً"، بل إن فكرته عن الحرية الفردية يمكن أن تتيح "الظروف الاجتماعية اللازمة لظهور دولة براجواية ليبرالية". (19) لكن بعد عشرين عاماً، استشهد بالمقاطع نفسها في الحرب على الإرهاب كدليل على شمولية الإسلام السياسي، وقد اعتبر تقرير التغريض عن 11/9 كتاب معالمة على الطريق مصدر فكر القاعدة. (40) ويشير هذا إلى الأثار العملية للنصوص الإسلامية في تلك السياق السياسي التي تقرأ فيه، وليس آلية حركة عنيفة أصلية في هذه النصوص نفسها. حتى قطب نفسه قال إن دعوته إلى العنف تجاه الدولة المصرية ليس مبدأً
أيديولوجيًا، بل نتاج ظروف سياسية. في الليلة السابقة على إعدامه، كتب "كنا نظن أن الاعتقال مجرد اعتقال ينتهي إلى محاكمة عادلة، وعقوبات قانونية... لم يفكر أحد في الرد بالقوة على العدوان."\(^{11}\) بسبب تأثير فكرة الارتباط المباشر بين الأيديولوجية الإرهابية، هناك خطر تكرار حيادية كتاب مثل كتاب قطع معلم على الطريق في بريطانيا. في ديسمبر 2011، أدين أحمد فاراز في برمنغهام بتهمة حيادية كتاب "مترطة" وتوزيعها، ومنها كتاب معلم على الطريق، وحكم عليه بالسجن ثلاثة أعوام. (ألغت محكمة الاستئناف الحكم بعد ستة أشهر من السجن).\(^{12}\) كانت أغلب نقاشات المحاكمة محاولة لتفسير كتاب معلم على الطريق. وفي مبادئ الحكم، وصف القاضي الكتاب بأنه "مانوي"\(^{10}\) انفصالي، ومفرط العنف، وادعى أنه يبي تفسير تعاليم القرآن ليبر رؤية متحركة للإسلام. منحت الحكومة نفسها الحق في تقرر أن كتبًا معينة شديدة الخطورة على مواطنيها، ولي تفعّل ذلك تهويل القاضي إلى عالم لاهوتو أو فقيه بالأمر الواقعي، يميز بين تفسير قطع الخاطئ للإسلام وتفسير آخر يشكي بقبول رسمي. هذه الحرب الإصلاحية على الإرهاب صارت الحكومات فيها هي من أكمل أهل الدين بالمعنى الحقيقي لديهم، وتدعم هذا سلطة جزء ما سواه. وهذا، في نهاية الأمر، يعني وضع قيد على حرية المؤمنين في استكشاف تراثهم النصي، وتفسيره بأنفسهم - ومن المفارقات أن هذا هو مهيج من يصفون بالأصوليين الذين تهدف هذه السياسات همهم. إن محاولات الحكومة أن تضع تفسيرًا رسميًا للإسلام بوصفه ديانة كبيرة مسألة، بما من الخطأ مثل ما بالحملات التي تصور الإسلام باعتباره خطرًا كبيرًا.

\(^{11}\) ساعة الثاني (Manichaeism) في عهد الإمبراطورية الساسانية. وهي توليفة من الفلكية والمسيحية والبهائية والإدرستية وعناصر أخرى متنوعة، ومن مبادئها الأساسية الصراع بين النور والظلام حيث تتم المادة الظلام والشر. (المترجم)
البحث المحموم عن مسلمين معتدلين

من الناحية العملية، فإن تصنيف المسلمين إلى متطرفين ومعتدلين غير مستقر بالمرة. ففálido بين الفريقين يتدفق باستمرار مما يضع المسلمين المعتدلين في موقع غير آمن، فتحت فحص دقيق للتأكد من أنهم بالفعل نأوا بأنفسهم عن أيديولوجية الإسلام السياسي. إن عملية تغيير صيغة معتدلة عن أخرى متطرفة لا تم تنفيذ معايير موضوعية (مثل الدعوة إلى عنف سياسي ضد مواطنين آخرين)، بل تنفيذ مجرد منهجية معقدة يحكمها الارتباط، تفحص فيها المؤشرات الثقافية والدينية والسياسية للبحث عن علامات الولاء. على سبيل المثال، يستخدم إد حسين في كتابه الإسلامي سلسلة من الصفات للتمييز بين "الإسلام الحق"، "الروhaniy"، "الوثني"، "الترازي"، وشكل مشوه من الإسلام وهو "أيديولوجية المعتدلة"، "الยวنت"، "ناشطة"، "سلفية"، "حرفية"، "معادية للغرب"، "سياسية". (11)

هاتان المجموعتان من المصطلحات لتأنثمان التصنيف الموضوع على نحو دقيق: فليس بالضرورة أن يكون الإسلام الروحاني ترابيًا، ولا الإسلام السياسي أن يكون حريقيًا، ويمكن أن يكون المرء صوفيًا ومعاديًا للغرب. فالانتقادات الثقافية والمعتقدات الدينية والولايات السياسية كلها مستقلة عن بعضها. لكن الإصلاحيين يميلون إلى افتراض أن الانتقادات الثقافية والدينية للمسلمين يمكن أن تؤثر مؤشرات على ولاءاتهم السياسية وإمكانية العنف.

في عام 2007، كتب بول بيرمان مقالًا في 28 ألف كلمة نشره في نيويوركليك، وخصصه لتحرير ما إذا كان الفيلسوف السوسيولوجي طارق رمضان معتدلًا أم متطرفاً. وكان رمضان قد مكن من دخول الولايات المتحدة لأسابيع تتعلق بالأمن القومي، لكنه كان كذلك زميل كلية سانت أندرو، أكسفورد، واستادًا بجامعة إيرازوس روتيردام، وخدم ضمن فريق حكومي بريطاني لمحاربة التطرف. وفي كتاباته يعارض الحرفي في تفسير الإسلام ويدعو إلى استخدام "العقل في معالجة النصوص".
حتى يمكن التعامل مع تحديات عصرها الجديدة، وتطور المجتمعات الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. وهو يقول إن هذه العملية ستكشف أن الإسلام يشارك المجتمعات الغربية جوهر قيمها. لكنه كذلك يعارض السياسات الخارجية الغربية، ويفضح نفسه داخل تراث الإسلام السياسي وشبكاته التنظيمية. (45) أخذ بيرمان لمسار مقاله ما سماه "خطابًا مزدوجًا" عند رمضان، حيث يرى هؤلاء قناعات الاعتدال متطرف خفي، وخلاص إلى أنه في الواقع متطرف، ليس بسبب أي شيء قطع أو فعله، لكن لأنه أخطأ في أن يتأي نفسه تماماً عن التراث الفكري الإسلامي، "ولا يتعلق من هذا إلا إسباغ الشرعية على الفكرية الإسلامية الثورية، التي أتبت بدورها، ولو بقدر ضئيل، إلى رفع مكانة الإرهاب." (46)

أما ديفيد غودهارت، وكان وقتها رئيس تحرير مجلة بروسبكت البريطانية الليبرالية، وأحد إصلاحيي الحرب على الإرهاب البارزين، فقام بفحص حالة رمضان، واعتبره في فترة ما نموذجاً إيجابياً للزعيم المسلم الذي أصاب بدعوة المسلمين إلى اتخاذ القيم الغربية. لكن ذلك الإعجاب توقف عندما حاول رمضان أن يتحدث إلى العامة عن الأسباب الأصلية للإرهاب، فقال في صحيفة غاردينر بوجود "صلة بين الإرهاب والسياسة الخارجية." (47) اعتبر غودهارت هذا خيانة، وهاجم رمضان ووصفه بأنه يسعى إلى إثارة الأحلام. وأنه "ينتمي من المسؤولية." وفي "خطاب مفتوح" إلى رمضان، أعلن غودهارت مقارته رمضان كيا تفرق الخيانة الأرجية، وقال فيه: ظننت أنك مختلف. كنت عصرياً واثقاً معلقاً تدعو إلى إدمان المسلمين، وضد البلقنة الدينية والعرقية... لقد أخطأت في الحكم عليه." (48) بدأ رمضان الآن مثلكم جميعًا: يقول كلاماً طيبي لكنه في أعقابه ليس واحداً متاناً. فقد حوله تعبير عن رأي مختلف في أصول الإرهاب من مسلم معتدل إلى مسلم متطرف. يقول كتاب العمود الصحفي "الأوزنغو"، نيكي كوهين، إن حركة معارضة الحرب على العراق في بريطانيا صارت خالية من المسلمين المعتدلين بسبب قيادة ممثورة. (49) الذي جعل شخصية مثل سلمي يعقوب، وهي أشهر
القيادات الإسلامية في حركة معارضة الحرب، إسلامية متطرفة، وهذا في نظر كوهين يعني أنها "عنصرية متعصبة لنوعها وكراهية للملصحين"؟ هل لأنها ترتدي الحجاب؟ أم لأنها مسلمة مختلفة مع السياسة الخارجية الأمريكية البريطانية؟

أكثر ما يزعج الإصلاحيين المسلمين الغربيين الذين يدافعون عن ضحايا العنف الدول الغربية في مناطق أخرى من العالم. فثقافة الاعتدال تقتضي أن ينسى المسلمون ما يعرفونه عن فلسطين والعراق وأفغانستان، ويعتمدون على تقبيلات الحرب على الإرهاب، وعليهم أن يعفوا دينهم في المجال الخاص، وفي الوقت ذاته يهاجمون تفسيرات المتطرفين الخاطئة للإسلام، ويفترض أن ينتموا إلى أنفسهم كأفراد ليبيراليين، وفي الوقت نفسه يعلمون ولاءهم للجماعة الوطنية. وعليهم أن يضموا سلطة العقل فوق الثقافة العمياء على ألا يقودهم ذلك إلى توجيه الانتقادات إلى الغرب. ينبغي عليهم إدانة استعمال العنف لتحقيق أهداف سياسية - إلا أن تكون حكوماتهم هي من يفعل ذلك، فلا عجب أن يصعب إيجاد مسلمين معتدلين.

لليبرالية الهوية

يشبه ليبراليو الحرب على الإرهاب سابقهم في الحرب البازارية، فهم جميعًا تطاردهم فكرة وقوف الحرية الفردية عقبة أمام تكوين الهويات الجمعية اللازمة لتحريك قضيتهم. وبالمقارنة بالثقافيين الذين يرفعون عقيرهم بالدفاع عن الحضارة الغربية ضد التطرف الإسلامي، فإن الإصلاحيين لا يملكون سوى شعارات بادية المسمى، على أنهم الليبرالية والحداثة والتسامح. فهل ي كيفي هذا لشن حرب ثقافية على أيديولوجية متكاملة مثل الإسلام السياسي ت dni يعني أنها تسير باسم الله؟ فمن ناحية، يطلع الإصلاحيين إلى سياسة خالية من السياسة الشعبية، ومن ناحية أخرى، هم مضطرون إلى محاكاة الاعماليات الأيديولوجية الكبرى. التي يرفعها أعداؤهم المتطرفون، ومن ثم يصنعون لغة هم قومها التعبير عن صراع موت وحياة. لذلك كانوا مضطرين إلى استعادة المذهب الثقافي من سلاة الأيديولوجية.
ويتعالق فكر مواجهة الغرب بتهديد ثقافي جوهر. بل إنهم قاموا بإعادة تعريف معنى الهوية الغربية: فبينها أخذت الصورة الثقافية للحرب على الإرهاب شكل حلة للدفاع عن هوية مسيحية هودية، فالصورة الإصلاحية أخذت شكل معركة للدفاع عن القيم الليبرالية التي اعتبروها تعريفاً للغرب بعد عقد السينين.

من هذا المنظور، كتب صحفي الأوبزرفر أندر أنتوني، كتاب العقوبات عام 2007(1) الذي يقدم تصوير الليبرالي لصدام الحضارات، وخطوات المواجهة واضحة. على جانب هناك التطرف الغربي، وعلى الجانب الآخر، ما يسميه "إظهار العالم الإسلامي. يقول أنتوني إن العالم العربي يعاني "فرصا في الفضول الفكري [و] جهلًا متعمدًا."(2) وإن فشله الثقافي في إنتاج فكر عقلاني مستقل يعني ضرورة ألا يتزداد الليبراليون الغربيون في فرض قيمهم العالمية. ويقول إن الثقافة البريطانية كانت "عبر القرن تتجه إلى تقدير "حقوق معيشة وحرية وحماية وفرص"، بينما تقدر "ثقافات تقليدية كثيرة في العالم الثالث الفساد والتحيز الجنسي ومصادر المثلية الجنسية والقبلية والسلطوية الأبوية." وهو لا يغدر弯曲 من ضرب مثالين: حالة تزوير في التصويت بين بعض الآسيويين الجنوبيين في برمنغهام إنجليترا، وحالة تزوير امتحانات في جامعة هندية. (3) وليس القصد طرح رؤية إمبريالية (قائمة على التجارة). ولا يتم الرجح باستكشاف سبب مكافحة معايدة المثلية الجنسية في الثقافات التقليدية. إنها القصد هو أداء الهوية، الرغبة في أن يرفع جيش لبرالي رابية الغرب، حتى ينهي احترام المحافظين مصادر الطاقة السياسية للحرب على الإرهاب.

تظهر صورة مشابهة في كتاب الصعيد الثاني، تأليف مارتن إيمس، وهو عبارة عن مجموعة كتابات عن 11/9 والحرب على الإرهاب. وفي قسم عن "العقل المتواكل" لدى "الذكور المسلم"، يقول إيمس: "لا شك أن زعزعة البحث العقلاني ضعيفة جدًا حالياً، وسط كافة ذوات الذكور المسلمين."(4) وهو يرى أن "مشكلة المسلمين" تبع من إحباط ثقافي جنسي، ويبعد في تأمله إلى أن غضب معايدة الغرب في
كتابات سيد قطب الإسلامية مرده إخفاقه في جذب النساء أثناء إقامته في الولايات المتحدة في الخمسينيات. ويتخيل أن التفجيرات الإنتخابية، وممارسة التعذيب في زمنين الشرطة العربية كلها نتاج إحباط جنسي أو عجز ذكوري. وهكذا، تفسر الكراهية المرضية، وعنف العدو في الحرب على الإرهاب بوصفها نتاجاً لثقافة غير صحية تكبت أو تسيء توجه الرغبة الجنسية الذكورية، ثقافة تناقض ضمها ثقافة الحرية الجنسية الغربية لفترة ما بعد الستينيات. وإن تأطير النساء أقسامهن، باستخدام أنواع مختلفة من أغطية الرأس، لدليل على الرفض القاطع "للانفتاح" الجنسي الغربي.

كما يبيدي إيمان قلقه من الحفولة التي تسبب تكاثر المسلمين، وهو يؤيد ما جاء في كتاب مارك ستين أمريكا وحدها، حيث يقول إنه في غضون عقود قليلة، ستضع أوروبا استيلاء ديموغرافي من المسلمين بسبب ارتفاع معدلات تكاثرهم، فليس هناك دولة واحدة في غرب أوروبا تتزايد بمعدل 2.1 طفل لكل امرأة. وضيف إيمان:

يمكننا توقع أوروبا مغزاة نادرة السكان في عالم دون عدالة وقائ، وليس هذا عالمنا. إن معدل المواليد 6.76 في الصومال، و6.69 في أفغانستان، و58 و6.5 في اليمن.

يرى إيمان أن تقدير أوروبا للاستقلالية النسائية يخفض التكاثر الجنسي يعوقها في "حربنا الديموغرافية" ضد المهاجرين من دول إسلامية؛ لأن النساء يقررن إنجاب عدد أقل من الأطفال. "للتكون مسألة الاختلافات الثقافية وراء القلق من الكثت الجنسي وإرتفاع الحصوبة بين المسلمين، الذي يجعل المسلمين يمثلون تهديداً، كما يرى إيمان، هو رفضهم التام للرؤية الأوروبية لمسألة النوع والعلاقات الجنسية، فيقول: "إن لم تكن الجغرافيا السياسية مجال معرفتي الطبيعي، فإن الذكورة هي هذا المجال"، ويقصد بذلك أن نفهم العنصر السياسي الإسلامي لا يأتي من
الطريق الجغرافيا السياسية يقدر ما يأتي من ثقافة تشوه الذكره. وبحذرت، ينسج إيمان ثوري من خيوط ليبرالية وأخرى محافظ، وكلها يؤدي إلى خفاش تقليدية وهي خفاش تشتغل في الثقافات الخارجية الغربة. لكن هذا الإطار تعددًا يختلف عن أوان مألوف من الرؤية العثمانية المرتبطة بلون البشرة، ويمكن أن تدعو الدفاع عن أسلوب حياة ليبرالي، وتتخذ صورة متجاوزة للعرق. وفي عام 2006، قال إيمان في مقابلة شخصية:

هناك شعور ملح - ألا نحن به؟ - في أن تقول: "لا بد للمجتمع الإسلامي أن يعاني حتى يرتقي بيه". أي نوع من المماناة؟ حظر السفر عليهم، الترحيل - لاحقاً تقليص حرياتهم. التجريد من الملابس وتفتيت كل من بيدو عليه ملامح الشرق الأوسط أو باكستان... إجراءات تغيير، حتى يتأدى المجتمع كله فيدؤون جمياً في التشدد مع أولادهم.

المثير هنا هو أن بعض الإصلاحيين - ليبراليون ويساريين سابقين من جيل 1968، الذين شكلتهم تجارب سابقة في تنظيم الحملات عن قضايا النوع والشئون الجنسية والرقابة - حولوا القيم التي كانوا يدافعون عنها إلى رمز للهوية الغربية. فيما كان من قبل دعوة للحرية في المجتمعات الغربية انتحد إلى دعوة للدفاع عن أسلوب حياة ليبرالي ضد أعداء أجانب. ورغم كثرة لدف ضعف في التنوير، فإن مبدأ التنوير (الإنساني العام)، وهو رفض كل سلطة تقف في طريق التفكير الحر لأفراد متساويون، صار صارحاً، غير متوافق مع حرب الإصلاحيين على الإرهاب: وليس هدفها تشجيع الفكر المستقل، بل إعادة تشكيل الهوية طبقًا لأجندات حكومية.

على الجانب الآخر، فإن التحول التاريخي الغربي (الخاصة المتعلقة بتحرير الأفراد المستبررين أنفسهم من سلطة الكنيسة الدينية صارت مرحة بقوة من الإصلاحيين ليتخذوا المسلمين نموذجاً يتبوعون. وفي محاولة لحسم هذا التوتر بين الإنساني العام
والخصائص، أزال الإصلاحيون الفاصل بين الليبرالية بوصفها مجموعة من المبادئ الإنسانية العامة المرتبطة بحركة التدوير (التي يمكن أن تكون أساسًا لنقد المؤسسات الاجتماعية)، والليبرالية بوصفها ما سماه إدموند بيرك "ميرانا" - أي المشتركون من العادات والتقاليد التي يظن أنهم لها للحفاظ على طريقة حياة معينة - صارت الليبرالية شكلاً من سياسات الهوية."

يقول أليكسيس دي توكفيل في كتابه الديمقراطية في أمريكا إن مواطني الولايات المتحدة الليبرالية "يشع كل واحد منهم نائباً، لا يعرف شبيهاً عن مصير الآخرين جميعًا."(60) هذا الفترات في الفلسفة الاجتماعية الليبرالية - أي عجزها عن إنشاء روابط مشتركة - هو ما أدى تاريخيًا إلى استيعابه الليبرالية من اليسار، واعتناق أفكار المساواة الاجتماعية وحقوق الإنسان الاجتماعي حتى تضع نفسها في إطار ثقافة جماعة. لكن الحرب على الإرهاب قد تم صيادلة لاصة مختلفة لدعم المجتمع كله، فقد اتفقت القيم الليبرالية وكانت سياسات هوية تتعلق بالأمن القومي وليست سياسات مساواة تتعلق بالأمن الاجتماعي، وكانت من قبل الأساس الثقافي لهوية غربية و Máyكاس عالمية للحضارة. ولم يتبذل هذا في أي مكان كا تتفاوت في صورة التفكير الليبرالي الذي يدعى تجاوز سياسات الهوية في ساحة الضمير المقدسة، التي يعلن منها غضب على أعداء الغرب باسم القيم العالمية. إن التمرد الأيديولوجي الليبرالي المتحاول الهوية هو ما سمح بجمع شتات الهوية الغربية نفسها.

في حملته لتغيير الهوية الإسلامية، جرى تحول في الليبرالية نفسها، صارت أيديولوجية للحرب الشاملة ساقت دعامتها إلى ما سماه المُنظّر الإيطالي دومينيكي لوسيدو "تناقشًا أديانًا مأساويًا."(61) فقد أعاد لبريال الحروب على الإرهاب جواب ضعف البناء الفكري الذي ورثه من الحرب الباردة. فقد قالوا إن مشكلة التحديات السياسية المطردة التي تواجه المجتمع الغربي تكمن في أيديولوجيات أجنبية تنتج العنف بطبيعتها. وليتم ذلك، تبرأوا من العنف التأسيسي الذي يعتمد
على المجتمع الليبرالي: أي الحياة التي يعيشها “الآخرون” في ظل التصنيف العنصري، وهي "حالة استثناء" تتعلق فيها المعايير الليبرالية على نحو دائم - باسم الدفاع عن أسس الحياة الليبرالي،(62) على ما في ذلك من مفارقة. إن عارضة عدوان متطرف يصفه هنتنغتون بأنه "عدو مثالي" - لأنه "معادٍ أيديولوجيًا" و"مختلفًا جنسًا وثقافة" - تتطلب أن تصير الليبرالية سياسة هوية، دعوة لإعادة شحن بطاريات الانتهاء، واتخاذ موقف الدفاع عن أسس الحياة - عسكريًا وفكريًا وثقافيًا - وفي الوقت نفسه ادعاء سمع الحضارة الإنسانية العالمية.(63)
الفصل الرابع
أسطورة التحول إلى التطرف

ليس لدينا علاقة بهذا. كنا نشاهدين الأفلام، وتمزق علينا أفلام فيديو بها مشاهد الحرب في العراق. وقبل لنا إنه من واجبنا أن نفعل شيئا كبيرا. وعلى هذا اجتمعا.

حسن عمر في مقابلة شخصية بعد المشاركة في التخطيط للتفجير قطار أنقاض لندن، في 21 يوليو 2005

إن طريقة أي حكومة في فهم العنف الموجه إليها يكشف لنا عن طبيعة تلك الحكومة بالقدر الذي يكشفه لنا عن طبيعة خصومها مرتلكي العنف. بعد أن عثر على أول ركا ماينهاوف، المنتسب إليه فصيل الجيش الأحمر في ألمانيا الغربية، مشهورة في زنزانتها عام 1976، قام المسئولون باستخراج خصمه سرا على أجل أن يستطيع متخصص الأضرار العصبية معرفة سبب تحليةها عن مستقبل ناجح كصحفي، لتشكل في تأسيس هذه المجموعة المسلحة اليسارية المتطرفة. كان مسئولو الحكومة يرون أن المصدر الطبيعي لعنفها هو وعيوب بالمخ وليس الصراعات السياسية التي عانت منها ألمانيا بعد الحرب. وبالمثل، قام الطبيب النفسي جيه. سي. كاروزر بفحص متمردي ماؤ ماو الذين اعتقلهم الجيش البريطاني في كينيا المستعمرة، وادعى اكتشاف "دليل
علم ثابت أن التمرد "لم يكن سياسياً" بل مرضًا طبيعيًا، وهذه نتيجة هي ما سواعد الحاجة إلى استمرار الحكومة الاستعمارية. (1)

في أعقاب 11/9، تم منع المناقشة العلنية لأسباب الإرهاب على نطاق واسع، باتفاقية عدم وجود تفسير للإرهاب وراء ذهنية الشر التي لدى المتدينين. ساد تفسير أصحاب الذهب الثقافي المشهد تقريباً، فقالوا إن الإرهابيين مدافعون يهود الدين أصيل في الإسلام، ولم يأخذوا خطوة واحدة نحو تفصيل هذا التحليل. أما من يريدون وضع غلالة من العلم على هذه المادعة البسيطة، فلكل أو والتر لا شيء، صاحب أطراف "الإرهاب الجديد" التي تتميز بين أشكال سياسية أقدم للإرهاب، تدفعها القومية والشيوعية أو الفاشية و"العنف الأصولي الإسلامي" الذي يرى أنه "متجذر في الحضارة الدينية". (2)

ولكن في عام 2004، ظهرت جواب قصير هذا التفسير للإرهاب. فعندما أدركت الحكومات أن عمليات القتل والاعتقال لم تعد وحدها كافية لتحقيق النجاح، بدأت تبحث عن خطاب جديد يعد مسأله جهود مكافحة الإرهاب. وعلى صار من اللازم رفع الحظر عن نقاش أسباب الإرهاب. وبرز مفهوم التحول إلى التطرف كوسيلة يستخدمها صناعة السياسة لاستكشاف طريقة صناعة الإرهاب لإقامة أساس عقلي لإستراتيجيات وقائية تتجاوز استخدام عبء الدولة.

يتولى بيرت تومان إدارة المركز الدولي لدراسة التحول إلى التطرف في كينجز كوليدج، لندن، وهو أحد مؤسسات خطاب التحول إلى التطرف الجديد. وهو أيضًا بحث متواصل مع صناعة السياسة في وستمنستر وواشنطن. كتب في 2008 عن قيمة مفهوم التحول إلى التطرف، يقول:

في أعقاب الهجمات على الولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001... أصبح الحديث عن "أزمة الإرهاب" صعبًا جدًا فجأة، وادعى العلماء أن هذا كان

معالجة لإيجاد العذر وتبرير قتل المدنيين الأبرياء. ومع ذلك، كان واضحا [وقتها]
أن مناقشة العوامل الكامنة وراء هذه الظاهرة الجديدة فيا يبدو أمر ضروري عاجل، لذلك بدأ الخبراء والمصونون الإشارة إلى "التحول إلى التطرف" كأما أرادوا الحديث عن "ما يحدث قبل أن تفهر القبلة". وفي الجو المضحك ببدهة عقب هجيات 11 سبتمبر، كان مفهوم التحول إلى التطرف هو الذي قمع الباب مرة أخرى لمناقشة القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية الكامنة وراء الإرهاب والعنف السياسي.

وفي سياق الحرب المتصاعدة على الإرهاب، تمكنت هذه المناقشة الجديدة للتحول إلى التطرف من تقديم نفسها بوصفها البديلة الأعلى، الأكثر ليبرالية من تفسيرات الإرهاب البسيطة التي طرحت بعد 11/9. سلمت هذه المناقشة بشأن الإرهاب مشكلة يمكن دراستها وتحليلها وإخضاعها لحلول سياسية تتجاوز استخدام القوة المادية. أما في الواقع، فقد كان خطاب التحول إلى التطرف من بدايةه مرتبطاً بمطالب صناعة سياسة مكافحة الإرهاب، وليس بالمعنى إلى الدرس الموضوعي لكيفية تولد ظاهرة الإرهاب، ولذا من إراسة مبادئ فهم علمي لأسباب الإرهاب - ما سيأتي كنائب "لاستخدام العام للعقل"، الذي يستهدف توير المجتمع - حصر خطاب التحول إلى التطرف نفسه في "لاستخدام الخصي للعقل" (أي الوفاء بحاجات "منصب أو مكتب حكومي معين" جما قيدة العملية الفردية بحاجات المؤسسات الأمنية الحكومية.

وعلى هذا النحو، ورد مفهوم التحول إلى التطرف من أول حظة عددًا من المفاهيم الجائرة المقدمة. فمن يرتكبون العنف الإرهابي يأنون من وراء أكبر للإرهابيين يشتركون في أيديولوجيا يستهلكون منها أفعالهم، ويمكن التنبؤ بدخول هذا الفرع الأوسع للإرهابيين باستخدام عوامل نفسية أو قهوة فردية أو جماعية. يمكن معرفة هذه العوامل الحكومات من وضع السياسات التي تقلل احتلال الإرهاب. إن دراسة التحول إلى التطرف، وهي كا يمكن تأمل لأسباب
الإرهاب، عددًا عمليًا بسؤال آخر كبيرًا: لماذا يؤكد بعض المسلمين تأويلًا متطرفًا للإرهاب يعود إلى العنف؟ هذا السؤال بطبعه الحال بعد العنف الإرهابي ناجحًا لطريقة تفسير الإسلام، ولهذا يستبعد أي تفكير في الإرهاب الذي يرتبط غير المسلمين. ثمًا تبرز مسبي مثير بين الإرهاب الجديد، يعد في أصل الدين الإسلامي، والإرهاب القديم المرتب بالعنف السياسي الوطني أو اليساري، ولا يكاد بسؤال التحول إلى الإرهاب. أما الإجابات عن سؤال دوافع هذه العملية فستكون أي دور سببي لأفعال الحكومات الغربية أو حلقاتها في مناطق أخرى من العالم. ونحل محلها مسارات فقهية ونفسية فردية لا علاقة لها بالظروف الاجتماعية والسياسية، ويدعى أنها السبب الأصلي في عملية التحول إلى التطرف. وبينما تعرّف بعض التفسيرات بالعامل السياسي - باستخدام لغة عبّفة مثل “الاحتلال بسبب ألوان ظلم حقيثة أو متخيلة” - فإن هذا لا يحدث إلا لمواجهة ديل تجربة داعم، قبل أن ينتقلوا سريعا إلى دينا علم النفس أو الفقه المريحة. وبينها لا ترى الصلة بين العنف الإرهابي والأسباب السياسية، فإن النشاط السياسي الإسلامي للمجموعات الإسلامية التي يظل اشتراكها في الأيديولوجية مع الإرهابيين، تعد مظهرًا آخر من مظاهر عملية التحول إلى التطرف، جذرها في مسارات فقهية دينية و/أو دينية، وهي بذلك تخرج من حيز السياسة لأنها تعد موضحة مع الإرهاب المستوحى من الدين. وكما يقول المؤرخ مارك سيدفيك في أحد التحليلات القليلة على تحول إلى التطرف:

يؤكد مفهوم التحول إلى التطرف على الفرد، والرد ما على الأيديولوجية والجماعة، ويتفاوت بشكل لافت عن الظروف الأولى: "الأسباب الجذرية" إلى درجة أنه صار من الصعب جدًا الكلام عنها بعد 1970. وهي ما ثبت بعدة عن نطاق التحليلات. وطالما تغلقنا عن الظروف التي تفرز الأحكام التي يُعلن عنها...
المتطرفون الإسلاميون، فمن الختامي أن يبدو المتطرف الإسلامي “متصرفاً بلا قضية”.

يتبع محاولة التحول إلى التطرف هذا المسار فيقدمون لصناع السياسة ما يطلبونه.

فبعد مقتل المخرج الهولندي ثيو فان غوخ في أمستردام في عام 2004، وهجوم 1/7 على منظومة النقل في لندن، برزت قضية الإرهاب الناشئ في الوطن الذي يضم مواطنين أوروبين ينفذون أعمال عنف في الداخل. وبدأ المسؤولون الحكوميون، في هولندا أولاً ثم في كل الدول، في استحداث سياسات مكافحة التحول إلى التطرف على أمل إجهاض هذا العنف. وكانوا يفترضون أن معرفة المؤشرات على التحول الفردي أو الجماعي إلى التطرف ستسمح بإنشاء منظومة إنذار مبكر تكشف العنف الديني. صارت السلطات تظن القدرة على فحص المواطنين المسلمين لكشف علامات التحول إلى التطرف، ثم التدخل لمنع الانزلاق إلى التطرف. وبدلاً من أن تقوم مراكز الأبحاث وأقسام دراسات التطرف بتوسيع الحكومات بتحليل شامل لأسباب الإرهاب الناشئ في الوطن، فإنها – وقد نشأت في الجامعات بعد 9/11 – لجذب مسؤول حكومي جديد لأبحاث الأمن القومي بدأ تضع نموذجًا للعملية التي يظن أن الفرد يمر بها حتى يصبح مؤيدًا للأيديولوجيات المتطرفة التي يظن أنها تكمن وراء العنف الإرهابي. فلابدأ من ذلك أن خاطبة السياق السياسي الأكبر للإرهاب لا يتصبح نقطة بداية مع مسؤولي الحكومة، حيث إن حدودهم الحاكمة للسياسة الخارجية في الشرق الأوسط وجنوب آسيا ثابتة كأنها موقعة على الحجر.

تعتبر الفترة بداية من 2004 زمن فرص جديدة لم ترسخوا مكانتهم كعوامي في هذا المجال، ويتضمن ذلك تمويلًا جديدًا وجهودًا جديداً في أوروبا أولاً، ثم في الولايات المتحدة، لا سيما بعد انتخابات 2008، حيث جاءت بريئس أراد نوعًا جديدًا من الحديث عن مكافحة الإرهاب، وواجه غالبيًا ونصف العام من ولايته الأولى، شهد فيها محاولة تفجير ميدان "تايمز سكوير" بسيارة مفخخة على يد مسلم
الأمركي، قال دزرائيلي(5) مرة في أوج التوسع الاستعماري البريطاني "الشرق مهنة. " واستخدم إدوارد سعيد المقوله كلمة تقديم لكتابه الاستشراق. واليوم مكافحة التحول إلى التطرف مهنة، مع دخول باحثين شباب إلى صناعة صغيرة هي مراكز أبحاث الأمن القومي وأقسام دراسات الإرهاب ووحدات إنفاذ القانون لمكافحة الإرهاب والأعمال الاستخباراتية، للعمل على إنتاج نماذج التحول إلى التطرف.

وبالطبع يريد باحث العنف السياسي أن تستفيد المجتمعات من عملهم حتى يقل هذا العنف. لكن البحث العلمي الحقيقي يعني القيام بواجب تفحص الافتراضات الأساسية التي تميز حدود العلم، لا سيما عندما تكون تلك الافتراضات انعكاسًا لأولويات الحكومات، وهي نفسها أطراف في الصراع حول الدراسة.

كان مصطلح "التحول إلى التطرف" قبل 2001 يتردد استخدامه على نحو غير رسمي في الكتب الأكاديمية لتشير إلى حدوث نقلة إلى السياسات المتطرفة (ولا يقصد المسلمين بهذا عادة). ومع عام 2004، اكتسب المصطلح معناه الجديد الذي يدل على عملية نفسية أو دينية يتحول بها المسلمون إلى اعتناق آراء متطرفة. وبحلول عام 2010، كان ينشر ما يزيد عن مائة مقال عن التحول إلى التطرف في الدوريات العلمية المحكمة سنوياً. وفي هذا الفصل سأفحص عمل بعض الباحثين الرواد في التحول إلى التطرف، وأثبت أن تحليلاتهم مستمدة من الأهداف البعيدة والقرية للحكومات؛ لأنها المستهلك الأكبر لكتاباتهم مما يتأدي به عن الدرس الموضوعي للظاهرة. وليس الأمر مجرد تعبير عن تغييرات بسبب التمثيل أو الحزيف المشترك بين الوكالات الحكومية ومراكز الأبحاث، أو ضغوط مؤسسية أخرى، بل بافتراضات أيديولوجية تحدد ما يعد مشروعًا أو غير مشروع في سياق هذا الخطاب. النتيجة أن باحثي التحول إلى التطرف يعجرون دائمًا على تناول واقع الصراعات السياسية التي يدفعون أجله يهدرون فيهما. بل إنهم اخترعوا مفهومًا يدخل هذه التحيزات.

(5) بينجامين دزرائيلي سياسي بريطاني تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا مرتين من 27 فبراير إلى 1 ديسمبر 1868، ومن 20 فبراير 1874 إلى 21 أبريل 1880 (المترجم).
الأهواء في فكر المسؤولين، والنتيجة أن هذا الفكر يشكل الممارسات والترتيبات التي تعد لكافحة التحول إلى التطرف، مما يخلف تميزًا وقيودًا غير مشروطة على الحريات المدنية. وليس منهجي أن أواجه استنتاجات باحتي التحول إلى التطرف بمجموعات بدقة من البيانات الإمبريالية، بل استكشاف الأطر الفكرية المستخدمة لفهم البيانات أيضًا وجدت، وأثبت أن البيانات المحدودة المتوفرة نفسها لا يبد أن تؤدي إلى استنتاجات مختلفة غيّر قدموا.

مزاج ثقافي نفسي أصيل

كتب والنشر لا يُкамل مقالةً في عام 2004 تُمكن نقطة إطلاق مفيدة وجرسًا بين دراسات الإرهاب الأسبق وكتابات التحول إلى التطرف الناشئة وقعتها. ولا يُكن من المطلعين المخيمين على شؤون واشنطن، برز اسمه في الخمسينيات ممّثلًا عن إسرائيل في "التشجيع من أجل الحرية الثقافية" الممثّل من سي أي إيه. (6) بدأ مقاله بالتأكيد على أن "القاعدة تأسست وأحداث 11 سبتمبر وقعت ليس بسبب نزاع على أرض أو الشعور بظلمٍ قومي، بل بسبب فريضة دينية - وهي الجهاد وتطبيق الشريعة". و موقفه الرافض لأي ارتباط بين الإرهاب والفحش أو قضايا كقضية فلسطين قائم على القول إن جماهير كثير من بلاد الأقصى يعاني الفقر أو الظلم، لكنهم لا يلجأون جيّداً إلى العنف. ومن هذا يُبك من دائرة واسعة هي الاقتصاد أو السياسة إلى مستوى الفرد: "كيف تفسر أن من بين 100 ناشط مسلح يوميًّا بعدد قياسيًّا بالدرجة نفسها، لا يدخل إلا القليل منهم في الأعمال الإرهابية؟" وهذا نواحي السؤال التأسيسي لخطاب التحول إلى التطرف، الذي يقول إنه كان مهماً حتى الساعة، وإن الإجابة عليه ستكتشف سبيلاً أصليًا لا يشير إلى السياق الأساسي الأساسي الأرخص، بل يركز على ما يسميه "مزاج ثقافيًا نفسيًا أصليًا". إن صياغة السؤال السببي الأصيل على هذا النحو، وتقديم موضح "المزاج الأصيل" يتيح بالطبع لرودات الاستخبارات وإنفاذ القانون إمكانية إطار تحليي يمكن استخدامه لأغراض المراقبة. إن الفكر
الباحث الذي يربط بين "مزاج أصيل"، ثقافيًا كان أو دينيًا أو مزيجيًا منها، وبين العنف الإرهابي يتيح لجامعى المعلومات الاستشارية أن يستخدموا هذا "المزاج الأصيل" مرادفًا للخطر الإرهابي، وأن يعطوا جهودهم في المواجهة على هذا الأساس.

يوجه لأولى اتهامه إلى أوروبا لبيوته مثله، إذ يقول إنها "على الأرجح أضعف ميدان قتال" و"القاعدة الرئيسة لجماعات دعم الإرهابيين". وبعملا، أن هذا نتاج عملية "أمرها بها نمو المجتمعات الإسلامية وزيادة التوتر مع أهل البلاد، والحرية النسائية التي تمكن المطرودين من أن ينظموا أنفسهم في مساجد ومنظمات ثقافية معينة." إن عجز "القادمين الجدد المسلمين" عن الاندماج في أوروبا - وليس الاندماج الثقافي والاجتماعي هو ما يريده القادمون الجدد فعليًا - يعكس رغبة في الحفاظ على هوية دينية وعرقية. وقد أدى هذا بدوره إلى "تحول الجيل الثاني من المهاجرين إلى التطرف" الذي يتجلب في مشاعر حادة "بالسخط والعدواة" للسلطات والجزائر غير المسلمين يغذيها عجز عن الإنجاز و"كتب جنسي." من هنا جاء "العدوان الوطني" الذي يسكن "البيئة التي نشأ في الإرهاب الإسلامي وجامعاته دعم الإرهاب في أوروبا الغربية (7).

يحتوي هذا العرض المبكر على أهم عناصر خطاب التحول إلى التطرف الحالي ومغالطاته، ويركز على أุดاد الأفراد الدينية وتفكيكهم مع تهويل أثر العناصر السياسية، والقول إن أصل الإرهاب ثقافة شبابية أوسع ممارسها الغضب والعدوان، مع تقديم قائمة بالواصل التي من شأنها أن تدفع الأفراد إلى دعم الإرهاب مثل الاتجاهات المعايدة للغرب والأصولية الدينية والانعزال. ومصطلح "التحول إلى التطرف" بطبعه أقرب إلى مرج عدد من المعاني التي ينبغي أن تكون متاحة تحليليا - السخط واغتراب الشباب والمعركة المطرقة والأصولية الدينية والميل إلى العنف. يسبق ذلك تقديم افتراضات متحيزة، ولا أساس لها عن التاريخ الاجتماعي والسياسي للمسلمين في أوروبا مع تأكيد عملية سببية تبدأ من "مزاج ثقافي نفسي..."
أصل، وتصل إلى العنف دون أي دليل معمّد. وأخيرا، ما يستحق الذكر غياب أي إشارة إلى لغة خطاب حكومي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بشأن الحاجة إلى خوض حرب على الإسلام المتطرف، أو الحرب على العراق، أو توحيد ملايين المسلمين الأوروبيين وغير المسلمين لمحاربة معارضة قوية، ولا إخفاق هذه الحركات في منع الحرب بأساليب ديمقراطية.

يمكن اعتبار أفعال من كتب بعد لاحق في خطاب التحول إلى التطرف محاولات لمنهجة الإطار الأساسي الذي وضعه في 2004، برأياً ووجهات عدها لكيهئ يتنطلقون من النقطة نفسها. يرى البعض أن مسألة المعتقدين الدينية - أي الجزء الثقافي في المزاج الأصيل عند لاكير - هي الأهم. فإذا استطعنا قياس مجموعة من المعتقدات الدينية - أي أيديولوجية - يشتركن فيها الإرهابيون، فإننا نرى بعداً أسور من المتطرفين، ويرفضها المسلمون المتدينون، أمكن وضع نموذج تعد فيه المعتقدات الدينية مثيرات تحول إلى التطرف، وهذه نقطة على طريق التحول إلى إرهاب.

ويمكن تسمية هذا بالداخل الديني الفقهي للتحول إلى التطرف. يقدم هذا المدخل أساساً علمياً للمستقبل الأمني توجه موازاة بالمقاولة والاستقصاء إلى أي جامع بمن الناس تصادف اعتقادات دينية معينة - ولنقل السلفيين. المشكلة هي عدم وجود سبب حقيقي يجعلنا نربط بين هذه المعتقدات الدينية والعنف الإرهابي، وعليه فإن النموذج الديني في التحول إلى التطرف ليس إلا إشباع الشرعية على تدخل حكومي غير مفيد في الحياة الدينية الخاصة لأعداد كبيرة من المواطنين.

الاتجاه الثاني الذي يطلقون من مقالة لاكير، المشورة عام 2004، هو التبديل النفسية الفردية والجماعية. فسألاً ما العملية التي تتفاقم فيها حالات بعض الأفراد الذهنية من اضطراب أو سخط حتى تصل إلى المعتقدات المتطرفة، ولا يحدث ذلك عند غيرهم؟ هذا الدخول النفسي للتحول إلى التطرف يتبعت الإمكانات التنظيمية نفسها، كما يبدي تفسيراً أكثر تعقيداً إذا نظر إلى عملية نفسية مثل آليات حراك جماعية أو صراع مع الهوية في علاقة تفاعلية مع عملية اكتساب أيديولوجية متطرفة. وهكذا ينشأ...
التحول إلى التطرف بوصفه عملية دينية

في عام 2009، نشرت "مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات" دراسة عنوان "الإرهابيون الناشئون داخل الوطن في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة: دراسة إمبريالية لعملية التحول إلى التطرف" أجراه ديفيد غاردنستاين - روس ولورا غروساسان. وهي تقدم دراسة حالة بحثية تحاول أن تدل على مركزية دور الدين في التحول إلى التطرف. هذه الدراسة نموذجي نمطي لدراسات كثيرة في مهنجها ونتائجها، لكنها تميز بведение مؤلفيها الصرامة العلمية، "فحص إمبريالي للمظاهر..."
السلوكية لعملية التحول إلى التطرف لدى 117 إرهابيًا جهاديًا نشأوا في الوطن -
وتتميز بالاهتمام الذي استولت عليه من قبل صناعة السياسة في واشنطن.

السؤال الذي تسعى الدراسة إلى الإجابة عليه: "ما إشارات الأيديولوجية الجهادية التي يمكن أن يقبل عليها الفرد، أو توضيع في رأسه؟" أما بيانات الدراسة فهي بعض مقولات الإرهابيين أنفسهم، ونصوص المحاكاة والتقارير الصحفية التي تقدم معلومات سريّة "كل إرهابي إسلامي معروف نشأ في الوطن في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، قام بهجوم، أو حاول ذلك، أو دعم الإرهاب الإسلامي بشكل غير مكروه حتى نهاية أكتوبر 2008." وبناءً على هذه البيانات يزعم المؤلفان اكتشاف مجموعات من المؤشرات التي تتكرر على نحو يكشف عن إجاه إسلام مشترك للتحول إلى التطرف. ولا تعد هذه المؤشرات شروطًا كافية لإنتاج إرهابي لكنها علامات مفيدة لكشف احتمال الخطر.

توجه هذه الدراسة اهتمامها الرئيس إلى تغييرات سلوكية محددة ظهرت على الإرهابيين التاسعين في الوطن في مرحلة تحولهم إلى التطرف. فدراس ستة مظاهر لعملية التحول إلى التطرف: اعتناق تأويل شرعي للإسلام، والثقة بمجموعة صغيرة من المرجعيات الدينية الصارمة الأيديولوجية، اعتبار الغرب والإسلام معارضين غير قابلين للتصالح، وإظهار درجة منخفضة من التسامح مع ما يعد انحرافًا ديناً، والصعوبات في فرض معتقدات دينية على الآخرين، والتعبير عن آراء سياسية مطرفة.

تخلص الدراسة إلى أن العوامل الخمسة الأولى - وكلها مرتبطة بالأيديولوجية الدينية - متوفرة في عدد كافٍ من الحالات بحيث تدل على أن الفهم الديني للأفراد كان عاملاً قوياً نسبيًا في تحولهم إلى التطرف.
والدراسة عدد من المشكلات الواضحة يمكن رصدها من أول وته. فهي لا تشمل مجموعة ضابطة من غير الإرهابيين، ومن ثم فليس لها أساس لربط الإرهاب بالGMT في الدينية التي حددتها. ولا يبدو أن المظاهر سنة عملياً التحول إلى التطرف هنا أساس اختيار مقابل احتمالات أخرى. ويمكننا أن نستعين عند دراسة أي أيديولوجية عن طريق استيفها إلى سنة مظاهر دينية وسياسية عديدة. وحتى إن تجاوزنا عن هذه المشكلات، فستظل أمامنا صعوبة اختيار الفئة السياسية الإرهاب الجهادي للدراسة، واقترض أن هذا الشكل من الإرهاب له أسابيع عديدة مختلف عن غيره من أشكال العنف. ويتعارض هذا الاقتراع حتى مع البيانات المتاحة التي جمعها غارنتسيا - روس وغروسمان. أما المظهر الأيديولوجي السادس في الدراسة، وهو ما تشير إليه بالتعبير "آراء سياسية مترفعة"، فملخصه كالتالي:

تأثرت القوى الغربية بالإسلام لإخضاعها ماديًا وأخلاقيًا، في الوقت نفسه فقد المسلمون في العالم كله إياهم، فهم يلتزمون إلى القوة التي كانت لديهم في عصر النبي محمد. والاستجابة المناسبة الوحيدة لهذا الموقف الراهن هو العمل العسكري.

وقد ظهر أن الإياب بهذه الرواية السياسية هو الأعلى من بين المظاهر قيد الدراسة، ولا توجد أي حالة غاب عنها هذا الهدو السياسي. لكن الدراسة تسعى إلى تجاهل تضمنات بيانتها، ويا أن العنصر السياسي في التحول إلى التطرف، حسب ما ذكر المؤلف كان أكثر حضورًا من الديني. فقد حذرنا من استنتاج أن السياسة أهم من الدين، ووصفه بالسذاجة، لأنه عندما يلتزم الأفراد بخوض حرب مادية ضد الغرب، فمن الطبيعي أن يحاولوا تبرير ذلك على مستويات متعددة - وهذا يدعم عرض النظر في تفسير الأفراد معتقداتهم، التي تسعى الدراسة إليه. وسأل المؤلف:

هل سبقت صحة الأفراد السياسية صحتهم الدينية أم تلتها؟ بالنسبة للأوليين الناشئين في الوطن الذين أظهروا علامات التحول إلى التطرف السياسي.
هناك عدة أسباب كتبة الدينية أو السياسية من السابقة في عملية تحرير الفرد إلى الإرهاب، لكنك يكون هذا جدياً إلا إذا افترضنا أن إحداها تؤدي إلى الأخرى، سأترك فقط، سيكون من المجري أن نسأل عن ترتيب هذين المظاهرتين، ولا يقدم المؤلفان دليلًا إمبريكيًا على هذا الافتراض. وحسب إطار الدراسة نفسها، فإن التأويل الأقرب إلى المنطق للبيانات هو أن الصحوة الدينية ليست سابقة على التوحيد إلى التطرف السياسي أو العكس، وأن التوحيد إلى التطرف السياسي هو العامل الرئيس في التوحيد إلى الإرهاب، على أي حال، بدون تقديم مقارنة بحالات أخرى للتحرك إلى التطرف لم تؤدي إلى الإرهاب، يستنتج إيجابية تربط مجموعة معينة من المتعددة بالإرهاب الجهادي.

لماذا هذا الخروج على تقليص دور العوامل السياسية، مع أن البيانات تشير إلى غير ذلك؟ يمكن أن يتكون جزء من الإجابة في السياسة التي يعتنقها ناشرو الدراسة ومعلومها و"مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية" واحدة من جماعات ضغط عديدة نشأت في أعقاب أحداث 11/9، وساعدت في توفير التأيد لحزب الولايات المتحدة على العراق. مولت الدراسة ثلاث مؤسسات خاصة، إحداها مؤسسة ليند آند هاري برايلي التي تبرعت بأكثر من 2.1 مليار دولار "مشروع المحافظين الجديد للقرن الأمريكي الجديد"، وقدمت ملايين الدولارات إلى مجموعات دعاية كراهية الإسلام.
في الولايات المتحدة، مثل مركز سياسات الأمن، ومركز ديفيد هوروفيتز للحرية، من مصلحة هذه الجماعات أن تجعل الأيديولوجية أصل الإرهاب، وليس التفاعل السياسي بين السياسة الخارجية والجماعات الإرهابية الإسلامية. وربما كان السبب الرئيس وجود انحاز لادعاءات استغلال معرفة يمكن أن يطبقها القائمون على الأمن الوطني، دون إزعاج مؤسسيا. وإن تقسيم التطرف الديني إلى مظاهر مختلفة يمكن ربطها علميا بالإرهاب يعد لوثاً من المعرفة التي يسهل على وكالات إنفاذ القانون والاستخبارات استخدامها. ومن جهة أخرى، فإن رسم صورة أدق فكريًا للوكالات الحكومية والإرهابيين في صراع سياسي دينامي، لين تقبل هذه الجهات على شرائها. ففي فترة تمهيدية لدراسة "مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات"، يقدم براين جينكيز ميد، وهو أحد المحللين البارزين للإرهاب في مؤسسة "رائد"، إشارة صريحة إلى إمكانية أن تستخدمها وكالات إنفاذ القانون والاستخبارات: للمؤشرات التي حددتها غارتنستاين - روس وغروسمان... قيمة... في تقرير هل يلزم نظرًا دق أم لا نهدر الموارد المحدودة في شيء غير مشروط؟". وطبقًا لما ذكره المؤلف الرئيس لدراسة "مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات" في موقعه على الإنترنت، فإنه يقدم توجيهًا لأعضاء المؤسسة العسكرية الأمريكية الذين يستعدون لتكليفات انتشار في القرن الأفريقي وأفغانستان والخليج العربي. وهو يصمم دورات تدريبية، ووحدات تدريبية مخصصة لاستخدام الوكالات الحكومية الأمريكية، بما فيها مكتب دعم مكافحة الإرهاب التابع لوزارة الخارجية".
التحول إلى التطرف كعملية نفسية دينية

لسياسة مكافحة التحول إلى التطرف في الولايات المتحدة وأوروبا صور عديدة، تشمل عمل مواد مختلفة بين مناهج متعددة في حدود الافتراضات الأساسية المعروضة سابقا بإيجابيات. ويعكس البحث في التحول إلى التطرف هذا المدى من المناهج. فينيا للتفصيلات التي تركز على الأيديولوجيا الدينية وحدها تأثيرها، هناك نواحي أشد تعميقًا تضم عمليات وتفاعلات بين المسارات الدينية والنفسية الاجتماعية. فالعتقدات الدينية وحدها لا تدفع الأفراد إلى العنف، بل هي الصورة التي تصور فيها الأيديولوجية أشد تفاصيل استجابة لما يسمى "ثغرة إدراكية" أو أزمة هوية أو عملية تكون جماعة متماسكة. ويعني ذلك ضرورة اتباع طريق أشد تعميقًا في مكافحة التحول إلى التطرف، تراعي التداخل بين الدين والعواطف والهوية وديناميات الجماعة.

من أبرز الممارسين لهذا المنظور مارك سيغمان، إذ يعد كتابه، فهم شبكات الإرهاب والجهاد بغير قائد: شبكات الإرهاب في القرن الحادي والعشرين (12) معًا أشد المحاولات طويلة الأمد للوصول إلى تحول إلى التطرف. وصار نموذجه مرجعًا بنظرية "سلسلة ش tá" بسبب تركيزه على أهمية الصداقة والقرابة في عملية التحول إلى التطرف. وكما ذكر سابقًا، فإن سيغمان طبّب نفسه، وكان ضابط عامل في مي آي إيه متخصصًا في أفغانستان، وكان مقره إسلام آباد من 1987 حتى 1989، حيث أدار "برامج من طرف واحد مع المجاهدين الأفغان" (13) من محيي بحث عن أسابيع "الجهاد" أفضل من كان مستنئلاً يتزعم تمول حكومة الولايات المتحدة للمجاهد الأفغاني ضد السوفيتي؟ ولا عجب في أنه ليس بتاريخ بعينه أي دور في تحليله، وكان سيغمان كذلك مستشارًا لدائرة شرطة نيويورك سيتي (NYPD) لسنوات، وفي عام 2008 عُيّن باحثًا مقيماً بها (14).
ومناقشة مع الافتراضات الأساسية للكتابات التحول إلى التطرف، يرفض سيغمان التفسيرات التي ترعي الظروف الاقتصادية أو السياسية ولا يعدها ذات أهمية، على أساس أن هذه الظروف تؤثر على ملايين الناس ولا يصير إرهابيا إلا عدد قليل منهم. وهو مختلف مع من يعتقد أن الأيديولوجية الدينية تكفي وحدها لصنع إرهابي: تنطوي هذه الرؤى على نظرة سلبية ومهملة للإرهابيين الذين يواجهون القوى الاجتماعية أو يكونون عبذا لأفكار جاذبة، ويقول على نحو متقن إننا نحتاج إلى أن نسأل كيف يفسر الإرهابيون الظروف الأساسية التي تواجههم، وكيف يستجيبون بالسعي إلى خلق كفاءة مشتركة. يتناول سيغمان هذين السؤالين مديعاً الصراع الأكديم، ومديعاً استخدام مناهج العلوم الاجتماعية (الإحصاءات ونظرية أخذ العينات وتقنيات المسح والقياس وتحليل البيانات) في دراسته للتحول إلى التطرف. لكن هدف الدراسة نفسه يقترب إلى أي تعريف موضوعي. وأقرب شيء إليه قوله بأنه مهم بتحليل حالة الرجال المستقلين عن هجيات 11 سبتمبر 2001، وكل من على شاكلتهم الذين يبدون الولايات المتحدة والغرب نية عن مجتمع أكبر، بوصفهم طلعة تسعى إلى إقامة صورة معينة من اليوتوبيا الإسلامية.

وقد أتاح له هذا، كما يقول، قاعدة بيانات من خسارة شخص "مرتبطين" بمنفذي هجيات 11/9. وبناء على هذه العينة، يدعي أن أبرز سمة في الصورة الجهادية هي أن الحركة الاجتماعية العالمية للإرهاب الإسلامي قامت على حد بعيد على الصداقة والقرابة... فحوالي ثلثي من في العينة كانوا أصدقاء لأناس آخرين اجتمعوا معاً على الإرهاب أو كان لهم ارتباط سابق به.
ثم يخلص إلى وجود مسارين يؤديان إلى الإرهاب: "شلة شباب" قرووا جماعياً أن ينضموا إلى منظمة إرهابية، والانضمام إلى صديق من أصدقاء الطفولة صار بالفعل إرهابيًا. من هنا فإن الروابط الاجتماعية "تأتي قبل أي التزام أيديولوجي".

يدخل سيفيان إلى تناول العملية التي يتحول فيها مجموعة من الشباب إلى التطرف، فيحاول تجديد ديناميات الجماعة التي تؤدي بهم إلى حد دعم الإرهاب. فيحدد أربعة خطوط في هذه العملية: أولاً، شعور بالغضب الأخلاقي بشأن مظلمة يُظن وجودها في العالم. ثانياً، "تأويل مرك" مثل القول بوجود حرب على الإسلام، يضع هذا الغضب في سياق صراع أخلاقي أوسع. ثالثًا، خبرات شخصية، كالتمييز تعد "مظهرًا آخر للحرب على الإسلام". رابعًا، شبكات المحترضة.

ولا يمكن أن يساعدهم حل عبور الفاصل بين التعبير عن غضبهم والتحول إلى إرهابيين إلا أناس آخرون يشاركونهم غضبهم ومشاعرهم، لكنهم سبقوهم في درب العنف، وعلى استعداد لاستفادة معهم.

وهكذا أدى "ولاء طبيعي وعميق للجماعة يتبع سيناريو سلفيًا عنفًا إلى تحول شباب مسلمين في حالة اغتراب إلى إرهابيين مهووسين". يرى سيفيان أن إدماج الغلو الديني مع دينامية جماعية هو أصل التحول إلى التطرف.

ويقول إن الاستجابة ينبغي أن تكون منهجًا إصلاحياً في الحرب على الإرهاب. ف ينبغي أن يفهم صناع السياسة أن "الحرب على القاعدة بوصفها حركة إجتائية هي في الأساس معركة على قلب المجتمع المسلم وعقوله". وملخص كلامه كالتالي: يمكن للضابط المجتمع الذي يجهد عملية التحول إلى التطرف عن طريق تقليل الاغتراب، وإن الحلم الأمريكي بحرص متسارع والفردية هو خير سبيل لدعم المسلمين، وإن حرب العراق أثرت عكس ما أرادت، لأنها أقصت الغضب الأخلاقي. ووفق هذا كله ينبغي على الحكومات أن تتعاون مع الزعاء المسلمين.
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

المناصرين للغرب تساعدهم على إقناع الشباب المسلمين بأن الولايات المتحدة ليست "في حرب على الإسلام." (15) يُقدم عمل سيغمان أساسًا علميًا لن يفضّلون مهجة إداريًا في التعامل مع ما يشعر به المسلمون من مظلم، أي استخدام أساليب القوة النيوليستية لاحتواء السخط المتطرف ونشر القيم المشركة دون طرح أسلمة كثيرة عن مصادر التطرف.

كان لتركيز سيغمان على الشبكات الاجتماعية أثر كبير على فهم وكاتبات الاستخبارات وتنفيذ القانون عملية التحول إلى التطرف، وكان لها تضمنات كثيرة بالنسبة إلى المحققين. فإذا كان إرهابيو الغداء على الأرجح المخلطين لإرهابي اليوم، فهذا ينتج لهذه الوكالات صيغة بسيطة لتحديد المشتبه بهم: وقدي صار الإشتباه بسبب المخلطين أحد ركائز العمل الشرطي المرتبت بمكافحة الإرهاب. لكن الادعاء بأن الوابط الإجتماعية هي السبب الأصيل في الإرهاب ادعاء متهافت.

فحتى لو قبنا الافتراض بأن الإرهاب يتشر كالفيروس من شخص مصاب إلى خالطيه، فكل ما فعلناه هو وصف عملية انتقال العدوى، لكننا لم نقل شيئًا عن سبب وجود الفيروس نفسه. الأهم من ذلك أن عمل سيغمان يشترك مع غيره من كتابات خطاب التحول إلى التطرف في عجزه عن التمييز بين المعتقدات المتطرفة وآساليب العنف. فرغم هدفه المعلن باكتشاف طريقة الإرهابين في تفسير موقفهم، وكيف يقررون استجاباتهم، فإننا لا نجد مناقشة للظروف التي يختار فيها العنف على غيره من الوسائل. وحتى لو كان نموذجه يقدم تفسيرًا مقبولًا لكيفية انتشار الأفكار المتطرفة، فإنه لا يقول شيئًا عما يجعل معتقدة هذه الأفكار يفضلون العنف على وسائل أخرى لدعم قضيتهم. ونظيرًا الحال، لا يمكن الإجابة عن سؤال العنف إلا بافتراض وجود أيديولوجيات عنيفة بطبعها، والصورة الجاهزة هي سياريو السلفي المطبوع بمزاجه العنف، ولا يحتاج إلى آلة الصداقة لتفعيله. يقول سيغمان في بعض القاعدة: "وكثير غيرها من الجماعات الإرهابية التي تتعاون في عملياتها [إن] الأيديولوجية السلفية تحدد رسالتها، وتضع أهدافها
وتوجه تكتيكاتها."(16) بعبارة أخرى، تجمع الشباب هذا يكثف الإيام بمعتقداتهم التي تمثل رؤية كونية دينية متطرفة، والأرجح أن العنف يلي ذلك. وحتى يمثل ذلك العنف خطراً إرهابياً، فإن الشرط الوحيد الضروري المطلوب هو أن تستطيع هذه الشبكة الاجتماعية أن تجذب "الجهاد السلفي العالمي"، حتى تحصل على المهارات والموارد. وهكذا يرى س意义上的 أن الإرهاب الجهادي نتاج عملية تطبيع جماعي عن طريق الصداقة والقرابة، ثم تكثيف متصاعد للمعتقدات التي تؤدي إلى قبول الأيديولوجية السلفية، ثم تواصل مع مصدر معرفة وتمويل.(18) يقع في قلب هذا النموذج افتراض لم يتحقق بأن الأفكار الدينية الخطيرة هي أصل العنف.

كويتان فيكتوروفيتش، أحد رواد الدعوة إلى النموذج الديني الاجتماعي النفسي للتحول إلى التطرف، وهو يتبناه مهتمًا مشابهةً. وكان قد قضى عدة أشهر في لندن عام 2002 يجري عملًا ميدانياً إثنوغرافياً (علم الإنسان الوصفي) على جماعة "المهاجرين"، وهي جماعة إسلامية متطرفة أسسها عمر بكري محمد. نشر هذا البحث في عام 2005 بعنوان "صعود الإسلام المتطرف: التطرف الإسلامي في الغرب".(19) بعدها عمل في سفارة الولايات المتحدة بلندن، بعد هجائي 11/7 الإرهابية، عندما صارت حكومة الولايات المتحدة مهتمة اهتمامًا كبيرًا بإمكانية تجول مسلمي بريطانيا إلى التطرف. وتكونت القتالات الدبلوماسية التي نشرها موقع ويكيليكس لاحقًا أن سفارة الولايات المتحدة في لندن قدمت مكافأة بمقدار 50 ألف دولار لدعم مشروعات مكافحة التطرف بين مسلمي بريطانيا، بما في ذلك إمكانية رعاية "نوع مناهض للتطرف" من أفلام بويلوود. أنشأ فيكتوروفيتش شبكة علاقات في بريطانيا، ورقابة أثر سياسة الحكومة البريطانية في مفعول التطرف العنيف. في بداية 2011، وفي ظل اهتمام البيت الأبيض بوضع سياسات مشابهة، تم تعيين فيكتوروفيتش في مجلس الأمن القومي، وكلف بوضع سياسة إدارة أوباما في مكافحة التطرف.(21)
يسعى فكتور فريتش في "صعود الإسلام المتطرف" إلى الإجابة عن السؤال:
لماذا ينجذب آلاف البريطانيين الشباب إلى جيش الحركات الإسلامية المتطرفة، التي مقرها قواعد في المملكة المتحدة، بما فيها "حزب التحرير" و"أنصار الشريعة" و"المهاجرون" و"القاعدة". و"المهاجرون" هي الحالة موضع الدراسة. وينصب الاهتمام، كما في دراسة سيفيان، على إتجاه الجماعات نحو وضع النظام أو الأحكام في " إطار تفسيري، وعلى أهمية عملية التطبيق الاجتماعي، واعتبار منهج الجماعة في تفسير الواقع بغرض إنشاء "شبكة من المعتقد المشترك". لكن هذا التفسير للتحول إلى التطرف يضيف المزيد من مستوى التعقيد مع استباق الافتراضات التأسيسية نفسها. فهو يقدم مفهوم "الشريعة الإدارية"، التي تعني "أزمة نفسية" تبرز فيها معتقدات سابقة مستقرة وصير الفرد مستقبلاً لأراء ورؤى أخرى مختلفة. قد يحدث هذا بسبب معنا شعوري (كوفا أحد أفراد الأسرة) أو خبرات تميزية أو قهر سياسي أو ارتباط في الهوية، أو نتيجة "تصعيد في الوعي" أو إقناع من الناشطين.
ومن جديد لدينا الفكرة الإدارية قبل أن يسعون إلى إيجاد إجابات دينية عن حالة السخط التي أدت إليها، عن طريق الدخل في عملية "بحث ديني". وأخيراً، فإن التعرف على شبكات المتطرفين بين الأفراد للمشاركة في الحركة، بوصفهم ناشطين مستقبليين، فيتم "تقريبهم" حتى يقبلوا المرجعية الدينية لزعياء الحركة، ثم يعتنقون أديولوجتهم.

يدعا فكتور فريتش دراسته بعرض حالة عضويين سابقين في جماعة المهاجرين. - عاصف محمد حجيف وعمر خان شريف - حاول في عام 2003 تنفيذ هجوم انتحاري لصالح جماعة في بار "مايكس بلانس". في تل أبيب. يتحول بقي النص إلى محاولة بلاغية لتفسير كيف يكون هذين المواطينين البريطانيين الاستعداد لعمل عنف. ورغم أن فيكتور فريتش جعل موضوع دراسته نشاط متطرفين، واستخدم المقابلات الشخصية وملاحظات المشاركين، فإن هؤلاء لم يكونوا إرهابيين، ويبقى هذا التمييز عند شروطه في وضع نموذج للتحول إلى التطرف. كانت أغلب أنشطة
جامعة المهاجرين أيديولوجية، ولكن الجامعة كانت تؤيد العنف في سياقات معينة. وكان بعض النشطاء ونشطاء سابقون قد تورطوا في أعمال عنف. لكن فيكتوروفيتش لا يكافح للنقاش العوامل التي أجازت أو حرم استخدام العنف داخل الجامعة. بل إن عمر بكري محمد استخدم مفهوم “عقد الأمن” في التسعينيات ليriages التنسيق مع الجهات الأمنية البريطانية، وممتنداً لم يكن مسموحًا لأتباعه في بريطانيا خلافة القانون، وعلى الأرجح، كان الرجل نفسه مصدر معلومات في مقابل السماح لحركة بنشر أيديولوجيتها بحرية.(23) لكنه في يناير 2005، أشار إلى تكشف الحرب على الإرهاب، وإلى الضغوط التحية عنها على المسلمين في بريطانيا، وقال إن هذه مسوات لإبطال ذلك العقد، وأول مرة شجع أتباعه على الانضمام إلى القاعدة.(24) اللائحة والمهم هو أن هذا التحول لم يحدث بسبب إعادة تفسير قمي مطلقًا، أو بسبب تغييرات في نفسية الجامعة، بل بسبب تغير السياق السياسي. 

في حديث فيكتوروفيتش، كما في حديث سيغيان، يتخذ السؤال عن سبب المعتقدات الدينية المتطرفة بديلًا عن السؤال عن سبب العنف. ويقول فيكتوروفيتش نفسه في نهاية بحثه أن العملية النفسية الاجتماعية التي يتحول فيها الأفراد إلى نشاطها في الجماعات الإسلامية المتطرفة "لا تختلف كثيرًا" عن مثيلتها في الجماعات الإسلامية المتطرفة المسالمة، أو عن الحركات الاجتماعية غير الإسلامية، وهو مختلف محتوى الأيديولوجية، من هنا يستجس استدلال عرضه لفروع العملية في الوصول إلى تفسير لسبب نشأة العنف.(25) ومثل غيره من الباحثين في موضوع التحول إلى التطرف، يضيف فيكتوروفيتش بقوله إن الظروف السياسية والاقتصادية لا تكفي وحدها لتفسير الانخراط في الأعمال المتطرفة. ويدعم ذلك بقول تروتسكي، في كتابه تاريخ الثورة الروسية: "إن وجود ألوان الحمر كان وحدة لا يكفي لإثارة تمرد، ولو كان، لطلبت الجهاد في ثورة دائمة." وعلى، فإن السؤال الحقيقي، كما يقول، هو "ماذا يختار بعض المظلومين الانضمام إلى جماعات إسلامية ولا يفعل آخرون؟" وهو سؤال رد عليه يكون ببحث المسارات النفسية والدينية.(26) وهذا استنتاج
يختلف عن استنتاج تروتسكي الذي يتبع قولة المقتبس عليه، والذي استبعده نصر
فيختروفينتش:

من الضروري أن يجعل إفساد النظام الاجتماعي، بعد أن يكشف تماماً، هذه
الألوان من الخراب لا تطاق، وأن الظروف والأفكار الجديدة لا يد أنها تنفتح متفقاً
لقيام ثورة. وفي سبيل الأهداف العظيمة التي ترجمها هذه الجامع، نفسها، فإنها
ستبت قدرتها على تحميل ضفف هذا الخراب بل ثلاثة أضعافه. (22)

إن رفض فيكتروفينتش هذا النموذج الذي يجعل العلاقة آلية وبباشرة بين
المظام والعمل الثوري مفهوم ومقبول. لكن هذا يؤدي به إلى الالتباس إلى المسار
الإدراكي والدينى لدى الفرد، ومن ثم يتجاهل الاحتياجات الأخرى التي يشير
إليها نص تروتسكي، والتي تؤكد على ما تراها الجماهير من شرعية الوضع الحالي،
وقبول بدل أن أخرى - أي العامل السياسي. ومن هذا المنظور يكون السؤال: ما
الظروف السياسية مجتمعة مع أي الروابط السياسية (ولو تم التعبير عنها بلغة
دينية) اللازمة لإجادة أنواع معينة من العنف في سياق حركة معينة؟ ويعجز نموذجا
سيغمان وفيختروفينتش عن إثارة هذا السؤال أو معالجته.

نماذج التحول إلى التطرف مكادوات مراقبة شرطية

يشترك سيفمان وفيختروفينتش في الاعتقاد بأن التحول إلى التطرف عملية دينية
نفسية بالأساس، يتحول فيها الأفراد إلى إرهابي بفعل معتقدات وهويات دينية
خطيرة تجعلها ديناميات الجماعة أو ثغرات إدراكي، وقد شاع أن هذا الرأى بين
هيئة إتفاق القانون. ففي عام 2007، نشر قسم الاستخبارات ومكتب مكافحة
الإرهاب التابع بدارة شرطة مدينة نيويورك دراسة بعنوان: "التحول إلى التطرف
في الغرب: الخطر الناشئ في الوطن"، تلخص صورة مبسطة من هذا النموذج في
التحول إلى التطرف. وكانت تلك أول مرة يقرر فيها دائرة الشرطة بمدينة نيويورك
أن ينشر وثيقة تدعي أي خصائص بحثية علمية. وكان هدف ذلك، كما تم الإعلان، هو "المساهمة في الحوار الدائر بين وكالات الاستخبارات وإنداء القانون حول أفضل سبل مواجهة هذا الخطر الصاعد." يدعم التقرير خبراء من الخارج، مثل براين جينيكز ميد من مؤسسة راند، كما يظهر تأثره الشديد بعمل سيفان وفيكتوروفيتش.

وهو يتخذ "إيديولوجية الجهاد" محركًا رئيسًا لعملية التحول إلى التطرف، ويطرح أربع مراحل يمر بها الفرد من كونه "غير ميزة" إلى كونه شخصًا "احتلال ضلوعه في تخطيط عمل إرهابي أو تنفيذ احتفالات مرتفع". والمرحلة هي "ما قبل التحول إلى التطرف"، (قبل التعرض "للإسلام السلفي الجهادي")، تعرف الذات (حيث بداية استكشاف الإسلام السلفي نتيجة ثغرة إدارية تؤدي إلى اهتزاز هوية حالية والإرتباط بعلاقات مع معتقدات أفكاري مشابهة)، التوجه العقدي (التكيف المتصاعد لمعتقداتهم التي تؤدي إلى الاعتناق الكامل نتيجة التطبيع الاجتماعي داخل الجماعة) ثم التحول إلى الفكر الجهادي (أي قبول المستوية الفردية من المشاركة في الجهاد).

وتصور هذه المراحل الأربعة "بالقمع" الذي يخرج منه الأفراد ما يلزم الأمنيين، بعد أن صارت معتقداتهم الدينية أشد تطرفًا. تقول دراسة دائرة شرطة نيويورك سيتي إن كل مرحلة في عملية التحول إلى التطرف لها مجموعة مميزة من المؤشرات التي تسمح بتكون تنبؤات عن خاطر إرهابية مستقبلية. على سبيل المثال، تحتوي المرحلة الثانية من عملية التحول إلى التطرف "إشارات نمطية" تشمل:

- الانزлуч من الحياة السابقة والاقتراب من أصحاب الأفكار المائلة.
- الانضمام إلى جماعة من أصحاب الأفكار المائلة أو تكوينها بهدف تقوية الالتزام بالإسلام السلفي.
- الإقلاع عن التدخين وشرب الخمر والميسر وملابس عصابات الهيب هوب الحضرية.
- ارتداء ملابس إسلامية تقليدية وإرسال اللحية.
الانخراط في النشاط الاجتماعي وقضايا المجتمع.

تقر الدراسة بأن هذه السلوكات "مروغة وغير إجرامية"، لكن الحاجة إلى "التعريف على من يدخلون هذه العملية في مراحلها الأولى قدر الإمكان" يعني أن جمع المعلومات بناء على هذه المؤشرات هو "الأداة الحاسمة في المساعدة على تجنب هجوم محتمل".(2)

تتوفر دراسة دائرة شرطة نيويورك سيتي تحيلها على أحد عشر مخططاً حقيقياً ومزعمًا وقعت في الولايات المتحدة وأسبانيا وهولندا وكندا واستراليا، كل يضم عددًا من المذيعين. وهذه العينة ليست فقط أصغر من أن يبني عليها إدعاءات معرفة مؤكدة عن العلاقة بين السلوكات الدينية والإرهاب، بل إنها كذلك تضع في سلة واحدة أفراداً من سياقات اجتماعية وسياسية مختلفة اختلافًا كبيرًا، بالإضافة إلى عدم وجود مجموعة ضابطة من أفراد يتواجدون مع نمط السلوكات الدينية المرتبطة بالتحول إلى التطرف ولا يتشاورون إرهابيين. فمن أجل إثبات وجود ارتباط بين مجموعات سلوكات دينية والإرهاب، من الضروري إثبات أن الإرهابيون أقرب إحصائيًا إلى اجتياز عملية ظهر فيها هذه السلوكات. والواقع أن سلوكات الأفراد الذين تربطهم دراسة دائرة شرطة نيويورك بالتحويل إلى التطرف شائعة بين أعداد كبيرة من الناس الذين لا يتحولون أبدًا إلى إرهابيين. كما أن الدراسة لا تتم بحالات الإرهاب التي لا ينفذها المسلمون، مثل النشاط الإرهابي الذي يقوم به أفراد في حركات أقصى اليمين. وإن القصور عن مقارنة حالات من الإرهاب لها دوافع أيديولوجية مختلفة يعني تجاوز الدراسة احتمال وجود مؤشرات خطر لا تقتصر على المسلمين، بل تطبق على الإرهاب بصفة عامة. وإن الادعاء بأن الإرهاب الذي يرتبط مسلمون تساعدها عملية تحول إلى التطرف مختلف عن غيرها من أشكال الإرهاب ينبغي، إن أعلن، أن يستمد من الدلالات القائمة على الحالات المتاحة التي تثبت ولا يبقى كمسألة في تصميم الدراسة. وأخيرًا، حتى مع التقيد بالعدد القليل من الحالات التي تصفها دراسة دائرة شرطة نيويورك سيتي، وتجاهل غياب مجموعة
ضابطة، وغياب مقارنات مع أشكال أخرى من الإرهاب - فإن الدراسة تقدم دليلاً ضعيفاً على وجود ارتباط بين السلوكيات الدينية والأعمال الإرهابية؛ لأن تأكيداتها على الربط بين السلوكيات الدينية والأعمال الإرهابية هي انتباهية اعتباطية على وجه العلامة، وتقترب إلى أي قدر من الصراعات التحليلية.

وبناء على تأكيد سيغمان وفولتوفيش على أهمية دور دينامية الجاذعة في التحول إلى التطرف، يولي دائرة شرطة نيويورك سيتي أهمية كبيرة لتحديد سبب مساهمة التنفيذ الإجتماعي في خلق أيديولوجية متطرفة لدى الأفراد، وتشير إلى هذا بعبير "حضورات التحول إلى التطرف". قد تكون مساعدة، لكن الأماكن الأكثر شيوعًا هي "المقاهي وفمكاهة وعامة الأجرة والنزل الرخيص والسجون والاعتدادات الطلابية والمؤسسات الأهلية ومفاهي النزلة رجلة ومعاه القابض ومكتبات يرجى الكتب [أو] مواقع الإنترنت المتطرفة وغرف الدردشة." وهكذا، فقد وضع دائرة شرطة نيويورك وسينمات وفولتوفيش، صار البحث العلمي في التحول إلى التطرف مخططاً لمراقبة جماعية لمجتمع المسلمين.

أظهر تحقيق نشرته "أوسوينغت برس" في سلسلة مقالات بداية من أغسطس 2011، أن قسم الاستخبارات في دائرة شرطة نيويورك سيتي برئاسة ديفيد كوفين الضابط المخابر، الذي عمل لأكثر من ثلاثين عامًا في سر أي إيه، قد درس كل جانب يستحق المراقبة أو الإخراط في حياة المسلمين في نيويورك وما حولها. وقد أعدت قائمة تحتوي أكثر من 250 مسجدًا في نيويورك ونيوجيرسي، ومثل الأخلاق الأكثر جذباً مثل الروابط الطلابية والمقاهي والمطاعم ومكتبات يرجى الكتب ومنظمات المجتمع المحلي. وقد اعتبرت جزءاً ذا احتمال خطيرة إمتصاً لأسباب منها تقبل آراء دينية محافظ، أو جذبها رواداً متخصصين. وقد أرسل في سري معلومات بالوحدة الديمقراطية ضمائية متخصصة (معروف باسم "المشتبهون"). وعمران مميز (الزائرين على المساجد) ليطبقوا على هذه "المواقع المهمة"، أو ليتقصوا على ما يقال من باب "العداوة للولايات المتحدة". (28) استمرت
الوحدة موارد في عمل خرائط "جمعات سيكية" لجماعات عرقية مختلفة في المنطقة المتعددة بين ثلاث ولايات، بغرض "قياس المشاعر"، وتحديد المواقع، التي يلتقي فيها أعضاء المجتمع بعضهم. وقد تم تحديد المجتمعات المراد مراقبتها على أسس أصولها في 28 دولة ذات أغلبية إسلامية، وكذلك التجمعات التي توصف ب"عامة المسلمين الأمريكيين السود". رافق طاقم المباشرة الغربية في دائرة شرطة نيويورك سيتي المطاعم وصالح اللاعبين وعمل الجهاد، وأسواق اللحوم ومкрع ورشات التفاوض الغربية - وأعد قائمة تحوي سائقي التاكسي المغاربة المعروفون. (21)

وبعد محاولة المسلمين الذين خروجهم أُساء أقرب إلى التقاليد الأمريكية من أن يتركوا أشياء عربية وتم عمل كلاً منهما في ملتقى دائرة شرطة نيويورك سيتي بما معلومات استخباراتية سري. (22) كان أحد مهندسي برنامج المراقبة هذا لاري سانديز المالك التابع لسي آي إيه، والذي عمل في قسم الاستخبارات من 2002 حتى 2010 مع احتفاظه به عمله ذلك في سد أر، وقال مشاراكا لمعانوي إن أساليب القسم قائمة على التقنيات الإسرائيلية المستخدمة في الاحتلال العسكري للضفة الغربية. (23) ومن الواضح أن هذا التشبيه كان ليك ميمًا على افتتاح معقول في نشاط إجرامي. وطبقًا لبيان رسمي من مساعد رئيس قسم الاستخبارات توماس غالان، فإن عمل وحدة الديموغرافيا لم يسفر عن أي أداة جنائية بين عامي 2006 و 2012، وقبل ذلك على الأرجح. (24)

يوجد في قسم الاستخبارات في دائرة شرطة نيويورك سيتي جزء آخر هو وحدة التحقيق، وكان على رأسها حتى فترة قريبة مدير سفیر الذي استمر في تأليف دراسة دائرة شرطة نيويورك سيتي عن التحول إلى التطرف. وتتكون هذه الوحدة من مجموعتين من المحللين الدنمين مسئولين عن التحقيق الثقافي للمجتمعات الإسلامية في الولايات المتحدة في الخارج. (25) ولدى قسم الاستخبارات في دائرة شرطة نيويورك سيتي برنامج للجهود الدولية، وهو برنامج الاتصال الدولي، وله مكاتب في أحد عشر عاصمة أجنبية. وقد تجاوزت ميزانية الدائرة لكافحة الإرهاب
وعمليات الاستخبارات في عام 2010 مائة مليون دولار، وعمل بها حسب التقارير ألف ضابط.\(^{40}\)

إن استخدام المنشدين أمر أساسي في إستراتيجية دائرة الشرطة لمكافحة التحول إلى التطرف. ففي 2012 قرر طالب أمريكي مسلم أن ينهي علاقته بالقطاع، وأن يتحدث علانية. فأخير وكالة أسوشيتد برس أنه أمر بالانفصال صور داخل المساجد وجعل أسماء لأناس أبرياء يحضورون حلقات دراسية عن الإسلام. وأن "يستدعي" المسلمين ليدعوا بيانات ساخنة. قال شامير رحان، ابن التاسعة عشرة، إنه كان يتبع إستراتيجية شرطية اسمها "اختيام واسع" وهي تتضمن اقتحام مكاتب للنقابات عن الجهاد والإرهاب، ثم الإمساك بالرول إرساله إلى وحدة استخبارات الدائرة وكان ينبغي أكثر من ألف دولار شهرًا عن هذا العمل. بدأ شامير رحان العمل مع الشرطة بعد سلسلة من حالات الاحتجاز بسبب تعاطي الماريجوانا، اقترح منه شرطي في ملبس عادي في أحد سجون كولنجز، وسأله إن كان يريد أن يغير اتجاه حياته. كان من بين مهامه التجسس على رابطة الطلاب المسلمين بكلية جون جاي بانهايتين، إذ طلب منه تدوين "الخطاب المتطرف" قال رحان إنه لم ير أي نشاط إجرامي أو أي شخص يرتقب خطأ فقط. وفي النهاية شعر أن عمله مع دائرة شرطة نيويورك سيتي "مفوض للدستور.\(^{41}\) وطبقاً لتحقيق أسوشيتد برس، بحلول عام 2006 كانت الشرطة قد أُحصِّنت إحدى وثلاثين رابطة طلاب إسلامية ووصمت سبعاً منها بأنها "مشيرة للقلق"، هنتر كوليدج، وكليفة لا غاردا للمجتمع، وكولنجز كوليدج.\(^{42}\) وكثير من الكليات بما مرشدون أو عملاء متفحون بين جموع الطلاب. وفي حالة أخرى، أرسلت الدائرة ضابطًا متخيفًا وسط الطلاب المحتجين على العملية الإسرائيلية "الرصاص المصبوب" في هجيات 2009. تظاهر الضابط بأنه متعاطف متحمس للقضية الفلسطينية، وسعى إلى الانخراط بالناشطين. وكان عادة يستخدم لعنة عنيفة محاولة توريث من حوله، لكن دوره أنهى ولم ينجح في الحصول على أي حالات واضحة. ثم قابل العمل شابًا في السابعة والعشرين.
اسمه أحمد فرحاني، مولود في الجزائر وله تاريخ من المشكلات الصحية والعقلية، وكان قد أودع رغبته تحت الوصاية الطبية النفسية ثلاثين مرة في السنوات العشر الأخيرة. وظل العمل المتخفٍ يضغط على فرحاني ليشتري سلاحًا حتى وافق، ثم تمّت محاكمته بتهمة التخطيط المفترض لنفس أكبر كنيس في ماناهيت. 

أمثلة على فرحاني بعشر سنين سجن مع الترحيل عند انتهاء المدة إلى الجزائر. وكانت إدانته هي الأولى بمثابة قانون مكافحة الإرهاب في ولاية نيويورك الذي صدر استجابًا لأحداث 11/9.

وما إن شاعت هذه التكتيكات فيما يتعلق بالمسلمين، أمكّن تطبيقها على غيرهم.

إذ إن الدائرة تراقب جماعات سياسية مشهورة مثل جماعات المجتمع الأمريكي الأفريقي التي تحتوي على عناصر الشرطة والجماعات المؤيدة للقضية الفلسطينية.

أعلنت مجلة نيويورك ريفو أوف بوكس دليلًا قويًا على أن قسم الاستخبارات سُقِّل وسط منظمي حركة "اختلاس وول ستريت" وتُجسس عليهم وضيق عليهم بشكل يتسم بالعدوانية. ويستحضر هذا العمل تاريخًا طويلًا للقطاع من التجسس على النشطاء السياسيين المسلمين. ففي أثناء الحرب الباردة، استهدفت كتابة الحمراء الشيوعيين وأعضاء الاتحادات التجارية ومنظمات الحقوق المدنية والمتطرفين السود.

وبحلول 1970، كانت الدائرة قد أعدت ملفات لأكثر من 2.2 مليون من سكان نيويورك، كان يشاركون فيها مع محقّقين محقّقين ومسؤولين أكاديميين، وأصحاب أعمال محتملين. 

وقد رفع الناشطون قضية جماعية في العام التالي عرفت باسم "هاندشو ضد قسم الخدمات الخاصة" بشأن إزاعاج الدائرة للجماعات السياسية. وتم التوصل إلى دليل هاندشو الإرشادي في اتفاق تم بعد 14 عامًا، ففرض على دائرة شرطة نيويورك سبيّة أن تقتصر مُنظُّماتها في النشاط السياسي على الحالات التي يوفر فيها معلومات عديدة بأن سلوكًا إجراميًا على وشك الحدوث.

وبعد مرور عام على 11/9، قال الرئيس الجديد لاستخبارات الدائرة، ديفيد كوهين، في محكمة فيدرالية:
إن القيود الهدامة والمفروضة على دائرة شرطة نيويورك سيتي من ديل هاندشو في هذا العالم المتغير لتعويق جهودنا كل يوم، إذ تجعل من المستحيل كشف خطط الهجوم، (وهذا يضع هذه المدينة وشعبها في خطر كبير لا يعرف له.

وأعيد كتابة الدليل الإرشادي مع إزالة شرط أن تكون التحقيقات مرتبطة بنشاط إجرامي معين. بعدها تم إحياء تكتيكات الكتائب الحمراء القديمة، وهذه المرة هدفها الرئيس تجمعات المسلمين في نيويورك. لم يكن أحد يملك صلاحيات الإشراف على الدائرة ليتأكد هل أنشطتها الاستخباراتية و拦قاحة الإرهاب تحتك الحقوق المدنية (برغم أن مجلس مدينة نيويورك صوت في أغسطس 2013 على تعيين مفتش عام كعلاج متعمل). تكشف رسالة إلكترونية من مستول كير في إف. بي. آي. إلى شركة الاستخبارات الخاصة ستراجفور، نشرها موقع ويكيليكس في عام 2012 عن علم بأن أنشطة الدائرة في مكافحة الإرهاب غير قانونية، وأها تواصل خبرات تاريخية سابقة في المراقبة الشرفية السياسية:

أكبر كل كأننا نضحك معًا، ونرفع كؤوس الشراب يومًا ما عندما نكتشف كل شيء تورط فيه [قسم الاستخبارات بالقطاع في السنوات العشر الأخيرة - فلايد لكل شيء أن يكشف. وهذه الأشياء ستجلب [المدير السابق] لافت. بي. آي. جيه إدجاري وهوفر، وكويتبت، والكتائب الحمراء، وغيرها يبدأون هواة مبتدئين بالمقارنة ببعض الأنشطة الشرفية الصريحة وانتهاكات حقوق مدنية الولايات المتحدة التي تورطوا فيها.

ومن المفارقات المثيرة للسخرية أن إف. بي. آي. التي تتبع مسؤولية في التحول إلى التطرف يشبه ما تعرضه تقرير دائرة شرطة نيويورك سيتي، يستخدم نفسها أنشطة "شريرة". "(44)
أولويات السياسة

سواء كانت نتائج التحول إلى التطرف قائمة على الدين وحده، أو تحوي عنصرًا
نفسيًا اجتماعيًا، فإنها شجعت مؤسسات الأمن القومي على الاعتقاد بأنها تجسيد
هجمات إرهابية مستقبلية من خلال المراقبة المكثفة لحياة المسلمين الروحية والعقلية.
وكما ذكر سابقًا، فقد تم وصف الأيديولوجية الدينية المجرفة بأنها نوع من الفيروس
يصيب من يتعرض له بدلاً أو مع عمليات نفسية. لكننا رأينا أن أدبيات التحول
إلى التطرف عاجزة عن تقديم إثبات عملي مقنع على وجود علاقة سببية بين المتقدم
الديني والعنف، ولا يوجد دليل له أي ارتباط إحصائي دال بين مؤشرات التحول
إلى التطرف والعنف الإرهابي. بل إن مفهوم التحول إلى التطرف نفسه غالبًا ما يخاطب
بين الميل إلى العنف، والانجازاب إلى أفكار مترفة، مما يجعل السؤال عما يسبب
العنف غير منفصل بالقدر الكافي عن السؤال عنها يفعل الناس يعتقدون مباغطة
معتقدات وأيديولوجيات معينة.

بعد عالم الاجتياز الفرنسي أوليفيه روا مرجعية تحفيز باحترام كبير قبلها يخض
المسلمين الأوروبيين، لبدي لم يأت ما نالته كتب أخرى له عن الإسلام يقول فيها
إن الأجد الفصل بين الدين والعنف: "عملية التحول إلى التطرف العنف ضعيفة
الصلة بالمارسات الدينية، ولا يؤدي منهج ديني متطرف كالإسلامية إلى العنف
بالضرورة."(66) إن "القفرة إلى الإرهاب" لا يكون بدفعه دينية، بل الأقرب إلى
الحقيقة أنها تتشكل في "عوامل كثيرة مع غيرها من أشكال التمرد السياسي (اليسار
المتطرف) أو السلافي، كالمهوس بالعنف الانتحاري المفاجئ كما يظهر في نموذج
إطلاق النار العشوائي في المدارس ("المتالفة الكولومبية")."(67) فربما استخدمت
جماعات معبدة مفردة للفناء للتعبير عن تصوراتها، لكن ذلك في حد ذاته ليس
دليلًا على أن الأيديولوجية الدينية تسبب العنف، بل إن الأمر بما فيه أن الإشارات
الدينية تمنع غطاء من الشرعية. إن الأيديولوجية الدينية أقرب إلى التأثير كعنصر لتشارك الجماعة وليس بوصفها الدافع لارتكاب أفعال إرهابية.

بعم المشكّلات التحليلية لمفهوم التحول إلى التطرف فإنه ما زال واسع القبول بين صناع السياسة في أوروبا والولايات المتحدة. أما الاحتمالات البديلة لفهم الإرهاب، لا سيما اعتباره نمطًا من الفعل السياسي، فنصبها التجارل. تبحث وكالات المراقبة الشرعية عن كتابات تعطيها تركيبات سحرية لتبتؤ بكنسيون إرهابيًا في المستقبل، أما السؤال التفصيلي عن سبب تحول شخص بعينه إلى إرهابي وليس آخر يعيش في السياق السياسي نفسه، فلا نصب له في التحليل والأحسن أن يعتبر خارج أفقي التوقع. لقد تمّ تخصيص موارد ضخمة لإيجاد صيغ تفسيرية للتحول إلى التطرف، ولم تظهر صيغة مقبولة حتى الآن. في أحسن الأحوال، يمكن تصور الطريق المؤدي بالشخص إلى الإرهاب على مستوى فرد بعد الحدث.

وعليه فإن أفضل منهج تجيه وكالات إنذار القانون هو التحقيق في التحريض النشط والتمويه أو الإعداد للعنف الإرهابي، وليس منظومات المعتقدات التي يزعم خطاً أنها عبادة الإرهاب. من ناحية أخرى، فإن المستوى الأدنى للسياق عن الظروف التي ترفع أو تخفض شرعية مثل هذه الأنشطة بالنسبة إلى أي طرف سياسي (حركة اجتماعية كانت أو حكومية) سؤال يستحق التحقيق لما يرجى منه من نتائج منطقية. وكذلك سؤال المستوى العام كما كانت هناك حركات إجتماعية وحكومات نشأت معارضة بطبيعها، وهل تتفاعل بين هذه الأطراف السياسية المختلفة ينتج سيناريو يشير فيها العنف تكتيكًا مشروعاً. أي دراسة موضوعية ستدرس كيف تقدم الأطراف الحكومية وغير الحكومية نفسها كمكانيين في صراع كوكبي بين الغرب والإسلام المتطرف، وتدرس الظروف التي تدفعها إلى اختيار تكتيك العنف، مع الاهتمام الكبير بالعلاقات بين الأطر التي تمنع كلًا منها الشرعية. ميزة هذا المنهج هي تحقيق الانساق بين المروف عن سير الإرهابيين أنفسهم وأفعالهم ووصفهم لأنفسهم، ومن يعلمون تأييد العنف الإرهابي. ولتأخذ حالة
أنور العولقي. منذ 2009 حتى مقتله بلا حكم قضائي في ضربة طائرة بدون طيار في سبتمبر 2011، كانت حكومتا المملكة المتحدة والولايات المتحدة تدعاه مصدرًا من أشد أنواع الإرهاب خطورة على بلديها، وكان متهماً ب牽 التطرف بين المسلمين الأمريكيين والبريطانيين عن طريق استخدامه ليوتيوب والفيسبوك والمراسلات الإلكترونية. كان العولقي مواطنًا أمريكيًا ولد في نيو ميكسيكيو، تعلم في اليمن ثم عاد إلى الولايات المتحدة عام 1991، وعاش بها إثني عشر عامًا، ثم قضى عامين في المملكة المتحدة ثم عاد إلى اليمن. وطبقًا للجهات الأمنية، فإن معرفته بالثقافة العربية والعربية جعلت تأثيره بين مسلمي الغرب أكبر. وبداية من عام 2008، اعتبر شخصية تستطيع من مقره في اليمن أن يدفع بمسلمي الغرب في طريق الإرهاب باستخدام إتصالات الإنترنت في تهديد الأسس الدينية والنفسية التي ينظر أنها لازمة لعملية التحول إلى التطرف - ابن لادن جديد، لكنه اختير لقدرته على التأثير في مسلمي الغرب الساحطين. وفي ذلك الوقت، كان وكلا إف. بي. أي. يراقبون تطوراته على الإنترنت عن كثب، وكان يريدهم تهريب سبعين رسالة إلكترونية يوميًا في المتوسط. (50) ويبدو أن إدارة أوباما وضعت العولقي على قائمة القتال بلا حكم قضائي في يناير 2010، (51) توقف مستوى الحكومة عن وصف العولقي بأنه مروج للطرف، وبدأوا يشيرون إليه كإرهابي نشط. ولذا، استشهدت الإدارة بتحقيق مع عمر فاروق عبد الله، بعد محاولته الفاشلة نحو طائرة مسافرة من أستراليا إلى ديترويت في يوم عيد البلاد عام 2009. وعند أثناء التحقيق، قيل إن عبد الله كشف تورط العولقي في المخطط على المستوى الإجراة. لم يُعتبر هذا الادعاء في المحكمة فقط، لكن وزارة الأمن الداخلي جانت نابلسانو قالت إن العولقي كان ضالعًا بنفسه في التخطيط للمهاجرات. (52) وقال مدير المخابرات جيمس كلاير إن العولقي انضم إلى القاعدة في الجزيرة العربية، وكان يؤدي دورًا رئيسيًا في إعداد التوجه الاستراتيجي للجامعة. وفي بريطانيا اتهم العولقي بالضلوع الإجراة في مخطط لاستغلال ثغرات في أمن المطار عن طريق
المراسلة الإلكترونية مع رجب كريم، الموظف في "الخطوطة الجوية البريطانية". أما نضال حسن الذي نفذ هجوم فورت هود في تكساس في نوفمبر 2009، فيصل شاه زاد الذي حاول تفجير سيارة متفجرة في ميدان تايمز في نيويورك في مايو 2010، فكانا من بين آلاف تواصلوا مع العولقي بالبريد الإلكتروني، مع ذلك ليس هناك دليل على أنه وجه أيًا منها لارتكاب عمل عنف. والشيء الذي لا يقبل السلك هو أن العولقي في ذلك الوقت كان ينشر موارد على الإنترنت تدعو إلى العنف ضد الغرب. وقد امتدح نضال حسن وسياحة "بطلًا بسب هجومه على فورت هود الذي قتل فيه 13 شخصًا. وتشير الوثيقة التي نشرها بعنوان "44 طريقة لدعم الجهاد" في يناير 2009 افترضت طرقًا مختلفة لدعم المجاهدين، منها الدعم المالي والدعوة والتدريب. لكن نص الوثيقة كان مبهمًا في في خص تعرف المجاهدين ومن يقاتلوهم، لكنه كان واضحًا في أن نضاله علالي الأفق وموجه ضد "الغرب" كله، حيث يرى الغرب منظومة ثقافية معادية للإسلام. وقد خلص إلى أن كل من يفكر بوضوح يمكنه أن يتبين أي الجماعات تقاتل اليوم بحق من أجل الإسلام.

المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتمييز والحرب الداخلية على الإرهاب

عسكريًا، وتفى ألا تكتسب آراء ابن لادن تأييد الناس، وفيما يخص مفهوم الجهاد ميز بين نوعي المشهورين حاليًا: "الأكبر" وهو جهاد النفس، و"الأصغر" وهو استخدام القوة المادية للدفاع عن النفس. وقال إن الجهاد أولًا سمعي شعبي للرقي بالنفس وجهاد المجتمع ليخلص نفسه من الفساد. وقال للصحفيين:

"فإذا جاءت قوات خارجية غازية، فعلينا أن نجاهد للدفاع عن أنفسنا، وهنا يحدث القتال المسحل. ومن ثم فإن القتال الفعلي ليس إلا طرقًا من الجهاد، وهو قوة دفاعية لحماية الدين."(66)

وقد ميز بين الإرهاب الذي يستهدف المدنيين، وهو ما يعارضه، والانتفاضات داخل سياقات عالية عدّة تهدف إلى حماية المسلمين من الاحتلال العسكري، وهذا ما يؤيده. وكان قد أمضى الصيف في زيارة إلى أفغانستان وهو طالب في الجامعة في سن المراهقة في نهاية الثمانينيات، وتضمن ذلك قضاء بعض الوقت مع المهاجرين الذين يقاتلون الاتحاد السوفيتي، والذين كانوا في ذلك الوقت يتلقون دعم الولايات المتحدة. وفي التسعينيات أبدى تأييده للتمرد الشيشاني على الجيش الروسي، ومؤكد أن حكومة الولايات المتحدة التي حققت في حاليه بكثرة بعد 11/ 9، كانت تعد العوالم معتدلاً. بل إنه دُعي إلى حفل غداء في البنتاغون، بوصفه إمام أكبر مسجد في العاصمة واشنطن، منطقة وسط المدينة، في محاولة من الجيش الأمريكي للتواصل مع مسلمي التيار الرئيس الأمريكيين، بل إنه ألقى خطبة الجمعة في كابيلتون هيل.(66)

في العام التالي شنت إف. بي. أ. سلسلة حملات لمكافحة الإرهاب على المؤسسات التعليمية والبحثية والتجارية والخليفة الإسلامية في فرجينيا الشمالية، حيث مقر العوالم، فأثار ذلك غضب لأن هذه المؤسسات استهدفت لمجرد أنها إسلامية. وصف العوالم لجمهورية كيف صوب العملاء بنادقهم على النساء والأطفال وقيدتهم لساعات. وقال: "إلم تناضل من أجل حقوقهم، سننزع..."
منك خطرة خطوة، حتى لا يكون لديك شيء. ودعا الأمريكيين المسلمين إلى الاتحاد والتعاون مع "المنظمات الإسلامية توجه سياسي ووجه نحو الحقوق الدينية" لمواجهة الحرب على الإرهاب، التي أصبحت حربًا على المسلمين.(52) دفعت هذه الحملات العولقي إلى إعداد اتفادات عرفية للحرب على الإرهاب واعتبارها عدوًا على دينه. لكن اعتراضاته صارت بلغة الحقوق الدينية والاحتياج إلى التنظيم السياسي للدفاع عن المجتمع. وأوضح إشارته إلى مالكولم إكس وإتش راب براؤن بأن الاستراتيجية الصحيح للمسلمين الأمريكيين هي الاستفادة من تاريخ الراديكالية السياسية والتنافس السياسي للسود. "لم يلتزموا حقوقهم منحة"، بل اكتسبوها من خلال النشاط السياسي. ولكن العولقي نفسه قال لأصدقائه إنه صار أكثر وعيًا بحقيقة تجريم الولايات المتحدة للمسلمين وسياساتها الخارجية العدوانية، وينوي مغادرة البلاد. وفي مارس 2002، انتقل إلى المملكة المتحدة، حيث واصفة المسلمين إلى النشاط السياسي للدفاع عن حقوقهم الدينية ومحاولة السياسة الخارجية الخاصة بحرب على الإرهاب. بعدما بعدين استقر في اليمن في منطقة شبوة في الجنوب.(53)

ظهر أول مؤشر على تغير موقف العولقي في ديسمبر 2005، مع نشر محاضرته "ثوابت على طريق الجهاد" على الإنترنت. وفيها تراجع إلى الإنجليزية نصًا ليوسف العيري - محارب سعودي قديم في الجهاد ضد السوفيت في الثمانينيات، ثم صار ناشطًا في تنظيم القاعدة في السعودية قبل أن يقتل النظام السعودي في عام 2003 - وقد استغل التراجع كفرصة لتقديم تعليقه. بدأ المحاضرة بالإشارة إلى أن الأمم القوية "تستند على جهات عديدة، دينية وسياسية واجتماعية وإعلامية وعاجزية شعبة، إلخ" لقتل الإسلام، وإن كثيرًا من المسلمين يتقدمون بالظن أنه ليس عليهم الرد بالمثل. لم يعد العولقي يعتقد أن الجهاد جهاد داخلي، بل إنه الآن واجب على كل مسلم قادر أن يقاتل في كل مكان في العالم نصرةً للجهاد، كما يقول العولقي، ليس رميًا بالذات، أو حتى تحرير بعض المناطق من الاحتلال.
الاجنبي، بل إن هدفه الحقيقي هو "محو الكفر من الدنيا"، وهو جهاد سيستمر إلى يوم الدين. معنى ذلك أن "الجهاد عالمي وليس ظاهرة علية". وقد أعيد تعريف الجهاد الآن بوصفه حربًا عالمية للدفاع عن الإسلام ضد الغرب دون حدود زمنية أو مكانية. في هذه النقطة من مسيرة العولقي، ظلت تحديد المنهج المتبقي مهمًا لأنها تشمل أنواعًا مختلفة من القوة (عسكرية وثقافية وأيديولوجية)، وهي عالمية المدى ولم تتفهم على المسلمين كافة. (59)

في صيف عام 2006، اعتقلت السلطات اليمنية العولقي. وحسب ما أورد سكوت شين، الصحفي في نيويورك تايمز، سُجِن أول مرة بسبب "نزاع قبلي"، ولكن بعد هذا الاعتقال الأول أمر جون نيزغوبنتي، مدير المخابرات الأمريكية وقتها، الحكومة اليمنية أن تبقى في السجن. وبعد احتجازه لمدة عام ونصف العام، وبضغط متصاعد في اليمن لإطلاق سراحه، عكست حكومة الولايات المتحدة قرارها. (60) وتم إطلاق سراح العولقي دون توجيه تهمة في ديسمبر عام 2007، وبعدما بقى أجرى مقابلة شخصية مع معظم بيغ، وهو مسلم بريطاني تعرض للاعتقال في غواتيمالا وصار بعده داعية للدفاع عن حقوق السجناء. وفي جزء من المحادثة لم يشير إلى حينها، قال العولقي لبيغ إنه تعرض للإساءة وهو في السجن، لكنه لم يُر الدخول في التفاصيل أو رفع دعوى. وقال أيضًا إن عمله إف، بي، آي. استجوابنه أثناء احتجازه، وكانوا على علم بها قبل قرار نقله. (61)

كان العولقي قبل احتجازه في اليمن قد بدأ يرى العالم عاملًا في صراع عالمي بين الغرب والإسلام. والآن، بعد خبرة السجن والتعذيب المرجع أنه بتكمل مع الحكومة الأمريكية، فقد تغلق عن أي حرفات لتخليص استهداف المدنيين في البلد التي يعمل جنسيتها. وفي غضون شهر من إطلاق سراحه، أنشأ مدونة ووقال هامًا جديدًا على الإنترنت. واستمرت أغلب مواده المطبوعة على شبكة فتوى رداً على أسئلة شخصية بشأن موضوعات كالطلاق والصيام، لكنه بدأ أيضًا في إعلان تأييده الصريح لاستخدام العنف ضد الولايات المتحدة. وبحلول صيف 2009 كانت
رسائل العولقي الإلكترونيّة الجماعيّة تصف أي مسلم يقاتل في صف أمريكا ... بأنه وحش بلا قلب، يقصد الشر ويبيع دينه بحلفات دولارات. (62) وفي مارس التالي، في مقابلة شخِّصية مع "الجزيرة"، أعلن تأييده لمحاولة عمر فاروق عبد المطلب تفجير الطائرة المتجهة إلى الولايات المتحدة. وأضاف: "لقد كانت الطائرة حرية أو هدفًا عسكريًا أمريكيًا لكن أفضل ", وحتى الأمريكيون الذين أنتمون أهداف مشروعة لأنهم صوتوا للمرشحين المؤيدين للحرب. (63) وفي تصريح آخر قال: "لا يلي من المفارقات الساخرة أن تكون العاصمتان المحاربتان للإسلام، واشنطن ولندن من مراكز "الجهاد" في الغرب؟ فقد صار الجهاد الأمريكي كفطرة التفاه، يريدطبيًا كشاي العصر. (64) ولو كان بين المسلمين الأمريكيين نزوع إلى عنف الإرهاب، لكان ذلك الفرصة هي الأسباب لأعداد ضخمة من متابعي دروس العولقي عن سير أعلام التاريخ الإسلامي أن يعملوا السلام - مستغلين، مثلًا، سهولة الحصول على السلاح في الولايات المتحدة - ويرتكبون المذابح. أما ما حدث فعلًا فهو أن الأعداد الضخمة التي كانت تتبع الرجل انضمت عنه بعد اكتشاف آرائه من خلال وثائق مثل "44 طريقة لدعم الجهاد".

كيف نفسر تحول آراء العولقي في العقد الأخير من عمره، بالتأكيد لا يتوفر دليل على أن صحوة دينية دفعته إلى اعتناق فهم ديني مختلف جذريًا. فإنه فقه الجهاد عندما كان داعيًا يجري مفهوم ضرورة القوة العسكرية للدفاع عن الإسلام في ظروف معينة. لكن تلك الضرورة في فهمه القديم تكون في سياسات علنية محددة، حيث يسعى المسلمون إلى تحرير أنفسهم من الاحتلال الأجنبي، وفي نهاية عام 2005، بدأ يوجد بأن المسلمين يواجهون صراعًا عواليًا وليس مجرد سلسلة من الحروب المحلية، وأن ذلك الصراع له أبعاد أيديولوجية وعسكرية. ومن المنظور الفقيه، كان السؤال الرئيس في الدعوة إلى هذا الموقف هو هل يتفق مع indemn، المستقر في الفقه الإسلامي، وهو أن المواطنين ملتزمون الالتزامًا تعاقدًا بأحرام قوانين الدولة ولا يجوز تحملها حتى إذا دخلت الدولة في حرب مع أخرى ذات أغلبية إسلامية أو
أطراف أخرى مسلمة. لكن التغيير في موقف العولقي لا يمكن رده إلى تغير في الموافق الحقيقي من الاتفاق الإسلامي بحفظ العهود، والحقيقة أنه لم يحاول في أي منشوراته أن يدحض الاعتراف النقدي الواضح على موقفه (65) رغم أنه يسعى جاهدًا إلى تقديم خطاب إسلامي يجيء فكرة الجدية عن الحرب العالمية متبعة الأبعاد. لكن المفتاح هو أن مفهومه عن الحرب العالمية يعكس خطاب الحرب على الإرهاب نفسه، الذي لا يعترف بحدود جغرافية ويشير إلى صراع متعدد الأبعاد وله آفاق مادية وأيديولوجية. كان العولقي دارسًا تابعًا لهذا الخطاب، وعلم بدعوات مؤسسة راند إلى ”معركة أفكار“ إلى خلق ”إسلام معتدل مؤيد للغرب- وهو ما سياسة إسلام راند“ (66) الجديد فعلًا في تصريحات العولقي من نهاية 2005 وما تلاها لم يكن موقفه الفقهي، بل تأويله الجديد للظروف السياسية التي يعيشها المسلمون. فإن المصدر الأول لفكرته عن حرب عالمية للفداء عن الإسلام هو تلك الهوية الحربية التي تتمثلها سياسات الحرب العالمية للحرب على الإرهاب.

وفي درس ألقاه في عام 2010 بعنوان ”دعوة إلى الجهاد“، يصف تكون موقفه الجديد.

لنسا ضد الأمريكيين لأنهم أمريكيون، بل ضد الشر. وقد تحوّلت أمريكا كلها إلى أمة للشر. إن ما نراه من أمريكا هو غزو دول [لا يسمع بها] نرى أبا غريب وغزام وغواناتانامو، نرى صور وخز صور وانتشار الأفكار. ولن يزال البغاء في اليمن منذ قليل سوق ثلاثة وعشرين طفلاً وسبع عشرة أسرة. لا يمكن أن نثق مكتوب في الأيدي في وجه هذا العدو، وستقاتلهم كما يقاتلوننا، ونمحط الآخر على فعل الشيء نفسه. انا نبني ولد ذي الولايات المتحدة وعشت فيها وأخذ وعشرين عامًا. كانت أمريكا وطنًا كنت داعية للإسلام، أدعو إلى العمل الإسلامي السلمي. لكن مع الغزو الأمريكي للعراق، وتوافق العدوان الأمريكي على المسلمين، لم استطع أن أوفق بين الحياة في الولايات المتحدة، وكوني مسلمًا حتى خلصت إلى أن الجهاد ضد أمريكا فرض علي كل مسلم قادر. (67)
إن صح هذا التفسير لما دفع العولقي لدعم الإرهاب ضد الولايات المتحدة، ولا داعي للشك فيه، فإن تحوله إلى التطرف يتسم مع النمط التاريخي للنشاط السياسي الذين يعتنقون الإرهاب عندما يفشل العمل السياسي في تحقيق التغيير، من الفرنسيين الذين بدأوا حملات تفجير بعد هزيمة "كومونية باريس"، حتى جيش التحرير الجزائري الذي ناضل من أجل إنهاء الاستعمار الفرنسي، وحتى "إعلان حالة الحرب" من جانب تنظيم "وذر أندرغرافوند" بعد قمع الحكومة، حملات الطلاب ضد حرب فيتنام.

إن التيار الرئيسي من عقلية التحول إلى التطرف الذي نظرنا في تطور فكر العولقي يواجهون معضلة. إذ تقول نظرياتهم إن سياسات الحرب على الإرهاب ليست الدافع له للانتقال من العمل السياسي إلى دعم العنف ضد الولايات المتحدة، ولا يذكر أن السبب عملية نفسية أو دينية كبيرة. ولا تظهر مثل هذه العملية في حياته بعد 11/9، لذلك فهم يحاولون تقل النقطة الزمنية التي تقول فيها إلى التطرف إلى تاريخ سابق، ثم يفترضون أن هذه العملية حدثت في التاريخ المزعم، وهي فترة لا نعرف عنها الكثير. معنى ذلك أن تعريف التحول إلى التطرف اتسع ليشمل أي نوع من المعارضة السياسية للوضع الراهن، أو أنه عندما كان يعد معتدلاً، كانت تصرحاته العقلية مجرد غطاء. وأنه كان يطعن الدعوة إلى العنف ضد الولايات المتحدة. وسعى مخلو التحول إلى التطرف إلى دعم الافتراض الأخير، فذكروا الادعاء بأن ثلاثة من مخاطفي الطائرات في 11/9 كانوا من مرتادي المساجد التي كان إمامها العولقي في 2000 و2001. (64) مع ذلك، ورغم تكرار التحقيقات، لم يظهر أي دليل قط يثبت أن ذلك كان أي شيء سوى محض مصادفة، وهذا ما خلصته إليه إف بي آي. (65)

(64) اللجنة الثورية التي حلت محل بلدية باريس في الثورة الفرنسية عام 1789. (الترجمة)
عجزت نواحي التحول إلى التطرف الرسمي عن تقسيم تحول العولقي إلى داعم للعنف ضد الولايات المتحدة، بل شجعت النزاع بأن داعية إلى الإنترنت كانت فروعًا أيديولوجياً يمكن أن يصيب شباب المسلمين في الغرب، وئذن مكانة من الاهتمام بفهوم الإرهابية. كان السبب الرسمي الذي قدمته إدارة أوباما لقتل العولقي دون حكم قضائي هو قيامه بدور إجرائي نشط في تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية. تؤكد الورقة البيضاء المكونة من ست عشرة صفحة أصدرتها وزارة العدل تلخيص حياتها القانونية المزعومة لأعمال القتل المستهدفة أن الحكومة تملك قانون سلطة قتل مواطن أمريكي، إذا قرر "مستوى كبير مطلَّع" أن الهدف شخصية كبيرة في القاعدة أو أي جماعة موزعة، ويعمل "خطرًا بحجم عينه ضده أو ضدها". أما القبض عليه ليس منكًّا، "إذا استخدمت عبارا "خطرًا محدقاً" استشهادًا فضلاً يسمح بأن يدخل تحته أي شخص يمكن وصفه بالعمل النشط مع القاعدة، ما يرتبط بها من منظمات. ورغم أن أحد الشروط اللازمة لهذه العمليات حتى يسمح بها القانون الدولي أن تقع في قلب المعركة، فإن الحروب على الإرهاب تعامل كأن العالم كله ساحة لها. لذلك، وقعت ضربات جوية بطائرات بدون طيار في باكستان واليمن والصومال، وكلها أماكن ليست في حالة حرب رسمية مع الولايات المتحدة. ومع كل محاولات وضع غطاء شرعي زائف على سياسة قادها الأغتيالات، فإن السبب الحقيقي لاغتيال أنور العولقي هو اعتباره عرضًا على التطرف، وأنشطة الأيديولوجية قادرة على دفع المسلمين العرقيين إلى ارتكاب العنف الإرهابي. لكن يستحيل إثبات هذا الدور إلا في وجود نواحي مقبولة للتحول إلى التطرف بها أيديولوجيا جهادية تدفع الناس إلى العنف.

ولا توجد إلا حالة واحدة يتوفر فيها دليل واضح على أن تصريحات العولقي عملت طبقًا لهذا النموذج - وهي حالة روجنها تشارلي شوشر التي حاولت طعن البرلماني البريطاني ستيفن تيمز في مكتب دائرته في مايو عام 2010. ففي مقابلات شخصية مع ضابط الشرطة بعد الحادث ذكرت أنها استمعت إلى النصات من دروس
الفصل الرابع: أطراف النزاع إلى النزاع

العولقي، ونتيجة لذلك، فقد اعتقدت أن من واجبها تنفيذ أفعال عفّى دفاعًا عن الإسلام؛ لكنها كذلك تحدثت عن غضبها من الحرب العراقية، وقالت إنها استهدفت تبجي لأنه صوت تأييدها.

17 من الصعب أن تيقن ما لدينا من مادة كيف اجتمعت الأيديولوجية الدينية والمعتقدات السياسية في دفع تشوردي إلى محاولة الطعن. ولكن لأن العلاقة بين الأفكار والأفعال مهمة، فلا يجب تجريم الأفكار. فإذا كان السبب الحقيقي وراء قرار إدارة أوباما اغتيال العولقي هو من فروعه الأيديولوجية من التفشي في الجمهور الغربي، فإن هذا يعني تأسيس القرار على نموذج مخفي للتحول إلى التطرف، كذلك اتهام هذا المبدأ الليبرالي بأغلظ طريقة تمكينة. وقد كانت هناك بدائل أخرى لم تكن. يقول فوزي أ. جرخس، وهو عالم سياسة بكلدنسهلاند لللاقتصاد، إن اليمن اتهمت العولقي رسميًا بالتحريض على العنف في أكتوبر 2010. ويقول إن الإعلام عن محاكمة عادلة كان يكفي لعمل اتفاق مع الزعيم المحلي في جنوب اليمن لتسليم العولقي للسلطات اليمنية لمواجهة المحاكمة. وقد قال أحد كبار الزعيم في مقابلة شخصية وقتها إنه يقبل هذا العرض.

21 في الحالات التي نفذ فيها مسلحوين أمريكيون أفعال عنف أو شرعوا فيها تظهر الصورة نفسها. يتحدث المغتدون عن الظروف السياسية التي ساهمتهم في فعل ذلك وليس عن أيديولوجيتهم الدينية. في فبراير 2006، كان فيصل شاه زاد، المهاجر الباكستاني المقيم في نيويورك، يقلب رأسه في السؤال عن استجابة المسلمين للحروب في العراق وأفغانستان ونخبة الفلسطينيين والعربيين ضد المسلمين في الغرب. فكتب رسالة إلكترونية إلى مجموعة من الأصدقاء مدعيا أن الإسلام يحرم قتل المدنيين الأبرياء، لكنه لا يعرف كيف يحدث الاحتاجج السلمي تغييرًا: "هلا عرفتموني طريقة لإيقاف المظالم؟ وطريقة للرد عندما تطلق علينا الصواريخ ويسفح الدم المسلم؟" بعد تظاهر الملايين بقوة وفشلهم في منع الحرب على العراق، لم تكن هناك إجابات سهلة لهذه الأسئلة. بعد ثلاثة أعوام صارت الأسئلة شخصية...
أكثر. فقد وسع الرئيس أوباما حملة ضربات الطائرات بدون طيار في باكستان. وبينما كانت وسائل الإعلام الأمريكية تتكلم بانتباهات لا مثليها إلا بإمكانات تكنولوجيا جديدة، تتجاوز الحدود الجغرافية، ارتفع معدل القتال في باكستان، لا سيما في منطقة الباشتون موطن شاه زاد. قُتلت الطائرات الأمريكية بدون طيار 98 مدنيًا بريئًا في باكستان في عام 2009، حسب تقديرات مكتب الصحافة الاستقصائية في لندن. وفي أبريل، أرسل شاه زاد رسالة إلكترونية أخرى إلى أصدقائه بما جمع فيها السياسيين الباكستانيين لفشلهم في الدفاع عن البلاد ضد هذه الهجمات.

كان شاه زاد في هذه الفترة قد حسم الأسئلة التي طرحها من قبل، وصار يؤمن بأن قتل المدنيين يمكن تبريره كجزء من حرب دفاعية مفتوحة ضد الغرب. وبعدما بشهرين، وصل إلى باكستان ليتجمد إلى طالبان، وفي مايو التالي حاول تفجير سيارة مفخخة في ميدان تايمز سكوير. وعند استجوابه قال لللصقبي إن شروطه في الهجوم كان ردا على احتلال الولايات المتحدة للعراق وأفغانستان وضرباتها الجوية لطائرات بدون طيار في الصومال واليمن وباكستان. وقال إنه يعد نفسه "مهاجمًا، جنديًا مسلّى. رد القاضي بأن ضحايا المقصودين لم يكونوا معاربين يغرون دولًا أخرى، بل مدنيين. فرد شاه زاد: "نعم، الشعب يختار الحكومة، فسأل القاضي: "بمن فيهم الأطفال؟" مرت فترة صمت طويلة قبل أن يقول شاه زاد أخيرًا: "إن ضربات الطائرات في أفغانستان والعراق لا ترى الأطفال، لا ترى أحداً. إنها تقتل النساء والأطفال، تقتل الجميع. "("3") مرة أخرى، الإرهابي كان يهاجم أعين الحرب على الإرهاب.

في حالة تضامن حسن، الطبيب النفسى العسكري الذي نفذ هجوم فورت هود، يبدو أنه كان يتصرف مع دوره في الجيش الأمريكي، منذ بداية حرب العراق عام 2003، فمن ناحية، انتهى ولاؤه للجيش الأمريكي أن يحارب مسلمين في مناطق أخرى من العالم في حروب بعدها طامحة. ومن ناحية أخرى، هل يقتضي ولاؤه للمسلمين في مناطق أخرى من العالم أن يترك الجيش الأمريكي - أو يقاتل
ضده؟ كانت سياسات الهوية ذات الطابع العسكري في الحرب على الإرهاب تعتمل في أعقاب نفسه. فمن 2003 حتى 2007، عندما كان طبيعة مفيضًا في برنامج الطب النفسي بمركز والت ريد الطبي العسكري القومي في بيسيدا في ميريلاند، سُلسل مباشرة هل يقاتل مسلمين آخرين، وهل هو مؤهل حقيقة لموقف المعرض دينيًا، إنه ليس مؤهلًا له. ففي عرض أكاديمي كان عليه تقديمه، اختار مناقشة التأويلات الإسلامية لجزء استخدام العنف، وأمر إلى زميل أنه تقدم لموقع التالي لجامعة الخدمات العسكرية للعلوم الصحية. وفي عرض آخر سُلسل هل الحرب على الإرهاب في الواقع حرب على الإسلام، واقترح دراسة بحثية تسأل هل المسلمون في الخدمة العسكرية يعانون صراعات بين ولائهم للولايات المتحدة وولائهم لإخوان المسلمين في مناطق أخرى من العالم. (64) في نهاية مارس 2008، راسل حسن أنور الخولي إلى الكونغرس يطلب منه "بعض التبليغات العامة عن المسلمين في الجيش الأمريكي". كان جمل مرسالة رسمية إلكترونية، وتلقى رديًا، لم يجب أينه عن سؤاله الأصلي أو تقترح عمل أي شيء. تم تعين حسن للعمل في المركز الطبي العسكري في درندال، فورت هود، تكساس، في يوليو 2009، وأجرى جلسات خاصة مع جند مصابين بصدامات بسبب مشاركتهم في الحروب في العراق وأفغانستان. وبناءً على روايات مرضاء، طلب من رؤسائه العسكريين التحقيق في احتفال وفوع جرائم حرب، وتم رفض الطلب. (73) في أغسطس، تم تخييم سيرة حسن، وبعد القبض على الجنائي، اتضح أنه لاحظ ملخصًا إسلاميًا على مصاصات سيرة حسن، فقدفعه إلى ذلك كراهية الإسلام. بعداً بشهرين، صدرت تعيينات الجيش إلى حسن بأنه سيجعل إلى أفغانستان قريبًا. فصارت معظمها القديمة الدائمة أمرًا عمليًا ملحوًا، وليس جدلًا أكاديميًا. لم يعد قادرًا على أن يحمل في نفسه ذلك الانقسام بين هويته المتعارضة. (74) في الشهر التالي دخل مركز تعبئة فورت هود، وفتح النار من مسدس نصف آلي له منظار ليزر، فقتل 12 جنديًا أمريكيًا وحده. موظفي وزارة الدفاع، 42 آخرين. (75)
الفصل الخامس
قلب وعقل

سائني في أول الأمر وصفي بالطريقة، فلما أمتعت التفكير، أخذت أستمد من هذا الوصف شعورًا متزايدًا بالرضا.

- مارتن لوثر كينغ الأب، رسالة من سجن برنقهام سيتي

في أبريل عام 2010، دُعيت تاليا لادور - فريشر، نائبة سفير إسرائيل في المملكة المتحدة وقتها، للتحدث بجامعة مانشستر بشمال إنجلترا. وكانت إسرائيل في السنة السابقة قد شنت هجومًا مدمرًا على غزة عرف باسم "عملية الرصاص المصبوب"، أدانه القاضي الجنوبي أفريقي البارز ريتشارد غولدستون في الشهر السابق على محاضرة لادور - فريشر. كلف القاضي برئاسة لجنة تحقيق الحقائق تابعة لمجلس حقوق الإنسان بالأمم المتحدة عن الحرب في غزة، ووصف تقريرها ما قامت به قوات الدفاع الإسرائيلية بجرائم حرب، وربما جرائم ضد الإنسانية. وفي مانشستر حيث المواجهة المرة مستمرة لسنوات بشأن قضية إسرائيل وفلسطين، خطط ناشطو الحقوق الفلسطينية لتحدي نائبة السفير فيها يخص الإهانات الموجهة فيه تقرير غولدستون أثناء إلقائها محاضرًا. لكن الترتيبات الأمنية الصارمة منعت الناشطين من دخول المبنى. تجمع الناشطون عند المخرج المؤدي إلى موقف سيارات الجامعة.
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطبيع والحرب الداخلية على الإرهاب

أمَّا في مواجهة لادور - فريشر وهي تغادر الجامعة. عندما ظهرت سيارته متعفناً من التحرير لتوان، فانقطعت السيارة وسط الحشد وانقطعت سريعاً. وكان من بين الواقفين أمام السيارة جبل سكوت، طالب في السابعة عشرة، وعضو في حزب العمال الاشتراكيين. أصابت السيارة جبل وهي تندفع وسط المحتجين ورفعته على مقدمتها فأصيب ببرع بسيط.

أثار الاحتجاج رد فعل عنيفًا من رون بروزور، سفير إسرائيل في المملكة المتحدة وقته:

إن ما يحدث في الجامعات البريطانية التي يموّلها دافعو الضرائب شيء صادم.

النفر لا ينتهي في هذه الأمور التعليمية، بل ينفسي. وإن أذني مستعدان تنتظران سباع أعلاً درجات الإدانة لهذا السلوك من المسؤولين عن الجامعة وكذلك السلطات المحلية.

وعلى الفور، ذهب ضباط شرطة مانشستر الكبرى إلى بيت جيل واعتقلوه للإشراف في إشارة الفوضى العامة. ادعى لادور - فريشر أنه ألقى بنفسه على زجاج السيارة الأمامي عدة مرات وهو يحشد شعارات معايدة للسلامية. لكن أحد حراس الأمن بالجامعة من شهدوا الحدث نفى ذلك سريعًا، فلم توجه أي اتهامات إلى جيل. لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد. فمنذ 2008، كانت شرطة مانشستر الكبرى واحدة من القوّات التي تدير مكتبة لكافحة التطرف عرف باسم "تشتيل" (القناة) - وهو جزء من برنامج بريطانيا لمنع التطرف العنيف - هدفه عمل ملفات لشباب لا يشتبه في ضلوغهم في نشاط إجرامي. لكنهم، رغم ذلك، يعانون من مجهريات في اتجاه التطرف. يتضمن البرنامج منظومة مراقبة واسعة تشمل ضمن ما تشمل، ضباط شرطة ومعلمون وأخصائيين رعاية صحية ورعاية شباب، حيث يجذّب الانتهاء إلى التطرف ثم يقدم مع الإرشاد والتوجيه والتعليم الديني.
بغير عكس عملية التحول إلى التطرف. وفي بعض الحالات تم نقل سكن هؤلاء الأفراد إلى أحياء جديدة لفصلهم عن تأثيرات مالية تحد ضارة. بلغ عدد الأفراد الذين اعتبرهم برنامج تشغيل متوسط متوجهين متحصلين إلى طريق التطرف 1120 فردًا بين عامي 2007 و2010، كان من بينهم 290 فردًا دون السادسة عشرة و52 دون الثانية عشرة، وكان 90٪ منهم مسلمين (النسبة الباقية اعتبرت متجهة إلى التطرف نحو أقصى اليمين). (1) وفي نهاية 2012، حدد مشروع تشغيل حوالي 2500 شخصًا بوصفهم مخاطر محتملة. (2) وضع الدليل الإرشادي الرسمي للمشروع - المتأثر بتركيز سيغيان وفيكنتروفيتش على عملية التطبيق الاجتماعي للدراسات الإدارية قائمة مؤشرات احتلال التحول إلى التطرف، ومنها تترك المغالطنين الخلفيين إلى شبكة اجتماعية جديدة، والمرور بأزمة هوية أو انفعالات عاطفية، والتعبير عن "مظام حقيقي أو متخيلة". (3)

كانت العوامل التي جعلت الشرطة تعتبر "جيل " حالة خاطئة، وتقرر أن تبدأ مع "تدخلي " برنامج تشغيل، هي أنه مراقب له أبو مسلم (رغم أنه لا يقدم نفسه كمسلم) انضم إلى حزب سياسي يساري بالإضافة إلى اشتراكه في حديث الجامعة المذكورة. بدأ ضابط وحدة الشبال الغربي لمكافحة الإرهاب (التصال بولدي) جيل وخالتته ومدرسته. ثم تواصلوا مع جيل نفسه، وأخبروه أنهم أدخلوه في شيء يسمى "مشروع تشغيل " لاهمن يعتبرونه معرضًا للتحول إلى التطرف الإسلامي أو التطرف اليساري، وأنه سيظل في المشروع لعامين أو ثلاثة، وستقصر إلى عام واحد إذا تحسن سلوكه. وبدأ في برنامج إرشادي مع ضباط من ضباط وحدة الشبال الغربي لمكافحة الإرهاب. قبل الضباط جيل في بيت خالته لمناقشة الخاوف بشأن "مسار السياسي". قال إنه يشعر بالقلق من مشاركة جيل في ظاهرة سياسية في سن صغيرة. وتركزت المناقشات على من يحمله الأعضائي في حزب الأشخاص الاشتراكيين وما ينظمه من حالات مثل "الأخوة ضد الفاشية" والجماعة الثقافية المناهضة للعنصرية "أحب الموسيقى وأكره العنصرية". وتساءل "يتعهد"
أناس أكبر سناً، كما سألنا عن أساطير الناشطين وانتهاكاتهم السياسية. زار الضباط مدرسته قبل مظاهرات اليسار في مانشستر ونصحوه بعدم الاعتراكات في هذه الأحداث أو التحدث إلا في غرفة من الطلاب عنها. يقول جيل: “كانت بعض ترهات كانت مغالية وصعباً فيها إلى أقصى حد، لكنها كانت خيفة في ذلك الوقت”. وعندما نظم أستاذ العلوم السياسية رحلة تعليمية إلى مؤتمر حزب المحافظين في مانشستر، اتصل الضباط بالمدرسة وأكثروا من عدم إشراك جيل، وقالوا له إن ذلك من أجل سلامته، وإنهم يخشون عليه الاتخاذ بجماعة شريرة. يقول جيل:

أريكتني العملية كلها التي استمرت عامين... كنت على دراسة تامة بأنني لست في فئة الإرهاب، لكنهم قالوا لي إنني أقول وأوجه في سياق برنامج لكافحة الإرهاب.

قال جيل للشرطة إنه لا يعرف أي شخص متورط في الإرهاب أو العنف:

غالبًا سيتربط الناس نفسها في صور بوضع قفل درجة حول أعباهم. هؤلاء ناشطون.

لكن جيل شعر أن الضباط الذين كان يظن أنهم "في غاية الود" قدّمت لهم مفاهيم شديدة الاتهام من قادتهم، لم تكن هذه محاولة للسيطرة على الإرهاب [بل] محاولة لتنزع الاهتمام بالسياسة ونشر الخوف، وجعل الناس يشعرون بعدم الأمان داخل أحيائهم.

تكرر اتصال الضباط بوالديه وخلاله وكليته للضغوط عليه ليهدي نشاطه السياسي.
وفي إحدى المرات اتصل الضباط بوالدة جيل، ونصحوها بالانتقال إلى حي آخر،
وأخبروها بأن وحدة الشهال الغربي لمكافحة الإرهاب يمكن أن تطلب من إدارة الإسكان بالسلطة المحلية أن تجدها بيئة جيدة.

أذكر شعوري بالإهانة لمجرد أنني اتخذت قرارات سياسية بالانخراط في العالم السياسي، وأن من أتحدث معهم وناقشهم يُفهمون بإعدادي لنشاط سياسي مستقبلي متطرف. كانوا [الاضطهاد] يحاولون ديناميّاً القيام بدور المعلمين وتقديم نواحي ألمها... وبالطبع لم يعجبني ذلك، لأنني لم أكن في حاجة إلى تعليمهم أو نموذجهم، لأنني كنت ببساطة آماس حقي في الاحتجاج.

"البركة التي سيسبح فيها الإرهابيون"

في بريطانيا برز فكر جديد عن التحول إلى التطرف داخل دوائر الأمن القومي، بداية من 2004، وصار أساسًا لواحد من أعقاب برامج المراقبة والضبط الاجتماعي يجري في دولة غريبة في العقود الأخيرة. كان ذلك هو "برنامج معن التطرف العنيف" المعروف اختصارًا "المنع"، الذي بدأته حكومة توني بليار في 2006. وأساس البرنامج اعتقاد بضرورة وضع برنامج موجه إلى جهور أوسع من الناس الذين لا تدخل أنشطتهم وسلوكهم وتعاليمهم في دائرة الجريمة، لكنها طبقًا لمسؤولين حكوميين تتم عن التطرف، هذا بالإضافة إلى العمل الاستقصائي الذي تتفذه ميليشيا قوات الشرطة ووكالة الاستخبارات الداخلية (MI5)، مهمتها الأساسية وقف كل من كانت أنشطته مجرمة بحكم التشريع البريطاني لمكافحة الإرهاب واسع المجال. وهذه الفئة الأخيرة القدم، تشتم تدخلات خشنة مثل التحقيقات الجنائية وترحيلات الأجانب وفرض أوامر انضباطية، تسمح للمحاكمة بإخصاع المشتبه بهم، دون الحاجة إلى محاكمة، للاختلاف والتنصت الإلكتروني، وفرض القيود على من يزورهم وعلى السفر واستعمال الإنترنت. أما بلغة مكافحة الإرهاب، فهناك حاجة إلى "تدخلات ناعمة" تستهدف دائرة أوسع. تفترض نظرية التحول
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

إلى التطرف أن الإرهابيين المحتملين يمرون بسلسلة مراحل وصولاً إلى التطرف، والمرحلة الأخيرة منها فقط هي ما يتضمن نشاطاً إجراميًا فعلياً. يقول مسؤولو الاستخبارات إن الحكومة لا تسعى للانتظار حتى يتحول التطرف إلى إرهاب، ولابد من تدخلات في مرحلة مبكرة من العملية، وهي على نوعين: الأول يخص الأفراد، والثاني المجتمعات. على المستوى الفردي، المراقبة الشرطية مطلوبة في بداية مرحلة التحول إلى التطرف، بالتعامل مع المتطرفين الذين لم يخوضوا عتبة السيول الذي يعد نشاطاً إجرامياً يقتضي المحاكمة، لكنهم في خطر اتخاذ هذه الخطوة. وإن المقصود بالشراكات مع منظمات المجتمع وقوات الشرطة والسلطات المحلية، هو تحديد هؤلاء الأفراد استعداداً بنموذج الحكومة في التحول إلى التطرف. وعلى المستوى المجتمعي من شأن هذه الشراكات أن تتمثل تحدياً أيديولوجياً أمام التطرف. وعليه، يجب تمكين الزعيمين المسلمين بدعمهم ماليًا لكسب القلوب والعقول وضمان الولاء للديمقراطية الليبرالية الغربية، سعياً إلى عزل المتطرفين، ومنع انتشار أفكارهم. مثلاً، خصصت الحكومة مئات الملايين من الجنيهات لبرامج "مع" حتى صار عملياً سياسة الإسلام الحكومية.

اختير تشارلز فار لإدارة البرنامج الجديد، وكان وقتها رئيس دائرة مكافحة الإرهاب بوكالة الاستخبارات الخارجية البريطانية إم أي 6 (M6), وكان قد شارك في عمليات سرية في أفغانستان والأردن. وهو يصف أسسها الأساسية بقوله:

هناك مجموعة من الناس تحولوا إلى التطرف، واعتبروا التطرف عنفًا، والخل الوحيد مهم في هذه الدولة هو التحقيق الجنائي والمحاكمة. وهناك مجموعة أكبر تشترك بدرجة من الاستياء، إن لم تكن الكراهية تجاه الحكومة والدولة والمجتمع، وهم يمثلون المكملة التي يسهم فيها الإرهابيون، ويملأون معمر سكك توجههم ضمانهم مهم، وبالتالي ضعف إلقاء يزيد عن نحو من أنشطة أمام أعيانهم. علينا الوصول إلى هؤلاء، فإن لم نصل إليهم، ربما تحولوا أنفسهم إلى التطرف، وإن لم يحدث فإنهم سيخلقون بيئة
يمكن للإرهابيين أن يعملوا فيها بدرجة من الأمان الذي لا نريده... وهذا إلى حد ما هو هدف برنامج "منع".

كانت الطريقة الأساسية لقياس نجاح "منع"، كما يقول فار، هي التأكد من أن برامج الحكومة "تغيير اتجاهات المجتمع"(11) وقبلها عام واحد، عملت إم إيه 6 مع الوكالة القومية لمراقبة الاتصالات (GCHQ)، وقوات الشرطة المحلية في إدارة عملية تعاونية لجمع المعلومات الاستخباراتية باسم "بروجكت ريتش بيكشر" [مشروع الصورة المتكاملة] ووضعت قائمة بها ثانية آلاف مسلم بدون متطرفين.(12)

كان لبرنامج "منع" ميزانية ضخمة وكان عمله يتوزع على عدة دوائر حكومية. فقد أدخل إلى السياسة السلطات المستقلة عن المدارس والجامعات والمسجون وهيئة مراقبة المجرم عليهم، ومنع جرائم الأحداث وكذلك الفنون، جندت قوات الشرطة 300 فردًا جديدًا عبر البلاد للعمل في "منع" في فرق مكافحة الإرهاب الموجودة.(13) خصصت نصف ميزانية "منع" لملتبر وزارة الخارجية والكونغرس، الذي أطلق حلقات دعائية في باكستان والشرق الأوسط "لمواجهة ادعاء المتطرفين الكاذبين بأن المملكة المتحدة مكان يُظمّن فيه المسلمون". أُنفق نصف مليون جنيه على إنتاج سلسلة من الإعلانات التلفزيونية تداعي في باكستان عن شخصيات بريطانية مسلمة بارزة.(14) وقد عمل "فرع مخصص مكون من أهم المتخصصين في اللغات على شرح السياسات البريطانية ودور المسلمين في المجتمع البريطاني، في وسائل الإعلام المكتوبة والمزحة والإلكترونية".(15) وقد خصص 20 مليون جنيه سنوياً في إنجلترا وويلز للسلطات المحلية ومنظمات المجتمع لتمويل مشروعات مكافحة الأيديولوجيا المتطرفة. كانت مستندات السلطات المحلية، نظرًا، هي تنظيم عملية تشاوري مع المجتمع لتحديد ما إذا كانت المنطقة بها مشكلة تطرف، وإن وجدت، أفضل السبل للتعامل معها. وعمليًا، اشتركت كل مناطق السلطة المحلية الأربع والخمسين بأكثر من ألفي مسلم مقيم (طبقًا لتقدير 2001، وهو أول تعداد
يسأل عن الديانة) في برنامج "منع"، تحت ضغط المكاتب الحكومية الإقليمية التي كانت تتوفر سياسة الحكومة المركزية. كان تخصيص الميزانية يتم بالنسبة إلى عدد المسلمين الموجودين في كل منطقة. إذ افترضت الحكومة أن خبر مقياس لمستوى التطرف هو حجم السكان المحليين من المسلمين، وكان ذلك، كى يرد في رسالة إلكترونية حكومية "مؤشرًا عامًا سريعا لقياس خطر التحول إلى التطرف".16 كانت الصيغة مكونة من توصيف ديني يحتضن للمعارضة القانونية في ظل قوانين مكافحة التمييز، لو أعلن وقتها.

في الأعماق الأولين لتطبيق "منع"، كان التدفق المالي على المناطق المحلية يستهدف تقوية المجتمع المدني للتيار الإسلامي الرئيسي. إذ دعي السكان المسلمين إلى توليفة غريبة من الشروطات تتدرج من المقبول الذي لا أثر له حتى ما وصل إلى حد السخافة. وصنعت بعض المجموعات استوديات دي في دي (DVD) عن راب بالإسلام (الإسلاموفوبيا)، وعرضت مسرحيات عن التسامح. وتمت الاستعانة بصيغة مسلمين للمشاركة في مباريات كرة سلة وكرة قدم وملاكمة. وتم تقديم تدريب على القيادة (الاجتماعية) للسيدات المسلمات. وعقدت دورات تعليمية في اللغة الإنجليزية لأنثى المساجد، كما دعوا إلى رحلات إلى المتحف البريطاني. حصلت المساجد على أموال للتجديدات، والتدريب على المحوكة الجيدة. وشمل التمويل الحكومي رعاية عرض للفنون الإسلامية. رحب كثير من المسلمين بهذه المبادرات المتعددة، لكنهم كانوا يشعرون بالقلق من أن تلك الخدمات لم تكن تقدم إلا تحت شعار برنامج مكافحة الإرهاب الذي يوجه اهتمامه إلى المسلمين خاصة. في العادة، لا تتسم المنظمات التي تقدم مثل هذه الخدمات بالشفافية فيما يخص مصدر التمويل، لكنها تخشى أن تفقد مصداقيتها إذا عرف ارتباطها بوحدات مكافحة الإرهاب التابعة للشرطة. وفي مناطق كثيرة، اكتشاف عدد من قادة المجتمع المعروفين الذين لا يتمتعون بدعم كبير من المجتمعات التي يدعون تثبيتها، لكنهم على صلة وثيقة بالسلطة المحلية، إنهم يستطيعون الحصول على تمويل من "منع" لمشروعات صغيرة.
دون الحاجة إلى تحمل عبء عمليات المساءلة المتلادة. ففي برادفورد، تم اختيار مجلس المساجد لتنفيذ أفعال "منع". واللجان مسؤولة مؤسسية نشأت قبل خمسة وعشرين عاماً، وبعد منذ زمن طويل الحارس على بوابة الدخول إلى مسلمي برادفورد. يقول أحد مديرى السلطة المحلية: "لا نسعى إلى إنشاء منظمات جديدة. فتجاهل المؤسسات القائمة يعني "فترة من الفوضى." (17) في غياب عملية صنع قرار ديمقراطية حقيقية، كثيرًا ما تظهر نزاعات طائفية بين أطراف مختلفة للسكان المسلمين، مع تنافس قادة المجتمع على التمويل. يصف أحد موظفي السلطة المحلية في ميدلاندز تخصيص تمويل من "منع" بأنه شيء مقبول تمامًا لأنه يعني "وظائف للابناء".

يظهر أثر كبير للسياسات الذكورية هنا، وتبزر قضية قادة المجتمع. من له الحق في أن يعد من قادة المجتمع؟ وأين مكان النوع هنما؟ في بعض الجماعات الإسلامية الذكية ذات الصلات تأخذ المال وتعلم به ما يريد، لأنهم أصدقاء أصحاب النفوذ. وهذا يدب الفساد والانقسامات. (18)

في الوقت نفسه، اجتذب تدفق الموارد على المجتمعات الإسلامية اهتمام قطاعات أخرى من سكان المناطق التي تعاني القدر نفسه من الحرمان، ولا يضيفها من نهر التمويل الحكومي شيء بسبب الهوية العرقية أو الدينية. فيدلاً من توحيد الجاليات للعمل معًا في قضايا مشتركة، تسبب "منع" في تقطيع النسج الاجتماعي المترعرع أصلاً؛ إذ وضع المسلم في مواجهة غير المسلمين في التنافس على المزايا المحلية التي تمنحها الحكومة.

كان الآخر الرئيس لبرنامج "منع" في هذه المرحلة المبكرة هو جذب منظمات المجتمع المدني الإسلامية إلى تلك الحكومة بدرجة أكبر، دون أن يشكو الموظفون الحكوميون بأي ترقق تلك المنظمات المالية. وبمرور الوقت، مع تحديد الحكومة
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

المركزية أهدافها بذة أكبر، أقرب برنامج "منع" أكثر من السمة الأيديولوجية. وتم إصدار صورة جديدة من البرنامج في 2009، تركز أكثر على المشروعات التي تُقابل ما كان يُشار إليه "بالإيديولوجية التي تغذي الإرهاب"، والأشخاص الذين يهدمون قيمتنا المشتركة." (19) تعرف هيليز بليزر، وزير الشئون الحكومية في خطاب إعلان البرنامج الجديد هذه الأيديولوجية بأنها اعتقاد بسموع المسلمين [على غيرهم]، بامر إلهي بإخضاع العالم لفيمة إسلامية، وإقامة خلافة دينية، وفرض غير ديمقراطي لقانون ديني على كافة المجتمعات.

وأصل هذه الأيديولوجية قراءة مغلوطة للإسلام هي السبب الأصيل للإرهاب، وإن مكافحتها تقتضي أن يكون البريطانيون أقل تسامحًا.

هذا البلد فخور بتراهه في العدل والأخلاق وترحيبه بالتعدد والتسامح مع الآخرين. وهذه نقطة قوة عظيمة، لكن حركة البندول خرجت عن السيطرة. (20)

ويقدم تشارلز فار، مدير مشروع "منع" تعرفًا آخر للأيديولوجية المطرفة.

[ثقة] آراء في بعض المناطق هنا تقول إن الثقافة الغربية شر، وإن المسلمين الذين يعيشون في هذه البلاد لا ينبغي لهم الانخراط في المؤسسات الثقافية الغربية، وهذا تعبير غير واضح في الثقافة الغربية نفسها، وليس في هذا عنف ولا يؤدي بالضرورة إلى الإرهاب، لكنني أرى بوضوح أنه من غير الواقعي لهذه الحكومة أو أي حكومة أخرى أن تقول إنها لن تواجه ذلك. (21)
المخاطرة والأيديولوجية

كان تأثير فكر مكافحة التمرد واضحًا في برنامج "مع"، تكرر الوثائق الحكومية التي تقدم برنامج التمرد الحديث مرارًا عن عزل المتمردين عن جمع التيار الإسلامي الرئيس، عن كسب قلوب الأغلبية وعقولهم في المجتمعات المستهدفة، عن وضع إستراتيجية تعاونية تشارك فيها وكالات شرطية وغير شرطية لتجميع معلومات تفصيلية عن المتمردين والسكان المسلمين عمومًا. وهذه كلها من معايير إستراتيجية مكافحة التمرد. لوحظ إدارية برنامج مكافحة التمرد داخل بريطانيا نفسها بهذه الطريقة أمر غير مسبوق. فلذلك يعني تمس الحدود التقليدية بين المجالات الداخلية والخارجية، والعمليات الحربية والشرطة والقوة المادية ومعركة الأفكار. وكما ورد في إستراتيجية الأمن القومي لحكومة المملكة المتحدة لعام 2008:

إن التمييز بين "الداخلي" و"الخارجي" لا يكفي في عالم متصاعد فيه تحديات الأمن الداخلي بسبب العولمة... وكذلك تفتقر القائمة بين القوة "الخليفة" و"الناطقة"... ومن منظور أعم، تتفاقم التحديات الأمنية الكبرى استجابة متكاملة تتجاوز حدود الوزارء والسياسة التقليدية. (22)

في هذا العصر الجديد، يجب على كل الدوائر الحكومية أن تكون متصلة بالآلة مكافحة الإرهاب، بحيث يكون الرئيس التنفيذي للسلطة المحلية في لحظة تفشي قدر أهمية قائد الجيش في اشتكار نجاح. أُجري برنامج "مع" أعضاء السلطة المحلية على أن يعتبرو أنفسهم مشاركين في ميدان معركة أيديولوجية يمثل المواطنون المسلمون فيها الساحة البشرية - وهذا تعريف للذات يختلف تمامًا عن الوظائف العام المستولي أمام الشعب. فالفآن سيتعمب تطبيق ناهض مكافحة التمرد التي صممت وراء البحر في المستعمرات، داخل الوطن، على العدو الداخلي.
من نتائج هذا الطمن للحدود تداخل نمطين من الممارسة الشرطية. فالرؤية التقليدية للمنظمة القضاء الجنائي تحمل مفهوم سلم الأدلة التصاعد الدراجات الذي ينبغي على الحكومة أن ترقي درجاته قبل أن يكى لها استخدام مستويات متساعدة من القوة. فإن توقف شاشة وتفتيشه يستلزم عادة قدرًا ضيقًا من الاشتباه، وللقبض على شخص يستلزم دليلًا قويًا على ارتكاب جريمة، كما أن اتهام شخص يستلزم ترجم صالح هذا الدليل للإقناع في المحكمة، ويتطلب سجن شخص أن يكون الدليل فوق أي شك يعتري هيئة المحققين. من جانب آخر، يتطلب فكر مكافحة التهمد من الحاجة إلى جمع معلومات استخباراتية عن تضاريس الساحة الأيديولوجية. ويلزم هنا معرفة العملية الأيديولوجية التي يتولها بها شخص معتدل إلى متطرف حتى ينتمى وضع إستراتيجية تعز هذا التحول وعيم أتباعه - وهذا نوع من المعرفة مختلف عن دليل الفعل الجنائي. فالعدالة الجنائية تقتضي السؤال عن تورط الشخص في نشاط إرهابي؛ أما فكر مكافحة التحول إلى التطرف فيسأل هل يشير معتقدات الفرد بخطرة التطرف. وفي إطار برنامج "منع" كانت وكالات مكافحة التطرف المحلية تعامل بقدر أكبر من النهجية في قياس الخطرة. وبدأت هذه المرحلة الانتقالية منطقية من منظور ما. فنظرًا لما يحدث الإرهاب من ضرر، على الدولة، كما يقول أصحاب هذا الاتجاه، أن توسع من تعريفها للخطر الذي يثير من ينضجون في التحريض على الأنشطة الإرهابية أو تمويلها أو الإعداد لها. لكن هذا النهج له مشكلاته. وأولًا، يفترض قدرة نافذة التحول إلى التطرف على تقديم وصف دقيق للمعارة السببية بين الأفكار المتطرفة والأعمال الإرهابية، وأن هذه النافذة قادرة على وضع تبؤات صادقة إحصائيًا يقدر يكفي لتنفيذ إجراءات تدخل لكافحة التحول إلى التطرف. مع ذلك، فإن هذه النافذة تثبت صحتها بالفحص الدقيق. ثانيًا، أدت بالحكومات إلى اعتبار التعبير عن أفكار معينة أمر غير مقبول. معنى هذا عملية تحول إلى هدف لمجدرات مكافحة الإرهاب، حتى لو
كنت ملتزمًا تمامًا بالقانون. وفي هذه النهاية مشكلات عميقة من المVERTISE البراغياني الخاص بوقف الإرهاب، ومن منظور الحいただいて منزلية.

الخطر الثالث أن المسلمين البريطانيين يتحولوا في حالة مستويلة مكافحة الإرهاب من مواطنين تُسأل الحكومة أمامهم إلى جنود معتقلين في معركة عالمية يحدد إمكانات انتصار الدولة في العراق وأفغانستان وغيرها. ولأن نظرية التحول إلى التطرف جعلت أشياء السخط ومعارضة السياسة الخارجية علامات خطر تطرف محتمل,

صار القائمون على أمر الحكومة يرون قطاعًا من شباب المسلمين جنود معتقلين، وليسوا معتقلين لا يعود موقفهم أن يكون معارضة الحرب على الإرهاب. صاروا ينظرون إلى شباب المسلمين وكأنهم جميعًا يقفون على حد سكين بين أيديولوجية القاعدة والولاء للدول الغربية. إن ما طمسه فرض هذا الإطار الثلاثي المكون من معتقلين ومتمردين على نسيج غني بالأشكال في الحياة الإسلامية البريطانية، هي تلك الأشكال الجديدة من الهوية التي كان يدعها شباب المسلمين بمنأى عن هذين القاطبين. فقد انشغلوا عن ذلك، وصاروا هدفًا لحملات أيديولوجية تستهدف تغيير معتقداتهم واتجاهاتهم من خلال برامج تواصل إستراتيجية. وقد ضاع الهدف الذي كان محددًا بوقف الإرهاب وسط مشروع أكبر لإعادة تشكيل هويات المسلمين.

كان ذلك المشروع، جزئيًا، مسألة تدخل في قضايا التأويل الفقهي. تلتقت مؤسسة اسمها الطريق الراديكالي الأسترالي 350 ألف جنوح إستراتيغي لتنظيم استعراضًا منقطعًا.

"العفويات التيار الإسلامي الرئيس" لطوروا بريطانيا "واجهة الدعاية المتطرفة"، وليعلموا أنها ليست إسلامية. في ويلسون تم تدريب الأئمة لكي يتعرفوا على الأفراد الذين يبدون علامات تأويل خاطئة للقرآن. وفي براونورد، تلقى مجلس المساجد 80 ألف جنيه إسترليني لوضع مناهج تعليمية للمدارس التي تقدم النصوص الدينية برسالة تتوافق مع برنامج "منع". كان مستندو "منع" يتحدثون وكأن الفرق الدينية ترتضي منهجي سياسية بعينها. فالمسلمون مثلًا يصفون معتقلين
والمصموفة معتدلين، أو "الديونديين" مترفون و"البريليوين" معتدلين. وهكذا بدأت الحكومة عمليًّا في نشر نسختها الخاصة من الإسلام الطيب لتعدل نسخة تنظيم القاعدة من الإسلام الشرير. لاحظت أشياء جاهزية، مبعوثة الأمم المتحدة الخاصة للحرية الدينية أو الاعتداء هذه الاتجاهات، فقامت في تقريرها لعام 2008 عن المملكة المتحدة:

ليس دور الحكومة البحث عن "آصوات الإسلام الحقيقية" أو أي دين أو معتقد آخر. ولأن الأدبا أو أرباب أي معتقد ليسوا كيانات متجانسة، ينصع بالاعتراف بتنوع الأصوات، ووضعها في الاعتبار ... وإن أهل كل دين أو معتقد هم الذين يعرفون محتوياته. (26)

أنشئت وحدة للمتخصصين في وزارة الداخلية البريطانية في 2007، للاكتساب خبرة بجوانب الحملات الأيديولوجية لبرنامج "منع". بلغ عدد أعضاء وحدة البحث والمعلومات والاتصال (RICU) تسع وعشرين في عام 2009، وتجاوزت ميزانيتها 4 مليون جنيه إسترليني، (27) كان هؤلاء الأعضاء يرسلون قائمة بقضايا الساعة التي يظلون أنها ذات أهمية للمسلمين والنقاط الرئيسة لتصور الحكومة، حتى يمكن نشرها بأفضل صورة والحماية شرعية الحرب على الإرهاب في الخطاب العام. ذُربت وحدة البحث والمعلومات والاتصال السلطات المحلية على تقنيات التواصل الإستراتيجي لكافحة التحول إلى التطرف، وأصدرت مذكرات موجهة عن استخدام المصطلحات المناسبة، وأجرت استقصاء عن الاجهادات المسلمين، وكيف وكلفت مختصين بإجراء بحث أكاديمي عن هوية الشباب المسلمين، كيف يستخدمون الإنترنت، وأثر مختلف رسائل مكافحة التطرف على جهود المسلمين في الداخل والخارج. (28) كانت وحدة البحث والمعلومات والاتصال صورة جديدة من دائرة البحث والمعلومات (IRD) التي أنشئت بوزارة الخارجية عام 1948،
وأستمرت في العمل طوال فترة الحرب الباردة. كان هدف دائرة البحث والمعلومات خوض معركة أفكار ضد الشيوعية والوطنية المعايدة للاستعمار، عن طريق محاولة التأثير على ما يكتبه الصحفيون والمثقفون. وفر مسؤول دائرة البحث والمعلومات معلومات سرية عن مفترض أنهم شيوعيون داخل الحركة العمالية في المملكة المتحدة أثناء عرض تقارير موجزة عن الإعلام ووكالات حكومية مختلفة، وتعاونوا مع سي آي إيه في التمويل السري لأنشطة ثقافية تهدف إلى تقويض الشيوعية.

كان دين غودرسن من المحافظين الجدد، وقد عمل مديرًا للأبحاث في مركز أبحاث "بولسي إكسترانج" وكان له أثر كبير على سياسية برنامج "منع". وقد كتب مقالًا في ذا تايمز عام 2006، دعا فيه إلى إحياء أساليب الحرب الباردة في الحرب على الإرهاب.

أثناء الحرب الباردة، كان دور مؤسسات مثل دائرة الأبحاث والمعلومات بوزارة الخارجية تأكيد تفوق الغرب على منافسيه الشماليين. فقد كانت مجلات مثل إنكاونتر تتلف في صف واحد مع مؤيدي الغرب من السوفيت. فإذا أردنا أن ننشر شكل متعدد من الإسلام، ينبغي أن نستند ثقتنا بأنفسنا أولاً.

وكم يعرف القراء المطلعون، كانت إنكاونتر مملوكة من سي آي إيه. وساحة معركة الأفكار حاليًا - أي محاولة الدولة أن تضع مفردات الخطاب العام عن التطرف - مكابراً للمنشورات والفيسبوك واليوتيوب وغرف الدردشة، وليست صفحات الدوريات الأدبية. وهي ما يوجه برنامج "منع" اهتمامه إليه مع المجتمعات المحلية في حرب التأثير.
المعارضة بوصفها تطرفًا

في مارس عام 2010، خطط اتحاد الدفاع الإنجليزي (EDL) المعادي للإسلام، وهو يميني متطرف، لمسيرة في مدينة بولتون بشمال إنجلترا. وقبل الظاهرة يوم واحد، قام أثنا من موظفي السلطة المحلية بتوزيع منشورات في مساجد بولتون بعد صلاة الجمعة، تنص المصلين بعدم الخروج إلى الظاهرة، وتجنب وسط المدينة.

وتلقى الطلاب بالدارس رسائل تتحذئهم بعدم الخروج إلى وسط المدينة يوم السبت. معنى هذا أن المطلوب من المسلمين البقاء في بيوتهم أو أحيائهم أثناء الظاهرة. كان الأمر أشبه ب"نقطة إعاقات للمجتمع"، كما قال أحد النشطاء المحليين. في اليوم نفسه، التزمت الأمر المسلمة بيوتهم، وأغفلت المناطق الإسلامية طوال اليوم، وتكونت الشرطة حيلة حول وسط المدينة لمنع شباب المسلمين إذا حاولوا دخول المدينة. كانت النتيجة نجاح اتحاد الدفاع الإنجليزي في احتلال وسط المدينة بلا مقاومة من السكان المسلمين، وتمثل ظاهرة اتحاد الدفاع الإنجليزي، كانت المظاهرة المعارضة لها من قبل جماعة "أعدوا ضد الفاشية"، مكونةً بالأساس من متطرفين من خارج المدينة. لكن قبض على قادتها بشكل، ومن تلك اللحظة كانت الشرطة تحتوي المحتجين المناهضين للفاشية بشكلية بسهولة، لكن كان يُسمح لظاهرة اتحاد الدفاع الإنجليزي بالسير أمام مجلس المدينة. في الماضي كان من الصعب على الشرطة منع الشباب المحليين من مواجهة الجماهير اليمنانية عندما كانوا يتظاهرون في المدن الشمالية إلا باستدعاء أعداد كبيرة من الضباط إلى المناطق الآسيوية، وكان في ذلك خاطرة بمواجهات عنيفة كالتالي حدثت في أولدهام وبريل وبرادفورد في 2001. في عصر برنامج "منع"، أتيت منهج جديد. فقد كان دور مجلس بولتون للمساجد محوريًا في ذلك اليوم، وهو يلتقي دعاً ماليًا كبيرًا من برنامج "منع"، وهو مشارك في عملية مكافحة التحول إلى التطرف مع السلطة المحلية والشرطة. وبذلك يستطيع قادة الشرطة الاعتراض على أن مجلس المساجد والسلطات المحلية سيلتمون بتعليقاتهم. فقد وافق مئدرو مجلس المساجد على توصية الشرطة بمنع المسلمين.
من دخول وسط المدينة، وجلسوا مع ضباط الشرطة في مركز تحكم العمليات، يساعدونهم في التعرف على الشباب على شاشات دوارات تلفزيونية مغلقة. في رأي الشرطة، لم يكن اتحاد الدفاع الإنجليزي يمثل خطراً ممثلاً. لكن الخطر الحقيقي هو أن يتسبب وجود اتحاد الدفاع الإنجليزي في زرع التطرف بين شباب المسلمين. وفي رأي السكان المحليين المسلمين، كان ذلك معتنا صادرةً حق المسلمين في الاحتجاج على اتحاد الدفاع الإنجليزي المعادي للمسلمين. وكان سخطهم ووجهاً إلى "مثلي" المجتمع بالقدر نفسه الموجه للشرطة.

كان قادة المجتمع أكثر اهتماماً ببناء إطعاكمياتهم العرقية من التحديث باسم الناس الذين يدعون تمثيلهم، ويمكن الاعتماد على هؤلاء في ترديماً ما يقوله مسؤولو الحكومة كالبيغوايت: فالإرهاب مصدره فيروس التطرف، وخبير وسهيلة للقضاء عليه هي حفنة من القيم البريطانية. خلق برنامج "منع" صناعة صغيرة لمجموعات ومنظمات مستعدة أن تطبع وجهها إسلامياً على رسالة الحكومة. أما من لديه رأي آخر في مسائل السياسة الخارجية مثلاً - فيتعرضون للضغط. وفي ليلة إصدار صورة جديدة من استراتيجيات "منع" في مارس 2009، كنت الحكومة رسالة إلى المجلس الإسلامي البريطاني، وهو أبرز المنظمات الإسلامية القومية، تقول فيها: "إن لم يستقل داوود عبد الله، نائب الأمين العام، من منصبه، فستقطع العلاقات مع المنظمة. وكان عبد الله قد وقع حديثاً على ما سمي "إعلان استنبول"، الذي يدعو المسلمين إلى مقاومة الحصار الإسرائيلي على غزة. فقد قال موظفو وزارة الداخلية أن اختبار التطرف الأهم للمنظمات الإسلامية القومية هو الاستعداد العام لإدانة "حماس". وبالطبع لم يطلب من أي منظمة قومية أخرى انتقاد اتفاقيات حقوق الإنسان التي يتركيها إخوانهم في الدين في أجزاء أخرى من العالم.

أما على المستوى المحلي، فقد كان اختبار التطرف أكثر مكراً ومراوغة. لم يوجد له تعريف موضوعي، لكنه عملياً يشمل مسائل في السياسة الخارجية - كآراء الشباب المسلمين في وجود القوات البريطانية في أفغانستان مثلًا - وأسئلة مبهمة
عن الثقافة والهوية والقيم البريطانية. وكما أخبرني موظف شاب مسلم يدير برنامجًا يحمله "منع" في لندن: "الإلحاح على الهوية البريطانية بسبب الاعتراف، ويجعلنا نتحول إلى "آخر"، يحتاج أن يدرس ويدار ويحتوي. إن كل مؤتمر نذهب إليه عن "منع" يصوغ الأشياء بهذه الطريقة.((12)) إن الهدف المفترض من "منع" هو نشر القيم الليبرالية، لكنه يشمل إطلاق أحكام على إتجاهات الناس. أبعد ما تكون عن الليبرالية. وكما قالت عضو المجلس سلمي يعقوب، فإن مصير هذا البرنامج هدم ما يريد أن يبنيه.

إن إنكار شرعية المعارضة الديمقراطية لسياسة الحكومة الخارجية من جانب المسلمين، وإن سياسة الحكومة في عدم دعم أو عدم الاعتراف إلا بالمسلمين الذين يلتزمون خط الحكومة، من شأنها أن تقوم قبضة المتطرفين الخبيثين، الذين يقولون إن انخراطنا في العملية الديمقراطية خطاً أو غير مجد. يكمن خطر هذا النهج في أنه يسهم في تقليص مساحة المعارضة الديمقراطية داخل المجتمع الإسلامي. فإذا كانت المنظمات الإسلامية غير مقبلة على توفير مساحة للمناقشات الحساسة خوفًا من اتهامات التطرف، أي أن يذهب هؤلاء الشباب. وكيف يفسرون عن آرائهم واهتماماتهم. الإجابة واضحة. يتم التعبير عنها في نطاق خاص وسري، ومتفلون الحقيقيون مستعدون للاستغلال الجاد، وتقصيد حلول بسيطة.((13))

توجد نقطة سياسية عميقة وراء هذا الطرح الباراغياني: كل أقلية سكانية تحتزل هويتها فيما يقبله الآخرون، يمتلكها الخوف على حقوقها. ففي السنوات الأولى لحركة الحقوق المدنية الأمريكية، كان مارتن لوثر كينغ يعترف باستمرار. وفي نهاية الأمر تم تقديم النتيجة النهائية. وكان كينغ كان يفهم أنه لولا وجود هؤلاء المتطرفين في المشهد، لما حققت حركته هذا النجاح. كذلك فإن مسلمي بريطانيا يحتاجون إلى وجود رجل مثل مالكوم إكس، بقدر حاجتهم إلى المعتمدين.
ما إن جاء ائتلاف المحافظين والديمقراطيين الليبراليين إلى الحكم في صيف 2010، حتى قطع قدرًا كبيرًا من تمويل "منع" لمؤسسات المجتمع المدني الإسلامية. وفي الوقت نفسه، توجهت السياسة إلى إيجاد تعريف أدق للتدخل بغطاء أي رفض للقيم البريطانية، ووضعت الأيديولوجيا في قلب تحويلها للتحول إلى التطرف. وتم وضع بيان صريح بالآراء يحدد المعتقدات التي تعد مؤشرات للتدخل مثل الاعتقاد بأن "الغرب في حرب دائمة مع الإسلام، وعدم شرعية التعامل بين المسلمين وغير المسلمين في هذه البلاد أو غيرها، وأن المسلمين الذين يعيشون هنا لا يجوز لهم المشاركة أو الانخراط الفعال في مجتمعاً ديمقراطياً".134 كانت مراجعة حكومة الائتلاف بسياسة "منع" في يونيو 2011، أوضح من كل ما سبقها في تأكيد أن التطرف غير العنيف يؤدي مباشرة إلى الإرهاب، وقد زاد عدد المتخصصين الحكوميين الذين شاركوا في مشروع تشائح، وقد تلقوا اقتراحات على تركيزهم الحضري على السكان المسلمين، فانقلت خطوات لإدراج عدد محدود من متطرف في أقصى اليمين وأقصى اليسار في عمليات تحديد أشخاص منهم ثم التدخل بغرض منعهم. وفوق ذلك تجد الحرص على أعمال مكافحة الإرهاب في الكليات والجامعات.135 فقد تعرض أعضاء هيئة التدريس في الجامعات لضغوط متزايدة حتى يقدمو المعلومات لضباط برنامج "منع" عن الطلاب المسلمين الذين يبدو عليهم الانتشار أو الاغتراب النفسي عن أسرهم، أو يحملون ضغائن سياسية أو زاروا مواقع إنترنت متطرفة.136 وذات مرة (على الأقل) قدم اتحاد طلابي قائمة عضوية عرضية طلابية إسلامية لشرطة مكافحة الإرهاب. وقد تشاركت سي أي إيه في هذه الأسباب التسعينات مع تفاصيل شخصية أخرى.137

مع حلول عام 2011، صار واضحًا أن الآليات التي وضعها برنامج "منع" قابلة للتطبيع على نطاق مختلف من المهام السياسية. فقد ورد في رسالة إلكترونية من قائد شرطة سكونتلايندبارد لكافحة الإرهاب إلى هيئة التدريس الجامعية
لـ "ليونيفيرستي كوليدج لندن" (UCL) المسؤول عن برنامج "منع" ما يصور الجو الجديد.

مع عودة جموع الطلاب إلى "العمل"، توقع تجدد قوة الاحتجاجات والمظاهرات، والسيرة آخذة في التكون ونحن نراقب الوقوف.

وتضيف الرسالة الإلكترونية:

ماكرون شاكرًا إذا كان بمقدوركم في الكليات المختلفة أن تلتقطوا أي معلومات مفيدة تساعدنا جميعًا على توقع المظاهرات أو الفعاليات، أرجو أن تزودوني بها.

قبلها بشهرين اندلعت في لندن احتجاجات طلابية واسعة معارضة لزيادة المصروفات الدراسية. لم تتوقع الشرطة تلك الدرجة من الغضب، فصارت شديدة الحرص على تأمين معلوماتها الاستخباراتية عن أنشطة الطلاب السياسية. وفي الشهر نفسه نظم دين غودسن من مركز أبحاث بوليسي إكستشينج حلقته نقاشية عن الاحتجاجات الطلابية بعنوان "صعود تطرف الشارع". كان واضحاً أن مصطلح "التمور" يستخدم للإشارة إلى أي شكل من أشكال المعارضات العميقة.

قال بيل كلاك، القائد السابق لقيادة مكافحة الإرهاب في سكوتلانديارد لجمهوره من مسؤولي الأمن: "عليكم أن تقارن - فكريًا على الأقل - بين طموحات بعض من مجموعات المتظاهرين الحالية والإرهابيين. الفرق فيها أراها لا يتعلق بقصدهم، بل باستجابتنا له". صار جموع الطلاب أقرب إلى الطبقة العاملة، إلى التنوع العرقي من ذي قبل، وزاد نشاطهم في الاحتجاجات، ضد الهجرات العسكرية الإسرائيلية، مثلًا، ومصروفات الدراسة، وسحبت من الإعاقة التي تمكن الراغبين من الالتحاق بالجامعة. في هذا السياق، تم اعتبار النشاط داخل الجامعات الصورة التالية من التطرف التي سيتوجه إليها اهتمام جهاز برنامج "منع". وسبب عجز البرنامج
عن التمييز بين الأفكار المطرفة والعنف الإرهابي، كانت عناصره تصلح تمامًا لمهام مكافحة حركات لاجتثاج الجيدة ضد نزيف الخدمات العامة وربع من الشعب. فقد صُنفت حركة "احتلوا اليد"، وهي اعتصام احتجاجي أمام كاتدرائية سانت بول، على غير حركة احتلوا "وول ستريت" - صنفته كخطر متطرف، حسب ما جاء في وثائق الشرطة التي نشرت بمختصر قانون حرية المعلومات.(39)

كانت الفروع الخاصة في بريطانيا مثل دانيال العمود اللفري للشرطة السياسية.

وتوجد هذه الوحدات في كل قوة محلية وهميتها كشف أخطار تقويض النظام، أي من جانب اليسار المتطرف، وحركة السلام، دعوة الاتحادات المهنية وأنصار البيئة ونشاطات حقوق الحيوان والقوميين الأيرلنديين. وهي تعمل كعيون محلية وآذان للدولة الأمنية، بعد أن توقعت صلة العمل مع إم أي 5 (وكالة الاستخبارات الداخلية)، ولا تقوم بنفسها بعمليات اعتقال أو اقتحامات.(40) مع نهاية الحرب الباردة، صار من الصعب تبرير دور إم أي 5 والفرع الخاص في المراقبة اللفري السياسية. ويرجع ذلك بمقابل قديمة، لم يكن دورها واضحًا. وقد قدمت هجاه 11/9 و 17/11 الحييات المطلوبة لإعادة تنظيم شامل. تحولت الفروع الخاصة إلى مكافحة الإرهاب ووحدات استخبارات مكافحة الإرهاب، لتعمل بالتعاون مع ثانية مكاتب إقليمية تبعت إم أي 5 في إنجلترا بأسرها. وارتفع عدد ضباط الشرطة العاملين في مكافحة الإرهاب من 1700 إلى 3000 بين عامي 2003 و2008، كما تضاعف العاملون في إم أي 5، حتى وصلوا إلى حوالي 3500.11(41) عادت الشرطة السياسية بشكل جديد مع برنامج "منع". ومن جديد نشرت البيروقراطية الأمنية البريطانية أذاعتها حتى وصلت إلى مهمة كشف التقويض السياسي (يسميه القانون الآن "التحول إلى التطرف") وليست خاطر استخدام العنف ضد المدنيين. من الناحية العملية، بعد برنامج "منع" تجرّب أشكال جديدة من مكافحة زعزعة النظام للقرن الحادي والعشرين، يمثل شعب المسلمين قاعدة مناسبة لاختياره.
ومع تضاوـل الـاـحترام الذي كان يحظى به الجهاز الأمني، كان من الأصعب على إم آي 5 والشرطة العمل دون عمليات مراقبة، كوا كما كان الحال عمومًا أثناء الحرب الباردة. لكن مع الاستعانة بعدد من الوكالات غير الشرطية في عمل شبكات جمع معلومات استخباراتية، تم تغليف عملهم بلغة مكافحة التطرف، استطاعوا تحقيق مدى واسع من مراقبة الناس الذين يتم تحديدهم على أساس معتقداتهم السياسية وأنشطتهم المشروعة.

الاختلافات الاستراتيجية

اعتمد نجاح "منع" على إيجاد شراكة مع منظمات إسلامية تستطيع توصيل رسالة الحكومة في مكافحة التطرف. وقد أعطت مسألة من تحدث باسم مسلمي بريطانيا على نحو مكثف. فمن ناحية، تم تصوير المسلمين وكأنهم كثيروا وحدهم يمكن أن يحسن تمثيلهم منظمة غير متحدة يستطيع القائمون عليها عقد لقاءات خاصة مع وزراء الحكومة، والتفاوض حول اتفاق بشأن موقف المسلمين في المجتمع البريطاني. ومن ناحية أخرى، كانت الحاجة إلى هذا اللوحة من الزعامة في الحفاظ من أن المسلمين ليسوا كثيروا واحدة في الحقيقة، بل إنهم متقدمون حول هويتهم والصالح لهم. لم يكن الأمر يتعلق بسؤال قيادات المجتمع أن يمثلوا مجتمعًا قابلاً بالفعل، بقدر ما كان يتعلق باختلاك قصة عن وجودهم الحفاظ عليها. أما السؤال الحقيقي المطرح فهو: من يتحدث إلى مسلمي بريطانيا وليس "عنهم".

في أوائل التسعينيات، رحبت الحكومة بشكيل المجلس الإسلامي البريطاني (MCB) وراءه في مرشحًا مناسبًا للاختيار. هيئة من المسلمين المتدينين، يمكنها أن تعبير عن السخط السياسي داخل المجتمعات الإسلامية داخل إطار محسب، مقابل الرعاية الرسمية، كان عدد من نشطاء المجلس الإسلامي البريطاني على صلة بـ "جماعة الإسلام". أقام المنظمات التي تمثل الإسلام السياسي في جنوب آسيا،
لكن ذلك كان أقل أهمية من استعدادها لتنفيذ قرار الحكومة. ومع بداية الحرب على أفغانستان والعراق، بعد 11/9، صار موقف المجلس الإسلامي البريطاني أكثر خطورة، وأجبره ضغط قواعده على عدم الإذعان فيها بخصوص احتلال أفغانستان، وأعلنت بقوة أن الحرب على العراق ستزيد الإرهاب. زاد النقد الموجه إلى المجلس الإسلامي البريطاني بوصفه منظمة متميزة، وفي صيف 2006، أعلن الوزراء أنه لم يعد يعتبر الممثل الرئيسي للمسلمين في بريطانيا.

في الأعوام التالية، تقدمت منظمتان للمسلمين في برافور، لكل منها شبكات خارجية توجهها، وكتبتاها تريد أن تختصر بقعتها في جهاز المراقبة الحكومي، وتخلق دعمها للتحليل الرسمي القائل أن الأيديولوجيا هي ما يدفع التحول إلى التطرف، والعلاقة بينه وبين السياسة الخارجية ضعيفة. كانت الأولى: المجلس الإسلامي العالمي (SMC)، وقد تلقى ما لا يقل عن 203 ألف جنيه إسترليني من ممولة عن "تمعن" في عامي 2008 و2009 ليرسم مكانتها كمنظمة قيادة جماعية. ثم تنظيم عروض مينتقلة ومؤتمرات وإطلاق قناة تلفزيونية. وتمت الاستعانة بمركز استشارات كبير للعلاقات العامة، بلو رويكرون، لوضع استراتيجية تسوية وتحرير على تنفيذها. أعلن الأمير تشالز والحكومة دعمهما للمجلس. وقد صرحت هديا ميراهامدي، وهي ناشطة من المحافظين الجدد تقيم في الولايات المتحدة شاركت في إنشاء المجلس الإسلامي الصوفي مع شبكة صغيرة من المسلمين البريطانيين، بأن المنظمة جزء من محاولة تدعمها الحكومة لنشر الصوفية بوصفها صيغة مفضلة للإسلام: "قدنا اعتبار الصوفية أكثر اعتدالًا من السلفية. وكانت مؤسسة رائدة، وهي مركز الأبحاث الرائد في الشؤون العسكرية في الولايات المتحدة، قد قالت في العام السابق "إن الحكومات الغربية ينبغي أن تخوض "حرب أفكار" ضد التطرف الإسلامي" في أوروبا عن طريق تمكن المسلمين التقليديين والصوفيين لأنهم كما قالت "كل من الغرب التقليديون. "منذ ذلك الحين، أخذت ميراهامدي في الدعوة النشطة في وشن دعوة إلى سياسة أمريكية أشد لكافحة التطرف، من شأنها زيادة الضغط على
المسلمين الأمريكيين من أجل الالتزام الأيديولوجي: "يجب ممارسة الضغط على الجالية لمواجهة الأيديولوجية - كما فعل برنامج "مع" في بريطانيا. ولا بد من ملاحظة الجالية حتى تنشيط في هذا السياق." (45)

كان من بين المشروعات المرتبطة بالجامعة الإسلامية الصوفي مركز الشباب يستهدف المسلمين في منطقة لونغسايت في مانشستر، وكان قد تلقى نصف مليون جنيه إسترليني من بنود قروي "مع" لتوفير أجهزة رياضية ومستشارات مهنية، وإرشاد ديني يستهدف نشر رؤية مكافحة التطرف. "بعض أنشطة المركز ستكون ترفيهية"، كما ينص بند التمويل. "لكن التركيز الحقيقي سيكون على مكافحة التطرف، ورد الناس عنه"، وسيستخدم مع هؤلاء الناس "تدريب روحي وفكري وأيديولوجي" لتغקיר آرائهم. وأوصى أمير التخصص بإدخال أجهزة تكنولوجيا المعلومات لأنها مفيدة في متابعة ما يزوره الناس من مواقع على شبكة الإنترنت، وفي جمع المعلومات الاستخباراتية، وقد أدرج ذلك كأحد حيويات إنشاء المركز. فدعا الناس إلى عضوية المركز، والاستفادة من خدماته، من شأنها المساعدة في "جمع البيانات وإنشاء قاعدة بيانات". "كيف مساعدة مشاركة للمعلومات في الأفراح مع الوكالات (الشرطة) المحلية، بما في ذلك تسمية الشباب الحي المطلوب "استهدفهم ثم اجتذابهم إلى البرنامج." (46)

وسعما ما اتضح افتقار الجامعات الإسلامية الصوفي إلى المصداقية بين الشباب المسلمين، وعجزه عن أداء دورية القيادة والمرافقة الذين توقعها الحكومة.

أنمرت المحاولة الثانية لإنشاء مؤسسة إسلامية صورية عن مؤسسة كويليام التي أسسها في أبريل 2008 إد حسن (مؤلف كتاب الإسلام الأثري مجمع فيلما قبلها بعام) وعديد نواعر، وكلاهما ناشط في "حرب التحرير" قبل أن يُغلق أمله فيه ويعتبر أجادة برنامج "مع" الحكومة. كان للمؤسسة أثر ضخم في شرعة الرواية الرسمية للتخلص من التطرف. كان حسين ونواز شايين يتسبحان باللقاء
والحرص على أعلى مستوى من الأناقة، وكاننا دائماً يظهرنا في الإعلام في دائرة الحوار، يؤكدنا دائماً أن القضايا السياسية مثل حرب العراق لا علاقة لها بتفسير الهجمات الإرهابية في بريطانيا، وأن أصل المشكلة هو تسييس الإسلام، وأن أفضل ما تفعله الدول لمكافحة الإرهاب هو أن تنشئ إسلامًا غريباً منبت الصلة بالسياسة. أطلقت المؤسسة برنامجًا ضخيمًا لنشر الوعي بالتحول إلى التطرف، يشمل جلسات تدريبية لآلاف من ضباط الشرطة والمسؤولين العاملين في السلطات المحلية في كل البلاد، يشرون رسالتهم عن المسلم الصالح والمسلم الطالح. ويدعم من وزراء الحكومة، كانت المؤسسة تقدم المشورة للمدارس في بعض السلوكيات التي يمكن أن تبين أن الشاب يقع تحت تأثير المتطرفين وينشأ لديه ذهبية يمكن أن تسوقه إلى قبول أعمال العنف ثم ارتكبها. وشملت المؤشرات التي في القائمة التعبير عن أيديولوجية سياسية، كتبيُّد النظام السياسي الإسلامي، والاستناد إلى النص الديني كمصدر وحيد للأخلاق، و"دينية المؤامرات" واعتبار الغرب مصدرًا للشريعة في العالم، والنزيف في قراءة النصوص الإسلامية. تلتقت مؤسسة كويلهام أكثر من مليون جنيه إسترليني من صندوق برنامج "منع" في عاميه الأولين. لكن الأمور تعتقد فجأة في نهاية 2009، عندما أجرى إد خميس مقابلة شرسة مع صحيفة الغارديان، أثر فيها أن برنامج "منع" يجمع معلومات استخباراتية عن أنساب لا يرتبطون جرائم إرهابية، وقال إن هذا العمل "جيد" و"صاحب". بسبب هذا الإفراح، في الوقت الذي كان يحاول فيه الوزراء طمأنة عموم الناس أن "منع" لا يتضمن جمع معلومات استخباراتية بل هو مجرد دعم للمجتمع ومشاركة معه. أجريت الحكومة على الابتعاد عن المؤسسة. حاول خميس ونواب في العام التالي استهداد مكانتة المؤسسة لدى الائتلاف الحكومي الذي يقوده المحافظون الجدد، واعتلو السلطة في مايو 2010. بدأ فرصهم ساحة، نظرًا لما توفي عضو البرلمان وزعيم التعليم في الحكومة الجديدة مايكل غوف في مجلس إدارة المؤسسة، وهو من المحافظين الجدد. أصدر غوف كتابًا مثيرًا مغرورًا في عام 2006 بعنوان
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والترشح والتحوّل الداخلي على الإرهاب

"7/7 درجة مئوية" يدعو فيه إلى حرب باردة جديدة ضد "الإسلام السياسي". وينصح بريطانيا أن تتفق أشكال للمشتري مضابعهم في الإرهاب، حتى ترسل "إشارة واضحة على قوة عزمها". ويقول فيها ريا لزم "تعمّق مؤشر للحريات" لمنع "الإسلام السياسي" من تدمير الحضارة الغربية. كان غوف يعد وسط زملائه من المحافظين خيرًا موثوًقًا به في شؤون المسلمين في بريطانيا. فإذا نفذت توصيات غوف، سارت مؤسسة كويليمز بالتأكيد في عون الحكومة الجديدة. قرر حسن ونواز الإعلان عن خدماته فأصابها خطأ يعرض طريقة لتنفيذ سياسة "معاً على نحو أكثر صرامة. كانت هذه الوثيقة معدة لمناقشة خاص بين الوزراء وكبار المستشارين، إذا دعت إلى استهداف "أيديولوجية إسلامية أوسع"، وشملت قائمة من إعدادها بالجماعات التي ينبغي أن يحوز تمويلها من الأموال العامة أو التعامل مع الحكومة، وهي تضم أغلب المنظمات الإسلامية الكبرى في المملكة المتحدة. أول من اقترح فكرة القائمة هو تشارلز مور مركز البحث "بولسي إكستينجينج" في خطاب في مارس 2008 عن "منهج محافظ محتمل للتعامل مع الإسلام في بريطانيا. فقال إن الحكومة ينبغي أن تحتفظ بقائمة المنظمات الإسلامية التي لا تخلو على العنف "لكنها تدعو إلى انتهاكات معايدة للمصري، وهذا ينبغي ألا تتعلق أموالًا عامة أو اعتراضاً رسميًا. يقع في هذه الفئة أي جماعات لها صلة بالإخوان المسلمين أو "جماعة الإخوان الإسلامية" أو أفراد مثل طارق رمضان. لكن مسودة مؤسسة كويليمز تسببت، فلزم إلغاء الخطة. بنهاية 2010 تلاشت مصاولة المؤسسة لدى الحكومة، ولم يعد لها أي قاعدة جاهزة تستند إليها. انخفض تمويلها إلى أدنى درجة، فاضطر العاملون بها إلى تركها. ومع زيادة اهتمام الولايات المتحدة باستمرار الفكر البريطاني في مكافحة التحول إلى التطرف، غادر إد حسين المملكة المتحدة، وحصل على زمالة بمجلس العلاقات الخارجية في واشنطن (CFR)، وبدأ مجيد نواز العمل في مركز أبحاث جوجل "جوجل أيديا" في برنامجها لمكافحة التحول إلى التطرف، بشراكة مع مجال العلاقات الخارجية.
المراقبة متعددة الهيئات

من حق الشرطة ووحدة إم آي 5 أن تضع المسلمين تحت المراقبة، إذا توفر إشتباه معقول في ضلوع حقيقي في الإرهاب. ويصبح كذلك أن يقدم أصحاب المهنة التخصصية كمسؤولة رعاية الشباب والعلماء با لديهم من قنوات متحدة معلومات للشرطة، إذا دعت الأسباب إلى الاعتقاد بأن شخصًا ما ضالع في عمل إجرامي. لكن "منع"، كما ذكر سابقاً، سعت إلى اجتذاب أصحاب المهنة التخصصية الذين يقدمون خدمات محلية غير شرطية لتوفير معلومات بشكل روتوتين إلى شرطة مكافحة الإرهاب، ليست عن أفراد على وشك ارتكاب عمل إجرامي، بل عن الآراء السياسية والدينية وعن سلوكات الشباب، فقد كان من مهام "منع" الكبرى إقامة علاقات وثيقة بين نظام المراقبة الشرطية لمنع الإرهاب ومقدمي الخدمات المحلية غير الشرطية، يهدف تسهيل تدفق هذه المعلومات عن أفراد يعتبرون معرضين خطر التطرف.

بدأت محاولة دمج المراقبة الشرطية في وكالات الحكومة المحلية في أوائل الثمانينيات، مع إعادة تنظيم المراقبة الشرطية تحت قيادة مفوض شرطة العاصمة، كنثت نيوبان، وكان قبلها رئيس شرطة "رويال أولستر كونستابولراري"، في أيرلندا الشمالية. وقد جرت محاولة إصدار تشريع لدمج المراكز الاجتماعية ووكالات الإعانات في عملية المراقبة الشرطية. وتم تقديم ذلك بوصفه أحد أشكال دعم "المراقبة الشرطية المجتمعية"، لكن هدفه كان إدخال المراقبة الشرطية إلى المدارس وغيرها من الهيئات التي تقدم خدمات عامة. هذا المنهج الجديد الذي يسعى إلى تنسيق العمل الشرطي مع الهيئات الاجتماعية انعكس على "مشروع قانون الشرطة والدليل الجنائي لعام 1982"، الذي اقترح في صورته الأصلية صلاحية التحقيق في السجلات السرية التي لدى المهنيين المختصين. ذكر عامي الحقوق المدنية بول يونتنغ أن القانون زاد من احتيال التعدي على الحريات
المدنية؛ لأن "الحدود المهنية الصحيحة بين أدور الأخصائيين الاجتماعيين، وضباط مراقبة الفرج عنهم وموظفى الحكومة المحلية، والمعلمين، ورجال الشرطة، صارت متناقضة. "لاقت حلما شعبيا للدعوة إلى مساءلة الشرطة في أوائل الثمانينات، أدت إلى تقليص هذه الأخطار، وتم إلغاء فكرة صلاحية التفتيش في السجلات بعد أن صار مشروع القانون "قانون الشرطة والدليل الجنائي" لعام 1984. مع ذلك ظلت فكرة التنسيق بين أعمار الهيئات الاجتماعية والشرطة قائمة، وأدت إلى أن هذه الشراكات متعددة الهيئات صارت شائعة.

بعد 7/7، درس مستǐولو الأمن في بريطانيا طريقة تعامل نظرائهم الهولنديين مع مقتل المخرج جون فان غوخ على يد مسلم هولندي متطرف في العام السابق. تأثرت هيئة بلدية أمستردام بنموذج فيكتور فونتينش في التحول إلى التطرف، وبدأت برامجًا شاملًا لمواجهة التطرف استنلسته بعدا مدن هولندي واسكتلندية أخرى. نقطة انطلاق البرنامج هي إدخال المراقبة في سلسلة من الهيئات الرسمية وغير الرسمية، على أمل إنشاء نظام إنذار مبكر يكشف التحول إلى التطرف. لم تكن الشرطة وحدها المجندة لهذا، بل ضم البرنامج الأخصائيين الاجتماعيين والمعلمين ونشطاء المجتمع في شبكة جمع معلومات استخباراتية لمكافحة الإرهاب. وقامت وكالة باسم "بيت المعلومات" لتكون المركز الذي يُلقى فيه أهل المهن التخصصية غير الشرطة توجهات بشأن مؤشرات التطرف، ثم تقدم تدفقات المعلومات، وعند الضرورة، تبلغ بها الجهات الأمنية. كان أغلب من وضعوا في تصنيف الإرهابيين المحتملين من المتزعمين بالقانون، لذا لم تكن للتدخلات التي تمت تحديد أسبابهم أن تشمل توجيهاته الجنائية، واستبدل بها تغطية الإعلام والإرشاد والتوجيه الدينى، أو أحد أشكال التدخل المختلفة الأخرى. كان هدف مشروع "تشمل" وهو جزء من برنامج "من" التدخل في حياة الأفراد، وهي الفكرة نفسها بعد تعديلها لتساهم في المسألة. كانت هيئة المراقبة غير الرسمية القائمة على شكل شراكات متعددة الهيئات للتعامل مع العصابات والسلوك المعادي للمجتمع وغير
ذلك، تستخدم لأول مرة لأغراض مكافحة الإرهاب. بهذا استخدمت إمكاناتها كأدوات لتوجيه آراء الشباب السياسية وتشكيلها في مجتمع مشبوه.

مشروع "تشنائل" محاط بالسرية. وثائق التوجه السرية مبهمة فيها يتعلق بكيفية تسمية الأشخاص المحليين إلى المشروع، وإجراءات المحددة التي تتخذ بعدها. تقول إحداهما إن "الآراء المعلنة" أحد المؤشرات المحتملة للتحول إلى الطرف، وتذكر أن من بين الأفكار التي تشير إلى وجود خطر فكرة "رفض مبدأ سيادة القانون وسلطة أي حكومة متخبة في هذه البلاد." يقول مستعول وزارة الداخلية إن أحد أحد مؤشرات التحول إلى الطرف الأعلى الكاف لابحث في حرب ضد الإسلام. وتقدم الجلسات التدريبية في برنامج "منع" المزيد من الإرشاد عن كيفية التعريف على الطرف، وقد حضر حوالي 15 ألف موظف في السلطة المحلية "ورش عمل رقم الوعي برامج "منع" (WRAP)، للتدريب على مؤشرات التحول إلى الطرف."(66)

كل العاملين في مشروع "تشنائل" ملتزمون باتفاقات سرية تمنعهم من التحدث علناً. مع ذلك، أمكن وضع تصور لأنواع السلوك التي يستدل بها مشروع "تشنائل" على شباب بعينهم، وما يلي ذلك من إجراءات، بناء على مقابلات شخصية مع خمسة أخصائيين اجتماعيين شاركوا في تقديم إجراءات تدابير تابعة لبرنامج "تشنائل" في أربع مدن إنجلزية، وأربعة من أخصائيين رعاية الشباب الذين دعوا إلى المشاركة في تحديد الشباب المعرض للخطر في مواقع مختلفة. أحد أخصائيي رعاية الشباب من طلب منهم، حسب قوله، العمل في أصعب الحالات التي تم تعيينها في مدينته، قال إنه لم يعد أي حالة يمكن أن يكون الشباب فيها متجهًا إلى الطرف. وإن كل ما في الأمر أن هم آراء سياسية قوية عن المسلمين في بريطانيا وغيرها من دول العالم. كان أصغر من عمل معي صبي في الدراسة من عمره، وقال إنه يشعر أن هذه الإحات تجري لأن هيئة التدريس حالياً أقل قدرة على التعامل مع العنصرية والصراع متعدد الأعراق داخل الفصول، فيلجأون إلى مشروع "تشنائل" ليتولى الأمر عنهم. كان
المسلمون في الماضي يشارون الطلاب لخوض هذه القضايا. وفي إحدى الحالات، تم إرسال شاب لأنهم أعداءهم، على العنصرية في التعامل مع المسلمين في الفصل. لم يكن بين من أرسلوا إلى أخصائي رعاية الشباب المذكور أي شاب لديه أي دلالات منهجية أو أي اهتمام أو نزاعات حول الإسلام - مجرد نظريات مؤامرة مختلطة بسياسة هوية مانية.

يذكر أخصائي رعاية الشباب آخر حالة أرسل فيها شاب إلى برنامج "تشتال" لأنه وقع أحد منشورات "حزب التحرير"، وقد فعل ذلك كرد فعل لتوزيع طلاب آخرين لمنشورات الحزب القومي البريطاني اليميني المتطرف. وفي حالات أخرى، تم إرسال الشباب، كما قال، لأنهم عبروا عن آرائهم بشأن فلسطين أو ضد القوات البريطانية في أفغانستان أو لدخولهم على مواقع الإنترنت متطرفة. قال لي أحد أخصائيي رعاية الشباب إنه

تلقى كيّ هائل من طلبات الشرطة للتعاون معهم، فتم إرسال عناوين من أخبار أناس في اجتماعات (ويشملون منا ذلك بصفة طلب) مثل "هل يمكنك أن تتكلم مع ...؟" وعندما ترفض، تقول الشرطة لنا "أنتم تعرقلون مستمرًا"، وقد حاولوا هدم مؤسساتنا، ثم تهدينا، لكننا رفضنا إطلاعهم على معتقدات من عملهم ورؤاهم وآرائهم."

يقول أخصائي آخر في رعاية الشباب:

يتوقع منك تلبية معلومات إلى مجلس إدارة "منع"، مثل عمل خريطة لتحركات الأفراد. عليك تلبية معلومات عن فرد في خطر. لكن عليك كذلك أن تقدم معلومات عن الصورة العامة، حتى تعرف مناطق الشرورات التي يقف عددها الشباب من خلفيات متعددة، أيا المساجد يتراودونها، وهكذا. ربما يظن أن هذه إجراءات لا تتطوي على شر و(أنا) امتلاك عامة قام برسوم خريطة للسلوك المعادي للمجتمع، مثلًا."

المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتنطرف والعرب الداخلية على الإرباح
في عام 2008، أصدرت الحكومة حزمة أدوات لتشجيع المعلمين على المساهمة في برامج "منع". وطلبت منهم أن يراقبوا الطلاب لكشف علامة تذكر بالتصرف، وقدمت إرشادًا عن كيفية كشف نقاط التحول في الأطفال المعرضين للخطر، وأوصت المدارس بإنشاء صلات مع الشرطة وغيرها من الشركاء لتبادل المعلومات.

جمع ضباط الشرطة العاملون في برنامج "منع" قوائم للمدارس ابتدائية وثانوية في أحواضهم مصنفة حسب مستوى الخطر المقدر لها، ثم سعوا إلى تجريد المعلم كمصادر للمعلومات الاستخباراتية. وفي عام 2009، أرسلت وحدة مكافحة الإرهاب الشرطة في ميدلاندز رسالة إلكترونية عن مشروع "تشائل" إلى المتعلمين، ومنهم معلمون وأخصائيو رعاية شباب، تقول:

نرجو أن تبلغنا عن الأشخاص، من أي عمر، الذين تظنون أنهم تعرضوا للخطر.
تحول إلى التصرف ... فقد أثبت الدليل أن التحول إلى التطرف يمكن أن يحدث من سن الرابعة.

أما المشاركين في مشروع "تشائل"، فكانت سينتقلون جلسات من علماء حقيقيين في الإسلام يستطيعون تفدي رسائل الداعين إلى التطرف، وتوضيح السياق الذي ترد فيه الآيات المتبسة من القرآن.

اتصلت هاتفيًا بالضابط الذي أرسل الرسالة الإلكترونية أسماء كيف يمكن وصف طفل في الرابعة من عمره بأنه يت澎 إلى التطرف؟ فقال: يمكنهم رسم صور قنابل في كتب تدريباتهم، أو أن يقولوا أشياء مثل "كل المسلمين أشرار"، أو "نريد دولة إسلامية"، أو "يقول أبو ي ينبغينا قتل كل الغربيين". وقال إن زيادة رياض الأطفال الصغار ليسوا أركانًا بما يكفي لمعرفة ما لا ينبغي قوله.

كانت الفكرة
فيما يبدو هي استخدام الأطفال كمصادر معلومات استخباراتية عن والديهم. قال أحد من تكلمت معهم من أخصائيين رعاية الشباب، إنه يعتقد أن الضغط الكبير من الشرطة كان السبب في زيادة أعداد الشباب الذين نرسل أشياء لهم مجرد التعبير عن آراء سياسية قوية عن القوات البريطانية في أفغانستان مثلاً.

تولى لجنة ترأسها الشرطة وتضم متخصصين آخرين مناقشة الحالات التي تم وصفها بالتعذر للخطر. وبناءً على هذه التقييمات، يتضمن برنامج مجهز أو تعليمي ديني بغرض تعديل أيديولوجية الفرد. وينظر من أخصائيين رعاية الشباب، أو غيرهم من المتخصصين، أن يبلغوا اللجنة بعد كل جلسة بتفاصيل المناقشات التي جرت، وما إذا كان الشخص مازال يمثل خطراً محتملاً. وهناك مداخل مختلفة، ففي بعض الحالات يكون التركيز على قضايا وجدانية، أو جوانب إحيائية بسبب عدم إثارة فرض التقدم في الحياة. وتم تقديم الإرشاد، وربما المساعدة، في إيجاد عمل. وفي حالات أخرى، يستخدم الحوار الأيديولوجي والفقهي لمواجهة رؤية الفرد للعالم.

في أغلب الأحيان لا يعرف الشاب أنه هدف للتدخل كجزء من مبادرة للوقاية من التطرف العنف. وربما لا يعرف الوالدان، لا سيما إذا كان يشتبه في كون الأسرة مصدر الأفكار المترددة. سبيل أخصائيين رعاية الشباب ذات مرة أن يقابل شابًا في مدرسة وأن يجادله دون أن يشعره بأنه تم تعديله كشخص معرض لخطر التطرف. وتدريبنا كان يقدم للتوحيد سعيًا لتغيير آرائه بشأن الحرب في أفغانستان. ذكر أخصائيين رعاية الشباب لي أن من يدعون إلى العنف فعلاً لا يخضعون مطلقًا في أي عملية إرشادية. لكن الذين يحاولون إلى برنامج "تشابيل"، لم أفكر أرق تتعلق باللهجة، وليس بالعنف، وغالبًا ما يكون دافعهم شعورًا بأن السياسة الخارجية الغربية مبهمة، وتكيل بكمبكاليين ومليئة بالتناقضات. من عناصر استجابة أخصائيين رعاية الشباب قوله إن من واجب المسلمين الذين يعيشون خارج ديار الإسلام.
الالتزام بقوانين البلاد التي يقيمون فيها. عنصر آخر هو العمل على أن يعبر الشباب بصراحة عن معاناتهم بسبب كماسطينهم في بريطانيا، وهذا غالبًا ما يشمل رواية خبرات أساسية شكلت آراءهم السياسية. وتتعدد المبادرات التي يتباح لها أخصائي رعاية الشباب حسب عدد الحالات التي يتولونها، وبسبب المدة الزمنية المستغرقة في علاجها، ومن ثم فلدهم حافز لإثارة أهمية مشكلة التطرف في الأحياء، وفي إطالة فترة التدخل نفسها.

يظهر برنامج "تشانيل" بوجه، في الأدبيات الرسمية، يقدم بوصفه داعيًا للأفراد الذين يعانون من الخطر بطرقية تأثير إجراءات حياة الأطفال المصممة لحماية الصغير من سوء المعاملة. ومن ناحية أخرى، يشار إلى ما هو من بُعد جمع المعلومات الاستخباراتية. يعبر عن ذلك نورمان بنيسون، القائد السابق لشرطة وست كشافير، وأحد مهندسي "تشانيل"، بقوله:

له أهداف مزدوجة وهي ربط الانخراط في المجتمع باستخلاص معلومات استخباراتية مجتمعية بهدف التدخل بالتعاون مع شركاء المجتمع نفسه عندما يتم تحديد خطر ما.

وقوله إن دور ضباط الشرطة الذين ينفذون "تشانيل" هجين بين دورين تم تحديدهما ليكونا عمودي الأساس لهذا المنهج - الانخراط في المجتمع، وتطوير عمل الاستخبارات المحلي. (6) يتم الاحتفاظ بملفات "تشانيل" لدته ست سنوات على الأقل، لكن يمكن أن يُحفظ بها إلى أجل غير محدود إن دعت الضرورة. وفي إحدى المواقف المحلية، تنصح وثيقة تلخيص الأساس القانوني لمشروع "تشانيل" على أن البيانات التي تجمعها
سيختطف بها حتى يبلغ الشخص المتحرر عنه مائة عام. (63) ونظرًا لأن هذه الملفات تحوي معلومات شخصية تفصيلية عن الأراء الدينية والسياسية للشام المشتبه في تطرفهم، فإن الأسئلة عنم يمكنه الاتصال عليها ويحيط أي ظروف، أسئلة مفيدة. ولأنه لا يتم تحديد الأفراد على أساس الاشتباكات الجنائية، فلا يصح أن تكون المعلومات في ملفات الحالات لوحدة إم آي 5، أو معقيقية شرطة مكافحة الإرهاب، إلا أن يتوفد أساس آخر معقول للإشتباه في أن الأفراد ضالعون في نشاط إجراي خطر. فإذا تم تسليم الملفات، فإن "تشاهيل" يكون شريكًا مهماً في عمل جميع المعلومات الاستخباراتية العامة لوحدة إم آي 5، بتقديم نوع من البيانات يتداخل مع أشكال أخرى من المراقبة - لكنه جاء عن طريق تعاون مصادر حكومية مدنية، ومنظمات مجتمعية لا تدري أن ما تجمعه من بيانات يتحول إلى معلومات استخباراتية لدى إم آي 5. رفض مدير برنامج "مع" تشارلز فار أن يحدد الظروف التي تتيح لوحدة إم آي 5 الحصول على بيانات "تشاهيل". ففي رد اختيرته كلماته بعناية، على هذا السؤال، يقول إن أي شخص محت رو من إم آي 5، ينبغي أن يكون مهتمًا لعملية داخل "تشاهيل" في الوقت نفسه. كان المصادر من ذلك تعزيز الانطباع يوجد خط فاصل بارز بين تحريات إم آي 5 وعمل برنامج "مع" القائم على المجتمع، وطمانة الناس أن مشروع "تشاهيل" لن يستخدمه إم آي 5 كباب خلفي مفتوح على حياة أناس يتعرضون بالفعل لعمل تخري. فهنا تقططان هنا لأي من ذكرها. أولاً، تظل إم آي 5 بالفعل صلاحيات مراقبة واسعة لاستهداف الأشخاص الذين يعانون خطرًا على الأمن القومي، وبالتالي فالباب الخلفي لن يضيف كثيرًا. ثانيًا، فإن الأفراد الذين تجهم المدارس والجامعات إلى "تشاهيل" كثيرًا ما يكونون معاً تخري إم آي 5. فإذا لم تكن البيانات بالفعل متبادلة بين إم آي 5، 4، ومشروع "تشاهيل" كيف يمكن تجنب أشكال التداخل التي يسبعها فار في أرض الواقع؟ لكن المشكلة الحقيقية هي أن محاولة فار للطمانة لا تستبعد السيناريو الأكبر، وهو أن "تشاهيل" يتبع مفتدًا
للتحضير على معلومات عن حياة من يكونون على هامش الشبكات الاجتماعية، ويخضعون للتحريات بالفعل من جانب إم آي 5، كوسيلة رشيدة للحصول على معلومات تفصيلية عن أفراد لا يعدون خطرًا على الأمن القومي، لكنهم يخلطون أشخاصًا يعتبرون كذلك. ويفسر هذا تأكيد "تشائل " على جميع معلومات عن أفراد العائلة وآخرين في الشبكة الاجتماعية للشاب. وعلى أي حال، فإن وحدات مكافحة الإرهاب في الشركة التي تملك هذه الملفات تقسم ضباطًا من إم آي 5، يفترض تمكّنهم من الحصول على هذه البيانات مباشرة.({}) وقد رد فار على هذه الأسئلة بالجملة المعهودة: "من السياسات الراشدة للحكومات التعاونية ألا تؤكد أو تنفي عند الرد على أسئلة تتعلق بالفيات الاستخباراتية والأمنية."({})

إن مشروع "تشائل " لا يثير قضايا كبيرة تتعلق بالخصوصية فحسب، بل إنه موصوم بالتفزيز. فلأنه يعمل جزئيًا على أساس اعتبار السلوكيات الدينية مؤشرات التطرف، ولأن ما يزيد عن 90% من الحالات التي يتعامل معها مسلمون، يبدو أن رقابته تقوم على الهوية الدينية. وهناك أيضًا عدد من الصواريخ العملية تثير الارتباك في المشروع. أولًا، لا يوجد داع للظن بأن سياسة الهوية إسلامية مبهمة، وهي تؤكد في المعتاد كمؤشر للخطر، وأنها إرهاب يتفاوت عنف ضر مواطنين آخرين. عندما يتم إشعال بعض شباب المسلمين بالغربية داخل مجتمعهم، ويرون بعض الحروب التي تعرضها حكومات المملكة المتحدة وأولويات المملكة، فقد يصلون إلى الاعتقاد بأن الغرب يحارب الإسلام. لكن الافتراض بأن هذه الآراء يمكن اعتبارها مؤشرات لخطر الإرهاب يفترض إلى الدليل. ثانياً، إن تجسيد أصحاب مهن تخصصية غير شرعية للانخراط فيها يمكن اعتباره مهمة جمع معلومات استخباراتية لكافحة الإرهاب، يخدم قيمهم المهنية المتعلقة بالثقة والسرعة. فهناك تنافض صريح بين مقتضيات العمل الشرطي القائم على جمع معلومات عن الناس وأعمال التعليم والتربية القائمة على تمكن الطلاب من التفكير النقدي، وتعليم التعبير عن آرائهم.
بطرق فعالة. ينبغي أن يتمكن الشباب من التعبير بحرية كاملة عن آرائهم داخل المدارس ونوادي الشباب دون التوتر في منظومة مكافحة الإرهاب. إن تمكين الشباب من هذا هو الطريق الأفضل لتقليل انجذابهم للمعنى السياسي من برنامج تدريب الحكومة للسيطرة الأيديولوجية. لكن مع دولة سياساتها الخارجية غير محبوبة على الإطلاق، فإن جيلًا من الشباب قادرًا على التحليل النقدي لما يحدث في العالم ويتظّم نفسه لتغييره مصدراً للقلق أكثر من الإرهاب نفسه.
الفصل السادس
لا حرية لأعداء الحرية

"ستفزكم حتى ترتكبوا أفعالًا إرهابية، ثم نستخفكم".

- سي. بي. زوياتوف، قائد الشرطة القيصرية

في أغسطس عام 2010، وضع أنطونيو مارتينيز، وهو في الحادية والعشرين من عمره، رسالة على صفحته في الفيسبوك:

منى يدرك هؤلاء الصليبيون أنهم لا يمكن أن ينتهرا؟ كم حياة أخرى مستعدون للضحية بها. الله أكبر.

وكتب في الشهر التالي تعليقه:

السيف قادم ودولة الظلم أوعشكت على الزوال إن شاء الله ... لا تستعنوا العالم الأخر (لا توقعوا عالماً حرًا) نحن عبيد العلي الأعلى ولا تنسوا هذا أبداً!

(أ) أورد المؤلف نص مارتينيز بأخطائه اللغوية، التي لا تبرزها الترجمة لأنها لا تؤثر على المعنى إلا في الاقتباس التالي.
(ب) كلمة (except) قد تعني الاستثناء، وقد تتحمل الخلل الشاب بينها وبين (expect) لذلك أوردنا الترجمة بالاختيارات. (المترجم)
وبعضها يومن أضاف:

كل من يختلف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أكرههم من كل قلي.

نشأ مارتينيز في أسرة من نيكاراغوا، تعيش في ميريلاند على أطراف واشنطن العاصمة، وكان ضالًا في المخدرات والجرائم الصغيرة وهو في سن المراهقة. لكنه وجد عملًا في مجال البناء، وبدأ ينظر إلى الدين ليجد مسارات منع. بدأ يدرس في يومياته اقتباسات من الكتاب المقدس، وكتب عن إعجابه بمحاربي الساموراي الذين كانوا يبنلون حياتهم في المعركة، وأضاف:

كم أتوق إلى مصير كهذا، حتى أذكر إلى الأبد كمحارب لا يعرف الخوف.

ثم تعميد مارتينيز، لكن المسيحية لم تنشأ به، قال إنه جرب موضوع المسيحية، لكنه لم يستطع فهمها، كما تذكر صديقة سابقة له. ثم اعتنق الإسلام، وقال أصدقاءه إنه ساعده في تنظيم حياته. غير اسمه إلى محمد حسين، وبدأ يصف نفسه على صفحته على الفيس بوك بأنه مجدد صغير خرج من طرق الضلال واعتقاد الإسلام. لكن الصيغة الإسلامية التي اعتنقها مارتينيز كانت مختلفة عنها بيارسه بقية السكان المسلمين. بدأ مارتينيز تصفح مواقع الإنترنت المترفة في مكتبة عامة، مثل موقع "مسلم الثورة" الذي يديره يونس عبد الله محمد، الذي قابلته في الفصل الثالث. وبدأت تعليقاته على الفيس بوك تعمق رؤيته الجديدة بأن الغرب في حرب ضد الإسلام، ويضطهد المسلمين في العالم كله. وفي غضون شهرين، اطلق أحد مسلمي الحي، جدته إف. بي. آي. كمرشد قبلها ببعدة، على تعليقات تلك، وقام بإبلاغ الوكالات الفيدرالية عنه.

كان نشاط مارتينيز على الإنترنت قانونيًا تمامًا. فقد كان يعرّب عن آرائه الدينية والسياسية وحسب، ويعظى هذا النشاط بحجة التعديل الأول للدستور. فإن
أعدادًا كبيرة من الناس في الولايات المتحدة يعتقدون، مثل مارتينيز، أن الغرب في حرب ضد الإسلام، ليس بسبب تعرضهم لغسيل مخ عن طريق مواقع الإنترنت أو دعاة، لكن لأنهم يقرأون الأخبار ويستنتجون أن حكومة الولايات المتحدة كمؤسسة لها رؤية محددة للإسلام تجعلها مسؤولة إلى استخدام العنف العسكري ضد الشعوب المسلمة. بل إن هناك عددًا ضخماً داخل جهاز الأمن القومي الأمريكي نفسه يعتقدون أن الغرب في حرب ضد الإسلام. في 2011، كان ضباط الجيش الأمريكي الذين يتلقون تدريباً في كلية هيئة القوات المشتركة يتعلمون أن:

الإسلام أعلن الحرب على الغرب فعلًا، وعلى الولايات المتحدة تحديدًا، ويشهد على ذلك ما يزيد عن ثلاثين عامًا من التاريخ العنف.

وفي عرض قدمه الفريق ماثيو إيه دوولي، تم تسريحته إلى مجلة ويرد، دعا إلى:

توجيه الحرب إلى السكان المدنيين عند الضرورة (وجن الصراع التاريخي في درزدن وهيروشيا وناغازاكي يمكن تطبيقهما على تدمير مكة والمدينة...).

وأضاف:

"إذا أن يتغير الإسلام أو مسحول له تدمير نفسه."*

*

برغم أن ما عُرِّف عنه مارتينيز من آراء كانت مشروعة وتشارك فيها أعداد ضخمة من الناس، يحق للمرء أن يتساءل: هل الشباب المسلمون الذين ينتمونها أقرب إلى الانخراط في النشاط الإرهابي في المستقبل؟ ولو كان الأمر كذلك، فلا بد أن نسأل: هل ينبغي تطبيق إتفاق القانون أن تركز مواردها على مثل هؤلاء الأفراد كجزء من إستراتيجية وقائية من الإرهاب؟ يعتقد إف. بي. آي. في هذا ويرير رؤيته من خلال
ناذر للتحول إلى التطرف قائمة على معرفة أكاديمية، ويقول إنه تفيد في قياس درجة اقتراب أنشطة الأفراد الدينية والسياسية من التحول إلى الإرهاب. وعلى غرار نموذج دائرة شرطة نيويورك سيتي في التحول إلى التطرف الذي ناقشناه في الفصل الرابع، يتكون نموذج إف بي من أربع مراحل يمر بها الفرد، بداية من اعتقال الإسلام حتى يصير إرهابيًا جهاديًا. في المرحلة الأولى "يؤذي الإرهابيون وعدم الرضا عن الدين الذي يعتنقه الفرد حاليًا إلى تغيير منظومته العقيدة"، وتؤدي مشاهدة "الخطب ومشاهد الفيديو التالية" إلى جعلهم أكثر عرضة للتحول إلى الإرهاب. في المرحلة الثانية، يعتنق الفرد "ثقة مترتبة بofilها" دون أن يرغب بالضرورة في عمل أي شيء لدعمها. ويرفع التفاعل مع المواد المتطرفة على الإنترنت الفرد خطوة أبعد في عملية التحول من اعتقال إلى الجهاد. وما إن تكون "الأيديولوجيا المتطرفة معلق قبو" المسلم الجديد، فإنه يصل إلى المرحلة الثالثة، وهي الخطوة السابقة على ممارسة الإرهاب الفعلي، ولم ينخرط فعلاً في أنشطة تدعو هذه القضية. ليس من الصعب أن نلاحظ كيف أدى تطبيق نموذج إف بي. أي. في التحول إلى التطرف في حالة مارتينيز إلى خلق انتباه بأنه يمثل خطراً كبيراً. الواقع المؤكد أن الشباب كان في عالم بعيد عن عالم الإرهابيين الدمويين النشطين الذين تعرضهم برامج تلفزيونية مثل "24"، والوطن" بشكل رئيسي، هؤلاء هم المراهقون والشباب الذين يدعهم إف بي. أي. أعظم خطر على الأمن الدولي للولايات المتحدة. يعتقد إف بي. أي. أن "قاعدة" لم تدع كتلايم هيكليًا قادرة على تجديد المسلمين الغربيين، وتدريبهم وإدارة عمليات معقدة متضمنة. بل إنها أيدولوجية تدفع بعض الشباب في طريق التحول إلى التطرف على أربع مراحل، حتى يصير إرهابيًا يتصور من تلقاء نفسه، ولا يحتاج دعاً تنظيميًا من أي شخص.

كثير من ذلك أن عملاء إف بي. أي. يعتقدون أن متابعة الشباب في مراحل التحول إلى التطرف غير كافية، وأنه لا يمكن الاعتماد على المراقبة وحدها؛ لأنها قد...
تغفل عن تطورات حاسمة يدعون أنها قد تحدث في غضون شهور قليلة. كذلك يعتقد أن الأمر قد يستغرق أعوامًا قبل أن يتحول التطرف البسيط إلى انخراط في النشاط الإرهابي الفعلي، وقد تكون إفلاس مفيض الحالة لأن فترة المراقبة قصرت عن الإشارة إلى أي نشاط إجرامي وسط هذه الأفكار، والمطالبة بأن يجعل إف. بي. آي. مكافحة الإرهاب على رأس أولوياته، وأن يتخذ موقفًا استباقيًا من الأخطار المترتبة، فقد كان اتباع استراتيجية عنيفة أمرًا حتميًا. وهي إستراتيجية استفزازية تتضمن استخدام عملاء محرين لاختبار استعداد الأفراد الذين يعبرون عن آراء متطرفة للتحول إلى نشاط إجرامي في ظروف هيئة الحكومة بإمكانها حتى يمكن القبض عليهم ومحاكمتهم. وكما تقول إحدى دراسات مؤسسة راند: لابد من استخدام العملية المحروض "تشميش" عملية ضعف القرار لدى المشتبه بهم.

والاقتراض: هو إذا استطاع عميل إف. بي. آي. السري أو المرشد التأعب من خلال عمليات تحريض مديدة تفصيلًا تستمر لعدة شهور، أن يعي الظروف التي تدفع الشباب الذي يدوم التطرف إلى التآمر على ارتكاب أعمال إرهابية - بمداها إف. بي. آي. بأسلحة زائفة - فهذا سهل كاف لإناث أن الشخص كان بالفعل في الطريق إلى التحول إلى إرهابي. فإذا كانت المشكلة الكبرى في الدخل الوقائي إلى مكافحة الإرهاب هو معرفة هل الشخص غير الإرهابي حاليًا سيصبح إرهابيًا في المستقبل، فإن حل إف. بي. آي. لهما طرح سؤال مختلف، وهو هل يمكن لشخص ليس إرهابيًا الآن أن يتحول إلى إرهابي على يد إف. بي. آي؟

هذا ما فعله إف. بي. آي. في حالة مارتينيز، تم تكليف المرشد المخصص له مهمة مصادفته. بعد فترة قصيرة، قال المرشد مارتينيز إنه يريد أن يُعرف على "أين أفغاني يعيش معه في آرائه - وهو عميل إف. بي. آي. متخف. تم استصدار أذون تفتيش لحاسبات المكتبة التي استخدمها مارتينيز، ووافقت فيسبوك على تقديم ملفات بكل تعليقات مارتينيز ومراسلات. لم تنشر كل تفاصيل المحادثات التي أعقبت
ذلك بين مارتنيز والمرشد والعمل المتخفي. بعضها تم تسجيله - باستثناء لحظات محورية - بسبب ما ساء إف. بي. آي. "عطل في جهاز التسجيل"، لا سيما في المرحلة الأولى، عندما بدأت أفكار مارتنيز تتغير من أفكار مبنية على نظام المسلمين إلى امتلاك خطة عمل محددة تستهدف الهجوم على مركز تجديد عسكري علني. في نقطة معينة من تطور العلاقات، بدأ مارتنيز يتكلم بتحديد أكبر عن رغبته في الانضمام إلى ما ساء "صفوف المجاهدين". كتب في إحدى محادثاته على الإنترنت:

الجهاد هو كل ما أفكر فيه في نومي ويقظني، وأبكي أحيانا لأنني لست هناك.

والكنوار يقولون إخوتنا وأخواتنا.  

في هذه المرحلة كان يخطط للسفر إلى باكستان أو أفغانستان.

كل مسلم في هذه البلاد ... يعلم أن أمريكا في حرب ضد الإسلام، ولا يفعلون شيئًا حيال ذلك ... لا يتقدم أحد لفعل أي شيء. وعلى أن تكون أول من يضغط على الزناد. 

سرعان ما تغيرت الخطة من السفر إلى الخارج إلى تنفيذ هجوم على مركز تجديد تابع للجيش في كاتونزفيل، ميريلاند. طلب مارتنيز من المرشد أن يشترى سلاحًا لهذا الغرض. اقترح عميل إف. بي. آي. المتخفي ترتيب الحصول على سيارة مفخخة. وفي لقاء آخر، بعدما أبلغت أسبابه، قدم العميل المتخفي سيارة رياضية متعددة الأغراض، مما قال إنه مكونات قابلة وأداة تفجير. المشكلة أن مارتنيز لم يكن يعرف القيادة، فكان عليه أن يتدريب على القيادة في ساحة انتظار للسيارات، وكان الهجوم مخططًا له في الصباح التالي. أوقف مارتنيز السيرة الرياضية وبدأ القبلة الرهيبة أمام المقر المستهدف - المركز المهني للقوات المسلحة في بالتمور.
ناشينونال بايك - ثم تراجعت مع المرشد إلى نقطة متابعة، وحاول تفجير القنبلة، فيما ظن أنه أول ضربة ضد جيش الولايات المتحدة الذي يقترب المنصرفين. لكن بدلاً من الانفجار المتوقع، اندفع عملاء إف. بي. أي. واعتقلوا. أُعتِموا مارتينيز بالبروفير في استخدام سلاح دمار شامل، والشروق في قتل مسؤولين فيدراليين. بعدها اعترف بأنه مذنب وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة وعشرين عامًا.

إن قصة مارتينيز ليست غريبة بأي حال، بل إنها الحالة النمطية في تكتيكات إف. بي. أي. الحالية في الحرب الداخلية على الإرهاب. درس الصحفي الاستقصائي تريفور أورنسون تسمى وأربعين قضية إرهابية منذ 11/9 كان فيها عميلًا محرضًا من إف. بي. أي. ومنها أشهر قضايا الإرهاب في السنوات العشر الأخيرة. وفي الحالات كلها كان أحد عملاء إف. بي. أي. "لا يقدم الخطة فقط، بل الأداة وفرصة تنفيذ الخطة الإرهابية."(16) وبدون مساعدة إف. بي. أي. بالمال والسلاح، وغالبًا الخطة المحددة نفسها، لم يكن المتهتم ليستطيع تنفيذ أي خطة. وهكذا دبل في كل حالة عند عملاء إف. بي. أي. المastreetين كانوا يتفاجؤون بأناس ضعفاء بسبب حالة نفسية أو مشكلات إدمان مخدرات، فيدفعونهم إلى المشاركة في أعمال عنف خطرة لم تكون لديهم أي نية لتنفيذها دون المحضر. وهذه هي المواطنين غير المسجلة في المحادثات مع المتهمين (وهذا ما يبرر بأعمال فتنة، وهو تأبيض ضعيف، كيم يقول أورنسون).

سكنت إسلاميًا تابعًا لكتب التحقيقات الفيدرالي.

في ديسمبر 2001، اعتقل إف. بي. أي.شيهد حسين بتهمة إدارة عملية إصدار تراخيص قيادة مزيفة. كان مهاجراً باكستانيًا منح اللجوء السياسي في التسهيلات، وهو الآن يواجههم فيدرالية واحتلال الترحيل. ومثل كثيرين غيره من المهاجرين المسلمين بعد 11/9 التهمه بال틴 عريضة، فقد عرض عليه أن يبقى في الولايات المتحدة إن وافق على أن يكون مرشداً لدى مكتب التحقيقات.
وسرعان ما اكتشف حسين أن قدراته في التحاليل يمكن أن تكون مفيدة للحكومة. في عام 2003، ومن مقر إقامته في ألباني، نيويورك، أخذ يتباعد بي. أي، أحد المنازل المئومين بالقانون، محمد حسين وياسین عريف - حتى يتورط في هذا النهج كخليفة أثاث قرض تجاري.، وعندما عرضت النيابة القضية على المحكمة عرضتها بوصفها عملية جمع أموال لدعم الإرهاب، وحكم على الرجلين بالسجن خمسة عشر عامًا. وعندما سأل الصحفيون كتب النيابة هل هناك صلة بين عريف والإرهاب؟ قال: "ليس لدي دليل على ذلك، لكنه يعتنق الرايديولوجيا." (17) ثم استخدم إف. بي. أي. حسين لأعمال سرية أخرى في باكستان ولندن قبل أن يعود إلى الولايات المتحدة، ويستغرق في نيويورك، وهي مدينة متاهلة شديدة الفقر تقع على بعد ستين ميلاً شمال نيويورك سيتي، حيث زرع نفسه في المجتمع الإسلامي المحلي متخذًا شخصية رجل الأعمال الثري. وبعد عام من البحث عن أهداف سهيلة، شك أغلبهم في أنه عمل إف. بي. أي. وقابل جيمس كرومتي، وهو أمريكي أفريقي في الخامسة والأربعين من عمره، كان يتردد على المسجد المحلي. كان يعمل في النوبات الليبية في وولمارت، وكان قد قضي عامين في السجن في الثمانينات لبيع الكوركين للأفراد. وعندما التقى لأول مرة في ساحة انتظار السيارات، قال له كرومتي: "هل رأيت ما فعله بأمي هناك في أفغانستان؟ هؤلاء السفالة. " حينها وقع حسين على منجمه. (18)

عمل حسين للسيطرة على كرومتي لمدة أربعة أشهر، فأغطره بالدين والحال والوجبات المجانية، ولم يسجل إف. بي. أي. ما تم بينهما من أحداث في ذلك الوقت (ومن التسجيلات السرية)، وطالب بهم اللوم على الأرض الفنية)، وفي النهاية، بدأ أن كرومتي، وقع تحت أمر الكرم في قضية تصدقه الجديد الثري، واستمر في المشاركة في عادات تدخل فيها معايدة خاصة ومدحية المعتقد اليهودية. لكنه لم يكن متحمسًا لفعل أي شيء، وكان الكلام، ولكن طبعًا حسين كاميرا لتصوير الأهداف المحتملة بعدها فورًا مقابل خمسين دولار، وظل لشهر لا يفعل شيئًا. ثم اختفى لمدة ستة أسابيع، وقال حسين إنه سيتقلل إلى كارولاينا.
الشمالية. والحقيقة أنه ظل في نيويورك، لكنه كان يريد أن يتوقف حسين عن ملاحته. لكن حسين وصل الضغط قاتلاً كروميتي إنه لم يفعل أي شيء لتنفيذ الخطة: "إنك حتى لم تبدأ الخطة الأولى، هيا تحرك يا أخي." لكن عندما خسر كروميتي وظيفته صار في أشد الحاجة إلى المال، عاد إلى الاتصال بحسين الذي عرض عليه 250 ألف دولار وإجازة أسبوعين في بورتو ريكو وعلاً للمحظاة وسارة بي إم دبليو، إن وافق على المشاركة في الخطة لدفج معبد يهوديين في بروكlyn. وقال: "أخبرتك أني سأعطيك 250 ألف دولار، لكنك لا تريدها يا أخي." استسلم كروميتي لحسين الذي كان يعرفه باسم مستعار هو "مقصود" وقال له: "أوافق، ببنا لكل شيء لا يهمي، لك ذلك يا مقصود." قال حسين في شهادته بالمحمية لاحقاً إن "250 ألف دولار، كانت شفرة الخطة ليست عرضًا مالياً، لكن ذلك لم يد معقولًا، فأقر بأنه لم يخبر المشردين عليه في إف بي آي. ولا كروميتي بالمعنى السري للمبلغ. بعد موافقتنا، حاول كروميتي أن ينسحب من الخطة، وقال حسين إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، فقال له حسين إن إخوانه "الإرهابيين" يمكن أن يقطعوا رأسه."(19)

كلف كروميتي بتجميد آخرين من داخل المجتمع المسلم في نيويورك. وتم استدراج ثلاثة رجال أمريكيين أفارقة آخرين هم: أونتا ويليامز، ولاجئ بيرد وديفيد ويليامز (ليس قريبًا لانونا)، وعرض عليهم مبالغ مالية ضخمة. كان أونتا ويليامز، وأمه مدمية كوكين، قد بدأ ابع المخبرات في سن الرابعة عشرة، وسجنه لفترة. وكان بين مصابًا بالفصام، وكان يتردد على المصالح العقلية، ويتعفف بمجازات البول في غرفة نومه. (20) اعتنق ديفيد ويليامز الإسلام في سن المراهقة عن طريق أحد أعياله، لكن أقارب آخرين أدخلوه إلى تجارة المخدرات، قضى خمس سنوات في السجن. استقر في كويز، نيويورك. وعندما أطلق سراحه في سن الرابعة والعشرين، وجد عملًا في مطعم وتحتفل بالجامعة. لكن عندما أصيب آخور الأصغر بسرطان الكبد قرر العودة إلى نيويورك لمساعدة أمه التي اضطرت إلى ترك عملها للعناية به. عندما علم حسين أن ديفيد يخاف على حياة أخيه، وأن أسرته عاجزة عن تحمل تكاليف
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتحريض والحرب الداخلية على الإرهاب

الرعاية الصحية، عرض أن يدفع تكاليف عملية زرع كبد، بشرط أن ينضم ديفيد إلى الخطرة. (21)

لم يكد بين يقول شيئًا في لقاءاته مع حسين ورجال نيوبرغ الأربعة الآخرين. لكن كروميتي والأثنين اللذان يحملان اسم ويليامز أدركا سريعا أنه كلما زاد غلوهما في الحديث عن النشاط الإجرامي، زاد ما يعطيه حسين من مال. فبدأوا في التمثيل عليه بأن يقولا الأشياء التي يعتقدون أنه يجب سباعها، ويتوقعون أن يكون كلهم عليها بالمال. ادعى كروميتي أنه سرق أسلحة وألقى قنبلة على أقسام شرطة وسجن بجريمة قتل وزير أفغانستان، وكان كل هذا مخذبًا. لم يكن يعرف أن حسين يتلاعب به، ولم يكن يجد أي شيء عندما يغيب حسين وتحريضه على وضع الخطة.

فقد كان الإرهابيون المزعومون يفضلون الجلوس يتعاطون المخدرات، ويبارعون ألعاب الفيديو، وطبعًا لكلام عمته كان ديفيد ويليامز يلعب أو يصفع عقار بي. سي. بي. (PCP) المخدر طوال تلك الفترة، ولم يكد يعي ما يحدث. (22) والأرجح أنه كان سيمضي تلك الفترة في السجن لولا أن عملاء إف. بي. آي. كان يعملون على تأويل تقدير ما يعرف ارتكابه جرائم لأنهم يريدون أن يوقعوا به. (23) لم يكن أي من الأربعة يملك مالًا أو سيارة أو أسلحة أو أفكارًا يسهم بها. قدم حسين الخطة والمركبات والمعدات. وعندما أعطى حسين كروميتي 1800 دولار وطلب منه شراء سلاح، عجز المجرم العتيق المزعوم عن عقد صفقة لشراء وأعاد المال كا هو.

قبل أيام قليلة من الهجوم الذي خطط له حسين، أخذ الرجال الأربعة في سيارته إلى كونيتيكات لزيارتهم منظمة الصواريخ الزائفة التي قال إنها تصلح للاستخدام لإسقاط طائرات حرية - فقد تمتعوا عن استخدام السلاح في مطار ستافورت بالقرب من نيوبرغ. ولم يتضح أبدًا ماذا كان يفعل الرجال الأربعة في هذه اللحظة، لكنهم بعداً زعموا أنهم كانوا يتجولون على حسين للحصول على المال الذي وعدهم به (والذي قال إنه في انتظارهم في صندوق بريد شركة بي. بي. إس. للبريد السريع) ثم يختفون دون أن يفعلوا أي شيء، وكان هذا متسقًا مع سلوكهم إلى حد ما. من
ناحية أخرى، ربما أغرتهم المبالغ المالية الضخمة بالاشتراك في المخطط. وهناك دليل على أنهم ظنوا أن الأمر لن يعود إلا بعد أن يكون إتلاف ممتلكات في مكان خا Dziękiه. المؤكد أنه بدون نقود حسین وتلاغيه ما دخلوا مطلقًا في الإرهاب.

في 20 مايو عام 2009، أخذ حسين الرجال الأربعة في سياسته إلى برونيكا، وكانت مهمة كرومتي زرع ما كان يعتقد أنه أجهزة تفجير في شن سياست ملتزمًا أمام معبدين بويدين، وقام الآخرون بالرقاءة. ظهر شريك التكتيكات والأسلحة الخاصة التابع لإنف. بي. آي. (SWAT) عند عودة كرومتي إلى سيرانية حسين، كسرنا النواصف واعتقلنا الرجال، واتهمهم بمحاولة استخدام أسلحة دمار شامل.

صورت التغطية الإعلامية القضية باعتبار أن الرجال الأربعة إرهابيون يكرهون أمريكا، ويجترعون العنف الجماعي، ويجربهم الإسلام المترف.

في الحقيقة، لم يكن هناك ما يشير إلى أن كرومتي ومن معه محددون محتلون في القاعدة. وما بدا في أول الأمر أنه ما أجنبي كرومتي إلى خطط إنف. بي. آي. هو غضب من سياسة الولايات المتحدة الخارجية. وبالنسبة للثلاثة الآخرين، فقد كانوا مسلمين وقراء وا يكونون عرضا للإغراق المالي، وحققت إلى درجة تصديق أنهم سيستقلون آلاف الدولارات عن عملية هم عازبون عن تفتيذها تمامًا. لم يبد الثلاثة آراء متطرفة أو سخطًا جراء ما يتعرض له المسلمون من ظلم في مناطق أخرى من العالم قبل ظهور حسين. كان أربعة نيوبرغ ببساطة يكافحون للبقاء في مواجهة الفقر والإدمان ومشكلات الصحة النفسية. إن ما أتفهظه الحكومة لضمان إدارتهم - إذ تلقى حسين 100 ألف دولار بين راتب ومصاريف - كان يكفي لتوفير ما كانوا يحتاجونه لتحويل حياتهم تمامًا، سواء عمله أو أجرو متممًا أو خدمات صحية. تصف عمة ديفيد ويليامز، أليشًا ماكويلامز، الحالة بأنها عرض تلفزيوني أخرجه правительة وليس تحقيقًا جنائيًا حقيقيًا.
بدلاً من إهدار كل هذا المال في إعداد عرض تليفزيوني، كان يمكنكم افتتاح مركز
تدريب في نيويورك، كل هؤلاء أصحاب سوابق جنائية. وتعرفون حال نيويورك، إنها
أشد المناطق فقرًا.

وهي تقارن ما حدث لابن أخيها برامج حكومية قديمة كانت تستهدف النشط
السياسي الأمريكي الأفريقي.

كريتالبرو. الفهود السود. استخدام الرشدين في الكتائب في الأربعينات
والخمسينيات. كل هذا عاد لكن الواجهة هي المسلمون. لم يغير سوي الاسم;
لكنهم يستخدمون مصطلحات مختلفة. 24

برغم أن القاضية كولين مكاهون حكمت بالسجن خمسة وعشرين عامًا على
الأربعة جميعًا، انتقدت منهج إيف بي آي:

الحكومة وحدها قادرة على تحويل السيد كومتي إلى إرهابي؛ فهو رجل مثالي
سهولة خداعه ما يحدث في مسرحيات شكسبير... أعتقد بلا ظل للشك أن الجريمة
ما كانت لتفع لو لا [أن] الحكومة حرضت عليها، وخطط لها وأنضجتها. [23]

كان ينبغي، من حيث المبدأ، وضع تكتيكات التحريض التي مارسها إيف. بي
آي. في الاعتبار عند نظر القضايا في المحكمة، لكن ذلك لم يحدث. ففي كل قضية
تعلق بالإرهاب، حاولة المتهمون الدفع بالاستدراج في المحاكمات بعد 11/9،
فباءت المحاولة بالفشل. كان هذا الدفع القانوني يتكون من جزأين: أولاً، تقديم
الدليل الواضح على أن الحكومة حثت المتهم على ارتكاب الجريمة. ثانيًا، إذا نجح
المتهم في إثبات هذا الحث أو الاستدراج، يقع العداء على الحكومة في إثبات دون
أي قدر مقبول من الشك أن المتهم كانت لديه نية ارتكاب الجريمة. وفي النهاية
تؤول هذه القضايا إلى إصدار حكم ينسجم بالذاتية بمبدأ مسألة نية المتهم أو توجهه نحو ارتكاب الإرهاب. وحتى الآن يقبل المحلفون دفع القيمة المغلوب بأن الآراء المترفعة - مثل الغضب من السياسة الخارجية - دليل على الاستعداد لارتكاب أفعال إرهابية. وفي هذه القضايا يؤيد المحلفون أيضًا الطروح الأساسي للتحليل الرسمي لعملية التحول إلى التطرف، أي أن الأيديولوجية تسبب العنف. وعمليًا، جرمت سلوكيات المسلمين المرتبطة بالصالح الأول في نموذج خرافي للتحول إلى التطرف، برغم أن هذه السلوكيات قانونية تمامًا طبقًا للتعديل الأول للدستور.

لم نتفاجأ في قضايا الحرية الدينية، فقد كنا مشكلات خطيرة من منظور براغماتي. أفلها ضرورة إثبات ارتباط إيحائي دال بين المؤشرات الأيديولوجية للتحول إلى التطرف والعنف الإرهابي حتى يوفر بعض الدعم للرأي القائل إن الأيديولوجية تسبب الإرهاب. وسيلزم كذلك إثبات أن التحرير هو أنجع طريقة تستجيب بها منظومة مكافحة الإرهاب لهذا الوضع. ويواجه الأمراء اعتراضات قوية. فكما رأينا في الفصل الرابع، فإن محاولات الأكاديمية لإثبات صلة بين مؤشرات التحول إلى التطرف (مثل التعبير عن الأيديولوجية الدينية) والعنف الإرهابي تنهار أمام النظر النقد السليم. تسعى مثل هذه الدراسات دائمًا إلى تسعي الطرق التي يتحلق بها إيثان الفرد بأيديولوجية متطرفة، بانتراض أن الأيديولوجيات المتطرفة تسبب العنف - لكن هذا هو ما ينبغي إثباته وليس التسليم به. والحقيقة أن التعبير عن معتقدات دينية معينة أو عن غضب من السياسة الخارجية، لا يمكن اعتباره إهادات احتفال تحول الفرد إلى إرهابي، الهد المهم من ذلك أن منظومة مكافحة الإرهاب التي تراقب مؤشرات التحول إلى التطرف بتفصيل أن لها قيمة إرشادية، ستكون أسوأ في تجنب الهجوم من منظومة تركز اهتمامها على أفراد يعرضون على أفعال الإرهاب أو يملؤونها أو يتعاونون لنفيذها. وإن حشد قدر ضخم من المعلومات من أعداد كبيرة من يسمون متفنين يصعب
تحديد المعلومات الاستخباراتية، التي لها قيمة حقيقية عن الإرهاب. فأكثر الحالات التي أخفقته حكومة الولايات المتحدة فيها في منع الأعمال الإرهابية لم تكن تفتقر إلى المعلومات، وإنما إلى عدم تحديد أهميتها وسط أطلان بيانات المراقبة التي تجمعها حكومة الأمن القومي.

تفاقمت هذه المشكلة بعد 11/9، بعد أن ترسخ تصور إف. بي. آي. أن دوره في مكافحة الإرهاب هو جمع معلومات استخباراتية على مستوى واسع عن التحول إلى التطرف غير المرتبط بأي عمل جنائي. كان مفتاح هذه النقطة هو ما حدث من تغييرات في قواعد إف. بي. آي. الداخلية، فيما عرف بدليل النائب العام. ظهرت محتويات الدليل لأول مرة في عام 1976، في أعقاب كشف حالات سوء المعاملة في برامج مكافحة التخريب في عمارات رئاسة هوفر إف. بي. آي.، مثل برنامج كويتتينو، الذي كان يسعى إلى نزع مصداقية حركات سياسية شرعية ومساندتها وتجريمها. أوضح الدليل أن دور إف. بي. آي. ليس إجراء عمليات استخباراتية داخلية مفتوحة. ولا يجوز استخدام أساليب التحقيق الداخلية إلا في حالة وجود حقائق محددة مبينة توفر أساسًا عقلانيًا للاعتقاد بأن شخصًا أو جماعة مرتبط فعلاً أو احتماليًا بأنشطة تتضمن استخدام القوة أو العنف، وتتضمن، أو سوف تتحقق، اتهامًا للقانون الفيدرالي. (27)

وكان من الضروري تسجيل أساس بدء هذه التحقيقات، حتى يتوزع مسار للمراجعة، إذا رفعت دعوى بوجود تجاوزات حكومية فيها بعد. لكن التعليمات التي تضمنها الدليل أخذت تعدل، بحيث صارت صلاحية جمع المعلومات تفقد ارتباطها تدريجيًا بوجود دليل أفعال إجرامية مكتملة أو محتملة.

بعد 11/9، اتبع إف. بي. آي. مذهب الإجهاض في مكافحة الإرهاب...

وهو ما دعا إليه جون أشكرافت، النائب العام آنذاك بوصفه "نموذجًا جديداً
للمؤامرة.(28) وكان الأساس هو الاعتقاد بأن المبادئ المتضمنة لسياسة القانون – أي التحقق في حالة وجود اعتداء معلوماتي قيد الأفراد، لا تكفي للمعاقبة. لذا، يجب توضيح الأدلة لتشمل جمعية أكبر من المشتبه في تأثيرها إلى التطرف، وفي الخط نفسه، راجع أشكلروت دليل إف. بي. آي. بغرض تحقيق شروط بدء تحقيقات مكافحة الإرهاب.(29) فيها لم يكن يستخدم المفاهيم إلا في حالة وجود دليل قوي على نشاط إجرامي، ثم التوسع في استخدامهم بعد 11/9. ويعرض فيليب مذ، المدير التنفيذي للمشارك لفرع الأمن القومي في إف. بي. آي، نتائج استخدام المنهج الجديد. "المذهب الوقائي بطبعه يسمح بإدراج أناس في التحقيقات لم يرتكبوا أي خطأ.(30) وكان تعيين مذ بغرض إدارة عملية تحويل إف. بي. آي. إلى وكالة تجسس على غرار نموذج إم. آي. 5، البريطاني، والاستقلال بالكتب من مستوى التحقيقات في حالات فردية إلى مستوى جمع المعلومات واسعة النطاق عن المجتمعات الإسلامية عمومًا. وكان فيها سبب غالبًا لتدوير مركز إف. بي. آي. لأكاديمية الإرهاب، في الفترة التي كان المركز فيها يعذب المشتبهين بالإرهاب، وفترة الإعداد لحرب العراق، عندما اتفق مع وزير الخارجية وقتها كولن باول، قبل خطابه الشهير المشتركة في الأمم المتحدة المبنية على معلومات مفلسة. قدم مذ برنامجًا إلى إف. بي. آي. باسم "مجال الإدارة" تضمن إنتاج خرائط إلكترونية تبين التفاصيل أماكن تجمع الجماعات الإرهابية، مع تزويد هذه المعلومات بقواعد بيانات عن التعاملات المالية وأنشطة الإنسان وبيانات الوظائف، وما إلى ذلك. صار ذلك أساسيًا لتصنيف المواد وتجنيد المرشدين لاحديين عنيفة – وهو حق نزع من الائتمان الأخلاقي على أسس الشرع. (31) فإن دليل إف. بي. آي. للتحقيقات والعمليات الداخلية الذي يطبق توجيهات النائب العام يدعو العملاء إلى تجنب الاشتباك على أساس الشرع وحده أو الجنس أو الوطن الأصلي أو الدين. لكنهم يسمحون بجمع المعلومات المتعلقة بسلوكيات عرقية "يصبح الاعتقاد برتبطتها مع قينازي أو إرهابي في مجتمع عرقي" - وفي وجود نموذج إف. بي. آي. في التحول إلى التطرف يسمح
بمراقبة كافة الممارسات الإسلامية. ويسمح كذلك بتحديد مواقع تجمع المجتمعات
العربية (و مواجع الأعيان التجارية، وغيرها من المباني ذات الأغليبة العرقية،
ويفترض أن هذا يشمل المساجد. [32]

في عام 2008، قدم خليفة أشكورف، مايكل موكاساي، مجموعة أخرى من
الإرشادات تعرّف إف. بي. آي. صراحة بأنه "وكالة استخباراتية وكذلك وكالة
لتنفيذ القانون"، ولها صلاحية جمع بينات المراقبة ونشرها بصرف النظر عن
ارتباطها بأي سلوك غير قانوني، بمعنى التقليدي. [33] وظهر موكاساي منذ فترة قريباً
في مؤتمر للمحافظين يدعو إلى نظريات المؤامرة كارهة للإسلام. [34] ومن مارس
2009 حتى مارس 2011، أجرى عملاء إف. بي. آي. 88.428 قياساً للأمن
القومي - أي تحققات ميدانية لأناس أو جماعات - باستخدام التوجيهات الجديدة،
التي لا تلتزم بشرط وجود أساس من حقائق لهذه الاشتباهات. [35] وعند إجراء
هذه "القياسات" يستخدم إف. بي. آي. مرشحين ومقابلات شخصية غير رسمية
ومزايا مباشرة دون أي حدود زمنية. [36] ومع حلول عام 2011، كان المكتب قد
أدخل مجموعات الاستخبارات الميدانية في مكاتب الميدانية وعددها ستة وخمسون،
وقد ورد رفع عدد مخالفي الاستخبارات من 1100 في أكتوبر 2001 إلى ما يقرب
من 3000. [37] وتم تقسيم 4.9 مليار دولار من ميزانيته البالغة 8.1 مليار
دولار للاستخبارات ومكافحة الإرهاب. [38] وقد تباهى مارك إف. جولياتو،
المدير المساعد لقسم مكافحة الإرهاب في إف. بي. آي، بأنهم نجحوا في تحويله من
وكالة تحققات إلى وكالة استخبارات - أي إن المكتب الآن يجمع كميات ضخمة
من المعلومات غير المرتبطة بأفعال جنائية معينة. [39] إن نهج التحول إلى التطرف
توهم بأن جميع المعلومات بهذه الطريقة مازال يرتبط بمنع الجريمة. لكن الحقيقة أن
تحول مكتب التحققات الفيدرالي جعله أقل تأثيراً في كشف المخططات الإرهابية
الفعالة، بينما المخططات التي يشغل نفسه بتصنيعها باستخدام العملاء المحررين
تعطي مظهرًا سطحيًا بوجود برنامج فعال في مكافحة الإرهاب.
لاستخدم العملاء المحررين تاريخ طويل، يصف موريس لابورت تكتيكات التحريض في عرضه لتاريخ الشرطة السرية القبضية المعروفة باسم "أوخرانات" بأنها "حجر أساسي" للدولة الشرطة."(40) كانت "أوخرانات" تمتلك نظام ملفات مبتكر يجري بطاقات عن نصف مليون روسيا، مزودًا بثبت أصدقاءهم السياسيين والمعارف غير السياسيين، والأشخاص ذوي الصلة بأصدقائهم المشتبه بهم، ولا يعرفهم شخصيًا - ويظل هذا هو أساس عملية جمع المعلومات الحديثة - إلا أن الوكالات الحالية تستخدم برامج حاسوبية متخصصة قادرة على عمليات معالجة الكميات أكبر كثيرًا من بيانات الشبكة الاجتماعية في أسلوب ورقي في القرن الماضي."(41) عزز نموذج الدولة الشرطة القبضية طريقة للنظام الاستعراي الأمريكي في الفلبين عندما أنشئ قسم المعلومات الشرطة هناك عام 1901 على يد هنري آلين، الذي كان ملحقًا عسكريًا أمريكيًا في روسيا في تسعينيات القرن التاسع عشر. (42) زرع هذا القسم مئات العملاء الفلبينيين الأجانبين في كل أنحاء البلاد، مما جعل "من المستحيل تقريبًا أن تتختر أي إعدادات تحريض ذي بال دون علمًا"، كما كتب آلين إلى الرئيس ثيودور روزفلت. (43) وقد استخدمت طرق عمل الملفات عن الحياة الخاصة للمعارضين، مثل نشر معلومات مغلوطة في الإعلام، وزرع عملاء معارضين بين المتمردين المسلحين، بغرض مكافحة المجموعات الوطنية المتطرفة في ماينلا. وقد ثبتت فاعلية التحكم في المعلومات كأداة في بد السلطة الاستعراية بها يعادل القوة المادية. يذكر المؤلف ألفريد دبليو. ماكري، أن أثناء الحرب العالمية الأولى:
ال المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتطرف والهرب الداخلية على الإياب
أمريكا، واعتبار المجتمعات العرقية بها مستعرارات داخلية تحتاج إلى إجراءات ضبط قهرية، وليس المواطنين.(44)

على هذا الأساس أنشئ جهاز داخلي للأمن القومي. ومع نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، أتم برنامج كورشل التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي إدخال هذه الوسائل في منظوره، فاستخدم المحررين والمرشدان لاختراق البسار والقوميين في بورتوريكو، والحركة الطلابية وحركة الحقوق المدنية وجماعات اليمين المتطرف. فقد تجاوز حوالي 1500 من 8500 عضو بالحزب الشيوعي الأمريكي إلى مرشدين بمكتب التحقيقات الفيدرالي في أوائل الستينيات من القرن العشرين. ومع نهاية ذلك العقد، انتقل العملاء الذين كانوا يعملون بالاستخبارات الخارجية الأمريكية إلى مجال الاستخبارات الداخلية الناشئ للتجسس على الحركات الراديكالية. ومن مكونات استراتيجيته الأساسية التلاعب بالنشطاء السياسيين لدفعهم إلى ارتكاب أعمال جنائية تمكن مكتب التحقيقات الفيدرالي من اعتقلاهم ومحاكمتهم. كان العمالاء المحررين يتسببون في إفشال الاجتماعات، ويدأون المظاهرات والتقاتل بين الجماعات المنافسة وهجاء على الشرطة وتفجيرات.(45) وقد تسبب التحريض في حالة وفاة أحد المرشدين على الأقل. ففي 15 مايو عام 1970، أطلقت شرطة سيارات النار على لاري يوجين وارد، فأردته قتيلاً وهو يحاول الفرار من مشهد شروع في تفجير مكتب عراقاتهم اتهم بالفصل العنصري في المدينة. وظهر أن وارد كان مرشداً لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي كجزء من خطة لإفشال “الفهود السود”. (46)

بلغ عدد المرشدين لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي في عام 2008، 15 ألفًا على الأقل – تم الكشف عن الرقم في طلب الاعتراف لمزاين ذلك العام بمبلغ 12.7 مليون دولار مطلوبة لتغطية تكاليف برامج حاسوبية لتنشيع المرشدين وإدارتهم.
ومنايرة المختصين منهم للاختراق المجتمعات الإسلامية في الولايات المتحدة غير معروفة، لكن المراجعة أن نسبة كبيرة، نظرًا للأولوية التي يوليها إف. بي. آي. لمكافحة الإرهاب، وتحلل التحول إلى التطرف. ويعتقد أيضًا أن مصادر المعلومات المجتمعية غير الرسمية المعروفة بـ“الجيوش الخفيفة”؛ ثلاثية أضعاف ذلك. كثير من المرشدين تدفعهم الكفاءة المالية، وهناك أخرون يفعلون ذلك ليحلوا مشكلات تتعلق بالهجرة. في هذه الحالات، يجري تعديد المسلمين غير الحائزين على إقامة دائمة في الولايات المتحدة بالترحيل إذا رفضوا العمل لدى إف. بي. آي. ولدارة الأمن الوطني أيضًا طريق خاص لمنح الإقامة الدائمة، معروفة ببطاقات إس (8) الخضراء، التي يمكن منحها للمهاجرين الذين يعملون مرشدين لدى إف. بي. آي. وقد أطلق عليها بطاقة “الوشاشة الخضراء”. وفي إطار “برنامج مراجعة الطلبات والقرارات المحكمة” تسمح دائرة الأمن الوطني لمكتب التحقيقات الفيدرالي بتاجيل النظر في طلبات الجنسية أو رفضها، إذا كان القادم مسلمًا أو يُظهر أنه مسلم. ويدعو آخرون إلى العمل كمرشدين تحت تهديد الإهانة الجنائية أو إعلان معلومات شخصية محرجة. يروي الصحفي تريفور أرونسون أن أحد مسؤولي مكافحة الإرهاب الكبير في مكتب التحقيقات الفيدرالي قال له: “كنا نذهب إلى المصدر ونقول له نعلم أن لك علاقة جنسيّة، فإذا عملت معنا لن نخبر زوجتك.”

من دوافع قبول العمل كمرشد رفع اسم الشخص من قائمة المنوعين من السفر جوًا. وتعد حالة مايكل ميغليوري وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره اعتنق الإسلام نموذجًا لأثر الضغط الذي يمارسه إف. بي. آي. فقد وضع في قائمة المنوعين من السفر جوًا بعد أن رفض لقاء إف. بي. آي. بدون عيب، إذ كان يعتقد أن العملاء الفيدراليين أرادوا أن يستجوبوه لأنه التقى ذات مرة عَرَضًا بعيسان محمود الذي اتهم بالإيزيدي في مخطط تفجير قنبلة في بورتلاند، أوريغون، بعد عملية أعدها عميل معرب. فإذا أراد أن يُ sucesso ميغليوري كمرشد، فهذا يفسر الانزعاج من وجود
ومع انتشار الخوف، تخضع دوافع الفتن التقليدية في التعبير عن النشاط السياسي، مثل الخروج إلى الشوارع للاحتجاج، وطبقًا لنظرية التحول إلى التطرف الرسومي، فإن الجو الذي يتغير فيه على المسلمين التعبير الحر عن المعارضات السياسية للإمبراطورية الأمريكية جو يساعد على نشأة الإرهاب. لكن الواقع هو أنه كلما زاد الضغط من السياسة الخارجية، ورأى الغاضبون مجتمعهم وقد شعر الخوف ويتجبون التعبير الصريح، زاد احتجاز دعم الإرهاب بينهم. إن خبر وسيلة لمجتمع إسلامي قوي
نُشِط وآمن ومتمتع بحقوقه المدنيّة كاملاً، وقادِر على إشراك الشباب في مناقشة القضايا التي يهمهم.

التأثير الثاني لاستخدم إستراتيجية التحريض هو تشويع فكر الناس عن الخطر الإرهابي الداخلي. فقد اختلف إف. بي. آي. سلسلة من الإدانات بالإرهاب اعتبرها صناع السياسة والمحللون حقيقيإ. وتجاهلوا الحقيقة وهي أن هذه القضايا ما كانت تحدث لولا تلفيق إف بي آي. هذا يعني أن التوجه الرئيس لتحليل حجم الإرهابي وطبيعته هو جزئية نبوءة يحققه التنبؤ بها وتعكس اختيارات لأهدافها.

 فإذا زاد عدد المُفروض عليهم في سنة، فالإجابة على هذا بسبب زيادة عدد عمليات العملاء المحترفين التي ينفذها مكتب التحقيقات الفيدرالي وليس نتيجة زيادة مستقلة في التخطيط الإرهابي. فإذا كان المسلمون يمثلون أغلبية المُتهمين بالإرهاب في الولايات المتحدة، فإن المصدر عن كبار من هذا هو مكتب التحقيقات الفيدرالي، لأنه من يوجه عمليات التحريض، لا يتضمن هذا مقياسًا موضوعيًا لصدأ الخطر الإرهابي. ففي العقود الساكنين على عام 2010، قُتل 348 شخصًا في أيام عنف سياسي ارتكبها اليهود المتمردون الأمريكي في الولايات المتحدة.

 وبالطبع فإن عدد من قتلوا في هجائيات 11 ش 9 أو أكثر من هذا بفعل مسلمين كانوا موجودين في الولايات المتحدة بصفتهم زوارًا أجانب. لكن عدد من قتلوا في أيام عنف سياسي نفذها مواطنون أمريكيون مسلمون أو مقيمون مستقرون بالولايات المتحدة أقل كثيرًا، بلغ عددهم عشرين شخصًا بين 1990 و2010. (15)

 ولكن لأن مكتب التحقيقات الفيدرالي يعتبر الأمريكيين المسلمين خطيرًا من نوع خاص، فإنه يستهدفهم باستخدام عماله من عرضين بدرجة أكبر كثيرًا من استهداف اليهود المتمردين. نتيجة ذلك أن مكتب التحقيقات الفيدرالي يعلن كل شهرين أو نحو ذلك عن عملية اعتقال كبيرة لمشتبه بإرهابي مسلم، مما يحافظ على حرب الولايات المتحدة على الإرهاب مستمرة، وكذلك على صناعة الأمن الوطني وميزانيتها التي
تبلغ المليارات، مع التغافل عن خطر اليمين المتطرف، وبالتالي يتم تعزيز الصورة النمطية للمسلمين بوصفهم أميل إلى الإرهاب بطبيعتهم.

أنخذ على سبيل المثال حالة جيمس كمنجز، وهو نازي جديد من ولاية "مين" بعد أن ورد 2 مليون دولار، استطاع أن يحصل على كمية من المواد المشعة، وزبائن كميات من المواد المشعة، وربما كان يخطط لتصنيع "قنبلة قذرة". قبل أن تقنعه زواجه عام 2008، بعد أن عانى لسنوات من سوء المعاملة داخل البيت. ولقد تأكدت القضية تظهر في وسائل الإعلام. 

ما مثال آخر، ويليام كرار، العنصري الذي يعتقد في تفوق الجنس الأبيض، وهو من نونداي، تكساس. كان يخطط بمخزن أسلحة سري يجري بناءه آليا وأجهزة تفجير عن بعد ومنزل سنايند هيدروجينية قادرة على تدمير مبنى على مساحة ثلاثين ألف قدم مربع. لم يصدر تصريح صحفي عن وزارة العدل عند القبض عليه في عام 2003، كما يحدث بانتظام عندما تفجروا القضايا المتعلقة بالإرهاب المسلم، ولم يدع إلى مؤتمر صحفي للإعلان عن إكتشاف أسلحة كيماوية. وحقيقة أن القبض على كرار لم يكن ليحدث لولا أنه أرسل طردا يحتوي وثائق مزورة إلى عنوان يقصدها. 

ولقد تأكدت دائرة الأمن الوطني الأمريكي تشيرًا استنادًا على اليمين المتطرف بعد أربعة أشهر من تولي الرئيس أوباما السلطة في 2009، كان رد فعل المحافظين لاذعًا جدًا إلى درجة إنكار التقرير، وتم منع الوحدة التي أصدرت من إجراء أي عمل من لأعمال المراقبة. 

وفي التسعينيات، استخدم مكتب التحقيقات الفيدرالي، عمليات مدمرة لاستهداف نشاطات اليمين المتطرف الذين يتهمون بالعنف، ولكن حالات التوقف الأخيرة لم تكن نتيجة عمل متخفي - فإن اكتشاف غاز أسلحة كمنجز وكرار كان بعض مصادفة. على الناحية الأخرى، فقد اقترح مكتب التحقيقات الفيدرالي جامعات من الداعين للسلام والنشطاء المؤيدين للفلسطينيين المحتجين عن أنصار حماية البيئة والمقاضي والمسلمين بالعربية.
بالإضافة إلى تشويه التصور العام للخطر، فإن عمليات التحريض التي يقوم بها عملاء المكتب ربما تحدث آثاراً تشويهية في مناطق معينة. في أكتوبر 2010، ألقى القبض على فاروق أحمد شهابي فيجنيا إثر عملية تضمنت عرضاً عديماً لمكتب التحقيقات الفيدرالي. يبدو أن فاروق كان يخطط للسفر إلى أفغانستان لحرب الوجود العسكري الأمريكي هناك، لكن العملية الوعيمة المدبرة من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي تضمنت خطة يدفع فيها إلى تفجير مطارات مترو أنفاق في العاصمة. (66) وبرغم أن تفجير المترو كان من بانات أفكار المكتب، فإن عملية الاعتقال جعلت المسئولين قلقين من أن يكون مترو الأنفاق في العاصمة معرضًا فعالًا للإرهاب. فتم توفير الأمن بكثافة كرد فعل للمخطط الخيالي. وتم استحداث تفتيش آلي للافراد والحقائب. وقال المسؤولون إنه وإن كانت فكرة تفجير المترو مصدرها مكتب التحقيقات الفيدرالي، فقد قدرت شأنيه اليوم، وينبغي أن تأخذ بجدية كخطوة يمكن أن يستخدمها آخرون. (67) ومن الكتائب الخفية الأخرى حل مجموعة نسائية محلية كانت تسعي نفسها جمعة الأمهات المسلمات، تصادف أن زوجة أحمد كانت عضوًا بـ. شوهدت سمعة المجموعة بسبب هذا الارتباط بعد تغطية إعلامية لهذا الاعتقال المهم، وأثبتت أن نشاطها، رغم أن زوجة أحمد لم تتهم بأي جريمة. فقد كانت المجموعة متوترة في أنشطة متنوعة مثل قسم كوبونات التحريضات وتبادل وصفات الطهي، مشاهدة برنامج "الجنس والمدينة". (68)

مراكز التأثير

نظم عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي بيهوستن، تكساس، على عجل لقاء غداة بثلاثين من قادة المجتمع الإسلامي بالمدينة. وكان فيصل شاه زاد، مواطن أمريكي من كونيكتيك، باكستاني المولد. قد حاول منذ فترة قصيرة تفجير سيارة مفخخة في ميدان تايمز. أخبر العملاء القادة المجتمعين في مطعم هندي أن مكتب التحقيقات الفيدرالي سيقوم بزيارات للمسلمين في منطقة هيوستن؛ لجمع
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والهوية الداخلية على الإرهاب

معلومات أكثر عن التحول المحتمل إلى التطرف للشباب داخل الحي. كان منظم اللقاءات غلام بومبايو والرجل العام علي أمريكي باكستاني على صلة وثيقة بمكتب التحقيقات الفيدرالي. شهد الحضور عرض مكتب التحقيقات الفيدرالي شرائح تهدف إلى شرح عملية التحول إلى التطرف، وعلامات الإندماج التي ينبغي البحث عنها. والاجتماع صورة نمطية من محاولات المكتب الميدانية التابعة لـ FBI. أي. في طوال الولايات المتحدة وعرضها لخلق صلات مع أساس يعتبرهم مراكز تأثير في المجتمعات الإسلامية. و تعد الحكومة هذه الشراكات مع المجتمعات ذات أهمية محورية لكافحة التحول إلى التطرف بين المسلمين الأمريكيين.

إنه بومبايو لا داعم قوي لهذا المنهج، وقد أنشأ في السنوات القليلة الماضية صداقات وثيقة مع وكلاء إف بي أي. المحليين الذين يعملون في مكافحة الإرهاب. وكان مشهورًا بإدارة سلسلة مطاوعة ناجحة في التسعينيات. وبعد 11/9 انخرط في الأنشطة المجتمعية، معتقدًا أن القيادة الإسلامية وإف بي أي. تيلة مساعدة مشتركة في منع تحول الشباب إلى التطرف، وباستخدم تأثيره كصدر رئيس للتمويل الخاص للمساجد فإن يشجع الأئمة للبحث عن الشباب غير المعروفين الذين يحضون على الصلوات، ومن يتوقفون عن الحضور يخترعون عن شبكة علاقاتهم الاجتماعية، ومن يغيرون مظهرهم، فيقول:

يساعدنا إف بي أي. مساعدة حقيقية في تحديد ما نبحث عنه... فإذا رأيت شخصًا يتغير ما بين ليلة وضحاها، فيرسل لهنيه، ويبدأ في ارتداء ملابس مختلفة، لابد لنا أن نعرف ماذا يحدث. ربما يحتاج هذا الوالد بعض العون... إذ كيف لنا أن نعرف إن كان هناك من يضلل. (59)

تأتي فكرة أن إرسال الرحيمة أو التحول إلى ارتداء ملابس إسلامية تقليدية من علامات الانزلاق إلى الإرهاب من نموذج إف بي أي. في التحول إلى التطرف.
ذي المراحل الأربع. كا يُلقى بومبايولا دروسًا في المساجد منذ وقت لآخر عن
المستويات التي تقع على عاتق المسلمين في أمريكا بعد 11/9.

أقول للناس بعد 11/9، خذوا حرية التعبير وحرية الصحافة والحرية الدينية
وضعوها جميعًا في صندوق أخذية فارغ ثم ضعوها في خزانة الملابس. أمريكا لم تعد كا
كانت قبل 11/9. فلتكن مواطناً مستقلاً.

ويقول إن المسلم ينبغي أن يتجنب "الكلام المتمتت" الذي يعرفه بأنه:

الشعور العدائى تجاه أمريكا أو أي شيء يتعلق باليهوديات 11/9، أو أي شيء
يتعلق بالعراق أو أفغانستان. لماذا تصرح بأقوال كهذه دون ضرورة؟

يتفق نموذج مسجلًا في شبكة بومبايولا رسالة إلكترونية كل خمسة تحقيق
النقاط الرئيسية التي ينبغي أن تذكر في خطبة الجمعة.

أي رسالة نود أن نوصواها لعموم الناس، يمكن أن تصل من خلال الأئمة كل
جمعة، حين يجلس أمامهم من 500 إلى ألف شخص، ويمكن أن يطرحو هذه النقاط
كلها في خطتهم (60).

يقول بومبايولا أنه ذات مرة قامت شبكة المجتمعة بدور في توفير معلومات
استخباراتية، كانت أساسًا لأحد تحققات مكافحة الإرهاب التي يجريها إِف بي
آي. وكان من بين من صدر عليهم أحكام نتيجة لما طالب باكستاني اسمه عدنان
ميراز، وأحد أسباب الإدانة اتفاقة على توفير دعم مادي لطالبان في صورة تبرع
قيمه 550 دولارًا. وهو يقول إنه كان يرسل المال إلى مستشفى مصير له من
الحكومة الباكستانية، وفي النهاية تم استخدام هذه الأموال في مشاريع خيرية
ال المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطور والحرب الداخلية على الإرهاب

محليًا في هيوستن. وقد تبين أن أحد أصدقاء ميرزا كان مرشدًا لمكتب التحقيقات الفيدرالي، كما صادق على عمل متخفٍ. كان ميرزا قد وصل إلى الولايات المتحدة في أغسطس 2001، وقد التحق بكلية المجتمع بهيوستن، ونشط في مشروع لمساعدة الشرطة. كما بدأ برنامجًا إذاعيًا لتعليم الأمريكيين الإسلام. وهو في حظة كتابة هذه السطور

رفع شكوك يدعي فيها أن المشورة القانونية التي أتيحته له لم تكون فعالة.

يقدر ستيف جينترل، المدير التنفيذي لبرنامج إف. بي. أي. لمكافحة الإرهاب في هيوستن، أن ربع تحققيته بدأت نتيجة معلومات من شركاء من المجتمع الإسلامي. يقول العملاء في مكتبه إن العلاقات المجتمعية لا توفر المعلومات الاستخباراتية فحسب، بل إنها تشكل قناة لا غنى عنها لتوصل رؤية المكتب في قضية التحول إلى التطرف إلى المجتمع الإسلامي. وأحد الأمثلة على ذلك، عندما بدأت قوات حلف الناتو عمليات القصف في ليبيا، فقد أعد إف. بي. أي. قائمة بالقيمين الليبيين لإجراء مقابلات شخصية معهم - وقد تجاوز عددهم 800 شخص في الولايات المتحدة. كان إجراء مقابلات هذا العدد يثير في الماضي اتهامات بالاضطهاد العرقي. أما الآن فإن إف. بي. أي. يجهد للمعارضة، بأن يُعتبر مؤسِّقًا شرّاء في المجتمع ماذا سيفعل، فيعملون معًا لاحتواء أي غضب يترتب عليه.

بينما يمثل ليبيا مدى ارتباط أنثتولوجيا إف. بي. أي. في مكافحة الإرهاب بالعمليات العسكرية في الخارج. ففي مركز القيادة والسيطرة داخل المنفى الإداري الجديد في مكتب التحقيقات الفيدرالي في هيوستن، توجد على الحوائط ساعات توضح المناطق الزمنية المختلفة في الولايات المتحدة، إلى جانبها ساعات واحدة للعراق والثانية لأفغانستان. قبل 11/9، قاد الضابط الميداني بيوستن التحقيق في الجرائم المالية لنادي وشركة إينرون التنفيذيين. لكنها لم تتدلى حتى الآن هذا العمل أولوية قصوى، بل إن قائمة أولوياتها يتصرفها ضمان أمن الدولة التحليق الاستراتيجية للغاز والذخيرة بيوستن من خطر الإرهاب. وحسب أحد التقديرات، فإن حوالي ثلث عملاء المكتب العاميين في مكافحة الإرهاب لديهم خبرة عسكرية في الشرق.
الأوسط قبل الالتحاق بالكتاب. ومنهم براد ديردورف، المشرف على إحدى كتائب
مكافحة الإرهاب الخامس بالمدينة. وكان مثل المدير السابق لكتاب التحقيقات
الفيدرالي "روبرت مولر" يتعمل إلى البحرية. يعتقد ديردورف أن مبادئ مكافحة
التمرد التي تعلمتها في الصومال أثبتت فائدة لعمله في مكافحة التحول إلى
التموز في المجتمعات الإسلامية في تكساس. وينقل إن الخطوة الأولى في المكان
هي فهم ثقافة المجتمع الذي يصدر الخطر منه. الخطوة الثانية هي تحديد مرتكز
التأثير في المجتمع، وإنشاء علاقات معها يمكن أن تُنثر على مستوى المعلومات
الاستخباراتية الخاصة بالتحول إلى التطرف، وفي بناء قاعدة حملة أيديولوجية في
المجتمع ضد التطرف. (66)

نظرَ إلى الشبكات الاجتماعية التي تحيط بمن يعملون مرتكز تأثير. وبعد عمل
دقِيق يميز لدينا مجموعات شبابية مرتبطة بالمستهدفين [من التحقيق] الذي نجريه،
أو ندرك قابلية التجنيد في المكان، أو نعرف أن هناك حراكاً ما أو نشاطاً سياسياً يجب
أن نفهمه.

يقول ديردورف إن هذا النوع من الشبكات الاجتماعية المجتمعية يسمى بوجود
المعلومات الاستخباراتية الواردة من مصادرنا في سياقها. وهي كذلك تنجز أساساً
لإستراتيجية أوسع باستخدام القوة الناعمة لحوار معركة أيديولوجية، باستخدام
مرتكز التأثير بوصفهم رسل لله مصداقية أكبر مما حكومة الولايات المتحدة.

درس ديردورف سياسة "منع" البريطانية في رسالتها للإيجابير بعنوان "مواجهة
التموز الحمیف" التي كتبها في 2010 أثناء دراسته بمدرسة الدراسات العليا
البحرية للحصول على درجة علمية في الأمن الوطني. وقد جذبه لها "تطبيق القوة
الناعمة" [على] مكافحة الإرهاب على المستوى الأيديولوجي. (65) وقد كتب أن
الولايات المتحدة طرف في "حروب أيديولوجية ستجري على أرباب الأمريكية،
حرب أفكار" تحتاج إلى الاستعانة بدراسات عمليات مكافحة التمرد في العالم كله. وينبغي أن نعلم أن إنشاء علاقات بين العامل الفيدرالي و"مراكز التأثير من الجاليات الدينية والثقافية" ضروري لمضمنة. أو، بما أن مصادر المعلومات عن أنشطة التعبير عن الرأي السياسي والدينية يمكن اعتبارها مؤشرًا للتحول إلى التطرف، فإن هذه الجاليات ستقوم بـ "الآفات" أن تقدمها من التعليم الدينية للتدريس في مرحلة مبكرة من عملية التحول إلى التطرف. إن مراكز التأثير من نشر رسائل نبأ عن الحكومة عن الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه المسلم في أمريكا، عن طريق تعزيز الصلة بـ "القومية الأمريكية" ووصول "الأسس الأخلاقية والفقهية لأيديولوجية بدءًا إلى المتطرفين الإسلاميين."(68)

ومهما كان التعرف القانوني لحرية التعبير، فالفقه في حرية التعبير في الواقع يتضمن معايير غير رسمية تحدد درجة القبول - وهي قواعد غير معروفة تحدد الآراء التي يمكن أن تعلن صراحة. وقد نفذت ترتبات القوة الناعمة التي تعرفها ديردورر، وعن طريق التلاعب بهذه المعايير، مما صُعِب التعبير عن آراء معينة. كانت تدريبات بومبايوالا لاهل هيوستن المسلمين عن الحدود الجديدة لحرية التعبير بعد 11/9 تمثل كلمة مع هذا البرنامج. أدى رجال الأعمال المسلمون دور مركز التأثير هذا في مناطق عديدة من الولايات المتحدة. بدّعاء أنهم يمثلون المجتمعات التي تبعدهم عنها صالأرق ات، إذ يزعمون أن مهمتهم الأساسية هي تقويم المهاجرين المسلمين على نحو يجعلهم أقرب للثقافة الأمريكية، بالتعاون مع الحكومة الأمريكية في محاربة الإرهاب لا تعني عرفة محكمه، بل، سبيل السلمية وفهم ضملي لأهمية الحقوق المدنية. أما وقد تشهروا الرواية الرسمية للتحول إلى التطرف، فقد آليهم الأمر إلى ساعدة الحكومة على السيطرة على الممارسة. وكانت النتيجة أن صارت بعض الانتقادات القوية الخاصة بالسياسة الخارجية الغربية غير مقبولة، فساد جو من الرقابة الذاتية. أما بومبايوالا نفسه، فشاع أنه لا يستطيع أن يكون واضحًا مع المجتمع بشأن عمله.
مع مكتب التحقيقات الفيدرالي، فيقول: "ثمة أشياء كثيرة لا يستطيع العوام أن يستوعبوها، ولا يمكنهم أن يتحدث عنها بصراحة."(69)

يتصور عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي أن مجتمعات الهجرة المسلمين تتكون من كتل موحدة على رأس كل منها راع كأب – مثل القبائل التي تصور كثيرة من عملاء إف. بي. أي. الحريين السابقين أنهم كانوا يواجهونها في الصومال والعراق وأفغانستان قبل أن ينضموا إلى المكتب. يفوت هذا التصور أن هذه المجتمعات كالنسيج المعقد متعدد الخصائص والألوان، ليس لمافيها من اختلافات عرقية فحسب، بل بسبب تداخل علاقات القوة في من طبقة وجنس وسن. إن اختيار معلم للمسلمين لا تحدده مؤشرات إمبريالية مثل الفئود أو عدد أفراد صلاة جماعة أو تنظيمهم. والمجتمعات لا تأتي جاهزة بزعاجها – فإن تحديد زعيم قرار سياسي. وإن الزعاء المحتملين الذين ينصرون الحقوق المدنية غالبًا ما يصورون سلبًا بوصفهم ناقلًا لأنصار متطرفين يعتقد أن تحوّل الناس إلى إرهابيين. وبناء اعتقادات خطاب إدارة أوباما فكرة تكوين شراكات مجتمعية مع المسلمين المعتدين في حرية الداخلية على الإرهاب، فالواقع أن الدور المسموح للمجتمعات بأدائه في مع الإنسان تم اختزاله في جميع المعلومات الاستخباراتية والرقابة الذاتية على الآراء المتطرفة.

ليس مثل المجتمعات دائماً رأي بأن ارتباطهم بالمكتب هدفه جمع المعلومات الاستخباراتية. فقد بنت الوثائق التي حصل عليها اتحاد الحريات الدينية الأمريكية، بموجب قانون حرية المعلومات لعام 2011، أن إف. بي. أي. في كاليفورنيا استخدم صلاة المجتمعية كمبادرة استخباراتية لجمع معلومات عن أراء المسلمين الأمريكيين واتخاذهم الدينية والسياسية، وخزيتها بطريقة منهجية، كجزء من برنامج إدارة المنطقة. وكان المسلمون المشتركون في برامج التواصل المجتمعي هذه يفترضون أن هدفها توفير آلية محاسبية للكتاب التحقيقات الفيدرالي، حتى يتيسر التعامل مع القضايا المتعلقة بممارساته. ولم يدركوا أن هذه البرامج مجرد وسيلة من
وسائل المراقبة. فقد أعد العملاء سجلات بأرقام الضمان الاجتماعي ومعلومات تعريفية أخرى، وبيانات عن الآراء السياسية في مناسبة واحدة على الأقل. وفي حالة أخرى، قام عميل بمراجعة سجلات الدرجات البحاريه لشخص قابله في إطار رمضاي في إحدى الجمعيات الإسلامية في سان فرانسيسكو، وقد وصف أحد الحضور في سجلات إف بي أي بأنه "تقدمي جدًا"، ووصف آخر بأنه "غري جدًا في مظهره ورؤيته".

يرفض كثير من المحافظين الشركات المجتمعية برمتها، لأنهم يرون أن الإسلام نفس هو المشكلة، ويربون في التعامل مع المنشآت الإسلامية خضوعًا لأعداء الغرب. يريدون معاملة كل المسلمين كمشتبه بهم. أما الليبراليون فيرون عمومًا أن الشركات في إنساق القانون مع المجتمعات أمر جاذب، ويتهمون آراءهم في المقام الأول على التحول إلى الرقابة المجتمعية في التسعينيات، التي يرى كثيرون أنها نجحت في الحد من الجريمة مع تقييد انتهاكات الحقوق. تتخذ الفترة التي تولى فيها وليام براثن قيادة دائرة شرطة لوس أنجلوس نموذجًا يحتذى. والدعاوى الأساسية أن إنشاء علاقات بين دوائر الشرطة ورعاية المجتمع سيتيح تعديل مفيد للطريق، تعرف فيه الشرطة حاجات المجتمع ويستجيب المجتمع بثقة بالشرطة، فيكون على استعداد أكبر لتقديم المعلومات. وهذا يقلل الصراع ويحل النزاع بين مكافحة الجريمة واحترام الحقوق. هذه الصورة تمثل الشرطة فيما دور من يجل مشكلات الحي، مع الاستفادة القصوى من المعلومات الاستخباراتية وإنشاء علاقات صادقة تقوم على الثقة بالمجمعات. لكن الواقع يقول إن العمل الشرطي الموجه إلى المجتمع لم يعمل بهذه الطريقة قط. بل إنه يدخل إلى ما يسمى مهنة "التوافد المحتملة" في إنفاذ القانون، الذي يعتمد على توقف أعداد كبيرة بسبب "نوع الحياة التي يعيشونها"، وجرائم المخدرات الصغرى، بغرض حفظ النظام في أماكن الطبقة المالية. وإذا أثبت أن إنفاذ القانون "مستمر" مجتمعيًا، فإنه يسمى الرقابة (الشرطة) المجتمعية يكون في غالب الأحوال رقابة شرطية معادية للمجتمع، لأنها تستسيب في
زيادات ضخمة في أعداد الشباب الأفارقة الأمريكيين واللاتينيين الذين يجسدون بسبب جرائم المخدرات ما كانت تتلاقح وتتناقص إلّا كون مركبهم شبيهاً أثراً وأيضًا من ذلك. إن الرقابة الشرطة مجتمعية هي التي تهتم بأسباب التصدقات الاجتماعية في أمريكا، ولا تعتمد على منظومة عادلة جنائية موجهة عرقياً للسيطرة على سكان ساخطين غير مبالين. (11)

مهما كانت مزاعم الرقابة الشرطة مجتمعية في التفاعل مع قضايا المخدرات وجرائم الاصطدامات، فإن استخدامها لمكافحة الإرهاب شأّن آخر. فالشركات المجتمعية لا تستطيع ضمان أي وسيلة لتحقيق المساءلة أو المشاركة في عملية صنع القرار؛ لأنّ طريقّة تحقيق إف. بي. أي. في الإرهاب تتقرر في العاصفة واشنطن، وتدفعها قوّة سياسية ظلت المنظمات الإسلامية الأمريكية عاجزة عن مواجهتها. كا أن المسلمين الأمريكيين لن يقدموا أي معلومات عن الإرهاب مهما بلغت الثقة بها؛ لأنهم لم يصادروا قط حالة تجنب إرهابي. وفي الواقع فإن الشراكات بين إف. بي. أي. والمجتمعات الإسلامية للتفاعل مع الإرهاب كانت دائمًا جزءًا من استراتيجيّة فورية لمنع التحول إلى التطرف تتجاوز كثيرًا مسألة وجود جرائم وشيك. فإن المسلمين المعتدلين الذين يجدون للقيام بهذه الأدوار نادرًا ما يكونون من دعاة الحقوق المدنية الذين لديهم التزام أمام الحكومة. والأغلب منهم من أبواق الحكومة التي تنقل رسالتها السياسية إلى أفراد المجتمع وليس العكس.
الفصل السابع
بعد الانفجار

استيقظت هذا الصباح
وقال عيني إليناك
الذي تحت سريري
إنني استيقظت هذا الصباح
عيني إليناك
الذي تحت سريري
أخبرني بكل ما حملته الليلة الماضية، بكل كلمة قالتها.

- ويتشارد رايت، أغاني عين الإف بي

في مساء الرابع من نوفمبر 2008، حيث اتضح توجه أوباما إلى الفوز بالانتخابات الرئاسية، تلقى عيان أحد اتصالاً هاتفيًا من ابنة عمه تقول فيه إن ابنتها حسن ذا السبعة عشر عامًا مفقود.

(*) يلعب الشاعر علي الجنس بين حرف (I) بالإنجليزية الذي يختصر كلمة "Investigation" في حروف "Eye" وكلمة "FBI" بمعنى عيني أي غير سري.
ذهنا إلى المستشفيات وأقسام الشرطة ولم نجد شيئًا. وفي متصف الليل تقريباً توقفنا عن البحث ونتما، وظينا أنه ربما ذهب إلى بيت أحد أصدقائه بسبب الانتخابات، ليشاهد مع النتائج. بالطبع لم تستطع أمه النوم. في السابعة صباحًا أبلغنا الشرطة أن ابننا مفقود.

عرف أحمد أن أميرتين صوماليتين-أمريكيتين أخريين في مينابو ليس قد أبلغنا عن فقدان ابنين في ذلك الصباح. فبدأ ي يصل بأسر أخرى ليد من عده معلومات أكثر. ذهبت إحدى الأسر إلى شقة ابنها ووجدت مسأة رحلة طيران متجهة إلى الصومال تضم كل الأبناء المقودين. أدركوا أن أبناءهم ذهبوا ليقاتلو في صف "الشباب"، حركة التمرد الصومالية. يسترجع أحمد الموقف يقول:

لم يخطر ببالنا أنه سيعود إلى الوطن الذي هربناه بسبب الحرب الأهلية والوقوع. لم يخطر هذا ببالنا فقط أنه سيعود يومًا إلى الصومال وينخرط في القتال.

كانت مفاجأة.(1)

قضت الأسرة الشهر التالية في تعاون وثيق مع الإف. بي. آي. لتحديد مكان برمان وتيسير عودته إلى الولايات المتحدة. ظهر عيان أحمد في التلفاز القومي ليجيب الانتباه إلى القضية، وفي مارس 2009، قدمت شهادته في جلسة استمع إحدى جماعة الأمن الوطني في مجلس الشيوخ الأمريكي عن التجنيد لحركة "الشباب" الصومالية في أمريكا. وبدعه في مايو، أتسل برمان بأمه وسألهما: "هل إذا عدت إلى أميك، سيعقلوني ويوبدوني في غواتنامو؟" حاولت قدر طاقتها أن تطمث، وأن ترسل له المال لغير الصومال. فقد بدأ أنه يريد أن يترك حركة "الشباب". (2) لكن الأسرة أبلغت في الشهر التالي أن برمان قد قتل، والأرجح أن الغرض كان منعه من أن يكون مصدرًا استراتيجيًا لحكومة الولايات المتحدة. (3) يقول أحمد:
كان برهان واحدًا من وحدة وعشرين شابًا يفترض أنهم سافروا من تونس سينيسوتي في منتصف 2007 و2009 للانضمام إلى مساعي التدريب التي تشرف عليها حركة "الشباب" في الصومال، والتي اعتبرتها وزارة الخارجية الأمريكية "منظمة إرهابية أجنبية" في فبراير 2008. وقد قيل إن المجندين من مينابوليس اشتركوا في كمين للإيقاف بالقوات الأثيوبية في صيف 2008. في أكتوبر، نفذ شيرزا أحمد، وهو طالب سابق من مينيسوتا في السادسة والعشرين من عمره، هجومًا انتهازيًا في شلال الصومال، قتل فيه اثنين وعشرين، ودعت إف بي آي. أفادت الحالة الأولى التي ينفذ فيها مواطن أميركي تفجيرًا انتهازيًا إرهابيًا. وقد أعلن عن مقتل محمد حسن في سبتمبر بعد سفره إلى الصومال بشريحا أشهر، وكان يدرس الهندسة بجامعة مينيسوتا ونائبًا لرئيس اتحاد الطلاب الصوماليين. وكان خاصًا من ماتوا من مينابوليس. وقد دون بحوار صديقه تروي كاستيغار الذي سقط وهو يقاتل مع حركة "الشباب" كان كاستيغار شابًا أبيض نشأ في ضواحي هينيبي كاونتي، وصديق الصوماليين في مينابوليس، وأعتنق الإسلام وسمى نفسه "عبد الرحمن". استجابت إف بي آي. حالات الاختفاء هذه بأن دشن "عملية رايتو"، وهي أكبر عملية تحقيق لها في الإرهاب منذ 11/9. أعلن مدير المكتب روبرت مولر أن الصوماليين يتعرضون لعملية تحول إلى التطرف في مينيسوتا. وحذر السنينور جوزيف ليبرمان من احتمال أن الصوماليين قد "يعودون إلى الولايات المتحدة في أي وقت وقد تتحولوا تمامًا إلى التطرف، وتذروها تدريجيا كاملا على تكتيكات الإرهاب" - بغرض من هجوم هنا - وإدخال التفجيرات الانتحارية والسيارات المفخخة إلى مدننا، وقد سلمنا منا حتى الآن. من المنطقى هنا أن نسأل: هل يمثل المجندون
الأمريكان في صفوف حركة "الشباب" تهددًا للولايات المتحدة، بالنظر إلى ما يُقره التنظيم من صلات بالقاعدة؟ لكن الدليل المتوفّر يبين أن "الشباب" كانت تركز حصريًا على الحرب الإقليمية في شرق إفريقيا، وكان المحادثات الأجانب مفيدة للأخير، لمstąدامها الدعاء المحلية، وليسوا متفقين محتملين هجمات إرهابية في الغرب. ورغم على سبيل المثال، جُمعت تقارير عن احتجاب هجوم من "الشباب" على الولايات المتحدة، قال لي إك. ويلسون الذي يقود فريقًا من عملائه إف، بي، أي. في مكتب ميتابوليس، المدير المسئول عن التحقيق في التهديدات الإرهابية في القرن الإفريقي، "لا توفر معلومات دقيقة، ولا استجابات دقيقة تقول إنها في إطار التفتيش أو التخطيط أخرى، إنها ستحدث". مع ذلك فقد حاول كثيرون الإعلان عن وجود التهديد. ومن الأشياء الدالة، أن عضو الكونغرس بيتر كنج قال في جلسة استماع عن التحول إلى التطرف الإسلامي في يوليو 2011 أن اعتبار "الشباب" منظمة فقط في هجوم شرق إفريقيا "قفر في الخيال"، وبذلك صارت القدرة على اختراق ميتابوليس للخوف مقدمة على التحليل القائم في الدليل.

يشير مستحلل مكافحة الإرهاب إلى الفترة التي تلتها هجومًا إرهابيًا مباشرًا، عندما ينزع المحققون إلى التعرّف على الجنازة ومنع أي تواجد ملاحظة ما بعد الانفجار. ومنذ أوائل 2008، فصاعدًا، عاش الوكلاء الفيدراليون في حالة ما بعد الانفجار في شخص الأفارقة السودانيين، رغم عدم وجود أحداث في الولايات المتحدة. وقد حوربّرت المجتمعات الصومالية في ميتابوليس وسانت بول. أما أولئك الذين تطوروا للقتال في الصومال فربما كانوا مقاتلين في جرح ألمية بعيدة وحسب، ولا تSubject لديهم للهجوم على الولايات المتحدة، لكنهم في القانون الأمريكي مدانون بالإرهاب؛ لأن "الشباب" مصنفة مسبقًا تحت هذا الوصف. وبالتالي فإن من يساعد الآخرين على السفر إلى الصومال لتطوير مع "الشباب" بإعطائهم المال مشآء قد يواجه اتهامات بالدعم المالي للإرهاب. على هذا الأساس، ادعى العملاء الفيدراليون حديثات واسعة المدى تقول لهم الوجود في كل مكان يتجمع فيه الشباب.
الصوماليون - في الكليات والمدارس الثانوية ومرافق التسوق والكتب - يسألونهم عنم اخترفوا. دخل العملاء البيوت بمجرد الطبول ودون إذن من البداية وراقوا المساجد وسواها إلى منتجات المرشد، وقد حكي الطلاب الصوماليون عن عملاء إف. بي. أف. أنهم تكلموا معهم في مكتبات الجامعة، أو اتصلوا بهم هاتفياً وأمروهم بترك دروسهم ليجروا إجابة عن أسئلة. وقد بدأ الطلاب جامعة مينيسوتا أن عملاء إف. بي. أف. يرددون قائمة بالطلاب المسلمين في الجامعة، ويستجيبونهم الواحد تلو الآخر عن هويتهم ويعتقاتهم الدينية وأ iarاثهم السياسية. كما استوقف الأمريكيون صوماليون في المطارات استجوابهم مستمرًا لإف. أمّ النقل بساعات وفي 2010، هاجم ضابط بإدارة أمن النقل في غير ساعات العمل رجلًا صوماليًا في مينيابوليس وقال له إنه يكره المسلمين، وإن الصوماليين يجب أن يرجعوا إلى إفريقيا، وكان قد هدد صوماليًا آخر بمسدس مخوش في واقعة أخرى. على بعد أميال جنوب مينيابوليس، في مول أوف أمريكا حيث يلتقي الشباب الصوماليون، لا سبباً في احتفالات العيد، يستوقف حراس الأمن ويستجوبون ألفًا ومائتي صوماليًا في المتوسط سنويًا كجزء من مبادرة مكافحة الإرهاب، التي يشاركون فيها المعلومات مع هيئات إنفاذ القانون. ويجمع موظفو المركز الرئيسي للتسويق معلومات شخصية، بما فيها توربوب النجاح، والانتماء العربي وأسماء أصحاب الأعمال مع صور المراقبة، وترسل كلها إلى إف. بي. أف. عن طريق مركز التجمع المحلي وهو مركز تمويل الحكومة الفيدرالية يجمع فيه بيانات المراقبة من مصادر رسمية وشخصية عديدة. وكان ثلاثة من تم استجوابهم من الأمريكيين الأفارقة، ومن أصول أسيوية وعربية أو غيرها من الأقليات. وفي الوقت نفسه ازدادت صعوبة إرسال المال إلى الأهل في الصومال، إذ خضعت المصارف المحلية للضغط الحكومي لرفض تنفيذ تعاملات مع الصومال، وفي 2012، احتج الأمريكيون الصوماليون أمام أفرع ونيلس فارجو بعد أن رفض إرسال تيولات مصرفية إلى الصومال، وبذلك لم تعد هناك مؤسسة مالية واحدة في مينيسوتا تقبل إجراء هذه المعاملات المالية - في الوقت الذي كانت
العرق والحركات والمتطرفون

عدد الصوماليين الموجودين في توين سيتيز هو الأكبر في أمريكا الشمالية، إذ يعيش ثلاثية ألاف من أصول صومالية في مينيسوتا، حسب مسح أجري بين 2008 و2010. (15) وأما قلب الجالية الصومالية في مينيابوليس فهو حي سيدير- ريفر سايد شرقي منطقة وسط البلد، المعروفة باسم ليلت مقديشو. وأبراج ريفر بلازا بلوحاتها الملونة على الطريق الموندياني تؤدي أكثر من ثلاثة آلاف صومالي مكدسين معًا. (16)

وفي سانت بول يوجد ألاف أغلبيّة صومالية يعيشون في سكاي لاين تاور في شارع سانت أنستوري أفينيو. وهي بناء خرسانيّة عالٍ بنيته تستحق اسمها "نيايتانكيك". بدأ الصوماليون التوافد إلى مينيسوتا في نهاية الثمانينيات، وزادت الأعداد في العقد التالي مع استقرار الحروب الأهلية في بلادهم. كثير من هذه الأسر قضت سنوات في مخيمات للاجئين في كينيا، قبل أن يكونوا ضمن فئة قليلة مختارة سمح لها بدخول الولايات المتحدة. ومينيسوتا لها تاريخ في توطين اللاجئين، وصارت الموقع الرئيسي لتوطن الصوماليين في الولايات المتحدة. ولكن الدعم العام الذي أتى للاجئين منذ التسعينيات انخفض؛ مما أثر سلبيًّا على توفير السكن والطعام والرعاية الصحية. وقد شهدت صورة نمطية عن اللاجئين الصوماليين بأنهم كمسالك يتكونون على ما يتحالون عليه من معونات ولا يبحثون عن عمل، لكن ذلك غير دقيق. فكثر من الأسر يعملونا فرد واحد يعاني أو تعاني مشاكل في صحتهم الذاتية نتيجة الحرب الأهلية. وقد وجدت الدراسات المسحية التي أجريت في بداية القرن الحادي والعشرين أن 37% من الصوماليين و25% من الصوماليين في توين سيتيز تعرضوا للتعذيب قبل الوصول إلى الولايات المتحدة، ويعانون مشاكلات بنية ونفسية جراء ذلك. والأهم من ذلك أن قررهم سببه
ندرة فرض العمل وما يصاحبه من تغيير عنصري. وكما يقول إهودو على الباحث بجامعة كولومبيا في 2011، إن الصوماليين في مينيسوتا "بدأوا يشعرون بوجود الجددار وأنهم لا يستطيعون التقدم والصعود ... وكأنهم يتعلمون معنى العنصرية المؤسسية." وتخذل هذه العنصرية أشكالًا عديدة. فبعد 11/9 بقيل وقع هجوم على صومالي في السادسة والستين كان ينتظر حافلة، ومات على إثرها في المستشفى. (17)

مع تطور التحقيق الفيدرالي بشأن الشباب المفقودين، تم استدعاء عشرات الأصدقاء والمشرفين المطلوب للمؤهل أمام هيئة محلفين عليا في الداكار. تسبب هذا الاستجواب الجماهيري الذي أجريه المحققون الفيدراليون في خلق جو من الخوف والرعب والارتباك بين الصوماليين في تون سنتيزي. تذكر نيكو أندرو، وهي إحدى المسؤولةين عن تنظيم المجتمع الأمريكي الصومالي، وتعمل حالياً في مجلس مدينة مينيابوليس، مجموعة من شباب الجامعة تم استدعاؤهم.

لم يكونوا يعرفون المطلوب منهم. فقد كانوا مجرد طلاب حديثي السن. ويعلم كثير منهم أن بعض أصدقائهم ذهبوا إلى الصومال، لكنهم لم يكونوا يعرفون كيف ولا أين ولا متى. وكان الناس يتمناههم الرهاب من مكتب التحقيقات الفيدرالي. فقد أصبحنا فاجعة هدفًا للدولة وكنا محور كل ألوان التحقيق، وتم إبلاغ كل جار الناس أن عليهم التحدث إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي. كانت حليمة تملك الفزع فيها كل الناس. (18)

من الناحية الفنية، كانت أغلب مقابلات إيف. بي. آي. طوعًا، لكن المستهدفين كانوا يوضعون في موقف المجرين. فالحدود القانونية للهيئة بشأن الدعم المادي للإرهاب تعني صعوبة تحديد هل قرار الكلام بحرية من الصلاة بالصوماليين المفقودين سيؤدي إلى تورط المحققين جنائيًا، كما أن إعطاء معلومات مضللة للمكتب قد يؤدي إلى الإدانة بسبب تقدييم إفادات كاذبة للعميل الفيدرالي. ففي
إحدى حالات التحقيق، تم استجواب أمريكى صومالي في السادسة والعشرين في موقع عمله، وتم إصداره بتقديم إشادة كاذبة لعملائه المكتب بشأن مواعيده في سيارة في رحلة إلى سان دييغو. ويعتبر عليه بالحبس ثمانية أشهر. (19) "كان حجموع عدم الثقة من جانب حكومة الولايات المتحدة كبيرة، لا سيما وكالات الأمن القومي مثل إف بي آي"، كما يذكر العميل الخاص إيه. كيه. ويلسون.

في بداية 2009، بدأ الفرع المحلي لمجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (CAIR)، والمنظمة الوطنية للمؤسسة المدنية للمسلمين، في مساعدة الصوماليين الذين يتعينهم المشورة بشأن كيفية التعامل مع استجوابات المكتب. يقول لوري سارويا، المدير التنفيذي لمكتب العلاقات الأمريكية الإسلامية في مينيسوتا: "كان من أهم الأشياء في تلك الفترة أن يعرف الناس حقوقهم الدستورية ويتمسكوا بها.

أقامت جلسات تدريبية في كل مينيسوتا، وتواصلت مع 30 ألف صومالي. كانت رسالتنا بسيطة: "إذا كنت لديك معلومات عن أي نشاط إجرامي في مجتمعك، فهذا هو الوقت المناسب للإبلاغ عنها، يجب أن تبلغ عنها، لكنك كذلك يجب أن تحمي نفسك وتعلم.

نظم مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية شبكة اتصال بمحامين حتى يكون للمستجريين تلميذ قانوني. يقول سارويا: "فوجود محام كان سبيلاً أمرًا لأعضاء المجتمع يساعدهم في محاولات مكتب التحقيق. (20) لكن تقدير مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية التحقيق القانوني في محاولات مكتب التحقيقات الفيدرالي استثمار إدانة أعداء المنظمة في واشنطن. فعضو الكونغرس بيتر كنج تمًا مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية برعية سياسة عدم التعاون مع مكتب التحقيقات الفيدرالي، مما يدل كما قال على توجه عام من المسلمين الأمريكيين نحو عدم التعاون مع هيئة إنفاذ القانون. (21) أما مسألة وجود محامين في القضايا فقد مستعصمًا حساسًا;
لأيها مثلت تهديدًا بوضع حدود لأنواع التحقيقات التي يسمح المكتب بإجرائها. وإن تطبيق نموذج التحول إلى التطرف كان يعني توسيع أنواع التحقيقات لتجاوز حالات الاشتباكات في النشاط الإجرامي، وتتبع الأفراد الذين تظهر عليهم المؤشرات التي قد تفضي بهم إلى التحول إلى متطرفين. لكن أي محاكمة كفيفة سيقاوم أي نوع من الاستجواب غير الرسمي يتعلق بآراء الشباب الدينية والسياسية يقصد به كشف احتفال توجه المستجيبين إلى التطرف. استنادًا إلى التعديل الدستوري الأول، وينسب هذا إلى الأساطير التي تتعلق بشبكاتهم الاجتماعية وحياتهم اليومية. فإن حضور المحامين في هذه المقابلات يثير المحققين على التركيز على الإرهاب وليس المدى الواسع الذي تغطيه مؤشرات احتفال التحول إلى التطرف.

واجهت الأمر التي تأثرت بحالات الاختفاء ورطبة عريضة. فإن تعاونوا مع إف. بي. أي. في محاولة البحث عن أبنائهم، فهذا يعني احتفال صدور أحكام بالسجن الطويل عليهم عند عودتهم إلى أمريكا، وهل كان هناك سبيل آخر للبحث عن أبنائهم ومساعدتهم على ترك حركة "الشباب" دون التورط مع الحكومة الأمريكية؟ فالواقع أن بعض الشباب الذين توجهوا إلى الصومال في 2007، خاب أملهم في الحركة في الصومال، وعادوا بهدوء من تلقاء أنفسهم إلى الولايات المتحدة. تسبب إحساس الخوف في تفجر خلافات حول هذه المسألة في المجتمع الصومالي، وحول مسألة أكبر؛ وهي هل يوشك بالحكومة أن تعامل الصوماليين معاملة عادلة؟ ولا توجي الخبرة السابقة بذلك. فبعد 11/9 كان ضباط الشرطة يتجولون بسياراتهم في الأحياء الصومالية في مينابوليس يتلقتون الغنائم من الشوارع، ويأخذونهم إلى إحدى الهايات في المدينة، ويوسعون ضربًا، ويذوقون على أساس عنصري "ويسبون الإسلام بسبب فاحش". حتى اعتاد الصوماليون على اقتحام الشرطة بأعداد كبيرة للحيل لأقل الأسباب مع استخدام القوة المفرطة. وقد حاول نشطاء
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتهريج والحرب الداخلية على الإرهاب

المجتمع يتعامل مع هذه القضايا لسنين، باستخدام قنوات الاتصال التقليدية في المجتمع وتحقق بعض التقدم. مع ذلك، فليس من المستغرب أن يظل التشكيك في هياكل تنفيذ القانون عاليًا.

من ناحية أخرى، حاول عثمان أحمد، وعم آخر لهرمان، حسن اسمه عبد الرضاق، يبيح أن يقنع المجتمع بأن خير سبيل هو عدم التمسك بالحق في حضور عام في مقابلات مكتب التحقيق الفيدرالي، وأن يلغوا عن أي شاب يبدو عليه التمسك بأي أديولوجية إسلامية، وأن يقبلوا بأن المجتمع الصومالي يعاني بشدة من مشكلة تتحول إلى التطرف. وقد رآها صورة غير دقيقة بالمرة للمجتمع الصومالي في مينيسوتا، وكانه مليء بالمعاطفين مع حركة "الشباب" الصومالية، مما أزال الفارق بين إيان مهب بضرورة الدفاع عن الصومالي ضد الغزاة الأجانب، والنشاط الملموس في دعم حركة "الشباب". حذر أحمد في لجنة استعداد لمجلس الشيوخ من أن القائمين على التجديد لحركة "الشباب" لهم تمثيل جيد، ليس في مساجد بعينها فحسب، بل في كل مكان يركز فيه صوماليون أفارقة وشباب، مثل المراكز الاجتماعية ومدارس التشتر (الاعتاد الخاص) التي بيدها صوماليون. وأحيانا يتخذون موقع قادة في المجتمع الصومالي ويقومون الشروية للسياسيين وغيرهم من الهيئات التي تسعى للتواصل مع المجتمع الصومالي.

كما أخبر عملاء المكتب بشكوكه في الآراء السياسية لبعض الناس.

نعرف أنناً نؤيدون حركة "الشباب"، وأي معلومات أو شكوك لدينا ستقدمها.

هياكل تنفيذ القانون.

(٥) مدارس عامة عاجلة لها بعض الاستقلالية عن المنظمة الرسمية وهي مفتوحة لجميع الأطفال دون شروط مسبقة.

(٦) (الترجمة)
افتراض يحيى وأحمد أن المجندين الشباب لا بد أن تعدهم مجموعة خطيرة إرهابية قاعدتها في مينيابوليس، واتهمها أعضاء أكبر مساجد المدينة، مركز أي بكر الصديق الإسلامي، حيث كان يقضي المجندون الشباب حركة "الشباب" أوقات نزاعاتهم، بأنهم من يقومون خفية بغض النظرة مع الشباب، ويمولون وقائع الاختفاء. وبعد وضع المسجد السلفي تحت المراقبة، ووضع المسؤول عن على لائحة المتنوعين من الطريان، برأ مكتب التحقيقات الفيدرالي هؤلاء المسؤولين من هذه التهم. بل إن المسجد هو الذي تهم يحيى وأحمد بعدد وضع مصالح المسجد في اعتبارهم، ويكون لها دور في أيدي الحكومة الأمريكية. تنافس كل طرف في النزاع على كسب الحكمة الأمريكية ومواردها بداعه أنه في وضع أفضل لمفعوح الشباب إلى التطرف. كان يحيى واحدًا من المسلمين الأمريكين القليلين المستعدين لدعم جلسة استجواب بير كنج في الكونغرس، وقد أدرى بشɵادته فيها، وقد نشأ في واشنطن بوست بوصفه مثالًا للعبيد المسلم الجدد المستعد لأي دور نشط في مكافحة التحول إلى التطرف. وفي سعي مشابه، حاول أحمد إقناع أعضاء في مجلس الشيوخ برشلون بضرورة تزويج الفكر الصوفي داخل المجتمع المسلم الأمريكي، لأنه، كما قال، مناف للنطاق بطلاقه. كان يحيى وأحمد يرجوان الحصول على تمويل فيدرالي خصص لمكافحة التطرف. ومن المفارقات أن المجتمعات الصومالية الأمريكية شديدة الفقر التي تعيش في تورين ستيتس لم تكن لتحصل على زيادة في المخصصات الحكومية إلا بإبزار التحول المزعوم إلى التطرف. بلغ أحد ما أراد فصار جزءًا من مشروع مول فيدراليًا. وقد اشترك مع ستيفان ولين، الطبيب النفسي بجامعة إلينوي في شيكاغو، في بحث عملية التحول إلى التطرف بين الشباب الأمريكي الصومالي في منيسوتا، بتمويل من قسم العلوم السلوكية وعلوم وتكنولوجيا العوامل الإنسانية و دائرة الأمن الوطني.

أما المسؤول عن مسجد أي بكر الصديق، فقد وجدوا بعد فترة ارتياح في أول الأمر، أنهم يستطيعون إقامة علاقات أوثق مع مكتب التحقيقات الفيدرالي،
ما جعل أحمد ويحي يشعر أن الحكومة الفيدرالية خانته، رغم أنها دافعت عنها أمام الجميع. كان الصيد العظيم بالنسبة للمكتب هو المعلومات الاستخباراتية عن الشباب السلفيين الذين يرتادون هذا المسجد، فإذا استطاع مسئول المسجد أن يقوموا بدور الرقابة الشرطة الذاتية، في إبعاد رواج المسجد عن الاهتمام بالسياسة الصومالية، كان هذا خيرًا على خير. وفي يوليو 2011، نشب عراك داخل المسجد أثناء حديث للإمام حاول فيه توجيه الشباب إلى تقليل اهتمامهم بما كان يحدث في الصومال، وأن يزيدوا اهتمامهم بحياتهم في مينابوليس. وقف شاب واحد المسئولين في المسجد بالتحلي عن الصومال والصراع الدائر فيها، ثم كمم رئيس مجلس إدارة المسجد.

كان ذلك الحدث بالنسبة للأئمة وقادة المجتمع وغيرهم من الشخصيات المهمة في المجتمع الصومالي، جديرًا بالانحياز في شأنه مع عدد من الهيئات الفيدرالية. بدأت إدارة أمين التنقل ووزارة الأمن الوطني ووزارة العدل والجهازات وحمر الحدود برامج التواصل الاجتماعي مع الأفريقيين الصوماليين في تونين ستيرز. مولت المؤسسة العسكرية الأمريكية امرأة أمريكية صومالية من مينيسوتا لعمل فيديو وثائقي عن التحول إلى التطرف. وتم تمويل ناشط المجتمع من وزارة الخارجية لزيارة الجاليات الصومالية في أوروبا للتحدث إليهم بوصفهم مسلمين أمريكيين. كما نظم المكتب الميداني في مينابوليس التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي أنشطة في مجلس المدينة وفتيات مع الكبار ومؤتمرات شبابية ومواد مستدامة في سعي لرفع مستوى مصداقيته. والمرأة أن هذه تمت فرضًا لأعضاء المجتمع لعرض خاوفهم بشأن طريقة إجراءات التحقيقات. لكن كآثر المكتب بشكل سري لم يكن هناك احتفال بأن يؤثر المجتمع على طريقة إجراء هذه التحقيقات.

بل إن مكتب التحقيقات الفيدرالي كان يرى في هذه الاجتهادات وسيلة لتصويب ما سياء عمله "مفاهيم خاطئة" تنثر في المجتمع، مثل احتفال سجن المشتبهين دون محاكمة أو استهدافهم بطائرات بدون طيار (كانت تلك المخاوف متسقة مع السياسة
الأمريكية الرسمية، حتى في حالات كان المشتبه بهم مواطنين أمريكيين). (29) هدف
ثناء هو تشجيع قادة المجتمع على تقديم ما لديهم من معلومات عن الشباب إلى
العمال الفيدراليين. ويلد ويلسون، الفرد الخاص إليه. يذكر اسمه الخاص إياه. ويلسون مثلًا، أن غياب الأب
ويجب أن يكون أحد أو عم يشغل دور قاضي مشترك في عدد كبير من حالات تحوّل
الصوماليين إلى التطرف. ويمكن إضافة مؤشرات أخرى لهذا الخطر:

tغيير مفاجئ في الممارسات الدينية أو هجر مجموعة أصدقاء أو مسجد إلى آخر
دون سبب واضح، أو ريا الابتعاد عن جمعة أقران والميل إلى العزلة والانحراف عن
مجموعة دينية معينة.

يقول ويلسون، نتيجة ل التواصل المكتب، تعلم قادة المجتمع الصومالي أن يعودوا
هذه المؤشرات علامات ينبغي التبقي إليها وتسجيلها إلى عملاء مكتب التحققات
الفيدرالي. وعليه فقد بدأ المكتب تلقي نصائح عن الشباب الذين يبتغون هذه الظاهرة
السلوكية أو المواقف التي "يتصرف فيها الولد غير مختلف فجأة". (30)

قامت دائرة الشرطة المحلية في سانت بول بدور كبير في جميع المعلومات
الاستخباراتية لمكافحة الإرهاب، مع إخفاء أنشطتها في لغة الرقابة المجتمعية.
وقد وضع دائرة شرطة سانت بول (SPPD) برنامجًا اسمه برنامج التواصل مع
مجتمع المهاجرين المسلمين الأفقرة (AICMAP) ومولدًا جزئيًا بمنحه مقدارها
670 ألف دولار من وزارة العدل عام 2009. والفكر في برنامج التواصل مع مجتمع
المهاجرين المسلمين الأفقرة هي الوصول إلى طريقة في الرقابة المجتمعية "لمنع
التحول إلى التطرف وتشليب الجريمة العنيفة وزيادة منع الجريمة" في المجتمع
الأمريكي الصومالي في سانت بول. احتوى جزء كبير من البرنامج على ضباط شرطة
ينخترعون في أفعال التواصل المجتمعية عن طريق إنشاء دوريات رياضية خاصة
للشباب برعاية الشرطة وتحت إشرافها. والفكر أنه كلما فتح المجال للتفاعل مع
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتهادب والجهل الدينية على الإرهاب

الناس خارج مجتمعهم، كان الشباب أقدر على الاندماج الناجح في التيار الرئيسي في المجتمع الأمريكي؛ وكان المرجع أن تعمل هذه التفاعلات على تشجيع الشباب على الثقة بضباط الشرطة. وفقاً لقائمة أهداف البرنامج "العثور على الأفراد المعرضين لخطر التحول إلى التطرف والانخراط في العصابات والجريمة العنيفة والتدخل لمنع ذلك"، فهدف التعرف على "الشباب المعرض للخطر" وحفظ تفاصيلهم في قاعدة بيانات والمشاركة في "استخبارات محددة" مع شركاء إنفاذ القانون الآخرين. قدمت دائرة شرطة سانت بول نفسها لوزارة العدل على أساس أنها تؤدي دوراً مفيداً في مكافحة الإرهاب، وأنها قادرة على بناء علاقات مع المجتمع بسهولة أكبر من الهيئات الفيدرالية، ومن ثم الحصول على استخبارات أدق في منع التحول إلى التطرف. وكانت ميزانية الرقابة الشرطة للمدينة قد خفضت في فترة التحقيق، وقد تم الحفاظ على الأجر الإضافي لضباط الشرطة من خلال تمويل هذا البرنامج.

كان مساعد القائد دينيس جنسن مهندس برنامج التواصل مع مجتمع المهاجرين المسلمين الأفارقة، وقد بنى البرنامج على رسالة كتبها للجايسي في الأمن الوطني في مركز الدفاع والأمن الوطني التابع لكلية الدراسات العليا البحرية، نشأت بعد 11/9 للوصول بالحاجة للخبراء في مكافحة الإرهاب من داخل قوات إنفاذ القانون على المستوى المحلي والقومي. يقول جنسن في رسالته:

بعد 11 سبتمبر 2001، صار جلياً أن هية إنفاذ القانون الفيدرالية والمحلية تفتقر إلى القدرة على جمع المعلومات الاستقصائية من المجتمع المسلم. على المستوى الفيدرالي، لم يكن المحققون يتوقعون إلى نقاط اتصال داخل المجتمع فحسب، بل إنهم أضروا بعلاقات قاسية لضعف فهمهم الثقافي عند سعيهم إلى جمع المعلومات...

يتضح أن بناء علاقة قوية بين الشرطة المحلية ومجتمع المسلم مسألة جوهرية للدفاع
عن أمريكا ضد أفعال الإرهاب. وإن مفتاح هذه العلاقات هي الثقة بين الجماعات وفهم الاختلافات الثقافية. (11)

وكأنما أكد منظور مكافحة التمرد على أهمية المعرفة الثقافية في خوض الحروب الاستعorative، فقد ضربت أفكار الثقافة مهمة في مكافحة الإرهاب المحلي. واستولت على دوائر إتفاق القانون في تونس سيدي قرة وجود كيان منفرد ثابت اسمه الثقافة الصومالية، يمكن أن يكون دورةً معرفيًا للشريعة، وإن التحكم في هذه المعرفة من جانب الهيئات الحكومية من شأنه المساعدة في عملية دمج هذا المجتمع في المجتمع الأكبر وقبة نفقه. كانت اللقاءات مع أعضاء في المجتمع هي وسيلة للاكتساب تلك المعرفة وتطبيقها. سألني جنسن: "لا أعرف كيف يمكن، لكن هل تذكر أنهم في فيتنام كانوا يتحدثون عن كسب قلوب الناس وعقولهم؟" (12)

كانت نقطة البداية عند جنسن هي التقرب إلى من سماهم "كيار" المجتمع.

"إذا وثق كبار المجتمع بضباط الشرطة، فإن أغلب المجتمع سيتعاونون مع دائرة الشرطة." (13) وعليه فقد تم تحصيص ضباط شرطة لتوجيه الشباب في ثاني مواسم إسكان شعبي في سانت بول، فكانوا يساعدونهم مثالًا في عمل الواجبات المدرسية، وقد تم جذب ثلاثة شاب صومالي إلى الدورى الرياضي الشرطي، وكان جنسن يجهز أن يفعلي الانخراط في الرياضة إلى "أن ينضجوا ببذل هذا النشاط، بدلاً من التفكير في الصلاة بالوطن الأصلي، كما تعرف." (14) ويدعي جنسن أن هذه العلاقات أنجزت المعرفة الثقافية التي كان يرجوها (بترغ أن أنواع المعرفة التي أنتجها هذه العملية بدأ غريبة: على سبيل المثال، فإنه اعتقد أن "في ثقافة الصوماليين، من المقبول أن تكشف على الناس، إن كان في ذلك فائدة للأسرة. ) (15)

كما أتاح المشروع معلومات استخباراتية مهمة لعملية التحول إلى التطرف، فمثلا يقول إنه تم الحصول على معلومات عن المساجد التي اعتبرت متطرفة، وتم إرسال المعلومات إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي. (16) وكانت فكرة جنسن أن دائرة
الشرطة المحلية لم تكن تثير الخوف الذي يثيره مكتب التحقيقات الفيدرالي، وبذلك
تمكن أن يمكن مصدرًا أغني للمعلومات عن المجتمع. وهو يقول:

إنه يكرهون إف بي أي، لسبب ما. كان إف بي أي، قد قام بأعمال عنيفة بعض
الشيء بعد 11/9. لكي نحصل على معلومات من المجتمع فيقولون لنا من السيئ
ومن ما له سبيع. لأننا نبينا معهم علاقة عمرها خمس أو ست سنوات:(40)

سألت الرقيب جينيفر أودونالل التي تعمل في برامج التواصل مع جمعية
المهاجرين المسلمين الأفارقة: كيف يتم وصف الشباب الذين تحولوا إلى التطرف
وعددهم؟

بالتأكيد، إذا ظننا أن هناك شابًا أميل إلى العزلة والانسحاب، فإننا نحاول
التواصل معه أكثر. تلقينا معلومات عن احتفال السفر إلى إفريقيا والعودة منها،
ونرسل كل المعلومات إلى إف بي أي. أعلم أنه وصلتنا أخبار مشكلات في المدرسة،
مشكلات مع عصابات، ولم يصلنا شيء ععدد على المستوى الأكبر وهو التجديد
لصالح حركة الشباب أو ما شابه ذلك.

سألتها: أليس الانزواء والانسحاب سلوكًا طبيعيًا لدى المراهقين ؟ قالت:
"صحيح، لكنهم يقضون وقتًا طويلاً على الإنترنت، ويغرون نوع ملبسهم
ويغرون فلسفهم... وبدأون في الحديث عن أشياء أكثر تطرفًا." مرة أخرى،
اعتبرت إحدى هيئة إنفاذ القانون التعبير عن الآراء الراديكالية مؤشرًا على وجود
خطر إرهابي محتمل، دون الالتفات إلى قضايا الحريات المدنية. إن دائرة الأمن الوطني
ترى برامج التواصل مع جمعية المهاجرين المسلمين الأفارقة نموذجًا محتملاً يمكن
أن يتبعه غيرها من دوائر الشرطة المدنية.
تمرد وطني

يحتل السؤال التالي قلب تحقيقات إف. بي. إيه. وجلسات الاستماع بالكونغرس الخاصة بتحول الصوماليين إلى التطرف: ما الذي يدفع مجموعة من الشباب الأمريكيين الصوماليين، ولد أغلبهم في الصومال لكنهم عاشوا معظم حياتهم في الولايات المتحدة، إلى السفر إلى منطقة حرب في شرق إفريقيا ليطموعوا بالقتال في صفوف حركة “الشباب”؟ رغم أن من جيل أبناء هؤلاء في المجتمعات الصومالية في تونس سيعزز من بعد أن أنفسهم مخطرين؛ لأنهم استطاعوا الفرار من الصومال وأن يبدأوا حياة جديدة في الولايات المتحدة، يحاولون جاهدين أن يفهموا ماذا اختار أبناءهم الرجوع. في يوليو 2011، عقدت لجنة البرلمان للأمن الوطني برئاسة بينت كنجلة جلسة استماع تدعي محاولة الإجابة عن هذا السؤال. وما لا يصدق أن شهادة الخبراء التي استمرت أكثر من ساعتين لم يرد فيها مرة واحدة ذكر السياق السياسي للغزو الأنثيوبي للصومال، رغم أن جزء مهم في فهم تطور بعض الأمريكيين الصوماليين للانضمام إلى التمرد. بل إن الشباب الذين كانوا يقدمون الأدلة في جلسة الاستماع صوروا قادة المجتمع الأمريكي المسلم وكأنهم يرفضون التعاون مع هيئة إنفاذ القانون، وقالوا إن التحول إلى التطرف يدفعه” Ideologies معادية للغرب” وضعيف في التمسك بال”قيم الأمريكية”. بل إنهم أتفقوا وقتاً بطرحاً فيه الفكرة السؤيلة أن إيران هي من قوات حركة “الشباب”. الواقع أن جلسة الاستماع حولت إلى نقاش حول الخطر الذي يعرض الصوماليون أمريكا له، بوصفه في الأساس مشكلة ولاء وطني، وليس مجرد أفراد معدودين تطوعوا للقتال مع حركة “الشباب” في بلاد بعيدة.44

تقدم وسائل الإعلام الرائدة في الولايات المتحدة إلى الأمريكيين صورة مشوهة عن الصومال تشربها لا إصلاح بعده، حتى إن الفيلم الذي ظهر عام 2001 بعنوان” بلاك هوك داون” (إسقاط الصقر الأسود) ما كان إلا حكايته خرافية أبطالاً
العسكريون الأمريكيون يقاتلون الإرهابيّين المسلميين السود الذين يمرون بهجولين في فضاء من الدماء، لأنه يروي كاملاً من منظور الجنود الأمريكيين. والفيلم يصور مثل بالإضافات للحملة الأمريكيّة في عام 1993 التي استهدفت القبض على قائد المليشيا محمد فرح عبد، وقد فُضّل فيها أكثر من ألف صومالي وثمانية عشر أمريكاً. ويصور الفيلم الصوماليين في أحسن الأحوال بأنهم مساكين يستحقون الإحسان، وفي أسوأ الأحوال معتصمين هجومين بين نزوع ثقافي للتحارب القبلي. ولا تتعلق من الفيلم شيئًا عن التاريخ السياسي الحضري للصومال، ومساهمة الولايات المتحدة في أهياءه. لكن هذه الأحداث تُستند إلى سياسة الحرب الباردة أكثر مما تستند إلى أي سياسات ثقافية في الشعب الصومالي.

كانت حكومة الجنرال محمد سياد بري حليفًا رئيسيًا للولايات المتحدة في إفريقيا في الثمانينيات، وكانت الولايات المتحدة تمدها بأسلحة بمنفعة الملايين من الدولارات بغض النظر عن الإساءة لشعبها. لم يكن هذا المستوى من الدعم العسكري الخارجي مسبوقًا في تاريخ إفريقيا في ذلك الوقت، وكان مقصودًا به التفوّق على الحكومة الشيوعية المدعومة من السوفيت في إثيوبيا المجاورة. اعتُبر بري السلطة في الصومال عام 1969، بعد تسع سنوات من استقلال البلاد عن الاستعمار البريطاني والإيطالي. وقد أجهز في الثمانينيات على تنفيذ برنامج لتعديل هيكل مدرمة حتى يصل على قروض من صندوق النقد الدولي، وقد أدى هذا إلى انيار الاقتصاد الرعوي، وتناول الاعتداء على الغذاء المستورد، وكذلك مستوى البطالة في الخضر.

ومع متصفي العقد واجه نظام بري معارضة متصاعدة، إذ لم يعد إلا أوتوترافية عشائرية تسجن قادة المعارضة وتصفيهم. وببدأ بري يستخدم ضد شعبه ترسانة الأسلحة الضخمة التي تكونت برعاية أمريكية. وكان ضباط الجيش الذين دُرّبهم الولايات المتحدة على أساليب القمع السياسي مطلقًا الأيدي، لا سيما في شحاب البلاد حيث نشأت حركة انفصال. قتل عشرات الآلاف وتحول مليون ونصف إلى أجنين في 1988 و1989، نزحوا من الصومال إلى دول الجوار. وبحلول عام
1991، نجح الشمال في الخروج عن سيطرة بري الذي أعيد عن السلطة بعد تمدد مسلح، خلفًا وراءه دولة مزدقة مفيدة في مجاعة. تسببت سياسة الهوية العشائرية في تفريع الدولة نفسها، ومرأة الأمية إلى فرق متناحرة مسلحة تقتات من أجل السيطرة على مقدشيوم لمدة عقد كامل في غابة دولة مركزية فاعلة.

في نهاية 2002، حلت الولايات المتحدة محل الفرنسيين في القاعدة الاستعارية الفرنسية السابقة في كامب ليمونير في دولة جيبوتي المجاورة، واستخدمت تسعة فرد من العسكريين والمحامين في غيبي القوة المشتركة المدعمة في القرن الإفريقي. واعتبرت الصوامد قاعدة إعداد هجاءات على أمريكا، رغم أن عدد مقاتلي القاعدة في البلاد كان يعد على الأصوب. مع ذلك، تم تجديد مجموعات عديدة من الميليشيا الصوامالية للعمل مع سي أي إيه في الحرب على الإرهاب. وسرعان ما بدأت هذه الميليشيات اعتقال الأفراد الذين تشك في أنهم متطرفون إسلاميون وقتلهم، وكان هؤلاء عادةً من الأظلمة ومن يصرون بالناس في المساجد المحلية الذين لا علاقة لهم بالإرهاب. وأحيانًا كانوا يسلمون أسرهم إلى القوات الأمريكية في جيبوتي. كانت سي أي إيه تأمل أن يحكم الصوامد مجموعة من أمراء الحرب المحليين في كينيا الذين شكلوا حكومة انتقالة عرفة باسم الحكومة الفيدرالية الإنتقالية (TFG)، بعد أن تسلمت الميليشيا المدعومة من الوكالة على العاصمة. لكن حملة سي أي إيه أحدثت عكس ما أرادت. فقد أدى السخط على عفوف الميليشيا إلى تنامي تأييد الشبكة الشعبية المعروفة باسم المحاكم الإسلامية، التي نجحت في 2006 في طرد الميليشيات المدعومة من وكالة الاستخبارات المركزية من مقدشيوم. كان قوم اتحاد المحاكم شيوخًا تقليديين كانوا يعلمون القرآن في القرى، وعليه، دين محليين يحكمون في النزاعات حسب فهمهم للشرعية بهدف فرض قدر من النظام على المدينة التي سادتها الفوضى. لم يكن هناك كلام عن الإرهاب الدولي، وكان الجناح الشبابي الأشد عنفة، أي حركة الشباب، عنصرًا هامشيًا.
المسلمون قادمون؛ الإسلاموفوبيا والتمييز والحرب الداخلية على الإرهاب

شعبة لأنها، في المقام الأول، بسطت الأمن على أجزاء كبيرة من البلاد بعد أكثر من
عقد على العنف الداخلي، لكنهم لم يكن لديهم خطة واضحة للحكم. شعر بعض
الصوماليين في دول الشتات في أوروبا وأمريكا الشمالية أنهم يستطيعون العودة إلى
الصوماليا في أمان أكثر من ذي قبل، وبعد عودتهم من زيارتهم اجذبوا غيرهم في
المجتمعات الصومالية بحكايات عن غياب العنف والجريمة في ظل حكم المحاكم.
أما في واشنطن فقد استمر القلق. صوَّرَ اتحاد المحاكم على أنه جزء من خطر
الإسلام السياسي العالمي، وبدأت إدارة بوش في البحث عن سبيل جدوى للقضاء
عليه، فتوجهت إلى الغرب الإقليمي الدائم للصومال، إثيوبيا، فمنحت جيشها
تمورلا ودعمًا لوجستيًا لتنفيذ غزو من جانب واحد في ديسمبر 2006. (48) وبدعم
جوي أمريكى مع قوات العمليات الخاصة الأمريكية على الأرض، تمكن عشرات
الألاف من القوات الأثيوبية من التغلب سريعاً على اتحاد المحاكم الإسلامية،
ووضع مكانها الحكومة الفيدرالية الانتقالية. ولد الغزو الإثيوبي سخطًا عارمًا.
وفي هذا كتب الصحافي الاستقصائي جيرمي سكاهيل:

كان الاحتلال (الإثيوبي) يتصنف بالوحشية ضد المدنيين الصوماليين دون تمييز.
فقد أمر الجنود الإثيوبيون والصوماليون الدواميون من الولايات المتحدة
أحياء مقديشيو بالقوة، فاقتحموا المنازل بحثًا عن الموالين لاتحاد المحاكم، ونهروا
متلكات المدنيين وضربوا وقتلوا كل من يشكون في تعاونهم مع القوات المعايدة
للمحاكم. وضعوا قناعة على أسطح البناء و كانوا يبردون على أي هجوم إطلاق
نار أضعاف الهجوم، فيقصرون المناطق كثيفة السكان، ومستشفيات كثيرة، حسب ما
وردت تقارير هيومن رايتس روتش. ووردت بلاغات كبيرة عن عمليات قتل دون
محاكمة قام بها الجنود الإثيوبيون، لا سيما في الشهر الأخيرة من 2007، كما وردت
روايات كبيرة عن جنود إثيوبيين "يبحرون" الرجال والنساء والأطفال "كالأغنام"
يقطعون الرقاب حسبما قالت منظمة العفو الدولية. وقد أُتهمت قوات الحكومة
الانتقالية الصومالية بقيادة المتحرين المؤيدة من الولايات المتحدة والقوات الإثيوبية بأعمال عنف جنسي مروعة.

أقام الغزو الأجنبي حكومة فاسدة فاشلة تحمي قوات الاتحاد الإفريقي. كما تسبب في قمع ونهب في صدارته قوات حركة الشباب لقتال الجيش الإثيوبي والحكومة الفيدرالية الانتقالية.

ليس من الصعب أن نفهم أن هذا الوضع ماذا ينجب عدد من الشباب في الشتات إلى فكرة الاستجابة إلى دعوة حركة "الشباب"، للترويج دفاعًا عن الصومالي ضد الغزاة المدعومين من الولايات المتحدة. كانت فاطمة نور الصحفية الوحيدة الناطقة بالإنجليزية التي قابلت بالفعل الجنود أمريكيين صوماليين، وسأله عن سبب تطورهم مع حركة الشباب، وتعلمت فاطمة في صحيفة نيويورك ستار الكينية. أجرت فاطمة نور مقابلات مع الجنود من الصومال في 2011 أثناء استعدادهم لدخول الصومال من كينيا، ونستطيع أن نتبين من هذه المقابلات بوضوح أسباب قرارات هؤلاء الشباب ترك حياتهم في الغرب. قال نوو أحد ابن السابعة عشرة:

الشباب ملهم ب entãoون هنا [في الصومال] لنححي بلادنا. أستطيع أن أحقق شيئًا مهمًا هنا بالمقارنة بها كتب أفعله هناك في الولايات المتحدة... هذا اختياري ولم يجري أحد عليه كي نظل أمي. فقد عاشوا في منشفة تامة مدة طويلة، وهم الآن يريدون أن ينسوا وطنهم. ولن أفعل.

يقول شاب آخر في الثالثة والعشرين اسمه أبكير محمد: "كلنا هنا للدفاع عيان نؤمن به. كلنا هنا لنححي الإسلام، وسنفعل ذلك مهما كلفنا«. وضيف، ما إن حصلت أسرته على الجنسية الأمريكية حتى تصورنا "أنا مستمت من المعاملة المواطن الأمريكي وحقوقه، ولم يحدث هذا قط". فرغم أنه كان من الحماسة الأوائل في مدرسته
المسلمون قادمون إلى الإسلاموفوبيا والتنطيف والحرب الداخلية على الإرهاب

الثانية في مينيسوتا، فلم يستطيع الحصول على عمل أو منحة جامعية. يتحدث محمد
ثالث اسمه عبد الرحمن غوليت، في الناسقة عشرة عن الجو في مينيسوتا في 2008
بعد أن بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالي التحقيق في حالات الاختفاء. "اعتبرنا جيما
إرهابيين محتملين. كانت الشرطة تقترح بيوتنا باستمرار. وتفتش بلا إذن من النيابة",
ويذكر أنه احتجز للاستجواب لساعات في مكتب التحقيقات الفيدرالي، ويقول
إذا الانضمام لحركة الشباب لم يخطر له بالفعل قبل هذه الأحداث. "عرفت أني كنت
مغفلًا ... والآن أعرف السبب. خاضت التجربة بنفسي."

وكما تقول نور، استضاح الغزو الأثيوبي "يفظة سياسية" بين الصوماليين في
الشتات، مع انتشار أخبار وحشية الاحترال. (58) وما هي هذه اليفضة أن تتخذ
الشكل الذي اتفقته لولا العقبات التي واجهها هؤلاء الشباب في أمريكا. فقد رأوا
حياتهم في الولايات المتحدة موضحة، والحرص محجة ونظرية الرئة في عيون
مسؤولي الأمن القومي. ومن المفارقات أن اعتبار المسلمين إرهابيين كان من أسباب
توجه البعض للانضمام لجماعة مصنفة أنها منظمة إرهابية. وما أن ذهبت مجموعة
صغيرة، وبدأت تدريجا لأفرادهم في الوطن حيائيات البطولية العسكرية دفاعًا عن
الأمة والدين، حتى بدأت سلسلة تجني تعتقد أسماً على الكالادات الرسمية الدولية
وسائل الإعلامي الاجتماعي، بعد قليل من الأفراد في توبين سيئ، كل
واحد يجمع حوالي ألفي دولار لتفظية نفقات السفر. (59)

بحلول عام 2009، كان الشباب قد سيطروا على أغلب جنوب الصومال
ومقديشو. أما خطة الغزو التي أعدتها الحكومة الأمريكية، والتي استهدفتها مو
خطر الإرهاب الدولي من الصومال، فقد ضاعفت المشكلة بحربا على الإرهاب.
وهكذا فالأول مرة تستطيع جماعة ضعيفة الصلة بـ "القاعدة" أن تسيطر على مناطق
وتبدأ في فرض نمط حكم طالبان، فتقطع الرؤوس وحوج وتقضي الأطراف من فروا
عندما يخلف أحد أو أمراها، حتى إن صيحة زُجت رغم أنها كانت ضحية اغتصاب
ومنت라고ات الهاتف الخليوي الموسيقية بدعوى خالفتها الإسلام. مع ذلك تركز
خطاب حركة الشباب على إعادة السيطرة على البلاد وليس الهجوم على الغرب. وحظيت الجماهير بدعم عدود يستناد إلى فكرة أنها القوة الوحيدة التي تدافع عن الأمة. حتى الشاهد النجم الذي جلب بيتر كنج، عبد الرؤف، يحيي يقر:

أعرف كثيرًا في حركة الشباب في الصومال كانوا جيروًا لي، ونشأت معهم، وسواه أجهزك كلامي أم لم يعجبك، فإنهم هناك بسبب وطنهم، ولا يتفقون مع حركة الشباب بأيّة درجة؛ لأن حركة الشباب هي الوحيدة التي تدافع عن حدود الصومال وكرامتها وقوميتها وحكومتها وتجمع الشمل هناك. لأن كل جامة ليست وطنية قابلة للفساد، وتعمل لدى إثيوبيا أو الأمم المتحدة أو أمراء الحرب الأميين قد تم البلاد.

إن الشباب الصوماليين الغاضبين من السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الحرب على الإرهاب، والذين يريدون أن يعبروا عن معارضتهم لا يجدون خيارًا إلا حركة الشباب. وكما أشار العديد من القائمين على شرن المجمع في مينابوليس، فإن الحوارات بين الأمريكيين الصوماليين عن انظمة الولاع على المسلمين وتحول الصومال إلى ضحية، ومسؤولية الحكومة الأمريكية عن ذلك أمر طبيعي تمامًا. وقد ذكروا أنه إذا استعدنا حركة الشباب، فلن يوجد أي جامع سياسية تعني بهذه الآراء وتصبج عليها صياغة تنظيمية وتتبع أشكالًا لنشاط السياسي بدلة عن أصولية “الشباب” العنيفة. وإن حوارات الشباب الأمريكي الصومالي التعبير عن أنفسهم سياسيا صارت محل ارتباك الحكومة. فبعد حصوله على الجنسية الأمريكي بيومن، أطلق عبد الوالي ورسامى، سلالة حافلة من مينينوس في الثلاثين من عمره، موقعًا على الإنترنت وهو (Somalimindimo) حقوق شعبية سريعة في الشتات. إذ إن يعبر عن توجه الآراء السياسية عن الصومال، لكنه كان يعارض بشدة التدخل الأمريكي. في يونيو 2012، تلقى ورسامى تحذيرًا من جوبل في رسالة إلكترونية تخبره أن موقعه ذكر في وثيقة على الإنترنت. واكتشف على موقع
المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتطبيع والحرب الداخلية على الإرهاب

وهو موقع حكومي فيدرالي على الشبكة العنكبوتية أن أحد المقاولين العسكريين الحكوميين، وهي مجموعة نافذة ومقرها فيرجينيا، تم تكييفها من قبل قوات العمليات الخاصة الأمريكية "بمكافحة التأثيرات الشريرة" في إفريقيا، وعلى فيه فقد بدأت مراقبة موقعة، وأعدت ملقيًا بحثيًا سريًا عن مؤسسته ومحتوياته. وحدد الملف "فِرْصًا لأجراء "عمليات دعم معلوماتي عسكرية" وهي معروفة أكثر بتعزيز العمليات النفسية، وهدفها الجمهور الصومالي في العالم كله. وسيكون عمل المؤسسة العسكرية الأمريكية أن تقوم "بحملة رسائل"، حسبًا يقول الملف، عن طريق تكرار التعليمات المنشورة على الموقع من قراء معارضين لحركة الشباب. وقد أرسل الملف كذلك إلى المكتب الميداني المحلي التابع لكتاب التحقيقات الفيدرالي، وقابل علاله ورسامه. وفي أول الأمر قال له العملاء إنه رهن تحقيق جنائي، لكن بعد تدخل محاميه ورفضه مقابلة عملاء المكتب بدون محامٍ، توقف المكتب عن الاتصال به."

العてしまいます

رسميًا اعتبر التحقيق الفيدرالي في حالات الاختفاء من توين سيتيز نجاحًا. مع نهاية 2009، بدأ أن عدد الشباب الأمريكيين الصوماليين الذين يحاولون مغادرة الولايات المتحدة والانضمام إلى حركة الشباب في انخفاض. تم إدانة حفنة من الناس بالتبرع بمبالغ من أربعة أرقام للحركة. بدأت مسائقة الحركة تنهار بالتدريج عندما عرف الناس عنها الوحشي مع أي صومالي له رأى مختلف في مستقبل البلاد السياسي. وفي ما حدث، خففت الصورة البطولية للقتال ضد الاحتلال الأجنبي. كان من أشهر أعضاء الحركة عمر الحمامي، المعروف بأبي مصعور الأمريكي، هو من ألبانيا، اعتنق الإسلام، وكان يعني الراي في فيديوهات دعائية. في إبريل 2012، قبل إن حركة الشباب اختلفت مع حاملي، على الأرجح بسبب اختلافات أيديولوجية وحاولت قتله.
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة. تأكد من أن الصورة صحيحة وتعبر عن النص العربي الصحيح.
لم يكن أيٌّ من هذه الظاهر بخاففة على الشباب الأمريكيين الصوماليين، فقد كانوا يحملون وصمة الاشتباه الرسمي. قابلت في مينيسوتا مجموعة من الطلاب الأمريكيين الصوماليين. بعد حدث قصير عن حياتهم، بدأ التعبير عن الغضب يتدفق. فبدأ أحدهم يقول: "اعتقد أن هذه صورة من صنع وسائل الإعلام، فالصور النمطية: أن مسلم، إذن أن إرهابي. مينيسوتا مكان لطيف، ولكنهم لا يقولون شيء عن هذا. هذه حرب صور ذهنية." تروي طالبة أخرى أنها تخضع للاستجواب لمدة ثلاث ساعات أو أربع في كل مرة في البلاد. "حتى لو لم تكن وجهت قريباً بأي حال من الصور، فإنهم لم يريدوا إلا إحرازي. يجعلون الأمور علينا عسيرة، وإن لم نرتكي أي خطأً. أيدها الآخرون ويدعواونا لتعودوا له من قيم بسبيع أسائهما المسلمة أو ارتداء النساء غطاء الرأس (الحجاب). ويتكلمون عن ومنهم من السفر لزيارة العائلة في الصومال، لأن أسائهما ترد في قوائم طويلة جداً لمراقبة المرتدين بالإرهاب. وقال أحد الشباب إن "كل مسلم في أمريكا يعيش في خوف التعرض للأذى".

نشأ لدينا هذا الخوف من أن يأتي إلى البيت يطرقون الباب، أن يأتي ويعتديوك أو يضيقوا عليك، ويمكن أن يحدث هذا في أي وقت. ولا تعرف إن كان ثمة إهانة
لك، مهما كنت متاكدًا أنك لم ترتكي أي خطاً.

ويضيف آخر:

مرت فترة المكابرية ضد الشبيعة وتهمة الفيتكونغ (9). والآن لدينا
الإسلاموفوبيا. ولأننا شباب صومالي مسلم، فهناك عناصر كثيرة تؤخذ ضدنا،
فنحن مثلاً سود ومهاجرون ومسلمون.

(9) عضوية الحركة الشيوعية الفيتنامية.
وسرعان ما تحول الحديث إلى السياسة الخارجية.

إذا نظرت إلى سياسة أمريكا الخارجية تجاه منطقة شرق إفريقيا لا سيما الصومال منذ الثمانينات والتسعينيات وما قبلها، أثناء الحرب الباردة، وجدت أن أمريكا لم تدب سياساتها اهتماماً بما. وهذا تقريباً ما يحدث في العالم كله للمسلمين. هناك نزوح إلى التمييز في هذه السياسة.

لقد صارت الآراء السياسية للشباب الأمريكيين الصوماليين كلاً كلاً عربوا عنها هنا بعد مؤشرات خطيرة، فاغفلت أمامها منافذ التعبير الشرعي العام، وكان ذلك من النتائج اعتبار التحول إلى التطرف المشكلة المركزية، ومن ثم ترسية بيئة مكافحة الإرهاب من الأفراد المنخرطين في العنف السياسي إلى مجموعة أوسع من الاعتقادات أو المعتقدات. أما قادة المجتمع الذين يتطلب منهم الحديث بنيابة عن المجتمع، فيقول الشباب إنهم لا يشترون بشيء إلى السياسة الخارجية أو التمييز أو الحرية المدنية. يقول أحدهم:

من المؤسف أن أقول إن المجتمع الصومالي به كثير من المناقضين الذين يصرون أنفسهم مدافعين عن الصوماليين أو قادة للمجتمع. وهم الأكثر ظهوراً في الإعلام لأن أغلب ما يدعو إليه هو ما تريدهم الحكومة أن يدعووا إليه. أشعر أن أي شخص يحاول أن يرفع صوته يتم تشويهه حتى يترعه عن مقولاته السابقة. هل ترى كل المسجونين دون سبب عادل، دون إجراءات سليمة. ثم بدأ أنت في الشعور بالقلق. فتعلكن أنت، لجدر أنك تكلمت. ولا أمانة، يشعر أغلبنا أنا لا نملك ما يسمى حرية التعبير.

هذا ما ساقنا إليه نموذج مكافحة التحول إلى التطرف: أن يشعر الشباب أنهم لا يمكن أن يعرموا عن آرائهم السياسية بحرية. نتيجة هذا، توصد أمامهم فرص خلق سياسة راديكالية يمكن أن تصبح بديلاً حقيقياً عن العنف الأصولي لدى حركة الشباب.
الفصل الثامن
صليبيون في القرن الحادي والعشرين

قال المؤرخ تي آر فهيرتباخ ذات مرة إن موطنى ولاية تكساس يشترك مع إسرائيل في تجربة "المتضررين من الرجال والنساء الذين ألفوا إلى ظروف جديدة صعبة ويجيت بهم الأعداء".

حاكم تكساس ريك بيري 2011

كيتي حيّ في الضواحي الغربية لفيوستون، تكساس. أخذ اسمه من السكة الحديد القديمة كي-تي التي تربط بين كنساس وتكساس، وهي التي أتاحت قيام منطقة سكنية حول ما كان وقتها نبع ماء يتجمع عليه البعوض. وهو الآن من أغنى مناطق المدينة ومركز الطاقة في فيوستون، حيث المقرات الإدارية العليا لشركات النفط والغاز. ودعت حاجاتها إلى موظفين أصحاب مهارات فنية إلى قسم عدد من المهاجرين المسلمين إلى هذا الحي، وفي عام 2006، اشترى ثلثة إخوة قطعة من الأرض مساحتها أحد عشر فدانًا بغرض بناء مسجد عليها. وبعد أربعة أعوام افتتح هناك بناء مؤقت يستخدم كقاعة للصلاة، كما افتتح ملعب. وتبني أغلب المساجد في مناطق داخلية في المدينة متعددة الأعراق، حيث الأرض رخيصة. أما في كيتي، كان الموقع يتوسط عددًا من أغلى المناطق العقارية السكنية في المدينة.
في ذلك الوقت من 2010، نار جدل قومي حول أحقية "مبادئ قرطبة"، وهي منظمة إسلامية مقرها نيويورك، في بناء مركز إجتماعي باسم "بارك 51" في مانهاتن الدنل. ويرتبط أنه لم يكن مسجدًا مستقلاً ولم يكن في منطقة غراوند زيرو (1)؛ فإن المدونة المعمدة للإسلام باميلا غيل سمته "بارك 51" مسجد غراوند زيرو، ووصفت بأنه إهانة لضحايها 11/9. وكان المسلمين جميعهم مسؤولون عن الهجمات الإرهابية، ومن ثم فلا مرحباً بهم في أي بقعة بالقرب من موقع 11/9. النطق روبرت ميردوك القصة ونشرها في نيويورك بوست، والنطقها "فوكس نيوز" ودخل نيوت غرينسبورغ وسارة بالين بقليها حتى أخذت القصة طريقها إلى وسائل الإعلام الرئية (2).

في هيوستن، قال مايكل بيري، وهو مذيع برنامج حواري بإذاعة (KTRH)، إذا بني المركز في نيويورك فإنه يمكن أن يفسف أحد. "أثنى أن أبين المسجد... وإن بني أثتي أن يفسف، وأعني ما أقول. (1) كان القلق قد بدأ يساور بعض سكان كيتي بشأن مبنى المسجد الجديد الذي بدأ يزعم في حيهم ومارسوا ضغوطاً على مستوي المدينة ليرفضوا منح الترخيص المطلوب. لكن روح العدوانة تصادمت، حتى إن أحد رجال الأعمال يعيش بجوار المسجد، وímملك قطعة أرض حوله وضع لافتات حول ميتة عليها صبابون ونجمة داوود، وكأنه يذود عن الحضارة المسيحية اليهودية ضد القادمين الجدد. بدأ ينظم سباقات للخنازير في الأرض الملاصقة للمسجد، في محاولة متعمدة للاستفزاز. فقال هشام عبيد، رئيس الجمعية الأمريكية الإسلامية في كيتي التي تدير المسجد: "الخنازير لا تسوؤنا. كل ما في الأمر أننا لا نأكل الخنازير. وهذا الحيوان لا يؤدي مشاعرنا، فهو مجرد حيوان. (2)"

وقعت أحداث أخرى من هذه. فقد كانت تلقى وسائل حارة وجماعات للبيئة في مر السيارات الخاص بالمجد، وتكتب عبارات مثل "الإسلام شر" على الجدار (3).

(1) هذا التعبير دلالات كبيرة باللغة الإنجليزية، لكن الأقرب للممعنى هنا هو منطقة برغي التجارة العالمية بعد الهجمات الإرهابية عليها. (الترجمة).
المجاور، وظلت هناك لمدة عامين. وفي مدرسة ييكندورف القريبة، احتاج تلميذ
في الصف الثامن أمريكي عزى إلى جراحة لإصلاح فك بعد أن وقع ضحية هجوم
وُصِم في أنثائه بأنه “إرهابي”، وقبل له “عد إلى ديارك أيها المسلم”، و“انت تسفرن
المباني”. وعلى مقربة من المسجد كان هناك مطعم للمشجومات يشتهر بوجود صورة
لعملية شبق. والشخص المدل من شجرة كان له ملامح شرق أوسطية، وتحت
الصورة تعليق يقول: “هيا نلعب رعاة بقر وإيرانيون”. يصر هشام عبد “أن
البيئة معايدة”، لكن مساعيه لتحقيق تعامل ودي – بالطرق على الأبواب في الحي
لتماثلة السكان، وإرسال دعوات عشاء في مناسبات دينية وتنظيم أيام مفتوحة،
طمأنت الجيران فيها يبدو.(5)

كان ما يجري في كيبو زيموثب لنسق أخذ ينتشر في جميع أنحاء الولايات
المتحدة بداية من صيف 2010. فقد أورد أحد الأخبار الدينية الأمريكية في
نهاية 2010 أن أربعين مسجدًا تواجه معارضة منظمة. من لوس أنجلوس إلى
بروكلين، ومن سياتل حتى ميامي، كانت المساجد القائمة والمزمع إنشاؤها تتعرض
لالتخريب والتضييق والاحتجاجات الغاضبة ومحاولات رفض ترخيص البناء
لأسباب واهية.(6) ففي أورينج كاونتي، كاليفورنيا، ومع وصول المصلين المسجد
بمن فيهم الأطفال في إحدى المناسبات في بداية 2011، لجئ بعض العائدين لأورانج
للاستماع للمشردين، جاء مئات المحتجين المعادين للمسلمين يصرخون “عودوا إلى
وطنكم”, “إرهابيون” و “يو إس إس”. قالت إحدى عضوات مجلس المدينة في
الاحتجاج: “أعرف عددًا كثيرًا من جنود المارينز (البحرية) يسعدهم أن يساعدوا
هؤلاء الإرهابيين في دخول الجنة سريعاً”. قال معتز آخر: “توترنا أنفسكم مع
الأمريكيين الآن. لننسى إنجلترا. ولننسى بريطانيا. نحن أمريكيون”. كان ذلك
إشارة إلى الزعم بأن نسجاح التعددية الثقافية البريطانية هو ما أتاح رضوخ البلاد
إلى الشريعة الإسلامية.(7) وفي بورتلاند، أوريغون، قال الرجل الذي ألقي القنابل
على مركز سليان الفارسي الإسلامي لرجال الشرطة: "للجهاد اتجاهان، فالمسيحيون يستطيعون الجهاد أيضًا". (8)

بعض مرتكبي العنف المعادي للإسلام كانوا حريصين على التأكد من الهوية الدينية لضحاياهم أولًا. ففي أغسطس 2010، طعن أحمد شريف، سائق سيارة أجرة في منهاجان بعد أن سأله الراكب: "هل أنت مسلم؟" وعندما أجابه شريف بنعم، قال الراكب: "اعترف هذه نقطة تشويش". ثم سحب سكينًا وجرى رقة السائق ووجهه وظهر بده. ولم كان الجرح في رقبة شريف أعمق أو أطول، لمات السائق، كما قال الأطباء. (9) وفي مشرب في سانت بطرسيبورغ، فلوريدا، افتتح برايلي سروت حديثًا مع صديعه، ذكر فيه أنه مسلم، فكان من سروت إلا أن جده من قميصه وطعنه في رقبته ببطوأ. (10) ووفي نوفمبر 2012، كان علي أكمل ذو الثانية والسبعين يمشي في كويز، نيويورك، في الصباح الباكر، عندما اقترب منه رجلان وسلاة: "هل أنت مسلم أم هندوس؟" عندما قال أنا مسلم أخذًا يضربه بقسوة وتركاه في حالة حرجة عاجزًا عن المسح أو الكلام. (11) في الشهر نفسه، كان يشير أحد ذو الخمسة والسبعين يصعد الدرج ليفتح الباب الأمامي لمسبد الصالحين في كويز، عندما أتاه من خلفه من طمعه عدة مرات ثم عضه في أنفه، وحُرِّض بالأوان السباي المعايدة للمسلمين. (12)

في حالات أخرى، كان يكفي أن تبدو الملاعلا جنوب آسيوية. في ديسمبر 2012، قُتل "سوناندو" ابن السادسة والأربعين بعد أن دفعته امرأة على قضبان مترو الأفقود في كويز، قالت للضباط إنها "دفعت مسلمةً على قضبان القطار لأنها أكره هندوس و المسلمون. ومن 2001، عندما أسقطوا البرجيين ونهاهم. "أخطأت المرأة المهاجة؟ لأن "سوناندو" لم يكن مسلمًا، بل كان يأتي من خلفية هندوسية. (13) أما السيخ - بمعانهم التي تجعلهم يطبقون الصورة النمطية للإرهابيين المسلمين في أذناء الأمريكيين - فإنهم يمثلون أسلوب الأهداف لجهات المعادية للإسلام. في إبريل 2011، كان أثنا من السيخ المسنين بمشان في ضاحية إلك جروف في
سكراماتزو، بكاليفورنيا، وأطلق عليها الرصاص، فقال سورندر سنغ وأصيب جاره غورميش أتوال يجري فخطيرة. قبلها بشهرين، في الحقيقة، تلقى سائق سيارة أجرة سيسيخي ضرراً مبرراً من رجلين أُخذما يصرخان في وجهه لألوان السباب المعادية للمسلمين.({14}) في العام التالي، قام واحد من النازيين الجدد، من قضاة فترة مشهد التفوق الموسيقى الأبيض({8}) بإطلاق النار عشوائياً على معبد للسيد في أول كريك، وسكوسون، فقتل ستة.({13}) ويرجى تصدر الحدث عناوين الأخبار على المستوى القومي، فلم يكن هناك مناقشة لنقش العنف العنصري الأوسع الذي كانت الحادثة عينة منه. في اليوم التالي في غوبلن، ميسوري، تم حرق مسجد حتى سوئي بالأرض - وهي حادثة الإحرق الثانية لمسجد في غضون شهرين.({16}) بعدها، في الشهر نفسه، انفجرت قنبلة مصنوعة منزلية أمام مدرسة إسلامية في شيكاغو، بينها كان يؤدي الصلاة خمسة شهداء بينهم أطفال. حاول الجاني إلقاء القبالة من النافذة.({17})

طبقاً لإحصاءات إف بي آي. عن جرائم الكراهية، حدث ارتفاع كبير فيها بعد 11/9 ثم أخذت حوادث معاداة المسلمين تنخفض تدريجيًا حتى 2010، فأرتفعت بنسبة 50٪، وارتفعت مرة أخرى في العام التالي.({18}) وكم تذكر فرحانة خيرا، مديرية جمعية الحقوق الدينية ”الدعوة المسلمين“: ”إن نظام تباع جرائم الكراهية الذي لدى إف بي آي، الذي يعتمد على الإبلاغ الطوعي من جانب أقسام الشرطة المحلية، يعيب "خطر"، وهو على الأرجح يسجل أقل كثيرًا من نصف عدد الحوادث الفعلية."({19}) لكن مهما كانت الأرقام الحقيقية، فإن الأتجاه التصاعدي للإحصاءات من طفترة 2010 يمتمع مع تكثيف الجو المعادي للإسلام في الثقافة السياسية الأمريكية - من حالات رفض المساجد إلى دعوات حظر الشريعة الإسلامية إلى وصم الرئيس أوباما بأنه مسلم متجاه إسلامه، إلى جلسات استعراض في الكونغرس تحظى باهتمام ضخم عن تحول المسلمين الأمريكيين إلى التطرف.

({5}) موسوعي تشييع التمييز للقومية البيضاء وتسمى بالعنصرية ضد من سواهم. (المترجم)
"واستيقظ الأسد الإنجليزي"

في سبتمبر 2009، أصدر "أتحاد الدفاع الإنجليزي" فيلم فيديو على يوتيوب للترويج لمظاهرة كبيرة في مانشستر الشهر التالي. صور الفيلم في ورشة مهجورة في لوتون، وظهر فيه عشرون رجلاً يرتدين السواد يقفون إلى جدار في غرفة كبيرة خالية، ووجههم تخفيفاً أغطية رأس سلبية. أحدهم يقرأ بياناً، وآخر يحرق علمًا نازيًا كان يلتحب به في وجه الرجال. يقول المتحدث باسم أتحاد الدفاع الإنجليزي إن حقوق هذا العلم يثبت أن منظمة ليست جمعية يمينية متطرفة تدفعها عنصرية، بل إنها بساطة تعارض من ساهم المتطرفين الإسلاميين. ثم يوجه كلمة إلى أولئك المتطرفين معلناً: "نحن أتحاد الدفاع الإنجليزي نستنكرهم، كما فعل أسلفنا، وستمعكم سعيًا وراء حظر الشريعة الإسلامية في بلادنا الديمقراطية العظيمة. يا الأحرار. "ثم يقول إن كل من يقف مع هذا الموقف يمكن أن ينسب إلى أتحاد الدفاع الإنجليزي، حتى المسلمين المعادين للتطرف. خلف الرجال كان هناك لافتات معلقة عليها شعارات "أيها السود والبيض، اخترنا وقاتلوا"، و"نؤيد حق إسرائيل في الوجود". بعد مشهد حرق العلم، تقترب الكاميرا من بعض أعضاء أتحاد الدفاع الإنجليزي ليظهر من لون ظهر أديهم أن ذلك الجماع يضم رجالًا سودًا كأي يضم البيض. كتب أحد مؤيديه في وصف يسحب الفيديو على يوتيوب: "كيف لأحد أن يصف هذه الجماعة أنها نازية فاشية يمينية متطرفة، هذا غير صحيح بالمرة، فمتى كانت الجماعات النازية متعددة الأعراق؟ إن معارضة التطرف الإسلامي ليس أمرًا عنصريًا.

صدر هذا الفيديو بعد تشكيل أتحاد الدفاع الإنجليزي بشهر قليلة، على أثر ما وقع من أحداث لوتون في أول العام. في مارس 2009، نظم أنجح شوداري احتجاجًا على عرض للقوات البريطانية العائدة من أفغانستان مر بوسط مدينة لوتون. وكان الرجل زعيماً لجماعة صغيرة اتخذت أساية مختلفة بعد أن حظرت
الجامعة الأصلية، المهاجرون، في 2004. واستمر احتجاجه رد فعل ساخط عنيف
من الواقفين لمشاهدته العرض، وبعدها تشكل ائتلاف من السكان الغاضبين
وأعضاء من مشجعي كرة القدم المعروفين بالعنف وناشطين مخضرمين من أقصى
اليمين. وتكونت منظمة سميت نفسها اتحاد الدفاع الإنجليزي. استغل الائتلاف
شبكات الإنترنت وغيرها التي تربط جمهوري كرة القدم العنيفة وأقصى اليمين في
كل البلاد، وجذبوا عددًا كبيرًا من الشباب على طريق الفيسبوك واليوتيوب من
بروقهم أسلوبه السياسي، فصار اتحاد الدفاع الإنجليزي سريع ينظم المظاهرات
في مند عديدة كبيرة وصغرى عبر إنترنتا يصل أعدادها إلى ألفي متظاهر. ومن
العوامل التي تترجف فيها: "إبتداءا عن شوارعنا أي انفجارات المسلحون"، "إلى
الجيش أي المسلحون المتطرفون"، "الناخبون البريطانيون يقولون للشريعة لا"،
"إلى مو عيد مدنية لونتون بورو يرفض الجبناء"، "جنودنا أبطال"، "نطالب
بمسيرة ليوم سانت جورج"، "امتعنا دعاء الكراهية"، "تغريم أكثر سوقية مثل
"فرفنا من هذا الهواء". وتضمنت مطالبهم حظر بناء المساجد، وحظر ارتداء الزي،
وحظر تغيير اسم الكريسياس، واستحداث حاكمية جنائية جديدة وهي الدعوة إلى
تطبيق الشريعة.

ويتميز فيديو اتحاد الدفاع الإنجليزي الذي نشر في سبتمبر 2009 تميزا كبيرا
لعدد من الأسباب. أولاً، تضخ صياغته وأسلوبه واستخدام اليوتيوب ضمن نوع
من الرسائل المصورة تسدرها منظمات إرشادية عديدة منذ السبعينات. ففي أسلوب
عرضه يقول فيديو اتحاد الدفاع الإنجليزي التطرف الذي يدعى معارضته. كما
يوجد ملاحح محاكاة أخرى غير مقصودة، فعندما يشير أحد الصحفيين الذين دعوا
لمحور في تلك الورشة إلى أن ظهور اتحاد الدفاع الإنجليزي مثمين يثير الخوف،
يرد زعيم اتحاد الدفاع الإنجليزي قائلاً: "ملك البريق تماماً. ثانياً، في تصوير العداء
للنازية وإشارةه إلى "الأجداد الذين حاربوا التطرف أيضًا" (في الحرب العالمية
الثانية فيها يفترض) والأبرز من ذلك في استخدامه للشعار الاشتراكي "أنا السود
السياسيون، المسلمون، مسلمون: الإسلاموفوبيا والتفوق والحرب الداخلية على الإرهاب

والبيض أعدوا وقاتلو” (ليس ضد البرجوازية الآن، بل ضد المتطرفين المسلمين)،

يستولي الفيديو على صور المظاهرة للفاشية في محاولة لبناء جبهة شعبية ضد التطرف

الإسلامي. كما أن الإشارة إلى حق إسرائيل في الوجود يستهدف الإعلان عن رفض

معاداة السامية التي كانت محورًا لسياسات اليهود المتطرف في القرن العشرين، إلى

إنشاء اصطفاح جديد لقوى تواجه العدو الإسلامي المتطرف. ومن هنا ضم اتحاد

الدفاع الإنجليزي قسماً للمجاهد والآخر للمسلمين وكملاً بارزاً من الناشطين السياسي هو

غورامي سنج في المظاهرة التي ينظمها. إذ أخذ اتحاد الدفاع الإنجليزي جهودًا

ضحية حتى يقدم نفسه في صورة المنظمة غير العنصرية القادرة على أن تضم في

صفوفها فئات هي في ומתحية مستهدفة في العنف اليهودي المتطرف. ومفهوم التطرف

ضريبي لتحقيق هذا الموقع. فبدأتهم الهجوم على التطرف الإسلامي وليس

المسلمين بوصفهم مسلمين، كان اتحاد الدفاع الإنجليزي يأمل في تبديد الارتباط

من كونه جامعًا آخر من عفوف التطرف الديني العنصري.

في فيديو آخر أصدره اتحاد الدفاع الإنجليزي بعد المظاهرة التي نظمها في أكتوبر

2009 في مانشستر، يتم تفعيل مجموعة أخرى من الرموز. خلفية الفيديو موسكفي

صاخبة، وي<TreeNode بصور لجندور صليبيين يمسكون بالسيوف والصبان الحمر على

تروسهم وصدورهم تعكس صليب القديس جورج الذي يمثل شعار الدفاع

الإنجليزي، ويعمل الفيديو أن "الأسد الإنجليزي قد استيقظ" وأن "الوقت

حاج للفداء عن أرضنا ضد 1400 سنة من الجهاد الذي وصل أخيرًا إلى عواطفنا

وغرما". يتيح هذا سلسلة من مقاطعات عناوين الصحف مرتبة بحيث توحى بأن

بريطانيا في طريقها إلى "التسليم" في غضون ثلاثين عامًا.

هل تريدون لأنتمكم وأخادكم أن ينشأوا في ظل حكم إسلامي في وطنكم

السياسي؟ ويكونوا مواطنين من الدرجة الثانية في البلد الذي قاتل من أجله

أجدادكم وماتوا حتى تعيشوا أحرارًا؟
ثم يقال للمشاهم إن "دين الإسلام يوجه المسلمين إلى إخضاع الأمم إلى الحكم الإسلامي"، وإن الحكومة كانت من الليونة السياسية بدرجة معتد مواجهة هذا الخطر. ولم يتقن الأمة من الشريعة إلا حركة من الوطنيين الإنجليز主要用于向 الشوارع، وإن مظاهرة مانشستر ستكون "يومًا فارقًا". ويصر النظر عن صورة المقاتلة الصليبية (التي تهم ادعاء اتحاد الدفاع الإنجليزي أنه يضم اليهود، لما عرف من عنف الحروب الصليبية ضد الساميين، ناهيك عن المسلمين غير المتطرفين)، فإن قوة هذا الفيديو تكمن في تجميع عينات من مناهضي الصحافة التي ظهرت بلا تعليقات ت قريب ولا شرح. فالواقع أنها لا تحتاج إلى تعليق. فإن صحف أكسبريسي وميل وستار تعتبر عن رواية متسقة تمامًا مع رواية اتحاد الدفاع الإنجليزي، إذ يقدم وجهة يومية من التصوير الكاريكاتوري للمسلمين المتطرفين ومحاكم الشريعة السري، وفرض الإسلام بالإكراه، والمناطق المحظورة على غير المسلمين - كل هذا سمح بهم نخبة مرة سياسية، ولبرالية ومنحازة للتعدد الثقافي وصل بها الأمر إلى إلغاء الكريستيان حتى لا يؤدي مشاعر العدو الداخلي.

هناك أداة كثيرة على أن أنشطة اتحاد الدفاع الإنجليزي تصاحبه عنصرية صريحة. تتميز مظاهرات اتحاد الدفاع الإنجليزي بإشارات جسدية نازية وتهديدات عنصرية وعنف عنصرية. يتأقلم مفهوم العمل النشط عند اتحاد الدفاع الإنجليزي بشكل دال مع عضوية الحزب القومي البريطاني عنصرية. بل إن زعيمي اتحاد الدفاع الإنجليزي ستيفن ياكسيلي-لينسون (المعروف بتومي روينسون) وابنه عممه كيفن كارول كانا عضوًا سابقين في الحزب القومي البريطاني وأدينًا بجريمة عنف والقتل. أعضاء في فرقة ويتست ميدلاندز من اتحاد الدفاع الإنجليزي صورًا لأنفسهم وهم أعلام فولونغتون فورس (قوة متطوعي ألستن) يحملون لقبًا على شكل أسلحة نارية. (20) وفي مظاهرة في 3 سبتمبر 2011، جاءت منطقة تاور هامليين بشرق لندن ذات الأغلبية المسلمة ( وهي موقع مفضل لطغاة اليمين المتطرف منذ معركة كيث ستريت في 1936)، قال ياكسيلي-لينسون للمتهمرين:
نحن اليوم هنا لتقول لكم، بصوت عال، وبوضوح، إلى كل مسلم يشاهد هذا الفيديو على يوتيب: في 7 أفلام عشتنا بعد قتل وإjsxاعة مواطنين بريطانين. أفلام هذه الفعلة. لكن عليكم أن تكونوا أذنًا للأمانة شبك من أقصى البلاد إلى أدنىها. لن نفرع هذه الفعلة وسيستقر المجتمع الإسلامي بقوة اتحاد الدفاع الإسلامي كاملة إن رأينا أيًا من مواطنينا يقتل أو يعوق أو يجرح على الراب البريطاني مرة أخرى.

مرة أخرى يتطابق كلام ياكسلي-لينون مع كلام الإرهابيين الذين يدعون مواجهتهم: كلاهما يبرر العنف ضد مجتمع بأسره باعتباره مسؤولا عن عنف بعض أفراده. بعد الحادثة التي وقعت في وولاسفيل في مايو 2013 وقتل فيها الجندي البريطاني لي روجي، تحققت هجوم ياكسلي-لينون. مع تصعيد اتحاد الدفاع الإسلامي نشاطه في الشارع في كل أنحاء إنجلترا لاستمرار الحادثة، ارتفع بشدة عدد الاعتداءات العنصرية على المسلمين، فشملت الشرطة وإلقاء القنابل على المساجد في غريمسبي وماسويل هيل وولاسفيل وتبتون.

ولا تدع النقاش المشترك الباقي بين اتحاد الدفاع الإسلامي والحزب القومي البريطاني مجاناً للقول إن خطاب معاادة التطرف لدى اتحاد الدفاع الإسلامي هو مجردقناع لأشكال أشع من سياسات اليهود المتمسكت. الحقيقة أن أيديولوجيته تبع من الرواية الرسمية من عملية التطرف والحرب على الإرهاب، وكذلك من تراث اليهود المتمسكت. طبقة هذا التراث. فإن حشد جماعات اليهود المتمسكت في أوروبا هو الذي ضغط على السياسيين الوسطيين للإملاك مواقف معادية للأجانب، مما سمح لأفكار اليهود المتمسكت بالتحكم في القيادة. لكن نموذج اتحاد الدفاع الإسلامي يوحى بأن تدفق الفيكتورية يعم إلى الأفكار المعاكس. فإن اتحاد الدفاع الإسلامي حركة اتبعت الخطابات الثقافية والإسلامية للحرب الرسمية على الإرهاب وأكسبتها شكلها التنظيمي في الشوارع. إذ أخذت قريباً فكرة الحكومة بأن هناك حربًا على التطرف الإسلامي. وقد استقبل المفهوم من برنامج الحكومة لمنع التطرف
العنف الذي يفترض أن العدو في هذه الحرب ليس مجموعة صغيرة من الأفراد المتورطين في العنف، بل هو إيديولوجية تتسكن المجتمعات المسلمة. وقد استمدة فكرة تقسيم المسلمين إلى متطرفين ومعتدلين حسب درجة توافقهم مع القيم الغربية من بيانات السياسة الحكومية. فإن اللطب الديموغرافيا المتكبدة التي تهاجم تراكمًا مت------------------------------ من التعددية الثقافية (واحدة رؤى رئيس الوزراء ديفيد كاميرون في ميونخ فبراير 2011) منع اتحاد الدفاع الإنجليزي معتقداً بأن التعددية الثقافية الحكومية تعرق الحرب على الإرهاب. كل ما تضيفه هو أن السياسيين الذين يديرون الحرب متضلعين وجنودًا؛ لأنهم مازالوا مكلفين بأقوال التعددية الثقافية الساذجة فلا يحاربون التطرف على النحو السليم، لا سيما في الجبهة الداخلية - أي شوارع لندن - حيث يقوم اتحاد الدفاع الإنجليزي بعمل هذا الفراغ بما يدعى من أشكال العنف. (22) ويستخدمن اتحاد الدفاع الإنجليزي خطاب الحكومة في انتقادها.

يشير هذا إلى وجود صور مشابهة لاتحاد الدفاع الإنجليزي ليس في تقاليد التنظيم العنصري الأوروبي فحسب، بل في جماعات مثل جمعية جون بريتش المعادية للشيوعية، وميشليا ماينوين في الخمسينيات والستينيات التي شكلت حركات يمينية متطرفة عنيفة في أغلب الأحيان عن طريق اتباع إيديولوجية الولايات المتحدة الرسمية تجاه الحرب الباردة. فقد استعملوها ضد الحكومة وإتهموها بأن التفخيخ الشيوعي أضعف عزمها على الهجوم على العدو. وكما كان نشاطاً جمياً جون بريتش مقتنيباً لأن وضع الفلوريد في المياه العضوية كان مؤامرة شيوعية (وهي نظرية موضع تهكم رائع في فيلم ستانلي كوبيرك الدكتور ستريغلاف) يحذر المدونون من "تسلل الشريعة"، ومن أن يقدم الطعام الخالص في أهم شوارع إنجلترا، إن نظرية المؤامرة لازمة لأيديولوجية اتحاد الدفاع الإنجليزي؛ لأن المبرر الوحيد لتقديم اتحاد الدفاع الإنجليزي صيغته الخاصة في الحرب على الإرهاب هو تصوير الحكومة بالتآمر أو التواطؤ مع الأعداء.
من معاداة السامية إلى الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام)

لم تكن الفاشية البريطانية بعد الحرب العالمية تتعلق بكراهية الأقليات فحسب، بل كانت أيديولوجية تسعى إلى خلق رواية تنافس رواية اليسار تفسر ما تشعر به الطبقة العاملة من الاستغلال والتهميش الاجتماعي، وتمنح صياغة مقبولة لتحقيق ذلك، صورت الهجرة من الكارديف وآسيا بأنها إفساد أجنبي لنقاء الأمة، كما تم تسييط القدر نفسه من الضوء على الطبقة الحاكمة التي سمحت بحدود هذا، واعتبر هذا خيانة فسرتها أيديولوجية اليهود المفترض بنظرية المؤامرة اليهودية. فها كان يبدو طبيعة بريطانية حاكمة، لم يكن في الحقيقة سوى وهم. أما السلطة الحقيقية ففي يد طغمة يهودية سري تجنب خيوط التمويل الدولي والإعلام واليسار الثوري، كما يكشف ذلك الكتيب المزعوم بروتوكولات حكاه صهيون، وهو وثيقة للفتح الشرطة السري القبصية بهدف إثبات أن اليهود يتحكمون في الأحداث العالمية لصلحتهم. وبينما تضمنت أنشطة التظاهر لليمين المتطرف عنصريًا ضد الكارديف الآسيويين، فإن أيديولوجية اليهود المفترض ترى أن المشكلة الحقيقية تكمن في مكان آخر: اليهود وأجنحتهم الحلفية لتدمر الهوية القومية عن طريق رعاية الهجرة وإختلاط الأجناس الأخرى، وكما يقول ديفيد في تحلي له سياسات الجمهورية القومية عام 1977، فإن اليهود المفترض يلوم اليهود على وجود السور. (22) ومع العنصرية الشعبية ضد الآسيويين والكاريبيين الأفارقة كانت وسيلة جذب مجندين شباب إلى اليهود المفترض، ظلّت معاداة السامية عنصرًا أيديولوجيًا ضروريًا لأن اليهود وحدهم هم القادرون على أداء دور المصدر السري للقوة الاقتصادية والسياسية التي أضعفته الأمة وأفسدتها. لهذا وصفت الأحزاب الفاشية البريطانية مثل "الجبهة القومية" و"الحزب القومي البريطاني" بأنها نازية في أيديولوجيتها.
بداية من 1999، أخذ زعيم "الحزب القومي البريطاني" الجديد، نيك غريفين، بإستراتيجية لتخفيف حدة هذا التراث النازي الجديد. لا شك أنه مازال يعتقد أن اليهود يسترون سراً على وسائل الإعلام – كما يقول في كتابه عن هم المتلاعبون بالعقل؟ عام 1977 - لكنه في العلن حاول أن يعيد صياغة الحزب حسب الخطوط التي يتبعها أنجح نظرائه الأوروبيين مثل "الجبهة الوطنية" في فرنسا، باستخدام لغة الدفاع عن الهوية الثقافية البريطانية (بدلاً من الهوية العرقية البيضاء) ضد نخبة حاكمة تريد أن تدمروا من خلال الهجرة والتعددية الثقافية ومهداثة العدو المسلم في الداخل. وبدلاً من الحديث عن مؤامرة يهودية، يتحدث عن مبالغة من في السلطة في "الانفتاح الثقافي العالمي أو الكورسيطية"، يابان بعد المصالح الحقيقية للشعب البريطاني عن بؤرة اتهامهم. وقد أثير العنف الإسلامي للتدليل على أخطار الهجرة، مع استمرار حالة الإسلاموفوبيا التي عمت بريطانيا بعد 11/9.


يمكن فهم دلالة هذا بالإشارة إلى أول نجاح انتخابي للحزب القومي البريطاني في 1993، عندما فاز ديريك بيكون بموقعة في مجلس مدينة تاور هاميلتن بشرق لندن بشعار "حقوق البيض"، كان انتخابه يعد صدمة في ذلك الوقت تكفي لتشكيل حزب جماعي أعدته فيها سياسات القيادة ضدوه، فاز أحزابه عن منصبها في العام التالي. وكان من أهم عناصر تلك الحملة الدعوى إلى انتخاب حزب العمال وليس الحزب القومي البريطاني؟ لأن ذلك أقرب لمعالجة القضايا التي تسبب
غضب الناس، مثل نقص الإسكان الشعبي المناسب. وبداية من 2003، كان للحزب القومي البريطاني شعبيًا في المجاليّات المحلية على الأقل في وقت واحد، مع وجود إمكانية حقيقية للسيطرة على مجلس مدينة صغيرة، أو مجلس مدينة كبيرة مثل بيرنلي. لكن رد فعل التيار الرئيسي السياسي في ذلك العقد كان مختلفًا عن بداية التسعينيات. فبعد أن أجرى حزب العمال "عملية تحديث" بداية من 1994، فقد مصداقيته كوسيلة للإهتمام بالشؤون السياسية للطبقات العاملة، مما جعل النشطاء الذين يдутون على البروت يكلمون الناس ويثنون عن التصويت للحزب القومي البريطاني، عجزوا عن تقديم بديل إيجابي حقيقي، علاوة على ذلك، لم تكن رسالتة سياسات التيار الرئيس والصحف ذات الشعبيّة أن الحزب القومي البريطاني خطأً في أصله، بل إنه يستغل شكاوى مشروعة على الأولى بمثلها السياسيون المسؤولون من الأحزاب الكبرى. إذا كانت المؤاخذة الأكبر للتيار الرئيس على الحزب القومي البريطاني هي أنه عديم المسؤولية، فلا عجب أن اجتذب تأييدًا كبيرًا من أعداد ضخمة من الناس الذين صاروا يرون سياسات التيار الرئيس نفسها عديمة المسؤولية الأخلاقية.

تضح ضعف هذه الإستراتيجية عندما ناظر الوزير الهالي جاك سترو نيك غريفيث في إصدار أحدث خصيصًا برامج "وقت السؤال" في هيئة الإذاعة البريطانية في 2009. فينها فقد غريفيث مصداقيته بسبب سوء سلوكي وضعه كمحقق، لم يكن سترو قادرًا على مواجهة السياسات الفعلية للحزب القومي البريطاني الخاصة بالتعددية الثقافية والهجرة. فإن تحديد جوانب الخطا البديل في سياسات الهوية العنصرية للحزب القومي البريطاني كان من شأنه استحضار منهج وزراء حزب العمال أنفسهم في التعامل مع هذه القضايا، وكذا ذكر غاري يونغ في صحيفة الغارديان: "إذا كانت سياسات حزب العمال الجديد هي ما قوت الحزب القومي البريطاني، فليس من مجال أمامه لإضعافه". (24) في السنوات الأخيرة، انخفضت القدرة التنظيمية للحزب القومي البريطاني انخفاضًا حادًا، أولاً: بسبب تدهور عدد
أعضائه، وثانيا: بسبب العبء المالي الذي يتحمله في الدفاع عن نفسه في المواجهة القانونية الخاصة بسياسة عضويته العنصرية. لكن هذه التكتيكات استهدفت الرسل وليس الرسالة، فسمحت لغير الحزب القومي البريطاني بأن يقدم ما تكره. فليس له أعضاء رسميين، لذلك فقد كان أقل عرضة للتأثيرات السلبية لهذه التكتيكات التي أثرت في الحزب القومي، فقد تبين أن اتحاد الدفاع الإنجليزي هو ما تولى ما تركه الحزب القومي البريطاني. الأهم من ذلك أن الحزب القومي البريطاني كان أقدر على تفصيل أيديولوجيته على الظروف الجارية; لأنه يستند رؤيته من الحرب على الإرهاب. إن الاستغلال الانتخابي الذي يقوم به اتحاد الدفاع الإنجليزي للإسلاموفويا بعد 11/9 رفعه إلى مستوى انخباري لم يكن متصوراً في التسعينات، لكن قاعدة عضويته أبقت على مسكه بالتراث النازي الجديد، وعليه، لم يستطع أن يحقق الإمكانات المتاحة في سياق ظروف ما بعد 11/9، خلافاً لاتحاد الدفاع الإنجليزي.

نظرًا للأهمية المركزية لمفهوم معاداة السامية بالنسبة لليمين المتطرف الأوروبي في القرن العشرين، فإن علاقة اتحاد الدفاع الإنجليزي باليمين الصهيوني هو أكبر مؤشر على اتفاقية مع الأيديولوجية الفاشية التقليدية. اتفاقًا مع نظرياته في مناطق أخرى من أوروبا، لا يكتفي اتحاد الدفاع الإنجليزي بتقديم معاداة السامية، بل يرحب بمن يعتنق الصهيونية العنيفة دفاعًا عن الغرب ضد العدو الإسلامي. كان اليمين المتطرف في أوروبا يمثل تاريخيًا إلى معارضة إسرائيل، لأسباب تتعلق بمعاداة السامية فقط، لكن السياسات الثقافية للحرب على الإرهاب قلبت موقفه، فاعتبرت إسرائيل رأس جسر غربي داخل أراضي العدو. وفي بلجيكا، حيث حزب فلتمش بيلانج القومي (VB) الذي يشكل من أعضاء من حزب فلتمش بلوك الفاشي الجديد بعد حظره في 2004 بسبب دعوته إلى العنصرية، أقام علاقات مع اليمين الإسرائيلي، ونجح في كسب تأييد أثلي من ناشئي أنثويه الفاشية. ورغم أن حزب فلتمش بيلانج القومي نشأ أساسًا على قاعدة معاداة السامية والنازية. 

الفصل الثاني: صليبيون في القرن الحادي والعشرين
المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والتحيز وال火رب الداخلية على الإرهاب

الجديدة، فقد حللت الإسلاموفوبيا الآن مع معارضة السامية، حتى إن زعيمه فيليب
ديربر يزور إسرائيل ليلتقي أعضاء اليمين في الكنيست. ففي 2005، صرح
لصحيفة هآرتس الإسرائيلية:

الإسلام هو الآن العدو الأول، ليس لأوروبا وحدها، بل للمجتمع الكلي. بعد
السعودية، أخطر تهديد للمغرب هو الإسلام الأصولي المتطرف. فهناك بالفعل من
25-30 مليون مسلم في التراب الأوروبي، وتحول هذا إلى خطر. إنه حصن طروادة
حقيقي، وعليه أظهر ضرورة إنشاء تعاون بين أوروبا الغربية ودولة إسرائيل (23).

وفي هولندا، تزعم بين فورتونن شكلا جديداً مشابهًا من سياسات اليمين
المتطرف القائم على الدفاع عن القيم الليبرالية ضد الإسلام، وإن إعلانه عن أنه
"مثلي جنسي" ليوضح الفارق المميز بين هذه السياسات واليمن المتطرف التقليدي.
(هذة الصيغة الجديدة هي ما اعتمدت عليه (24) التابع لاتحاد الدفاع الإنجليزي
LGBT بعددها). صار حزب فورتونن أكبر الأحزاب تمتيازًا في مدينة روتردام قبل أن
يتقلد أحد نشطاء الدفاع عن حقوق المثليين في 2002. وواصل غيرد ويلدرز
زعم ثلاث أحزاب حزب في هولندا، هذه الصيغة السياسية الجديدة مع فرد معاً
للسعودية بعنوان "فترة" ودعوته إلى حظر القرآن. وفي زياراته المتظمة لإسرائيل،
يدعو ويلدرز إلى ضم الضفة الغربية كله وازاحة الدولة الفلسطينية المزعومة إلى
الضفة الشرقية لنهر الأردن. وحسب ورد في صحيفة هولندا فإنه تلقى مواقفًا
ضحيناً من مركز هوروفينس للحرية، وهو شريان رئيس لحركة الإسلاموفوبيا في
الولايات المتحدة. (25)

(5) اختصار لكلمات Bisexual (مثلي جنسي)، Lesbian (مثليات جنسية)، Transgender (متحول جنسي)، (المترجم)
ومثل ويلدرز وديوتنر، يبرر اتحاد الدفاع الإنجليزي اعتقاداتهم على الدعم اليهودي كإشارة إلى تجاوز العنصرية. فالفرقة اليهودية فيه أنشأت علاقات بجماعات يهودية في الولايات المتحدة، مثل الفرقة اليهودية (جويش تاسك فورس) بزعامة فيكتور فانتسير (الرئيس الوطني في السبعينيات لاتحاد الدفاع اليهودي الإرهابي)، ومنحه صناعة لإنشاء صلات مع باميلا غيلر، المديرة المادية للإسلام المقيمة في نيويورك، وجماهيرها "أوقفوا أسلمة أمريكا". في سبتمبر 2010، حضر قادة اتحاد الدفاع الإنجليزي احتجاجات في مانهاتن الدنيا ضد المركز الاجتماعي في "بارك 5". بعد شهر من هذه الزيارة، جاء إلى لندن الحاخام ناشيم شيرين، وهو أحد ناشطين "حزب حلف الشاي" يعتقد أن "ذبحة المسلمين على الأبواب" ليتحدث في تظاهر لاتحاد الدفاع الإنجليزي، حيث أعلن: "لن نسلم بيدا لسيف الإسلام". وفي الغضون نفسه، جذب اتحاد الدفاع الإنجليزي نظر المحافظين الجدد الأمريكيين. نشر معهد هدسون، وهو جزء من اللوبي الإسرائيلي في واشنطن العاصمة، مقالًا يمتدح أعضاء اتحاد الدفاع الإنجليزي الذين يرفعون أعلامهم ببنخر، وتحطم أذاعتهم الرجال والنساء من كل عمر وعرق... لقد بدأ قومية اتحاد الدفاع الإنجليزي قريبة للقومية الأمريكية، التي يمكن للكل واحد فيها أن يفخى بأنه وكونه مواطنًا تحت رأية الأمة.

في وقت سابق من عام 2007، بدأ نشطاء معاونون للإسلام في الولايات المتحدة السعي إلى تشكيك حركة عبر الأطلسي، تتضمن مجموعات بعينة متطرفة مختلفة عبر أوروبا، فنشطاء مثل باميلا غيلر وروبرت سبنسر حضر وا في 2007 مؤتمراً عنوانه "مكافحة الجهاد" في بروكسيل مع زعيم فلامز بيلانغ وبات بورن ووضع نظرة المؤامرة الغربية على أوروبا (ستناقش لاحقًا). بدأ احتجاجات المعادين للإسلام الأمريكيين التي يقدم بها اتحاد الدفاع الإنجليزي ثورة محدودة ضد الإسلام.
من قبل الإنجليز الأصليين. فقد بتل برطانيا لمدة طويلة أكثر البلاد تأسيسًا في قارة تأمل، وصارت لندن "الندنستان«، أي مدينة سلنت زمامها للهيئة الإسلامية، وإشارة تهديد ما يمكن أن يحدث في الولايات المتحدة إذا لم يوقف تسلل الشريعة الإسلامية.

كما احتاجت رواية اليمين المتطرف القديمة نظرية مؤامرة يهودية تفسر التواظب المزروع بين الحكومات الوطنية وأعدائها، فإن خطابات أحاد الدفاع الإنجليزي لم يكن ليستخني عن نظرية المؤامرة. فالسؤال الطبيعي هو: ما الحاجة إلى العبئة الشعبية بشأن مكافحة التطرف إذا كانت حكومة المملكة المتحدة بالفعل تقوم موقعاً متشدداً من الإسلام الراديكالي؟ الإجابة أن خطاب الحكومة بشأن محاربة الإسلام السياسي مجرد ظهر خارجي، أما وراء الستار فتفقد التخب الحاكمة سرًا مع العدو الإسلامي. إحدى الروايات التي تصف كيف يحدث هذا، وهي الأقرب إلى اتخاذ الدفاع الإنجليزي، هي نظرية مؤامرة الهيئة العربية على أوروبا التي يعرضها بات بورور في كتاب بوروريا: المحور العربي الأوروبي. ويدعى فيه أن الحوار العربي الأوروبي - وهو برنامج أطلقته المؤسسة السياسية للاتحاد الأوروبي، بعد أزمة النفط في 1973 لإنشاء علاقات أوثق بالدول العربية - لم يكن سوى مؤامرة سرية قام بها السياسيون والمسؤولون الأوروبيين لتشهير الهجرة الإسلامية، وإخضاع أوروبا وتحويل القارة الأوروبية إلى مستعمرة عربية هي "بوروبيا" [أوروبا العربية]. وكمثل نظرية المؤامرة اليهودية أي "البروتوكولات" لا يقدم أي دليل عليها. مع ذلك، فمن خلال كتابات محافظين من نظراء الرئيس مثل أوريانا فالامسي ونيال فيرجنوس وميلاني فيليبس، صار مصطلح "بوروبيا" مرتبطة بصورة أوروبا جانا وضعيفة أمام التهرب الإسلامي، إذ تسمح أن يสะสมها الحضور الإسلامي المتزايد. (29) وبالمضافة إلى استغلال نظرية مؤامرة "بوروبيا" فقد استعار اتخاذ الدفاع الإنجليزي بشكل مكثف من نظريات مؤامرة الشريعة التي نشرتها شباتات معاداة الإسلام في الولايات المتحدة.
نظرية مؤامرة الشريعة

ليس في أمريكا نظير لاتحاد الدفاع الإنجليزي. فبدلاً من إنشاء حركة تظهر في الشوارع، يعمل اليمين المتطرف الأمريكي المعايي للإسلام من خلال شكايات من المدونين والخبراء والناشطين ورجال الدعاية الذين يشكون الرأي العام من خلال وسائل الإعلام. فهم يعتمدون على دعم مالي ضخم ودعاية من مختلف أركان الحركة المحافظة. من نشاطات "حزب حلف الشاي" حتى الصهبةة المتطرفين – ومن عدد من منافذ إعلامية وسياسية، في التيار الرئيس المستبعدين لتوسيع رصالتهم.

الشيء الأهم، كما هو الأهم مع اتحاد الدفاع الإنجليزي في بريطانيا، أن رصالتهم تتزداد وتجد صدى لأنها تتفق مع عناصر رئيسة في الخطاب الرسمي للحزب على الإرهاب. ورغم أن الإحساس بأثرها كان على أشده بعد انتخاب الرئيس أوباما، فقد بدأت حملة اليمين المتطرف في السنوات الأولى للحزب على الإرهاب بالهجوم على معسكر الناشطين المؤيدين للقضية الفلسطينية. (30) في 2002، مع تنامي التأثير لحقوق الفلسطينيين، لا سيما بين الطلبة، بدأ نشطاء المحافظين الجدد مثل دانيال بابيس وديفيد هورويتز شن حملات تستهدف نزع مصداقية الأكاديميين المؤيدين للفلسطين. أنشأ بابيس "رقابة جامعية" أعدت ملفات عن أساتذة الجامعات الذين يؤيدون الحقوق الفلسطينية، وشجع الطلاب على الإبلاغ عن الملاحظات أو السلوكيات التي تعد ناقصة لإسرائيل. تم ملاحقة الأساتذة المستهدفين برسائل إلكترونية عدائية تصل إلى هدفات بالقتل. استخدم لوبي إسرائيلي آخر وهو "اتحاد مكافحة الشهير" تكتيكات مشابهة، فوزع في السنوات الأخيرة كتبيي يحوي "معلومات أساسية عن خلفيات التعاون مع العرب الناشطين في الجامعات" على مؤيدي من الطلاب. (31) في 2003، بدأ ديفيد هورويتز قاعدة بيانات (DiscoverTheNetwork.org) المقصود بها تحديد الجاليات اليهودية والأفراد المتهمين بتمكين الإسلامية وشهد القيم الأمريكية. نظم هورويتز "أسبوع الوعي بالعشيقة الإسلامية" في 2007، في محاولة أخرى لتفعيل الأجندة نفسها في الجامعات. سجلت الشبكة الجديدة
للإسلاموفوبيا اليهودية المتطرف أول نجاحاتها في العام نفسه بالهجوم على أكاديمية خليل جيران الدولية، وهي مدرسة إبتدائية عربية إنجليزية عليانية كان من المزعج افتتاحها في بروكلين، نيويورك. في دون دليل، اتهم مديرها دينيًا المتصور بأنها جهادية.

تدخل العمدة مايكل بلومبيرج وهدد بغلق المدرسة ودفعها للاستقالة.

بحلول عام 2008، اتفتت مجموعة من الناشطين المعادين للإسلام يدعمهم تمويل جيد. وكانت مدونة بابيلا غيلر “أطلس شراغز” (التي تحتوي اسم رواية أيان راند) قد بدأت بالظهور مع حملة أكاديمية خليل جيران الدولية. وقد عملت بتعاون وثيق مع روبرت سبنسر الذي يدير موقعه على الشبكة العنكبوتية (موقع مراقبة الجهاد) بوصفه فرعًا من مركز ديفيد هوروفيتش للحرية. وقد اتخذوا Web الزوجه في المركز القيان في لوس أنجلوس أوري وجويس تشرنيك مؤسساتها لتمويل روبرت سبنسر بحوالي مليون دولار بين 2004 و2009. (كما تبناها بأما الاضخم جيات اللوبي اليهودي في واشنطن، مثل معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، وكانت أوروي تشرنيك من مجلس أمانتها). وفي 2007، تشكلت شبكة عمل من المواطنين المعادين للإسلام بقيادة بريكيت غابرييل باسم” تحرك من أجل أمريكا“، وقد تمثلت بناية “اتحاد البنادق القومي” (ناشينوال رايفل اسوسيشن).


تعمل هذه الجماعات والأفراد معًا لترويج رسالة واحدة مشتركة هي نظرية مؤامرة الشريعة؛ لتؤدي الدور نفسه الذي كانت تلعبه نظريات المؤامرة اليهودية عند اليمين المتطرف في أيديولوجيته التقليدية. يرى هؤلاء المنظرون الجديد للمؤامرات
أن الإرهاب الإسلامي هو قبضة جبل الجليد المخفي تحت الماء. فمع استعمال العنف تستخدم استراتيجيات الجهاد السري التي تستهدف التغليط في المؤسسات القومية، وارسال المطالب الإسلامية من خلال المنظومة القانونية، وعليه فإن المسلمين الذين يدعون إلى حقوقهم الدينية أو الذين يسعون إلى مناصب سياسية ليسوا إلا عملاء لتنفيذ خطة سرية لفرض حكومة شمولية على العالم. أما غير المسلمين الذين يقفن مع المسلمين ضد التمييز، فهم "ذميين"، وهي صيغة القرن الحادي والعشرين لمصطلح الحرب الباردة "رفق الطريق". تشرب موازنة الدولة الثانية في ظل دولة فاشية إسلامية. والساحب بطبعا حرّ، وحال ومعاملات مالية موقعة للشريعة أو استراحات للصلاة في مكان العمل من مزايا القيمة، وهي الخروجة الأولى نحو مجتمع يحكمه الإسلام. (دعت باميلا غيلر إلى مقاطعة حساء كامبل لأنه يُقَلَّد منه أصناف حلال.) ويأتي عقيدتها "النقدية" يفترض أنها تجيز الكذب المنهجي على غير المسلمين للمساعدة في تحقيق حكم الشريعة، فإن المسلمين الذين يقولون إن الإسلام دين سلام ونسامح ليسوا محل ثقة. وكما أفرزت الفترة الأولى من الحرب الباردة وهم "الخمر تحت الأسرة" الذي يصور وجود شبكة واسعة من الحرب الباردة وهم "الخمر تحت الأسرة" الذي يصور وجود شبكة واسعة من الحرب الباردة والدولة النافذة في الولايات المتحدة، فإن فترات المؤامرة الجدد يعودون إلى مسجد أمريكا وأوروبا يستغل الحرية الدينية لنشر العصيان الإسلامي. هذه الخلافات كلها تتركز على اعتقاد ثقافي بأن الإسلام ليس دينا كالمسيحية واليهودية، بل أيديولوجية شمولية تهدف إلى الهيمنة السياسية على الغرب. أما الشريعة - التي بعدها أغلب المسلمين المتدينين قانونا أخلاقيا شخصيا، مفتوحا على تأويلات كثيرة من قبل علماء الدين - فقد صورة بأن لها معنى واحد فقط: مجموعة من القوانين القمعية تطبقها حكومة إسلامية تحل محل دستور الولايات المتحدة.

مع اختيار باراك أوباما مرشحاً رئاسياً للحزب الديمقراطي في 2008، وجد الدعاة الذين يريدون أن يقنعوا أمريكا بوجود مؤامرة إسلامية سرية للاستيلاء على الولايات المتحدة، بدء من نخبة ليبرالية عالمية التوجه الثقافي (كأوزوربولتيانية).
وجدوا الصورة المثالية للهتلرهم: أوباما كمسلم يتفنن إسلامه. فإن الاعتراف على
ترشح أوباما الرئاسي لأنه أمريكي إفريقي أمر عنصري واضح، لكن الاعتراف
عليه لأنه يتأمر سراً مع أعداء أمريكا - هذه وطنية مسئولة - وكانت الإستراتيجية
الأخرى فعالة؟ لأن رسالتها العنصرية كانت تخفية بشكل جيد بحيث لا تعكس
اتهامات عرقية مباشرة، لكنها قريبة بما يكفي لربطها بالناقلري عنصري الأمريكي.

في أثناء السباق الرئاسي، تلقت منظمة اسمها "صندوق كلاريوس" 17 مليون
دولار من "دونزر كابيتال" [رأس مال المثيرين]، وهي مؤسسة تمويلية معروفة
قادرة على إخضاع جهات التبرع، لتوزيع 28 مليون نسخة من فيلم دعائي بعنوان
"الهوس: حرب الإسلام المتطرف على الغرب" أكثرها في الولايات المتحدة.24

أعاد الفيلم تقديم كل موضوعات نظرية مؤامرة الشريعة وظهر فيه أغلب النشطاء
في شبكة الإسلاموفوبيا. فقد وصفت باميلا غيلر أوباما في موقعها مباشرة بأنه
"المشروع الجهادي". أدى الخوف بأوباما من ربطه بالإسلام إلى أن يرد على هذه
الدعاية بأنه لم يخلط قط بムسلمين أو يدافع عن حقوقهم. وفي إحدى الجولات
في ديترويت، قام مساعدون بإزاحة بعض المحتجين من الجمع الذي كان وراء
أوباما حتى لا يظهرهم في صور المرشح الرئاسي.25 وتم التنبيه على الأمريكيين عرب
ومسلمين معروفين مثل كيث إليسون وجيمس زغي بالإبعاد، وكانوا قد تطوعوا
للدعوة إلى انتخاب أوباما في ولايات رئيسية. واستقال أميركي مسلم من الحملة
الانتخابية بعد أن سأله أحد صحفيي وول ستريت جورنال عن خلفيته الدينية.
كان أدعم أوباما مسلم بعد "وصمة" في موقع الحملة على شبكة الإنترنت وليس
مجرد تلفيق. لم يرد قط أوباما على اتهامه بأنه مسلم بأن المسلمين لهم حق الترشح
للرئاسة مثل غيرهم.26

بعد الانتخابات صارت دعاية اليمين المتطرف أكثر وقاحة. كتبت باميلا غيلر
بعد ستة أشهر من ولايته الأولى أن الرئيس أوباما:
يستخدم كل سلطات الحكومة لفرض الشريعة. [فهو يمثل] أول رئاسة مسلمة، بعد ثماني سنوات فقط من 11/9 ... كل ما فعله هذا الرئيس حتى الآن يساعد على إخضاع أمريكا للإسلام.

وقالت إن حكومة الولايات المتحدة يتحكم فيها المسلمون المترفون مرًا:

اختراق العدو كل وزارة، كل قسم في الحكومة الفيدرالية وإدارة أوباما، بما فيها البيت الأبيض. أما وزارة الخارجية فيديرها بالأساس المؤمنون بالتفوق الإسلامي.

(10)

ابتدأ روبرت سمير نظرية عقبرية لتبرير رفض أوباما تعريف نفسه بأنه مسيحي:

كان باراك أوباما مسلمًا وهو طفل. لم يشرح قط من تراث الإسلام أو هل تركه فعلًا. يقدم نفسه بوصفه مسيحيًا الآن، لكن من المهم أن نذكر أن المسلم يمكن أن يعرف نفسه بأنه مسيحي؛ لأن يسعى المسيحى نحو مسلم حسب القرآن ... وهذا ليس مستبعدًا أن يكون أي فرد مسلمًا، أو أوباما نفسه، ويقدم نفسه كمسيحي، دون أن يعني بذلك أنه يتبع التراث المسيحي الكلاسيكي ... لكن المؤكد أن سياساته العامة وسلوكه تتنسق مع كونه مسلمًا مؤمنًا ملتزمًا. (11)

ولا أول مرة، بدأت نظرة مؤامرة الشريعة ترتبط بخيوت مهمة في رأي التيار الرئيس. وفي أغسطس 2010، كان ربع الأمريكيين يعتقدون أن أوباما مسلم حسب استقصاء مجلة تايم. عندما زار الرئيس الهند في نوفمبر 2010، تم إلغاء زيارة له كانت مقررة للمعبد الذهبي السيخي في أميريسكر؛ لأنه سيضطر إلى ارتداء غطاء رأس يجعله "يبدو في الصور كمسلمين". ويفال إن مساعد دي أوباما اقترحوا قبعة
لعبة البيسبول معدنة، على أمل الوفاء بشرط زيارته معابد السيف فيضعها على رأسه ويعض مظهره الأمريكي. لكن المعبد الذي لم يسمح ببقاء البيسبول بدلاً من غطاء الرأس. (39) وفي 2011، كشف استقصاء معهد البحوث الدينية العام أن 38٪ فقط من الأمريكيين يعدون أوهاماً مسيحياً حقيقياً و18٪ يعتقدون أنه مسلم؛ وقال الباقون إنهم لا يعرفون. (40)

في الوقت نفسه بدأت نشرة مؤامرة الشريعة تحدد آنناً مسجية في الحكومة ودوائر الأمن القومي. فقد دعا روبرت سبنسر إلى تعريف الجيش الأمريكي وافق، بى اي. وغيره من الهيئات الاستخباراتية بالجهاد والإسلام. (41) بدأ مروج آخر لنظرية مؤامرة الشريعة، وهو فرانك غافني، رئيس مركز سياسة الأمن (CSP) في كسب مصداقية لدى عناصر في مؤسسة الأمن القومي. وفي يناير 2011، حضر مسئولون استخباراتيون كبار إصدار مطبوعة "المركز السياسي الأمن" بعنوان "الشريعة: الخطر الذي يتهدد أمريكا". اتبع التقرير نموذج تقرير "القرآن" بفرع "الشريعة: المحافظ الجديد الشهير لعام 1976، الذي يعزى إلى التمهيد لنهج ريان سياسة المهادنة في الحرب الباردة، وتحول الولايات المتحدة إلى موقف معاد للشيوعية أكثر عدوانية. كان كتب مرصد سياسة الأمن يُجبرون تحقيق جهود كبير في حرب أمريكا الداخلية على الإرهاب يفشل أكثر ذلك التقرير، ففرروموا في سعيهم إلى ذلك كل الموضوعات التقليدية عن مؤامرة الشريعة. طرح التقرير الرأي الثقافي بأن العنف الجهادي "متجدد في نصوص الإسلام وتعاليمه والتأويلات التي تكون منها الشريعة". يتجاوز التقرير الإرهاب إلى إدعاء أن الإسلاميين ضالعمون في "نكتيكات جهادية سرية". لغرض فرض نظام شمولي من خلال "انقلاب ثقافي متعدد الطبقات، وتغيير قيادات كبرى والتأثير على العمليات والدعاية". واعتبر كثيراً من أكبر المنظمات الإسلامية في أمريكا أن "جماعات مثل جبهة الإخوان المسلمين" نجحوا في "الدفاع بالشريعة إلى قلب أمريكا". (42) ظلت قوى الشريعة في حرب مع غير المسلمين لمدة 1400 سنة ومع الولايات المتحدة الأمريكية لمدة 200 سنة. وكان يرد لأوروبا أن تكون
"قارة إسلامية بنهادة هذا القرن، أو قبلها." أما الصواريخ السياسية بين الأكاديميين والقادة السياسيين والعسكريين فتؤدي إلى خلق توجه "ذمي" في مواجهة هذا الخطر، وتعوق إدراك الطبيعة الأيديولوجية للعدو. (66) وبذلك تواجه أمريكا خطرًا مزدوجًا: لأن الحكومة في الستينات فقدت سلطاتها القانونية التي كان ينبغي أن تكون قيد العمل لمواجهة الشوبيعية. لكن حتى تلك السلطات لم تكن "تفكيك خلايا من أيديولوجية شمولية ترتدي ثوبًا دينيًا". وردت على هذا يلزم للحكومة أن تفرض حظرًا على "كل من يعتنق الشريعة أو يؤديها من شغب مناصب في الحكومات المحلية أو الاتحادية أو حكومة الولاية أو القوات المسلحة"، ومحاكمة أئمة المساجد الذين "يدعون إلى الشريعة في أمريكا" بتهمة الدعوة إلى العصيان. (66) ولأن اعتناق الشريعة، ليس في صورتها الكارثوية، بل بوصفها قانونًا أخلاقيًا، في جوهر إياها المسلمين المتزمنين، فإن تنفيذ هذه التوصيات عمليًا يجعل اعتناق الإسلام جريمة.

في فترة لاحقة من العام نفسه، أصدرت منظمة "مواطنين من أجل الأمن القومي" (CNS) تقريرًا مشابهًا بعنوان "حركة الجهاد الناشئة داخل الوطن في الولايات المتحدة الأمريكية": خطة الإخوان المسلمين المتميزة والمعدة سلفًا تصل الآن إلى مرحلة التحضير". استضاف عضو الكونغرس آرن وست، وهو مخارب قديم في العراق حوكم، وأعفي من منصبه كقائد لوحدة مدفعية بعد أن قام بضرب وقتل سفينتين عراقية في 2003، لقاء في كابيتول هيل للترويج للتحريض. (66) قدم العرض سلسلة من الرسوم البيانية تفصل الصلات بين القاعدة وحزب الله ورسمي التيار الرئيس في أمريكا في محاولة لتصوير مؤامرة عمالقة لتدوير الولايات المتحدة من خلال الجهاد السري. لكن لحسن الحظ ولقاء العالم الحزب، فإن منظمة "مواطنون من أجل الأمن القومي" حصلت على أسباد ستة آلاف عضو نشط في الإخوان المسلمين في الولايات المتحدة يعملون في هذه المؤامرة. كانت المجموعة قد أعلنت سابقًا
أنها ستكتشف الأسباب للناس في لقاء عام، لكنهم في ذلك اليوم سيقفون باختصار* الأطراف المسؤولة فقط.

كان ألين وست قد ردد اعتقاده بنظرية مؤامرة الشريعة. فقد قال في أحد لقاءات الحملة في 2010:

لدينا بالفعل طابور خامس يفترق بالفعل كليانا وجامعاتنا ومدارسنا وحياتنا الدينية والثقافية والمالية وأنظمتنا السياسية في هذه البلاد. وهذا العدو يمثل شيئاً يسمى الإسلام. والإسلام ليس دينًا بل أبديولوجيا ثيوقراطية شمولية.

وفي مرة ثانية أدعى "وجود اختراق من الشريعة الإسلامية لكل أنظمتنا العامة في بلادنا، وكذلك للمحضرة الغربية برمتها." أدي بير كنگ، رئيس "لجنة الأمن الوطني بالكونغرس"، بدلًا في مسألة مؤامرة الشريعة في مرحلة الإعداد لجلسات استماع بشأن تحول المسلمين الأمريكيين إلى التطرف. فقد أدعى كنگ في برنامج "لورا انجرام شو" بأن "80٪ من المساجد في هذه الدولة تحتكم بها أمة متطرفة." كان المصدر الوحيد لهذه الإحصائية جلة قالها أحد الشيوخ المسلمين في كاليفورنيا في 1999 دون أي سند. وقد أقر ذلك الشيخ بعدها أن تعريفه للمسجد المتطرف هو أنه "يركز على الصراع الفلسطيني."

منذ 2010، عندما وافق ناخب أو كلماوه على تقديم تعديل دستوري يحظر على القضاة الأخذ بقوانين أجنبية (المقصود الشريعة) في قراراتهم، فقد اقترح ما يزيد عن عشرين ولاية تشريعاً مماثلاً أو أصدرته، بافتراض وجود خطة سرية لفرض الشريعة الإسلامية على الولايات المتحدة. وقد ضمت أغلب هذه التشريعات نموذج وضعه المحامي ديفيد بروشاليامي المقيم في نيويورك، وقد قابلته في الفصل الثاني. أسقط قضاة المحكمة الفيدرالية مشروع القانون إذ قالوا إن الداعين له عجزوا عن تقديم ألمة فعلية لمشكلة بسبب الشريعة يلزم معالجتها، ومن يدعون
أن الشرعية الإسلامية تتعارض مع المحاكم في جميع أنحاء الولايات المتحدة لم تبدوا سوى حالة واحدة: هي قضية في نيوجيرسي عام 2009، حيث رفض قاض صاغ أن يمنع امرأة حكمًا بعد الاتهام بـ "التحريض ضد الزوجة" وتبريرها ومحاربتها بغض النظر عن القضية الجنائية. وكان من الممكن أن يستفيد الحكم الناجم عن ذلك من المدعى عليه المسلم، يمكن أن يحقق ذلك عن طريق المحاولة. كان الحكم واضحاً حسب قانون الولاية، لعدم جواز الدفاع "ال الثقافي" لمخالفة قانونية. وألغت محكمة نيوجيرسي الحكم. لكن هذا الحكم الأول صار أساساً لهوس الأجانب بشأن الشرعية الإسلامية تكتش، النظام القضائي الأمريكي مدعوم بموضوع قضية يجكيها الإسلامية. أظهر استقصاء أجري في 2011 أن 30% من الأمريكيين يعتقدون أن المسلمين في الولايات المتحدة يسعون إلى استبدال الشرعية الإسلامية بالدستور. وتضاعفت النسبة لدى من يعانون "فوكس نيوز" مصدر أخبار مؤثرة.

ومع الانتخابات التشريعية للجمهوريين، أعد المرشحون أنفسهم لاستغلال تجاوزات هوس الخوف من الشرعية الإسلامية التي تم تقديمها كخانقة للانتخابية. وكان مبرعاً جنراليًّا في صدارة السياق، فقد قال في خطاب سابق أمام "معهد المشروع الأمريكي" في يوليو 2010 إن الشرعية "خطر محتملت" بنهج استمرار الحريات في الولايات المتحدة والعالم كما نعرفه. "حاول مرشحون جمهوريون آخرون اللحاق به عن طريق تأييد فكرة نظرية المؤامرة على نحو أشد منه. فقد أدان هيرمان كاين ما سياسة "السياسي التدريجي لإدخال الشرعية الإسلامية والدين الإسلامي بنوعية في حكومتنا"، وقال إنه سيقترح اختبار وراء خاص بالمسلمين الذين يريدون أن يعملوا في إدارته، وزعم أن غالبية المسلمين الأمريكيين لم أراؤهم مطورة. أعلنت ميشيل باكون أن الشرعية "يجب أن نقوم بذلك في الولايات المتحدة كلها" وطالبت مسؤولية الأمن القومي بأن يتقدم في احترام الأخوان المسلمين لأعلى مستويات الحكومة الفيدرالية. وفي خطاب ماكارثي إلى المتشددين للنظام الدولي، أُتهمت هُوما...
حمود عابدين، وهي واحدة من كبار مساعدي وزيرة الخارجية هيلاري كليتون بجهابرية سرية للاخوان المسلمين. ولم يكن لديها من دليل إلا أن أفراد من عائلة عابدين لهم "صلة" بالإخوان المسلمين.54 المفارقة أن بعض الشخصيات في اليمن السثري الذي يؤمن بوجود أن تكون النصوص الدينية الأساس الذي يقوم عليه القانون أقرب إلى أيديولوجية الأخوان المسلمين من ليبراليين مثل عابدين.

يؤدي هذا كله إلى ما يمكن أن نسميه، مع السيناريو جوزيف مكاريتي "مؤامرة على نطاق واسع بدرجة يتضاعل معها أي مسعى آخر في تاريخ الإنسان". ومن زاوية ما، يعد هذا عودة إلى ما شعره ريتشارد هوستون في 1963 وسياحة "أسلوب البارونية" (الأسلوب العصابي) في السياسة الأمريكية، مع إضافة ملتقيين مثلهم بين اليمنيين المتطرف الأوروبي.55 إن المفهوم التامنري للقوة المرتبطة بأوائل الحرب الباردة أو نظريات المؤامرة لدى أعداء السلام التي كان لها تأثير كبير في القرن العشرين، تصور أعداءها على نحو رأيل من القوة والقدرة على توجيه مسار تاريخ العالم من خلال التحكم الحكي في الإعلام والاقتصاد أو من خلال تقنيات غسيل المخ. فأعداء السلام يرون اليهود طبقة دانية منعزلة تهدد نقاء الجسد الاجتماعي، وفي الوقت نفسه طبقة سرية فوق المجتمع قادرة على التحكم بمبجيات الأحداث لتحافظ على نفوذها. كل أشكال العنصرية لديها ازدواجية. فمثلًا، بعد المهاجرين المصنفين عنصريًا كسائل وسارية وظافتنا في أن واحد، يرفضون الاندماج في مجتمعنا ويتسللون إليه في الوقت نفسه. لكن معاداة السلام تنشر تأريخًا يجعل اليهود في مكانة القوة العالمية العظمى، وفي الوقت نفسه جعلهم جنسا دون البشر. ولأول مرة بدأ اليمن المتطرف ينظر إلى المسلمين بالطريقة نفسها، فأصبحت نظرية المؤامرة ينسبون إلى الإسلام قوى سحرية يتحكمون بها سرا في الحكومات الغربية، وفي الوقت نفسه يرون فيه أيديولوجية متخيلة من القرن السابع، أباحهم يملؤون طبقة دينا خطرة. المتعلق السياسي وراء نظرية مؤامرة الشرقية واضح: مؤيدوها يرجون الضغط على الليبراليين الأمريكيين لسحب أي تأيد للحقوق المدنية
للمسلمين الأمريكيين، على أساس أن الإسلام ليس دينًا بل أيديولوجية سياسية شمولية، ومن ثم لا يحق له الحماية تحت مظلة التعديل الدستوري الأول. يتحدد في هذه الحملة جماعات اليهود المسيحية مثل "اتحاد العائلة الأمريكية" والصهاينة اليهود، والمؤسسات المحافظة وعناصر من جهاز الأمن القومي.

كان لزيادة تأثير الإسلاموفوبيا اليمين المتطرف في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مساهمة كبيرة في خلق جو سياسي يسمح بتصاعد العنف ضد المسلمين في الولايات المتحدة. لم يكن عنف الإسلاموفوبيا رد فعل تلقائيًا على الهجمات الإرهابية، بل ظهر بعد تسع سنين من 11/9، فإن إطلاق النار في فورت هود نهاية 2009، ومحاولة الهجوم بسيارة مفخخة على ميدان "تايمز سكوير" في مايو من العام التالي أعطى المهاجرين للإسلام سندًا للتحرك، فاحتفظت نفسها لم تكن لتصد هذا المناخ الذي يتفاقم سوأًا من وقته. فقد ظلت الحكومة لسنوات تقول للأمريكيين توقعوا المزيد من الإرهاب، بل توجيه لهم بأن الهجمات ربما تشمل أسلحة ديمر شامل، وعندما وقعت أحداث فعلية، كانت أقل إزاعاجًا مما جرت به التوقعات.

لكن حملات معايدة الإسلام أحدثت ما أحدثه من تأثير؛ لأن رسالتها تردد روافى أصحاب الذهب الإصلاحي والمذهب الثقافي، وهي روافى تميز بخطاب الوكالات الحكومية في الولايات المتحدة. فالقول يوجد صراع داخلي داخل المجتمعات الإسلامية، وصراع بين قيمنا والتطور الإسلامي، وأن الحروب التي تتحذى بالولايات المتحدة رد فعل ضروري على الأيديولوجية الإسلامية النازعة إلى العنف، وأن القيادة السياسية للأمريكيين المسلمين لا بد أن يتعرضوا لضغوط ليظهروا وراءهم لقيم الأمريكية - كل هذا لا يقتصر على الحامش الذي يحتله اليمين المتطرف، بل إنه تحليل رصمي يدعمه ليبيراليون في إدارة أوباما بقدر ما يدعمه المحافظون. في الداخل ينزع الليبراليون إلى الحفاظ على خطاب الدفاع عن حقوق التعديل الأول، واتباع سياسة ثقافية لاستيعاب الإسلام المعتدل في
ال verts. وتبدل وزارة العدل في إدارة أوباما مساعي محدودة في
إدانة جرائم الكراهية والدفاع عن حقوق المسلمين في بناء المساجد، لكن هذه
المساعي يقفزها أنساق أعمق من الفكر الرسمي المتصل بالterrorism. فإن مسؤولي
مكافحة الإرهاب في الحكومة يعتقدون بوجود خطر أيديولوجي داخلي من
الterrorism الإسلامي، من المخزون حيث يبرر عمليات قتل دون محاكمة للمواطنين
الأمريكيين الذين يدعون إلى أيديولوجيات متطرفة. يفسر هذا الأمر إدارة أوباما
عادة في سياق رواية إصلاحية غير بين مسلمين صالحين ومسلمين أشخاص - يميز
الأولون اعتقاداتهم القيمة الأمريكية والآخرون بدعمهم لأيديولوجية متطرفة تسبب
الإرهاب. لكن هذا الموقف ما زال يبقى على افتراض فاسد بوجود مشكلة إسلامية
وسياسات هوية عنيفة أو حرب بين الغرب والإسلام المتطرف. فلا عجب إذن،
من أن تأتي نتيجة استقصاء للناخبين المحتملين في مايو 2012، أن 63% يعتقدون
بوجود صراع في العالم اليوم بين الفردية الغربية والدول الإسلامية. ظلت
الافتراضات الأساسية للحرب على الإرهاب علم حاصله في سنوات حكم أوباما.

الإرهاب في أوسلو

في يوليو 2011، مع انتشار أخبار وقوع هجوم إرهابي كبير في النرويج، طبعت
وول ستريت جورنال قبل كشف هوية الجاني. وباشرت أن الجاني لا يمكن إلا أن
يكون مسلماً، زعمت وسائل الإعلام أن النرويج استعبدها لـ "دولة ليبرالية
تضم النسبية والدين واللوم والضمان بين الجنسين والديمقراطية النافية وكل
شيك من الحروب يميز الغرب". إن عشر سنين تقريبًا من فكر الحرب على
الإرهاب زرعت في العقول رود روح العمل منعكسة أدت بكتاب الانتقائية إلى الوثوق
بأن دافع المعتدي معروف مسبقًا. وكما أضحى، فإن السيارة المفخخة في أوسلو التي
تبعها إطلاق نار كثيف على جزيرة يوتيا (Utøya) قتل جراء سبعة وسبعون شخصًا
في أسوأ هجوم إرهابي في أوروبا منذ تفجيرات مدريد عام 2004 - نفذ باسم
"مكافحة الجهاد" وليس باسم أيديولوجية جهادية. كان أندرس بيرنر بريفيك، صاحب بيان من 1500 صفحة بعنوان 2038 – إعلان الاستقلال الأوروبي الذي صدر على شبكة الإنترنت في يوم الهجات، يعتقد أن النخب الأوروبية تتوافر مع التعددية الثقافية، وتمكن حدوث "استعمار إسلامي لأوروبا"، وكان يعتقد ككاتب افتتاحية وول ستريت جورنال أن قيم الترويج تواجه خطر الإسلام المتطرف. (48)

كتب بريفيك بيانه بالإنجليزية حتى يجذب القراء البريطانيين والأمريكيين. يتكون الجزء الأكبر من الوثيقة من نصائح موجهة إلى زملائه من إرهابيي اليمن المتطرف عن الأسلحة وصنع القنابل ودروع الحماية الشخصية والتدريب البدني وطقوس الحفاظ على الالتزام الأيديولوجي، وما يستمع إليه من موسيقى، والتسويق السياسي، وإمكانية استخدام أسلحة كيماوية وبيولوجية ونوروبية. وهو يدعى أنه عضو في جماعة سريه من الصليبيين الجدد أسماها في لندن عام 2002 مذابح عن طريق دول أوروبية "بغرور خدمة مصلحة شعوب أوروبا الحرة الأصلية، وقتل الجهاد الأوروبي الدائر". أحد أقسام "2038" يصف الدرجات والهيكل التنظيمي وطقوس الانضمام والملابس الموحدة والجوائز والميداليات التي يستخدمها جماعة فرسان المعد السرية. ويبدو أن هذه الأجزاء وحدها من البيان – وقسم يجري فيه مقابلة شخصية مع نفسه حيث يتحدث برجسياً عن فضله من موسيقى وملابس ومشروبات – هي الأصيلة في كل ما يجري. أما أغلب الوثيقة فمجرد تجميع للنصوص متصلة من مواقع الإنترنت المفضلة لدى بريفيك. والفصل الافتتاحية، وتمثل بابًا طويلاً عن "الماركسية الثقافية" واللياقة السياسية، كلها مسروقة من كتاب اللياقة السياسية: تاريخ موجز لأيديولوجية، وهو كتاب نشرته على الإنترنت عام 2004 مؤسسة "فرري كونغرس فاونديشن"، وهي جماعة ضغط أسسها بول وابيرتش، وهو من أكثر نشطاء اليمني السببيشي الأمريكي تأثيرًا، وهو مهندس دخول الحركة الإنجيلية إلى السياسة الأمريكية في الستينيات. وفي هذا الباب، استخدم بريفيك الإشارات إلى "أوروبا الغربية" بدل الإشارات إلى
"أمريكا". أما الكتاب الذي يتصدى من يستشهد به بريفيك فهم روبرت سبينسر، وبابث بور، و"فيوردمان"، وهو نرويجي يكتب لموقع الإنترنت الأمريكيين "Gates of Vienna" (بابات فيينا) ومراقب الجهد). مقولة البيان الرئيسة أن أوروبا استولى عليها نخبة مناصرة للتعددية الثقافية تفرض أيديولوجيتها، وهي الماركسية الثقافية حتى تحول الثقافة الأوروبية الأصلية. يؤيد بريفيك فكرة "يوغابيا"، ويرى أن التعددية الثقافية تسهل "الاستعمار الإسلامي لأوروبا". من خلال الحرب الدموغرافية والالتباس يمر سريعاً: "ليس أمامنا سوى عقود قليلة نعد فيها مستوى كافياً من القوامة قبل أن ييمن المسلمون عاماً ديموغرافياً على مدينا الكبرى". فمن خلال سيطرتها على وسائل الإعلام والجامعات والأحزاب السياسية الكبرى، فإن نخبة التعددية الثقافية منعت إمكانية الممارسة الديمقراطية، كما يدعي بريفيك. وبينما لا يتع فراد المسلمين مبادئ الإسلام كأفراد، فإن الإسلام "أيديولوجيا سياسية تعبر في حالة حرب أساسية دائمة مع الحضارات غير الإسلامية والثقافات والأفراد"، مما يعني أنه كلاً زاد عدد المسلمين في أوروبا، زاد احتلال ظهور ما به من عنف أصيل. فإن لم ينكذ اتجاه هذه الحركة، كما يتبناها، فستقوم حرب أهلية أوروبية بين القوميين والمسلمين المتحالفين مع أنصار التعددية الثقافية. وأخيراً، يعبر بريفيك عنه بالدعوة إلى "حرب إجهادية استباقية، تشبب لوقف الغزو والاستعمار الإسلامي أو هزيمته أو إضعافه، ولكسب ميزة إستراتيجية في حرب محتمة قبل أن تتجسد هذا الخطر.

البنية الشكلية بطرح البيان تنازل مع العقيدة النازية الجديدة عن حرب الأفراد التي ينبغي على اليهود فيها ألا يتوازنوا في الوقوف في وجه الحكومات التي حاولت تخفيف نقاها الفارسي. والاستراتيجية المعتادة للتالية الجديدة هي العمل النشط للدفاع نحو قيام هذه الحرب عن طريق حق هجوم على الأقلية - لاستفادة رفع عنف يوفق الأطراف البيضاء ليشركوا حميتة الصراع العربي،
فيصل الناس آلاف المجندين إلى صفوف الحركة القومية. كان ذلك ما يرجعه ديفيد كوبيلاند، عندما قام في 1999 بزرع قنابل مسماة في أحياء السود والآسيويين في لندن، وفي مشرب للملتئمين الجنسين، قتل ثلاثة وجرحت أكثر من مائة شخص.

يوجد عناصر من استراتيجيات الاستفزاز هذه في بيان بريفيك. فهو يدعو إلى شن هجوم على المناسبات الإسلامية لاستثارة "أعمال شغب عنيفة وغيرها من أشكال الأنشطة الجهادية"، وهو يرجو بها أن "تحول المزيد من الأوروبيين إلى التعصب وتضاعف الحركة، حتى يعرف المزيد من الأوروبيين "الوجه الحقيقي للإسلام والتعاددية الثقافية". لكنه يختار نخبة التعددية الثقافية أهدافًا أوليًا للعنف، على أمل أن الإرهاب سوف "ينخر نظام الرقابة الصارم" فيرمز أيديولوجية التعددية الثقافية.

ويحتوي موقع الجاهز، فإن التهديد العقليان الوحيد هو ضمان انفجار المنظومة الحالية. ومن هنا جاء القتيل الجامعي في يوتوما (Uraya) للجيل التالي من قادة حزب العمال.

تشبه رواية بريفيك من الناحية الشكلية حرب الأجناس في النازية الجديدة، لكنه يضع إطارًا جديداً لهذه العقيدة بأن يضع الثقافة علية العرق، المسلمين علية السود، أنصار التعددية الثقافية محل اليهود. فهو يرفض صراحة مفهوم حرب الأجناس، ويستبدل به الدعوة إلى حرب ثقافية سيجد فيها "كل واحد فرضه كاملة لإظهار ولائه لقضيتنا، ممن فيهم اليهود الأوروبيون القوميون، والمسيحيون غير الأوربيون أو الآسيويون الهندوس أو البوديسيون". وكما يفعل اتحاد الدفاع الإنجليزي، فإن يستخدم إطارًا ثقافيًا لإنشاء تغلقات جديدة. لكنه يتكلم كذلك عن "معارضة اختلاط الأجناس"، يريد أن يمنع "القراص الانتقادات الجينية الشهادة"، ويقول عن اليهود:

وعليه، هل اليهود الحاليين في أوروبا والولايات المتحدة عديمو الولاء؟ اليهود المؤمنون بالتعددية الثقافية (هادمو الأمم) كذلك [عديمو الولاء]، أما اليهود
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطور والحرب الداخلية على الإرهاب

المحافظون فليسوا كذلك. إن 75% تقريبًا من اليهود الأوروبيين/الأمريكيين يؤدون التعبد الثقافي، بينما حوالي 50% من يهود إسرائيل يفعلون الشيء نفسه. وبينما هذه بخلاصة ضرورة أن نضم اليهود المؤهلين الباقين مثل الأخوة ... لا يوجد مشكلة يهودية في أوروبا الغربية (باستثناء المملكة المتحدة وفرنسا)، فليس لدينا في أوروبا الغربية سوى مليون يهودي، يعيش 800 ألف منهم في فرنسا و المملكة المتحدة. أما الولايات المتحدة، التي بها أكثر من ستة ملايين يهودي (ستة أضعاف ما في أوروبا) فلديها بالفعل مشكلة يهودية كبيرة.

يصور بريفيك اليهود بأنهم حلفاء محتملين (إذا انضموا إلى الحرب ضد الإسلام)، واعتبرهم خطرًا ديموغرافيًا (إذا زاد عددهم). وهو بذلك معاد للسامية ومؤيد للصهيونية في وقت واحد. الصور الناتجة أبدع ما تكون عن الاتساق إذ تم إدخال أفكار اليهيم المترافق القديمة على أفكار المذهب الثقافي الأحدث.

تأتي الأغلبية الساحقة من مصادر بريفيك من مواقع إنتُرنت شبكة الإسلاموفوبيا التابعة للليمين المتطرف في الولايات المتحدة. فهذا الموقع اعتدى على تصوير أوروبا وكأنها على حافة الانقراض الثقافي نتيجة للهجرة الإسلامية. وتمثل جملة كتبها فيوردمان على مدونته 2007، بريفيك عنوان بياته ومقولته الأساسية:

نحن نتعرض لغزو أجنبي، وإن دعم غزو أجنبي ومهادته بآية طريقة يصعده
عظمى. إذا كان لغير الأوربيين الحق في مقاومة الاستعمار، ويرغبون في تقرر المصري، فإن الأوربيين أيضًا يملكون هذا الحق ونحن عازمون على مارسهم.«)

وفي باب يتناول اتحاد الدفاع الإنجليزي، يمتد بريفيك هذه المنظمة لكيفها أول حركة اتحادية شبابية تجاوز الكراهية العرقية القديمة، وسلطة اليهيم المتطرف، وهو يبحث "المثقفين المحافظين" على ضاحية استمرار "اتحاد الدفاع الإنجليزي" في
رفض العقائد الإجرامية العنصرية الشاملة. بل إنه يعتبرها "سذاجة خطيرة إذا ظننا أن أهدافهم يمكن أن تحقق عن طريق احتجاجات الشوارع." بالتأكيد يشارك بيان بريفيك في كثير من سياسات المذهب الثقافي لدى اتحاد الدفاع الإنجليزي وشبكة الإسلاموفوقيا الأمريكية: منها النظرية إلى الإسلام بوصفه أيديولوجيا سياسية متطرفة، والتأكيد على أن التعددية الثقافية تقوي حركة الأسلحة، ونظرية التآمر الخاصة بالتغفل الإسلامي، ورفض أسلوب العنصرية القديم، وتأييد الصهيونية اليهودية. ويرى مدونون مثل باميلا غيلر وروبرت سبنسر أن إشاراته إلى كتاباتهم كانت مثيرة. مع ذلك ردد غيلر على مجزرة أسلوب بحاسبا المعهود. فبعدها بأقل من أسبوعين كتب:

كان بريفيك يستهدف القادة المستقبليين للحرب المستنذ عن إغراء النرويج للمسلمين الذين يرفضون الاندماج، ويرتكبون أعمال عنف ضخمة ضد المواطنين النرويجيين الأصليين، بما فيها عمليات إغتصاب عنف تقوم بها عصابات ويفلون بها، ويعيشون على الإعانات... وكل هذا يحدث دون موافقة النرويجيين.

وأضاف أن معسكر شباب اليساريين على جزيرة يوتويكا كان "مركزًا للتدريب على الدعوة للعداء السامم". لم تقل إن إعلاء بريفيك مبررة، لكنها تضيف: لم يكن هناك "أي إجراء لمحاربة النرويج للسامي أو شبهة إسرائيل."(60)

ينبغي أن نحدد رسم خطوط مستقبلية تدل على علاقة مسبقة بين أيديولوجية اليمين المتطرف وأعمال عنف فردية - فإن هذه المزاعم لا تصح فيها يتعلق بإرهاب اليمين المتطرف، وكذلك بالنسبة إلى ما يسمى بالإرهاب الجهادي. مع ذلك من الممكن أن نحدد أنواع الظروف السياسية التي تزيد احتلال وقوع هجمات إرهابية مثل تلك التي ارتكبها بريفيك. العامل الرئيس هو عشر سنوات من خطاب الحرب
على الإرهاب الذي كرس سياسات الهوية العنيفة كأنها الأصل في فهمنا لوجودنا في العالم. كان الموضوع الرئيسي في بيان بريفيك يقول إن "اللياقة السياسية والتمديد الثقافية أضفت الهوية القومية، وتشجعت التطرف الإسلامي، وأوصلت الدول الأوروبية إلى نقطة الأزمة." كـ قال بريفيك بصدق في الأسبوع الأول لمحاكمته إن هذه الرؤية يعننها "أقوى ثلاثة سياسيين في أوروبا" نيكولا ساركوزي، وأنغيلا ميركل، وديفيد كاميرون. \[1\] الحقيقة أن قصيّها محوريّاً في رواية الإرهاب يشاركه في رؤساء الحكومات الغربية.
الفصل التاسع
لا تحلموا بعوالم أخرى

كلما قللت استجابة الفضاء السياسي الأصلي لمطالب المستبددين منه، اقتربت تلك المطالب من اتخاذ صورة مُرضية، فتدمر الساحة العامة التي كانت تسعى إلى أن يسمع فيها صوتها. بعض الإرهاب رد فعل لِنوع من السياسات زاد فيه تَعَكِم المنصر الإداري الأجوز.

- تيرى إيفلتون الإرهاب المقدس

ظلت الثقافة الشعبية للتيار الرئيس في الفترة التي تلت 11/9 تابعة تبعية عمياء للروايات الرسمية للحرب على الإرهاب. أما على الأطراف - مثل ثقافة هيب هوب المستقلة - فنجد انتقادًا شديدًا، إذ إن الإجماع الذي احتل المنطقة الثقافية المركزية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، إجماع ضيق ومحدود. لم تنتج مساحات للاستجواب إلا في الأمور الباراغمائية - منها هل التعذيب البدني والحرب وسائل ناجحة لمنع الإرهاب، أم ستتسبب في تفاقم المشكلة. أفلام مثل "عملية زيو دارك ثيرتي" (2012) و"كوكوميلسيت" (المتوسط) الذي أنتجته قناة "تشانيل فور" البريطانية (2013) تعد استخدام التعذيب موضوعًا مقبولًا للنقاش - في إشارة إلى أن حرب الإرهاب كسرت تمامًا الإجماع السابق على كون التعذيب أمرًا خاطئًا.
على الإطلاق. وتوضح حدود الخطاب المقبول على نحو أكثر تأكيداً عند النظر إلى ما يقدم بوصفه "لبراليًا" في أشكال التصور الثقافي الشعبي. فإذا كان "24" هو الدراهم التلفزيونية الأساسية لمرحلة الحرب الأولى - بما فيها من سيناريوهات تجري على إيقاع دقائق ساعة القنبلة الموقعة، ومن ثم تجدر استخدام التعذيب، وتصوير القتل الجماعي للمواطنين الأمريكيين بأسلوب دمار شامل، مع الإصرار على تقديم أعداء إرهابيين من بعد واحد - فإن مسلسل "هولنلاند" (الوطن) يعد بديلاً لليبراليًا يمنح به بوصفه الأساسي ل цвет أويباما، وتركزه على البنية النفسية لعملية التحول إلى التطرف. بل يقال إن هذا البرنامج - الذي يدعى "شواب" في الولايات المتحدة وتشارك فور (القناة الرابعة) في المملكة المتحدة - هو البرنامج المفضل لدى الرئيس.

تقوم موضوعات حبكة مسلسل "الوطن" على فكرة تغلغل المتطرفين المسلمين في الإدارة الأمريكية (في إشارة تؤكد نظريات المؤامرة المعادية للإسلام)، والاشتباه في عوام المسلمين الأمريكيين، لا سيما من اعتقدها حديثاً، والصراع النفيدي المرير الذي تتعانبه الشخصية الرئيسية وهي الشخص المحصور بين أسرته الأمريكية الخالصة، والتلقين العقدي المتطرف الذي تعرض له نيك برودي جندي البحرية الأمريكي الأبيض الذي يقع أسرارًا في "القاعدة" في العراق (ستتحول إلى طالبان في أفغانستان، إذ يستعمل الأثنان بمعنى واحد)، ثم يمر بعد ثمان سنوات ويغدو إلى الولايات المتحدة كأحد أبطال الحرب. يحاول برودي أن يعيش حياة أسرية طبيعية، وهو يحتفي تحوله إلى الإسلام. تأتي شخصية عميلة سي أي إيه كاري ماثيسون، ويقال إنها مأخوذة عن شخصية عائلة حقيقية في سي أي إيه (استوحي منها الشخصية الرئيسة في زيرو دارك تيرتي) فترتب في أن يعود إلى مناصره جانب الإرهاب، فبدأ في عملية مراقبة خادعة لثبت نظرتها، حتى إنها تقيم علاقة جنسية مع هدف مراقبتها، يخلو برودي عن مهمته الاتحارية لقتل نائب الرئيس وليفيف من المسؤولين الحكوميين في اللحظة الأخيرة بعد مهاجمة مع ابنته. ثم
يُخطط للترشيح للكونغرس والحصول على دور مهم في الإدارة حتى يُهدم السياسة الخارجية الأمريكية. تنفع ماثيوزن برودي إلى الاعتراف أثناء استجواب، ثم يوافق على أن يكون عميلًا مزدوجًا. في الوقت نفسه، يدخل أبو ندير، أحد قادة القاعدة وهو الذي جنده، في تحالف غريب مع حزب الله في عدم ضربة إسرائيلية لإحداث المشتقات النووية الإيرانية بالهجوم على الولايات المتحدة. يُمكن نذير من دخول الولايات المتحدة، ومعه فرق كوماندوك كثيفة التسليح تدخل في مواجهات كثيفة قبل أن تخضع ماثيوزن، ويُعثر برودي على قتل نائب الرئيس. ينتهي الجزء الثاني من المسلسل بانفجار سيارة مفخخة في مقر سي أي إيه.

تتسم شخصية برودي بعمق وجدان أكبر من أي إرهابي آخر في التلفزيون الأمريكي، وهناك خط في الحبكة يجعل أن يقل بأن طريقة اتخاذ قرارات السياسة الخارجية في واشنطن ريا تحدث أثراً عكسيًا. وتقدم عملية التحول الفكرى لدى برودي بالتوازي مع حالة الغضب عندما من ضربة طائرة أمريكية بلا طيار لمدرسة أدت إلى مقتل عيسى، ابن نذير، الذي كان برودي ينوي رعايته. هذه الجوانب في المسلسل - التي تشير إلى أن الإرهاب ليس شرًا خالصًا بل ينبع من عمليات نفسية - هي أساس مؤهلاته الليبرالية. وهي كذلك متسقة مع خطاب التحول إلى التطرف الذي يشكل المرحلة الحالية من الحرب على الإرهاب. يشبه مسلسل "الوطن" الروايات الرسمية في أنه يقدم عملية التحول إلى التطرف في ارتباط وثيق باللهانية والثقافة الإسلامية. فكل الشخصيات المسلسل الرئيسة إرهابيون، من برودي الذي اعتنق الإسلام حتى رويا حمد الصحفية التلفزيونية المقيمة في واشنطن، ويسهل عليها دخول دلالات السلطة، وتخطط سراً بالاتفاقيات مع القاعدة. حتى البروفيسور رقيم فصل وزوجته الأمريكية الشقراء إيلين التي اعترفت الإسلام عندما كانت تعز في السعودية في فترة المراهقة. يغلف المسلسل الاختلافات بين حزب الله والقاعدة، أو بين العراق وأفغانستان، بالإضافة إلى تصويره الساخر لبيروت كأنها وكر إرهاب، وهذا يعطي انطباعًا بأن الإرهاب مشكلة ثقافية عامة.
في الشرق الأوسط لا صلة له بالسياسات السياسية المختلفة. يتردد الإرهابيون في مواضيع كثيرة من مسلسل "الوطن" بين الانجذاب للثقافة الغربية والتزامهم بالإرهاب. فإحدى مصادر الاستثمارات على حسب الله تكشف معلومات بسبب حبها للأفلام الأمريكية. ويافق دبلوماسي سعودي يعمل لدى القاعدة على كشف معلومات استخباراتية حتى يمكنهم إبتهامه من تلقي مزايا الثقافة الغربية. ويصور صراع برودي الداخلي بين حب لأولاده وتأثير عقيدته الجديدة على أنه أزمة هوية معركة بين القيم الأمريكية (وتترمز لها حياته الأسرية) والقيم الإسلامية (وتقدم على أنها تنظي على الإرهاب)، ويوجي مسلسل الوطن ضمنًا بأنه semua تسكت بثقافتك الإسلامية اقتربت من الإرهاب.

برودي هو الشخصية المسلمة المهمة الوحيدة في أي عرض، تمثيل أمريكي. وهو إرهابي. وهذه أول مرة تظهر فيها جوانب من حياة المسلمين، مثل الصلاة وتلاوة القرآن، على تلفزيون أمريكي في إطار خط درامي يتحرك حول السؤال: هل من يعتقد الإسلام يجب أن يكون موضوعًا للإهمال. يลอينته جيسيكا فيلم الأسرة الأمريكية لفترة قصيرة في المسلسل، عندما عاد برودي على غير توقع تنكر صديقه مايكل لأجل عهود الزواج، ثم تعرض للمجهول حتى يحافظ على أسرته. وعندما تكشف إسلام برودي تفاصيل بشدة، ليس بسبب خداعه لها، بل لأن "هؤلاء هم من عدوك" ومن "سيرجن" ابتته حتى الموت في إستاد كرة قدم. (1)

بطل مسلسل "الوطن" الحقيقي هو سول بيرنسون، وهو أستاذ ماليسون العاقل الذي في سي أم أيه، الذي تمكن إجادته للغة العربية ومعرفته بثقافةها من ملاحظة الأهداف الإرهابيين عن طريق زرع مشهدين ثقافات، وليس شن عمليات هجوم صادقة. وهو كذلك يؤمن ببجدية التصنيف العرقي عند الضرورة. ففي إحدى المراة كان يوجه تعليقات إلى فريقه عن كيفية إجراء تحقيق، يقول: "نضيع الأولويات، فنبدأ بأصحاب البشرة السمراء.." وحتى هذا الوضع نظمته أنه لا
يأخذ على أصحاب البشرة السمراء شيئًا. وبعد العبارات المعهودة، يدر عمله في الوكالة علاقته بزوجته ميراء، وهي هندية. بمعنى أن عملية التصنيف العرقي تعد ضرورة لأسباب إجرائية، وليس انعكاسًا لانحياز عرقي من جانب عمل ميغ. حتى غاليفز، عميل سي أي إيه المسلم، دورة صغير جدًا، إلى أن تشهد ماثييسيون في كونه يعمل مع القاعدة، بسبب دينه في الأساس. وهكذا، فإن بطل سي أي إيه في المسلسل يضطر إلى التصنيف على أساس العرق أو الدين، أو على الأقل حسب الظروف. ويُقدَّم التمييز العنصري على أنه إجراء مكروه لكنه مفهوم، يلمس إلى حالي خبر عملاء أمريكا عند التحقيق في تهديدات إرهابية. وليس التعذيب حلاً حاضراً دائمًا في "24"، لكنه وسيلة أساسية في سلسلة أدوت مكافحة الإرهاب في مسلسل "الوطن"، ما دام يستخدم بمصاحبة مهارات ماثييسيون الناعمة. يُطلق أحد المحتجزين برودي طنعة نافذة في كره، حتى تدخل ماثييسيون، وتقدم نفسها في ثوب الشرطي الطيب، وتستخدم التعاطف بدلاً عن القوة لتضمن تعاونه.

إن سياسات الولايات المتحدة في مسلسل "الوطن" حديثة في الأساس، لكن تقوضها أحيانًا شخصيات سيئة تؤدي بالحكومة إلى مبالغات هدامة. يمنح المسلسل ماثييسيون وبرنسون فرصًا عديدة للتعبير عن قلتهما حيال هذه المبالغات من داخل منظومة الأمن القومي. أما الأصوات الإسلامية التي تثير قضايا سياسية فلا يفعلون ذلك إلا من مطلق خدمة الإرهاب. يصور المسلسل المعرّضة الإسلامية للسياسة الخارجية الأمريكية بشخصيات تحاول ترير الإرهاب، من فيديو استشهاد برودي، حتى تحقيق ماثييسيون مع محمد وحوار نذير الغاضب مع ماثييسيون أثناء اختطافها. وانتفاضًا مع الرواية الرسمية لعملية التحول إلى التطرف، تنطسم الحدود بين المعرّضة السياسية والإرهاب، فالصوت الإسلامي الوحيد صوت إرازي. إن ظهور برودي بصورة المسلم الذي استطاع أن يشح طريقه إلى شاشات التليفزيون الرئيسة أمر له دالات مهمة. فإن سلسلة تليفزيون الواقع "مسلم أمريكي تمامًا"، التي تحاول تصوير حياة الأمر الأمريكية العربية في ديربورن منعت من العرض.
بعد ضغوط من المعلمين المحافظين، وتهييدهم بسحب دعمهم. مرت سنوات قبل انطلاق قناة “الجزيرة أمريكيا“ في أغسطس 2013، منعت فيها المعارضة المكثفة قناة الجزيرة الإخبارية الناطقة بالإنجليزية من العرض في شبكات الكابل الأمريكية.

تبعد الآن آخر مراحل الحرب على الإرهاب. ولم يعد المسلمين الأمريكيون يعتبرون إرهابيين تلقائيا، لكن ثقافتهم تظل مصدراً للارتياب بسبب آثارها السببية للتطور. فقبلية المسلمين للتحول إلى التطرف تفسر بأنها ذات صلة بصراعات الهوية والعمليات النفسية الداخلية التي ينبغي أن تدرس باستخدام واسع للمراجعة، وفهم ذكي للسياق الثقافي. فاستخدام القوة الخشنة القاهره تصيب ويؤدي آليات القوة الناعمة والمعرفة الثقافية لضمان التعاون. ومع لمسة لبئسية برقة، تواصل الحرب على الإرهاب المحافظة على الإسلاموفوبيا، ولكن بطريقة أقل إشارة للمعارضة السياسية. فإن النقد الpragmaي الذي يوجه من حين لآخر إلى سياسات أمريكية؛ لأنها تأتي ببعض ما تزيد تعزل الهياكل السياسية الكبرى عن المعارضة المؤثرة.

إلا إذا ما نُسجَّد النقاد على سياسات الولايات المتحدة أن يصور بأنه إرهاب بالإرهاب، ما يغيِّب أي احتمال لوجود معارضة سياسية إسلامية.

الحق في التضامن

إلى الشهيد من وسط مدينة دالاس، بعد المرور على اللوحات الإعلانية المعارضة لأوباما التي تسأل “أين شهادة البلاد؟“، لوحيات أخرى تصور مشهدًا من مدينة القدس تدخل خلفية للتعليق “إسرائيل مستحقي الأرض المقدسة للجميع“، وبعد ثلاثة عشر ميلاً تصل ضاحية ريتشاردسون، حيث يوجد تجمع سكاني استوطن المكان. في أحد المباني تجد البارات المعتددة وعربات بيع البرغر، ستندب بقاعة باكستانية ومقهى شرق أوسطي يجلس شباب أمريكيون عرب في ساحته يدخنون النرجيلة. هذا الجيب الصغير من أمريكا المسلمة في ضواحي دالاس الشهيلة الذي يحيطه الثقافة المسيحية المحافظة السائدة، كان موطن “مؤسسة الأرض المقدسة“.
أكبر جمعية خيرية إسلامية في الولايات المتحدة، حتى حلتها إدارة بوش في الشهر التالية لإحداث 11/9. وتبرز محاكمة قيادات مؤسسة الأرض المقدسة "القيادة الخمس في مؤسسة الأرض المقدسة" القيود التي فرضت على التنظيم السياسي الإسلامي الأمريكي من السنوات الأولى للحرب على الإرهاب.


لم تكن نتائج الخمسة أثر أرسلوا أموالاً مباشرة إلى حماس، أو أن الأموال التي أرسلوها لم ساعدة الفلسطينيين كان يقصد بها أغراس إرهابية. بل كانت الدعوة
هي أن لجان الزكاة تديرها حامس، وأن تقديم الدعم الخيري للجان الزكاة ساعدت المؤسسة حامس على كسب قلوب الشعب الفلسطيني وعقومهم. «تثير هذه الإستراتيجية في الإدارة الدعما لسبيلا. أولًا، إن إثبات الزعم بأن لجان الزكاة تديرها حامس لا يستند إلا على شاهدين، عميل لوكالة الأمن الإسرائيلي، وأحد ضباط قوات الدفاع الإسرائيلية، وقد قدمما شهاديتهم دون إعلان اسميهما، مما استحال على محامي الدفاع استجوابهما بالشكل المناسب. كما شهد ماثيو ليفيت من جماعة اللوبو الإسرائيلي باعتباره خيارًا في حامس ينتمي إلى معهد واسطن لنفسية الشرق الأدنى. ثانياً، سمح الاتهام باستخدام عشرات الوثائق التي كانت بحوزة نشطاء أمريكيين مسلمين آخرين لوصف ثلاثينية منظمة إسلامية أخرى بأنها "متلمسة لم تخضع للمحاكمة" في هذه القضية، وهي تشمل بعضًا من أكبر المؤسسات الإسلامية القومية، مثل مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية الذي يختص بالحقوق المدنية، وجمعية أمريكا الشامية الإسلامية وهي تنتمي للتيار الأمريكي الرئيس، والأمانة الإسلامية الأمريكية الشامية، وهي الملكة لكثير من المساجد الأمريكية. وقد تم تعديل القيود المعتادة على الأدلة المرسلة، مما يعني أن الجماعات الموجودة في القائمة تواجه اتهامات قد لا يمكن دفعها في المحكمة.

لم يحدث فقط أن صنفت الولايات المتحدة لجان الزكاة نفسها ككيانات إرهابية. ورغم مئات المكالمات التليفونية المخصصة عليها، وكمية الوثائق المصادرة، لم يستطع المدعون أن يجدوا دليلاً ثابتاً على وجود صلة بين مؤسسة الأرض المقدسة والمام.

بعد عام 1995، عندما صنفت حامس منظمة إرهابية في الولايات المتحدة، وصار تمويلها غير قانوني. وصحيح أن مؤسسة الأرض المقدسة أسسها نشطاء منفيون شكلوا رؤيتها الكونية الحركات الإسلامية السياسية في الشرق مثل الإخوان المسلمين، وأن حامس نفسها أسسها الفرع الفلسطيني للإخوان المسلمين. في أوائل التسعينيات اتفقت النشطاء المقيمون في الولايات المتحدة في هذا الجو عمومًا مع رفض حامس لاتفاقيات أوسلو. وكذلك فلسطينيون علّقون أكثر على أساس
أن عملية أوسوتو لن تؤدي إلى إنشاء دولة فلسطينية قابلة للحياة، وربما اتفقوا على استخدام حماس العنف لمكافحة الاحتلال الإسرائيلي، كما يوافق كثيرون اليوم على التمرد في سوريا على نظام الأسد، الذي تؤدي حكومة الولايات المتحدة. لكن ما إن صنفت حماس كيانًا إرهابيًا في الولايات المتحدة في 1995، حتى اتخذت قيادات ”الأرض المقدسة“ خطوات لضمان تحقيق أوضاعها مع قانون الولايات المتحدة. بل إن مهمتي المؤسسة قابلوا مسئولية وزارة الحزامة في التسعينيات ليستتمدوا بهم بشأن ما يتعلق في القانون بالعمل الخيري في فلسطين، فأعطوه انطباعًا بأن الشرع للجان الزكاة قانوني. لكن المدعين في قضية الأرض المقدسة تعمدوا الخلط بين التأييد الأيديولوجي لرؤية الإخوان المسلمين الكونية والدعم المادي لها. أظهرت المحاكمة أن بعد 11/9 جرت قيادات ”الأرض المقدسة“ حتى الحد الأدنى من التضامن مع اتهامهم من المسلمين في أنحاء العالم الأخرى. لقد كانت محاكمة سياسية بامتياز، أظهرت أن توسيع التشريع الدعم المادي يمكن أن يستغل لإدانة المنظمات الإسلامية الكبرى في الولايات المتحدة بتهمة الإرهاب. فقد أرسل هذا التشريع رسالة إلى أمريكا الإسلامية أنه بعد 11/9 تم تجريم أي نشاط سياسي إسلامي يسعى إلى التضامن مع الفلسطينيين.

في أكتوبر 2012، رفضت المحكمة الأمريكية العليا سعى استئناف في قضية مؤسسة الأرض المقدسة، وأتهمت بذلك عملية التفاضل برمتها. تم نقل أربعة من خاسري الأرض المقدسة إلى وحدات ”إدارة الاتصالات“، وهي سجون مخصصة لاحتجاز الإرهابيين في "ثروموت" بإندونيسيا و"ماريون" بإنكلترا، حيث يواجه المتهمون بجرائم مربحة بالقاعدة في الأساس قيودًا صارمة على الاتصال بالعالم الخارجي. يراقب مستثمر مكافحة الإرهاب في العاصمة واشنطن المحادثات الهادفة مراقبة دقيقة، وهي محدودة بمكاليمات مدة كل واحدة منها لا تتجاوز خمس عشرة دقيقة أسبوعيًا، وهناك حاجز زجاجي يمنع التواصل المباشر مع أفراد الأسرة أثناء الزيارات الأربع المسموح بها كل شهر.
وكما قدمت محاكمة "الأرض المقدسة" سابقة قانونية لجريمة التضامن الإسلامي، فإنها أيضًا ساهمت في تدشير رؤية تأثيرية للسياسات الإسلامية في الولايات المتحدة. سمحت المحاكمة بالإفراج عن نص تسجيل لاجئين ناشطين إسلاميين عقد في فيلادلفيا عام 1993، ووثائق صدرت أثناء هجوم إف. بي. آي. على ناشط إسلامي في "أناديل"، فيرجينيا، عام 2004. وتعد هذه النصوص دليلاً على وجود مؤامرة إخوانية واسعة للاستيلاء على الولايات المتحدة وفرض الشريعة الإسلامية باستخدام منظمات دعوية قومية مسلمة في ظاهرها، كأدوات لتحقيق هذا الهدف. مع ذلك، فإن أي قراءة موضوعية لهذه المادة تبدد هذه الخيالات بسهولة. لا يكشف نص اجتماع فيلادلفيا بعد تفريغ النسج أكثر من محاولة بين مجموعة من النشطاء المتحليين مع الإسلام السياسي، والصادمين بخيبة الأمل جراء اتفاقات أُرسلت التي جرت ساهمتها، والذين يشعرون بالقلق بشأن تحول أجواء الجدل السياسي في الولايات المتحدة، وتجارب استشقاء ما يمكن عمله من الناحية القانونية لمواصلة دعم الهيئات الخيرية الفلسطينية دون أن يتم شيطنتهم.

ومن الوثائق المصورة، التي تذكرت الإشارة إليها في نظريات مؤامرة الشريعة، ما يسمى بالمذكرة التفسيرية، وهي في الأغلب بقلم ناشط اسمه محمد أكرم عدلاني في عام 1991. وتتلخص الوثيقة آراء كاتبها، الذي أراد أن تضاف إلى جدول أعمال الاجتياع التالي جماعة من النشطاء المؤدين للإخوان المسلمين. هذه الجماعة نفسها لم تطلب الوثيقة. يقولكاتب في إحدى قتراتها:

إن عملية الاستيصال نفسها "عملية حضارية جهادية" بكل ما يعني الكلمة. على الإخوان أن يفهموا أن عملهم في أمريكا نوع "من الجهاد الأكبر" في تقويض وتدوير الحضارة الغربية من داخلها.]

تختتم الوثيقة بقائمة منظمات إسلامية، وقد اعتبرت هذه قائمة جبهة الإخوان المسلمين، لكن الوثيقة نفسها لا تصفهم بهذا، بل تأسف على أنهم "لا يسيرون
جميعاً وفقاً لخطوة واحدة. "(٨) لكن منظور المؤامرة قرأوها هذه الوثيقة على أنها
كاشفة لأجندات متطرفة متخيلة وراء قناع اعتدائات الإسلامية، وثبته أن المنظارات
الإسلامية الأمريكية الكبرى مترطبة في مؤامرة سرية لتدبير الخضارة الغربية
عن طريق التغيل في الحكومة والتحكم بوسائل الإعلام، ويبدو أن الرؤية تحلوت
المذكرات التفسيرية إلى "بروتوكولات حكاياء صهيون" لنظرة مؤامرة الشريعة، فإن
مسداقيتها تميزت عندما قدمت كدليلا في محاكمة تتعلق بالإرهاب. ولكن حتى مع
صرف النظر عن مسألة اجتماع أي مؤسسات فعلية على الآراء الموجودة في الوثيقة،
فمن الواضح أن الفكرة المفترضة هي بناء هيكل تنظيمي في الولايات المتحدة يمكن
أن يعمل في سياق تضامن سياسي مع منظمات الإخواني المسلمين الأخرى في العالم
كله، وفي الوقت نفسه دعوة الأمريكيين إلى أن يروا أن الإسلام يمثل نموذجاً
حضارياً خيراً من الليبرالية الغربية. كل هذا نشاط قانوني و"الإخوان المسلمون"
ليست منظمة إرهابية، ولم تصنفها الحكومة الأمريكية هكذا.

اقتباساً منهم وجود مؤامرة إخوانيَة سريَّة، وأن إدارة أوباما متعت إف. بي. آي. من التحقيق فيها بدقة، أجرى أصحاب نظرة مؤامرة الشريعة تحقيقهم
المستقلة عن المنظارات الإسلامية. فمثلاً، عند إعداد كتابه المايليا الإسلامية: داخل
العالم التحتي السري الذي يتأمر لأسلحة أمريكا الذي اشترك في تأليفه مع بول
سيبيري، فإن العميل الخاص السابق في "مكتب التحقيقات الخاصة بالقوات
الجوية الأمريكية"، بي ديفيد غوبانس جعل ابنه كريس يرسل لهه ويدعي أنه
مسلم، ويقضي ستة أشهر "مخفياً" كمتدى في المكتب الرئيس لمجلس العلاقات
الأمريكية الإسلامية "كيرو"، وهو أحد التنظيمات المدعودة التي تجاهم من أجل
الحقوق المدنية للمسلمين في الولايات المتحدة. نظر كريس من تلق ربع طن من
الوثائق من المكتب، وتلمس ثلاثينات ساعة مصورة بالفيديو. (٩) ومن الاكتشافات
الصادمة التي أظهرها هذا التحقيق الجريء أن مجلس العلاقات يتعامل مع الهيئات
الفيدرالية للتأثير على سياسة الحكومة، ويقدم الاستشارات للمسلمين عن حقوقهم
عندما يستجبرهم مسؤول إنشاذ القانون، ويقدم الدعم القانوني للأفراد المتهمين بالإرهاب، ويتنظيم الاحتجاجات ضد الشركات المتهمة بالتمييز ضد المسلمين، وتولي إستراتيجية علاقات عامة ويتلقى عقارات، وإن من العامليين في المجالس من عاشوا فترات في أحياء كان فيها شخوص متهم بالإرهاب. المفارقة أن مساعي المجلس لترتيب حصول مسلمين على فترات تدريب في كابيتول هيل يوصف بأنه "جهس" و"اختراق". وفي الحقيقة، ينصح غربات وسبيري "المحقين ومعاملة" بالتوجه إلى وجود "رآيات حر تذر بالخطر"، منها اللحية التي "يبلغ طولها قبضة اليد"، والشارب المحفوظ وليس خانم من القضة في اليد اليمنى، وملابس "فور الكاحل به بشرة حمراء سوداء". ووقع هذا الكتاب الخيالي المحموم موقع التصدي من ضرورة الكونغرس سو ميريك، وأدى إلى أن مجموعة من المشرعين طالبوا الحكومة بالتحقيق في شأن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، الذي اضطر إلى بذل جهد ضخم ليتميل من وصفه الامتناع. اتهم المجلس مرة أخرى بالتفريق أثناء جلسات استماع في الكونغرس حول تحول المسلمين إلى التطرف التي دعا إليها بيتر كنج، رئيس اللجنة البرلمانية للأمن الوطني في 2011.

الواقع أن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، بوصفها منظمة، اتبعت التراث الأمريكي المعتاد في القرن العشرين وهو استخدام سياسات الهوية لإنشاء جماعة مصالحة في واشنطن. وهي تسعى للدفاع عن الحقوق الدستورية للأفراد المسلمين، والاحتجاج على الصور المليئة بالإسلامية والدفاع عن سمعة الإسلام كدين، قبل مناخ التهريب الذي جلبته الحرب على الإرهاب، كان الشطام في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية يطمئن إلى إحداث نقلة في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط. لكن منذ ذلك الحين، كانت أجندة الرئيسة مقاومة أجenda التشوية والتمييز وهي أجندة لها جذور في الدستور الأمريكي، وهذا هو ما تفعله جماعات ضغط أخرى في واشنطن، تتم بمصالح الأقليات. وكثير من المنظمات الإسلامية كبيرة، رأى مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية أن الضغط في اتجاه قضايا السياسة
الاقتصادية، ريبا لا يكون مثيرًا في المرحلة الحالية، حتى إنه لا يذكر الشروط الخارجية في موقع على الإنترنت، وتجنب القيام بعملية تعبيرية شعبية أوسع للأمن من حرية المسلمين السياسية في الولايات المتحدة.

ظهرت نظرية مؤامرة الشرارة على إيقاع نهج التحول إلى التطرف المغلوب، حتى تولد مزاج عام يكون فيه أي تنظيم أو تعبير إسلامي موضع شك متعدد. فالإسلاميون الصالحون هم من يفترض فيهم ضمًا أن ييجروا أي نشاط سياسي إسلامي، وما ينطوي عليه من تضامن عالمي. فإن نرى المسلمين بأنفسهم عن معارضة السياسة الخارجية الأمريكية، صار السبيل الوحيد لقبفهم في الثقافة الأمريكية. تعتبر الهوية القومية الأمريكية في العتاد أكثر انفتاحًا من البريطاني، والواقع أن الولايات المتحدة ليس بها شيء يمكن مقارنته مباشرة بالشروط الصارمة في المملكة المتحدة، بأن يلزم المهاجرين ومجتمعات اللونين بالاندماج في القيم البريطانية. لكن الثقافة الأمريكية لها اشتراطاتها الاندماجية أيضًا، لكنها تعمل بطرق أقل وضوحًا، ولكن بالقوة نفسها. ارتبطت هذه التوجهات في الحرب الأخيرة على الإرهاب بالتعامل الأمني مع الثقافة الإسلامية، وتبين من الفكر الرسمي عن التحول إلى التطرف يفرض طريقة مقبولة على الشخص حتى يكون مسلمًا أمريكيًا، تتضمن نبذ سياسات التضامن مع المسلمين في أنحاء أخرى من العالم. وقد فرض هذا الموقف أحيانًا باستخدام القوة الحكومية الخشنة المتمثلة في التجريم، وأحيانًا باستخدام القوة الناعمة المتمثلة في المبادرات الحكومية لكافحة التطرف إلى التطرف. لكن هذا ناتج كذلك عن الإسلاموفوبيا الشائعة في الثقافة السياسية الأمريكية. فترتب عليه أن المسلمين يُسلمون حرية تشكيل هويتهم بمعزلتهم، وأن الاندماج القبول الوحيد في أمريكا يقتضي نبذ الانتقادات إلى المسلمين في أنحاء العالم الأخرى.

خلقت الجهات المؤيدة للمؤيدين الإسرائيليين هذا الجو بدرجة تعبير قلقهم من النمو السكاني للأمريكيين المسلمين في أمريكا، ومن أن يتعكس هذا النمو العددي يومًا في صورة أثر سياسي لما يصب مهمته الدفاع عن سياسة خارجية غربية تخمي
المسلمون قادمون: الإسلاموفوبيا والترف والحرب الداخلية على الإرهاب

إسرائيل من عواملات بسبب سياساتها الاحتلالية. يكشف الحديث عن الاختراق الإسلامي هذا القلق من أن يمكن المسلمين الأمريكيين من توظيف وطنهم في المجتمع الأمريكي بوصفهم مساوين لغيرهم في المواطنة، فيبدأون في الحديث على نحو مؤثر دفاعًا عن فلسطين كا يفعل بعض اليهود دفاعًا عن إسرائيل. يعبر رجل الدعاية المناصر لإسرائيل دانييل بابيس، وهو شخصية معروفة في حركة الإسلاموفوبيا الأمريكية، عن خوفه من النمو السكاني للأمريكيين المسلمين في مؤتمر لجنة اليهودية الأمريكية في 2001:

"أنا فق جدًا، من وجهة النظر اليهودية، [من] تزايد حضور المسلمين الأمريكيين ومكاتبتهم وتراثهم وحروهم السياسي؛ لأنهم يتبعون قيادة إسلامية متطرفة متسبب أخطارًا حقيقية لليهود الأمريكيين".

ويعبير بابيس عن مفهومه عن القيادة الإسلامية في تعليق لاحق:

"إذا كان آية الله خميني وأسامة بن لادن يمثلان الإسلام في درجة 0.0، فإن رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان والمفكر السويسري [من أصول مصرية] طارق رمضان يمثلان إسلامية بدرجة 2.0، الأولان أشد فتكًا، لكن الأخيرين سبئثن ضررًا أعظم على المدى الطويل".

يفترض أن ضرب "الإسلامية بدرجة 2.0" الذي يمثله شخصيات مثل رمضان، هو الاتجاه نحو زيادة معارضة دعم إسرائيل وحدها من جانب الولايات المتحدة. لا يعرف أحد وجه الدقة عدد المسلمين في الولايات المتحدة. لكن المرجع أنه معادل عدد اليهود الأمريكيين – حوالي 10 ملايين – ويتوقع في العقد القادم أن يزيد عدد الأمريكيين الذين يولدون مسلمين بدرجة كبيرة في السنوات القادمة.

برغم كل ما يستخدم من بلاغة خطاب، فإن الخوف الحقيقي وراء الإسلاموفوبيا
الأمريكي ليس التطرف الإسلامي، بل احتفال أن يعبر الجيل الجديد من المسلمين الأمريكيين عن أنفسهم سياسياً.

ميدان التحرير

إذا كانت رؤية المحافظين للمنظمات الإسلامية السياسية أنها متحدة في مؤامرة عالمية لإطاحة بالخضارة الغربية، فإن الليبراليين غالبًا ما يميزون بين منظمات معتدلة وأخرى مترفعة على أساس تكيف هذه المنظمات مع المصالح والقيم الغربية المعروفة. وعلى هذا النحو كان الدولتين بين المحافظين والليبراليين يدور حول سؤال: هل يمكن دمج الإسلام السياسي في المنظومة الرأسمالية الليبرالية، أم إنه بالضرورة خطر مترفعت جداً. الجدل العام المموج الذي أخذ يظهر من خلال الحروب على الإرهاب، وسؤال: هل الإسلام يتوافق تقليدياً مع الديمقراطية، صار بيدلاً معتداً من دراسة هذه القضية ذات الجوهر السياسي. أُمم طرفا الجدل المعاشرة السليمة للمشاعل السياسية التي تهيئ الأرض الخصبة لنمو التطرف.

إن استجابة الولايات المتحدة للشعوب العربية التي اتفضلت في حركات جماهيرية تطالب بالكرامة والمساءدة لدليل على هذا القصور في التواصل. طالما رأى المحافظون الصراع في الشرق الأوسط مستمدًا من عجز تقليدي في الإسلام يجعله غير قادر على التكيف مع الحداثة، وليس تطلعًا سياسياً للتحرر من الأنظمة التي يساندها الغرب. كان الافتراض أن المسلمين لا يستطيعون خلق ديمقراطية. كان انتفاج الحركة التعاونية في مصر عام 2011، دليلاً عمليًا دامعًا على فساد هذا الافتراض الثقافي. فقد كانت السيادة الشعبية ليست السيادة الإلهية أساس احتجاجات ميدان التحرير. خرج المسلمون والمسيحيون معًا. وكانت شعاراتهم تطالب بالحقوق والكرامة والعدلة الاجتماعية. سبب هذا إرباكًا لفكرة صدام الحضارات التي تقول إن "حدود الإسلام دموية". كما هدد فكرته أوباما عن
المسلمون قادمون؛ الإسلاموفوبيا والتحريض والحرب الداخلية على الإرهاب

مذهب حول الحضارات، إذ حاول خاطرة شعوب الشرق الأوسط أن تكون عالم مسلم مستقل، ليست شعوبًا لما طالب سياسيًا. فلا عجب أن كانت استجابة أوباما لسقوط حليفه السابق مبارك مرتبكة. تسببت أحداث 2011 في هذا أقصى إستراتيجية الإدارة في إعادة الاستقرار إلى سياسة الولايات المتحدة الخارجية، من خلال تقوية التحالفات متعددة الأطراف مع الحكومات ذات الأغلبية السكانية المسلمة، واستخدام الدبلوماسية الشعبية الناعمة للاعتراف بالإسلام المعتدل هوية دينية وثقافية شرعية. واتضح أن الاعتراف الأمريكي بالإسلام لم يكن أقصى الطرق إلى كسب القلق والعقول كما توقع المخططون. كانت شعوب الشرق الأوسط مهتمة بالسياسة الخارجية الأمريكية الداعمة للأنظمة القمعية أكثر من آرائها في قضايا ثقافية عن الإسلام والغرب. إن التحالف الإستراتيجي مع الجهات الأمنية المصرية الذي اعتمدته عليه إدارة أوباما في حربه على الإرهاب، وضعها في الجانب الخطأ من التاريخ التي أقيمت بين طرفين في 2011. كان مسئول الإدارة يشعرون بالقلق من أن الثورة المصرية "شديدة الفوضى" وستكافح "إيجاد توازن". كان المطلوب "فترة انتقالية منتظمة" يجري فيها إصلاحات محدودة مع الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة. إذا، كانت الإدارة تأمل في عملية تحت السيطرة لا تحدث أي تغيير على تحالف مصر الإستراتيجي مع الولايات المتحدة. طورت وزارة الخارجية معاذتها مع الإخوان المسلمين القوة السياسية المنظمة الرائدة بين معارضي مبارك، في محاولة لتحقيق ذلك. اعتبر أصحاب نظرية مؤامرة الشريعة أن هذا دليل جديد على احترام مؤيدي الإخوان المسلمين لإدارة أوباما. لكن الواقع أن الثورة المصرية جعلت الإخوان المسلمين حارزاً محتلاً للسلطة، وهذا اعتبر أخذ الولايات المتحدة التعامل معهم للحفاظ على مصالحها.

مع بداية 2012، لم يعد الليبراليون حول أوباما مثل الصحفي فريد زكريا - وهو دائماً دليل موثوق به لفكر الإدارة - يعاملون الإخوان ليس ك مصدر تطرف
خطر، بل كقوة معتدلة لفرض الاستقرار على نموذج أردوغان رئيس وزراء تركيا، وبوصفه شريكًا مع الجيش سياسيا والسياسات الاقتصادية الليبرالية الجديدة، ويجنب العدوان الشعبي المفرط للغاية للغرب، ولا يسمح للولايات المتحدة برعاية أية أجهزة مبادرة مع إسرائيل والولايات المتحدة. وبدأت الانتخابات الرئاسية الأخرى بمرسي رئيسًا لمصر، ووضعت مجلة تايم صورته على غلافها ووصفت السنوات السبع التي قضاها في جامعات كاليفورنيا. حيث كان أحد مشجعي فريق "تروجان" لكرة القدم في جنوب كاليفورنيا حتى صار معروفًا بلقب "مو". كان إمام رفع في الثقافة الأمريكية يعني أن المؤسسة الإعلامية الأمريكية صارت قادرة على استيعاب إمكانية أن تقوم حكومة إخوانية بدور ماسٍ لتصادمات التوجهات الأكثر تطرفًا في الثورة المصرية، وتحقق الاستقرار لأكبر الدول العربية من حيث عدد السكان. وكانت هذه الصناعة اتفاقًا ضروريًا بين قيادة الإخوان والجيش، يبقى جنرالات الجيش بموجبها على سيطرتهم على الدولة العميقة، ويستمرون في الاست kald من مصالحهم الاقتصادية بينما يواصل الإخوان أجندتهم. وبالطبع لم يأخذ الاتفاق في اعتباره عمليات التهميش الاجتماعي الاقتصادي التي أدت إلى الاحتجاجات الثورية في مصر. وقد أصابت وسائل الإعلام الليبرالية في الولايات المتحدة حين التزمت ولم تتأخرًا قدرًا من الدقة في وصفها بالإسلام السياسي. لكنها عجزت عن إدراك أن المشكلة الحقيقية هي عجز الإخوان عن تقديم نموذج اقتصادي يديع من الليبرالية الجديدة المسؤولة عن النظام الضخم في مصر. إن الصيغة الثقافية الخالصة للحركات الإسلامية مثل أساسًا ضعيفًا أمام التحديات الاقتصادية التي تواجهها مجتمعات ما بعد الكولونيالية. والإسلام السياسي قد يشكل تاريخيًا مع الرأسية العربية، رغم خطابها المعارض. يصف أستاذ السياسة فوز جريس الإخوان المسلمين بـ"الرأسية الجديدة" الذين يدعمون مصالح طبقة رجال الأعمال والخريجين على طمأنة القوى الغربية بأنهم ملتزمون بمبادئ السوق الحرة. إن مهندس السياسة
الاقتصادية، رجل الأعيان الملياردير خيرت الشاطر، أخرس الأصوات الداعية داخل التنظيم إلى مذهب المساواة الاشتراكي".

إن الإسلام السياسي عادة يقنع بلعب دور المحافظ على العلاقات الاجتماعية والسياسية، ويطرح نفسه كمثابث ثقافي جيد قادر على حسم العدوات التي تتنتج عن هذه العلاقات، وفي هذه العملية يدفع

النساء والأقليات سعراً باهظًا. وبرغم تواصل الخراك الجماهيري في الشوارع، كانت الرغبة الأقوى في إحداث توزع اقتصادي وسياسياً واجتماعياً، التي يمكنها ميدان التحرير ملتحال من حكومة مرسى. هذا التوزع الذي يستطيع الشرق الأوسط بموجبه أن يتحرر من المصالح الراسخة التي تخص طبقة رجال الأعمال المنتمين للغرب والطبقات العسكرية، كانت مصدر الخوف الحقيقي لدى الولايات المتحدة من التوزع إلى التطرف، وأساس استجابة المثلبية لأحداث 2011. فاناً أتضح في 2013 أن الإخوان المسلمين لن يستطيعوا منع هذا التوزع في مصر، برغم محاولاتها تقديم نفسها بوصفها مناصرة للمصالح الغربية، عادت المؤسسة العسكرية إلى امتلاك السلطة عن طريق طرح نفسها بوصفها تجسيداً لرغبات الشعب التي لم تلبث، وقد منحت الحكومة الأمريكية مباركتها لما وصل إلى مستوى انقلاب عسكري، حينها وصف وزير الخارجية جون كيري التدخل العسكري بأنه "استعادة للديمقراطية".

وكما قال الصحفي الأمريكي المصري شريف عبد

القدس:

تركت المؤسسة العسكرية الإخوان تدبرون أمور السياسة المدنية بطرقهم، حفاظاً على إقطاعيتها. لكن الجنرالات احتضنو الاستقرار السياسي حتى يمتعوا بإمبراطوريتهم الاقتصادية، وإن اتفاقية 30 يونيو [2013] هددت بسقوط كامل للدولة، مما دفعهم إلى التدخل لحماية مصالحهم الأساسية.
عندما بدأ الجيش هجمته الوحشية على المعارضة – فقتل مئات المحتجين العزل – كان يعلم أنه فشل هذا بدعم حكومة الولايات المتحدة. أما الخفض الرمي المؤقت للمعونات الأمريكية للجيش المصري فلم يغير شيئًا في الشراكة الاستراتيجية الأساسية. ومع احتكار الجنرالات السلطة مرة أخرى انتهت المغازلة الإعلامية الأمريكية القصيرة لرسى. دافع ديفيد بروكس في نيويورك تايمز عن استياء الجيش على السلطة على أساس المذهب الثقافي، فقال إن مصر "تفكر إلى المناصرة الدينية الأساسية" اللازمة للديمقراطية، أما المجلات المحافظة مثل كومتاري وناشيونال ريفيو فقد احتفت بالقضاء العنف للمعارضة.  

الدفاع عن المعارضة

يقول هذا الكتاب إن خطاب التحول إلى التطرف في هذا اليوس من الحرب على الإرهاب بنظر المسلمين بوصفهم مهاجرين في معركة أيديولوجية بين إسلام معتدل وتحدي سياسيا في ظاهره، لكنه ضمنيا يؤيد الحكومات الغربية، وإسلام متطرف عنصر على يده. فما تعريف "التحويل" في هذا الخطاب؟ يحمل المصطلح أحيانا دلالة دينية فيشير إلى السلفية أو المتقدمات الدينية المحافظة، وأحيانا يكتسب دلالة هوية فيشير إلى فكرة هوية إسلامية عالمية تؤكد على صلات المسلمين بغيره من المسلمين في العالم وتقدمها على الجنسية الوطنية. وفي حين آخر تكتسب دلالة سياسية صرفة، تشير إلى المعارضة الراديكالية للحكومات الغربية. ولأن نسبة من الشباب المسلمين في الغرب يسعون فيها بعيدا تحت هذه التعریفات للتحويل، وأن الأيديولوجية المتطرفة يفترض أن تكون مفعمةً لنعن الإرهاب، فقد برأ تصور بأن أعماقا كبيرة من الشباب المسلمين على حاجة التحول إلى إرهابيين في "القاعدة"، عندما يساء قراءة السخط الثقافي على أنه تحول إلى التطرف الإرهابي. مع تمكن هذه الافتراضات، وضعت سياسات لا منطق لها، إذا اعترف واضحها بأن نشاط القاعدة بين المسلمين الغربيين نسبته لا تكاد تذكر.
إن وضع التحول إلى التطرف في هذا الإطار يعني أن التعامل معه يتضمن عمليات مراقبة واسعة لحياة السكان المسلمين الدينية والسياسية. وقد تم تجريد آلاف المشردين في المجتمعات المسلمة في الولايات المتحدة لهذا الغرض. وفي المملكة المتحدة تم استدراج مقدمي الخدمات العامة من غير الشرطة إلى عملية جمع المعلومات الاستخباراتية عن المشتبه بهم في تطرفهم. وفي الدولتين جرت الحكومة أشكال التعبير عن أيديولوجية الإسلام السياسي. وقد أتخذت إجراءات صارمة في الولايات المتحدة ضد من يظن أنهم يسربون في طريق التحول إلى التطرف. إن التراث الكتبى الذي خلقه أسلوب كويتير وشرطي (برنامج الاستخبارات المضاد) في مكافحة تقويض الدولة، قد تم إحرازه. يستخدم مشروع تشائل الحكومي البريطاني منهجًا مختلفًا، إذ يتعرض الشباب إلى تدخلات ناعمة لإبعادهم عن أيديولوجية مع استمرار وحدات شرطة مكافحة الإرهاب في فحص جميع جوانب حياتهم، وأثر هذه الإجراءات أقل ضررًا على حياة المستهدفين مقارنة بالأسلوب الأمريكي الذي يعتمد على عمليات تدخل عنيفة. مع ذلك فإن مشروع تشائل يثير قضية مدى صحة إجراء استهداف الشباب على أساس أشكال التعبير عن أيديولوجية التي تحدها الحكومة إشكالية، ثم حاولة التأثير عليهم لاعتناق آراء مقبولة، مع مواصلة جمع معلومات تفصيلية عن حياتهم الخاصة.

حاول البعض في الولايات المتحدة استيراد مشروع تشائل البريطاني باعتباره بديلاً ليبريالية عن عمليات التدخل العنيف التي يقوم بها إف بي أي. فإن محمد الإبراهيمي، وهو ناشط إسلامي من الضواحي الشمالية لدالاس، أدار بنفسه عمليات تدخل ناعمة على غرار مشروع تشائل في شراكة مع إف بي أي. منذ 2008. ويشترك الإبراهيمي نفسه في تقديم الإرشاد والتوجيه للشباب ليتأثروا من الآراء المتطرفة، بينما يطلق إف بي أي على ما يحقق من تقدم. هذه المبادرات نادرة، لأن توصيل معلومات عن الشباب داخل المبادرة يقضى درجات عالية من الثقة.
بين إف. بي. أي. والناشط الذي ينفذ عملية التدخل. مع ذلك، كلاً توقيت الصلة، كان الناشط عمليًا عميلًا حكوميًا يسعى إلى تحويل آراء الشباب السياسية والدينية، وهذا يشبه التدخل الحكومي في الأيديولوجيا الشخصية. وفي الوقت الحالي، بدأت المملكة المتحدة في استيراد عمليات التدخل العنف التي يقوم بها إف. بي. أي. وتطبقها على مكافحة التحول إلى الطرف. فهي قضية غير مسبوقة في المحاكم في مانشستر عام 2011، تم إدانة مير فاروقي بالإعداد لأعمال إرهابية، والتحريض على القتل وتوزيع منشورات إرهابية. فقد صادق شرطي منتفخان فاروقي وظاهرة اعتناق الإسلام، وقضوا عامًا يطرحون عليه تكراهًا مسائل الجهاد والحرب في أفغانستان. ويستألف فاروقي وقت كتابة هذه السطور، الحكم بإدانته.

إن التنسيق الدقيق بين مسؤولي مكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة يسهل على تطور أخر. تبعت الحكومة البريطانية الآن سياسة إسقاط الجنسية عن المشتبه في كونهم متطرفين إسلاميين أثناء ووجودهم خارج بريطانيا، حتى يهد الطريق لأن تتخذ الولايات المتحدة إجراءات ضد هؤلاء. فهناك اثنان من المواطنين البريطانيين الذين أسقطت عنهم الجنسية قيلًا بعدًا في ضرائب بطائرة بدون طيار في الصومال. ومواطنون بريطانيون آخر اسمهم مهدي حاجي مولود في الصومال، محبوبًا جالسًا في نيويورك. وقد كان أخصائيًا اجتماعيًا قبل عام 2012 يعمل في كامدن بلندن، وقد مارس عليه ضباط إم آي فايف ضغوطًا ليكون مرشدًا. عندما رفض هدوده بالتفتيش والإزعاج. وقد تم سحب جنسيته عندما كان في زيارة إلى الصومال عام 2012، مما جعل من المستحيل العودة إلى بريطانيا. ثم سجن في موقع مجهول في جيزيز المجاورة، حيث هذه ضباط م. إيه. وإف. بي. أي. بالتعذيب واستجوابه. وأن المشروع الخارجي البريطاني سجحته منه الجنسية، لم يكن له الحق في المساعدة القانونية، وكذلك نقص الوزراء البريطانيين أوديم
منه. لم تعرف أسرته أنه في أحد مراكز الاحتجاز في نيويورك إلا بعدما بشهر حيث يواجه اتهامات بتقديم الدعم المادي لحركة الشباب.  

عندما تكون حياة الناس اليومية خاضعة لبرامج المراقبة الحكومية، فإنها سرعان ما تشبه الأساطيس الموجودة في الروايات الكلاسيكية عن الشمولية، فهناك الشعور نفسه بعدم معرفة من يوثق به، واختيار الفرد كليائه بعناية خاصة عند مناقشة السياسة، وتعسف السلطة الحكومية وعدم القدرة على التنبؤ بأفعالها. وعلى سبيل المثال، فإن آلاف المسلمين الأمريكيين الذين على قوائم الممنوعين من السفر جروا ليست لديهم فكرة عن إدراج أسمائهم عليها. هل لأن أساطيرهم تشبه أسماء بعض المشتبه بهم في عمل إرهابي؟ هل لأن هناك من يعتقد عليهم أن أبلغ الحكومة معلومات خاطئة؟ لا سبيل لمعرفة ذلك. لا يمكن لأحد أن يتأكد هل الاتصال الهاتفي بأقارب في إيران متصدر عليه؟ هل يقرأ المسؤولون تعليقات الفيسبوك؟ هل الوجه الجديد في المسرد للشرطة. إنهم يسمعون الحكايات وعليهم أن يكونوا على حذر - للعلم ووعي.

يشير الحكم الشمالي على جهل رعاياه بمدى متابعة منظومة المراقبة لديهم. فإن احتلال المراقبة، وليس حقيقةها، كافٍ لتوليد الخوف والقلق والضغوط غير الرسمية للخضوع وتقلص التعبير عن الآراء المعارضة، وإعلان الفرد ولاه المطلق. وهكذا تنشأ ثقافة من الرقابة الذاتية المفروضة في المجتمعات التي تعودت على التعبير عن آرائها بحرية. تقول ليندا صرور، وهي ناشطة أمريكية عربية من بروكلين، نيويورك:

نحن عرب، نتكلم في السياسة طوال الوقت. السياسة هي كل ما نفعل. في كل المقامي إما يشاهدون قناة الجزيرة أو كوة القدم. هذه الفكرة الجديدة التي تقول بوجود الأرتبة في كل من يتكلمون في السياسة - نممة شيء خاطئ.
غالبًا ما تكون السخرية هي سبيل الناس للتعبير النفسي الدقيق عن الخوف.
فالنكبات التي يطلقها المسلمون الأمريكيون على المراقبة الحكومية لابد أنها مألوفة
من عاشوا في ظل الـ "ستاسي" الألماني الشرقي، فهي طريقة لإثبات وجود هذا
القلق. وعادة ما تبدأ المواقف التي قد تنافش فيها قضايا سياسية بين الأمريكيين
المسلمين بإشارة ساخرة إلى هاتف متجه عليه، أو إلى وجود منشد.27
كل هذه
السخرية نفسها تقرأ أن نظام المراقبة تم تطبيقه في حياتهم اليومية. تحكي سونيتا مار
مايرا، وهي ناشطة اجتماعية من نيويورك، كيف بدأت مع زملائها تطور

إستراتيجية لتعاليم مع الفلك المسكوت عنه بشأن تدخل السلطات الحكومية

في الحياة اليومية، بوجه الانتباه الواضح إلى هذا الاحتكار المستمر يوجد مراقبة. كنا
نطلق النكبات على تسجيل الفيديو الذي تقوم به إف بي أي، وكذلك التنصت، وعلى
ارتداء الملابس للتصوير، وعلى المراقبين المحليين بيتنا... كانت سخريتنا، كما أظن،
وسيلة للتعامل مع بد سلطات الحكومة الخفية والخاضرة دائماً.28

بعد استجوابات عديدة من إف. بي. أي. على مدار ستة أشهر في عام 2002،
سُمي فيها عن كل جانب في بيتانه، بدأ حسن إم. إيه، وهو فنان وباحث بجامعة
ميريلاند، إنشاء موقع على الإنترنت يوثق تلقائيا كل رحلة طيران قام بها، وكل
مكان زاره، وكل تعامل مالي أجراه، وكل وجهة أكلها، في محاكاة ساخرة كوميدية
سوداء للسحابة الحكومية بالتفاصيل اليومية العادية. وكتب يقول: "بمحتوى 46 ألف
صورة، وأنا على ثقة بأن إف. بي. أي. راهنا كلها.29

يقدر أن جهاز "ستاسي" في ألمانيا الشرقية لديه معمل استخباري لكل 166
مواطنًا. إذا أضيفا المشردين المتدينين يصل العدد إلى جاموس لكل 66 مواطنًا.30
وكما ورد فإن إف. بي. أي. لديه الآن 10 آلاف معمل استخباري وعمل يعملون
في مكافحة الإرهاب، و15 ألف مشرد بأجر.31 ولا يعرف بالتأكيد عدد العاملين
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

منهم بين المسلمين في الولايات المتحدة، فالفشافية عزيفة في هذه المنطقة. لكن نظرًا للاهتمام الذي يوليه إف. بي. آي، لمسألة منع الإرهاب الإسلامي، من العقول أن تقدر أن ثلثي هذا العدد مخصص للتجسس على المسلمين. فإذا أخذنا التقدير المعتاد لعدد المسلمين في الولايات المتحدة، وهو 2.35 مليون نسمة، فهذا يعني أن إف. بي. آي، لديه جاسوس لكل 94 مسلم في الولايات المتحدة، دون إضافة مصادر وكالة الأمن القومي، ومراكز تجميع الاستخبارات الإقليمية، ومصادر مكافحة الإرهاب في وسائل الشرطة المحلية مثل دائرة شرطة نيويورك. يشير هذا إلى أن المسلمين في الولايات المتحدة على الأرجح يتعرضون لمستويات من المراقبة تماثل ما كان يتعرض له شعب ألمانيا الشرقية.

عندما انهار النظام الشيوعي في ألمانيا الشرقية، وفتحت ملفات ستاسي، تعرض المواطنون العاديين إلى خبرة سيئة غريبة، وهي اكتشاف أساليبهم في وثائق المخابرات الحكومية ومعرفة المراشدين في وسائل أصدقاءهم. مر المسلمين أفرادًا بهذه التجربة المزعجة عندما حدد في 2011 تسريب لبعض الملفات الاستخباراتية الخاصة بدائرة شرطة نيويورك. فقد عرفت شركات عديدة ومعاكسة ومطاوع ومصادر مساعدة في نيويورك أن دائرة شرطة نيويورك تعتبرها مناطق ساخنة، وتستخدم مرشدين لراقبتهم. كما أن تسريحة عدد كبير من مرشدي دائرة شرطة نيويورك مؤخرًا، كان معناه أن بعض الناس اكتشفوا ان العلاقات التي ظنوا صداقات حقيقية لم تكون سوى محاولات خفية لجميع المعلومات الاستخباراتية. ينصح أسد دانديا، وهو طالب بجامعة سيتي في نيويورك في التاسعة عشرة، عن اكتشافه أن أحد أصدقائه كان مرشدًا.

عرفته من خلال صلات الفيسبوك الخاصة باختصار الطلاب المسلمين. قال لي إنه يريد أن يكون إنسانًا أفضل، وأن يقوي إيماني. قبلته وقدمته إلى كل أصدقائي وأدخلته في أنشطتي غير الصحفية. كنت أوفظه للصلاة كل صباح. وكان أحيانًا بيبي
لبيته عندي... عندما وصلتي الأخبار [أنه كان مرشدًا] سقط الهاتف من يدي من فرط الصدمة، واستغرقت يومًا كاملًا ألمم شتات نفسي. (12)

أما جواد رسول، وهو طالب آخر بجامعة سيتي، فوجد اسمه مقبوضًا عندما أعلن عن محتويات ملف عن الطلاب المسلمين عام 2012، عندما اكتشف أن أحد أصدقائه كان مرشدًا. "تبعته دائمًا عن حفلات دارمة شرطة نيويورك على هذه الجماعة أو تلك، لكن أن تجد اسمك بينها، فهذا يجعلك تفهم الأمر على حقيقته.

تستمد نذاذتنا الحالية للشمولية بالأساس من الحرب الباردة، وهي فقيرة التكوين فلا تصلح لفهم هذه الممارسات. وسواء كانت هذه النهاذ تعمد على القصور الخيالي أو الدراسات التاريخية، فإنها عادة تصور نخبة صغيرة مدعومة بأيديولوجية معينة تسيطر على الشعب. والمشترط أن هذا الوضع لا يتفق بطبيعته مع عملية ديمقراطية رسمية، ولا مع اقتصاد ليبرالي. لكن تجربة الحرب على الإرهاب تقول إننا إذا طبقنا أدوات الحكم الشمولي نفسها على جماعات مطرطة فقط، وليس على الشعب كله، فإن مظاهر الديمقراطية يمكن المحافظة عليها بالنسبة للأغلبية (هناك أمثلة عديدة أخرى - مثل الصين - التي قدعت نموذجًا لتوافق اقتصاد ليبرالي مع شمولية الحكم). إن مفتاح هذه "الشمولية الديمقراطية" التي تبدو غير متسقة هو خطاب الخوف المشروب بالعنصرية الذي يصور المسلمين بوصفهم خطرًا ثقافيًا على النظام الليبرالي. إنه بدأ العرق الذي يسمع بعزل المسلمين عن المعالي الليبرالية المعتمدة للحقوق والمواطنة. إن هذا الأساس الفكري العنصري يقرأ في المعرض من جانب المسلمين تدخلًا أجنبيًا غريبًا لقيم ثقافية غير ليبرالية في الغضى العام، ونادرًا ما يقرأ باعتباره محاولة لاستخدام العمليات السياسية لمحاسبة الحكومات بمعاييرها الليبرالية. من هذا المظهر، يمكن رؤية تقاطع شمولية الحرب على الإرهاب مع غيرها من الأنظمة العرقية الأخرى، مثل الحرب على المخدرات، والرقابة العسكرية.
على عملية الهجرة التي تستخدم فيها أساليب مشابهة من الراقة التمييزية والروحية والسجن كأدوات أساسية.(34) طالما استمرت المحافظة على الافتراض غير المعنى بأن هذه الإجراءات لن توجه إلا إلى رعايا محددين عرقيًا - المسلمين، الأمريكيين الأفارقة، المهاجرين غير المرغوب فيهم، طالبي اللجوء السياسي، يمكن ضمان موافقة الأغلبية. إذا بدأ في هذه الشمولية العنصرية تتوسع لتدوس على حريات الآخرين - من خلال ملف، مثلًا، تعميم الفحص والتفتيش للمجتمع في المطارات أو محاولة استخدام أطواق هوية عالمية - هذه المبالغات يمكن تصحيحها سريعًا مع الحفاظ على البنية الأساسية للنظام. وفق ذلك، إذا كانت السياسات التحولية تتبع في معظمها من قطاعات في المجتمع صنفًا عرقيًا، فإن الإجراءات الخاصة التي تخص هذه الدولة هذه الفئات من الشعب تثبت نفعها في الحفاظ على الوضع الراهن. إن تحليل الشمولية اليوم يستلزم فهماً تقنيًا مركزة العرق - لكن بطريقة أشد راديكالية مما فعلت حتى أردت، إذ أنها مجرد واحدة من عدة إرشادات عمليّة.

لكن كما اكتشف جهاز ستاسي في النهاية، لا يمكن لأي نظام راقي أن يصل إلى معرفة كاملة. بل إن كلما زادت المعلومات المتوفرة، صعب فهم دلالاتها. فالعلومات المطلوبة في أغلب الهجرات الإرهابية الحديثة في الولايات المتحدة كانت موجودة في أنظمة الحكومة، لكن دلالاتها ضاعت وسط أطنان البيانات التي لا تفع منها. أهم من هذا، الطالبة بزيادة المراقبة وعمليات تحليل المعلومات يتفى حقيقة أن الأمن يجب على خير وجه من خلال علاقات قادرة على التفاعل والتمكين السياسي. فإن المجتمع الذي يجب قطاعًا منه عن تشكيك عملية تحول سياسي، المجتمع أفرع الديمقراطية من مختراها، حتى إن الباقى منها لا يعد أن يكون إجماعًا تكنوغرافيًا تصب فيه السياسة الحقيقية عندما تخلق المعارضات السياسية الراديكالية، فإن العمليات التي تعدي بها المجتمعات تحديد نفسها، وحسم توتراتها الاجتماعية يصيبها العقم، ففي غياب بديل حقيقي صادق، يكون المنهج الوحيد للنزوع الذي
ينهاء الحرب على الإرهاب

أدرك أصحاب العقول المستقبلة من بين أخواني رعاية الشباب المشاركون في برامج الحكومة البريطانية للتعامل مع الإرهاب، أن المشكلة الحقيقية هي غياب أي بديل عن السياسات الإدارية للبرلمانية التيار الرئيس. فالشباب الذي يعملون معهم لم يتحولوا إلى التطرف بفعل أنور العولقي أو نيك جريفين. وإن تصوارهم عن العالم أقرب إلى الاعتقاد بوجود نظريات مؤامرة عن "توباك" أو "التنويرين" (the Illuminati) فلا يوجد بين من يأتون من خلفيات إسلامية معرفة بماحتوى أيديولوجية إسلامية أو اهتمام، ولا يوجد سوى إيان أجوف يقدم انقسام (ألفية)، وما يشير إلي أحد أخواني رعاية الشباب بتعري "إسلامية زائفة" تحتز الإسلام في "مجموعة عبارات محفوظة". ويضيف أنهم يشاركون الشباب المؤدين للهويات المتطرفة في "رؤية غير نقدية بالمرة للعالم"، أي لا سياسية وآمنية وضيقة الهوية. إن المبدأ الأساسي لهذه الرؤية الكونية التي تعكس التحيزات الثقافية الأكبر في عصرنا، هي أن كل المشكلات المجتمعية سببها ثقافة "الآخر" الجامدة. تشبع هذه الاتجاهات، ويمكن بطيعة الحال أن ترتبط بعفوف عنصر من أنواع مختلفة، برغم أن أخواني رعاية الشباب يقولون إن احتلال أن تؤدي إلى الإرهاب لا يستحق الذكر. وإن معالجة ذلك يستلزم فهم جذوره في السياق الحالي الساعي إلى عملية نحو الاهتمام بالسياسة. يقول جافيد أليبير، وهو أخواني رعاية شباب في برادفورد، يتعامل مع قضايا التطرف بين الشباب من خلفيات متنوعة:

توباك شاكر، مغني راب، والألمونياتي تشير إلى جماعات مختلفة حقائق أو خيال، تدعي السعي إلى معارضة الحفاظات والظلمية وتشتت قسع كبيرة أدت إلى معاداة التيار المحافظ لها. (الترجمة)
لم يكون الفكر الرسمي عن التطرف هذا التحليل السياسي، ويفرض أن المشكلة في بيئة هوية خاصة. فبين أن شباب الطبقة العاملة يعيشون في فراق هوية ويعتقدون إلى شعور إيجابي بالهوية القومية. ويفرض أن هذا الافتقار إلى الشعور بالانتماء البريطاني بسبب عدم نجاح عملية الأنذام الطلب للشباب المسلمين في هذه الهوية. إن غياب الحس الكافي بالهوية يفتح الباب لذهنية متطرفة لتملاً هذا الفراغ. وتقع بعض المسؤليات على الغالابة في السياح بالتعددية الثقافية، التي يظن أنها تشجع على إعلان قيمة الثقافات المختلفة مع عدم الانتهاء إلى هوية الأغلبية. وعلى وجه التحديد، يكون المرد إحياء الانتهاء القومي من طريق تعريفه بأتباع القيم الليبرالية المشتركة التي يفرض أن المسلمين وطائفة العمال البيض مغتربين عنها. وطبقاً لهذه الرؤية، تضع الدولة الليبرالية نفسها في مكان الوسيط المحايد بين أشكال التطرف المختلفة التي تواجهها، وترى دورها تطوير أشكال من سياسات الهوية التي يمكن أن تجعل السكان المهمشين إلى تقبل قيمتها. هذا الخط من التفكير أدى مؤخرًا إلى اعتبار التطرف اليمني والتطرف الإسلامي خطراً على النظام الليبرالي، يعزز أحيانًا
الأخرى؛ لأن التطرف في مجتمع يستفز الدعم للتنوف للتنوف في الجائحة المقابلة في تصاعد شيطاني - أي عملية تحول تراكمي إلى التطرف». (26) يقول الليبراليون إن الاستجابة ينبغي أن تكون مواجهة نوعية للتنوف، تعالج كل أشكال التطرف بوصفه نابعًا من بنية نفسية واحدة وهي تركيبة هوية ممزولة، تفتح ثغرة لذهنات أيديولوجية (هذه الرؤية تستبد التطور اليساري في عدالة الفاشية في القرن العشرين، الذي يتعامل مع التطرف بوصفه مشكلة سياسية تتعلق بالمجتمعات الطبقية). ومن بين الجوانب التي تتبني هذا النموذج الذي يمزج السياسة عن ظاهرة التطرف مركز بحثي هو "غوغل أديباز"، الذي أنشأ برامج لمكافحة التطرف يتحدث فيها متطرفون سابقون عن كفاحهم لبناء حس إيجابي بهوية.

يعيب هذا النهج أنه يقهر الدولة الليبرالية من دورها في خلق بيئة يظهر فيها عنف الهوية السياسية. تعد الليبرالية (كما ظهر في التطور التي الففاف الفففاف في الفترة السابقة) بتوفير أفضل السبل لتحقيق التوافق بين مختلف أساليب الحياة داخل جسم سياسي واحد. لكن للليبرالية دائمًا تفسيرات أخرى، فليس المصمود فقط طريقة للتوافق بين أساليب حياة مختلفة بل أسلوب حياة يجب على الشعوب الأدنى أن ترقي إليها حضارياً. (27) كلاً أكد الحب على الإرهاب هذه النظرية الليبرالية التي تتحول فيها إلى سياسات هوية مستقلة متزاوبة، وليست فضاء تجمع فيه هويات مخلطة، قلت قدرة الليبرالية على أداء دور الوسط المحايد. بل إنها تبدو لأطراف الجدل مطلبًا مفروضًا بإحلال أحد أساليب سياسات الهوية الآخر، مما يقضي التخلل عن انتهاكات حالية إثينة وعنصرية أو دينية لصالح "قومية تقدمية". (28) ولا يبدو أن هذا سيرضي المتطرفين المحتملين الذين يمتنعون برفضهم اللعبة السياسية الليبرالية، ويعيقهم بإفلاس التيار الرئيس التام. لكن بينا يعد المتطرف دخولاً وقفة خارجية غريبة ومدمرة للرأسمالية الديمقراطية، فإنه في الواقع أحد أعراض النظام الذي يحتقره. إن الشخص الذي يشبه بأعضاء "القاعدة" ليس إلا انعكاساً لصوره
خطاب الحرب على الإرهاب، مع تبديل خطاب أطراف صدام الحضارات في المذهب الثقافي. كذلك فإن ناشط يمين المتطرف يفهم أنه في حرب مع التطرف الإسلامي من موقف الحكومات التي يرفضها على أساس أنها ضاعفت تمامًا في خضم العالمة الثقافية الجواف. في النهاية، يشير هذا إلى أن الليبراليين سيعجزون عن حل مشكلاتهم مع التطرف إلى أن يصلوا إلى أشكال من التعريف السياسي تتجاوز الهوية الثقافية وتخطب السياق الأكبر للكولونيالية الجديدة، وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية، وأنهم في القيادة العامة.

هذه الأسباب تأتي بعكس ما تزيد تلك البرامج التي تركز على الرقابة الصارمة على الآراء الراديكالية، وتضع عليها القبود وعلى السلك الدينية باسم التعامل مع عملية التحول إلى التطرف. ففي حالة التعامل مع تفجيران بوسطن، مثلًا، لم تكن الفرصة الضاغطة الحقيقية قبل الهجوم مجرد معلومة استخباراتية كان يمكن الحصول عليها لو كانت القوة الرقابية للحكومة أعمق، بل كانت الفرصة قبلها بثلاثة أشهر، عندما وقف تامر بان تسارنايف المشتبه في ارتكابه التفجير أثناء صلاة الجمعية في مسجد الإمام: الجمعية الإسلامية في بوسطن، كامبريدج، يعنى بعنف على خطبة الإمام. كان الإمام يحتاج بذكري مارتن لوثر كينگ الأبن، وقد اعتنى تسارنايف هذا نفقًا. وطبقًا لأحد التقارير، تم طرد تصارانيف من الصلاة بسبب هذه العصبية. (39) منذ 11/9 يقع أثمنة المساجد تحت ضغط يدفعهم إلى طرد أي شخص يعبر عن آراء راديكالية، وليس إلى الدخول معهم في حوار، وتقييد تأويلاتهم الدينية، والتعامل مع إحباتهم السياسية أو حاجاتهم الوجدانية. فرض مناها المراقبة المفرطة السائد هذه السياسة على المساجد. وجعل أثمنة المساجد يجدون من إجراء أي حوار مع من يظن أنهم مصرون خوفًا من جذب انتهاة المستوطنين. يخشون من أن يكون في كل مسجد مرشد حكومي يستمع للحديث المتطرف ولا يعج أن هذا يجعل أغلب الناس لا يرغبون في التعامل مع الشباب الذين يعبرون عن هذه الآراء الراديكالية.
قيل إن الأخوان تسارنايف كانا غاضبين من سياسة الولايات المتحدة الخارجية في أفغانستان والعراق، والاحتلال أنها كانا يقارنونها بتجربتها كلاجئين من حروب روسيا الوحشية لمكافحة التمرد في القوقاز. لكن لأن مناقشات السياسة الخارجية لم يعد مسموحًا بها في المساجد منذ 11/9، فالأقرب أن غضبها هذا لم يكن ليس مع أو ينفق أو يفند أو يصرف إلى نشاط سياسي غير عنيف. الرقابة المكثفة على المسلمين لم تسمح بمساحة في المساجد للتعامل مع شخص مثل تاميرلان تسارنايف، أو الاستعاو إليه أو تفتيح أفكاره، التي قد تكون عنيفة، أو تقديم الدعم الوجداني؛ بل إن المسلمين موضوعون تحت ضغط ليعبروا عن ولائهم لأمريكا بالابتعاد عن أحاديث معارضة السياسة الخارجية. افترضت نهائية التحول إلى التطرف المغلوطة أن أفضل السبل لوقف عنف الإرهاب هو منع انتشار الأفكار الراديكالية. إن عوالم تصور دافع التفجيرات تواجه صعوبة كبيرة. فالقيقين في هذه الأمور شحيج، لكن التفجيرات المرضية تتقدم عندما تقلص مساحة التعبير الحر عن الآراء.

لم يكن يتوقع أحد من غضب تسارنايف أنه بعدها بشهور سيكون مشتبهًا به في تنفيذ أحد أعداد القتلة الجماعي في شوارع بوسطن. ونحن في النهاية لا نعرف ما الذي كان سيغرف الموقف. لكن المجتمع الذي يستطيع أن يعبر عن نفسه بحرية، بدون خوف في المسجد أو في غيره، هو أحد العناصر الرئيسية في جهود تعليع الإرهاب. المطلوب هو تقليل المواقف الحكومية، وفرض الولاء وزيادة التفكير النقدي، والتمكين السياسي. إن دور المجتمعات في معركة الإرهاب لا يتم بإنشاء رقابة ذاتية، بل بامتلاك الثقة بناء فضاءات سياسية يستطيع الشباب فيها التعبير السياسي عن سخطهم، فيحولونه إلى رؤى إصلاحية تنظيمية للعالم، ومن هنا تظهر بدائل راديكالية عن الدعوة إلى الإرهاب. إن التحول إلى التطرف - بمعنى السياسي الحقيقي للكلمة - هو الحل وليس المشكلة. إن الحركات التحررية الصادقة تتطلب على تكتيكات الإرهاب؛ لأنها تسكن بين الناس، وليس للعنف سوى دور دفاعي
المسلمون قادمون! الإسلاموفوبيا والتطرف والحرب الداخلية على الإرهاب

في هذه الحركات، ليس الإرهاب ثمرة السياسات الراديكالية بل عرّض للعجز السياسي. يقول ليون تروتسكي: "إن وجود أعمال الإرهاب الفردية نفسها علامة لا تُنطّل على خلفية الدولة سياسيا وضعف قواها التقدمية."(41)

إن كل من يسعى لإزاحة حياة المدنيين بأعمال عنف يستحق اعتباره العالم كله. لكن إدانة الإرهاب دون الوقوع في النفاق اليوم يقضي كذلك مساواة العنف الحربي على الإرهاب الذي تم تنفيذه. إن قضية العنف الإرهابي الذي يرتبطه جناية متطرفة أو أصحاب أيديولوجية غير حكومية، لا يمكن فصله عن خلفية أوسمن من عنف الدولة الذي يقدم بهصفه طبيعيا وضروريا وعقلانيا. كل نهج يغدي آخر في دوره متوحشة من الحرب والقتال. فهم مارتن لوثر الفرد جيدا الصلة الوثيقة بين العنف الفردي في الوطن وعنف الدولة في الخارج - رغم أن هذا الجزء في رسالته مهمش في الاحتفالات الرسمية بذكرى. في عام 1967، خطب في الحاضرين بكنيسة ريفيرسايد في نيوبروك قائلًا:

"عندما كنت أسبر بين الشباب اليائس الغاضب المفوض، كنت أقول لهم إن خليط الملونوف والبادنجان لن تحل مشكلاتهم. حاولت أن أقدم لهم أعمق تعاطفي مع إينيام الرأسخ بأن التغيير الاجتماعي يأتي ويكون بعيدا من خلال العمل غير العنف. لكنهم سألوا، وكنا على حق: "ماذا عن فيتنام؟" سألوا ألا نستخدم بلادنا جرعة مكثفة من العنف! هل كانت مشكلاتهم لتحدي التغيرات التي ترديها؟ وأصبت أسلطة كبد الحقيقة، وعلمت أن لا أستطيع أن أرفع صوت مرة أخرى ضد عنف المظالم في الجينوخت قبل أن أخاطب راعي العنف في العام اليوم. حكومتي.

اعتمدت جهودنا فيها تسمية اليوم "منع التطرف العنف" بين الشباب الأمريكيين أولًا على معارضة عنف السياسة الخارجية الأمريكية، وهي نقطة مازالت صالحة حتى الآن في عصر ساحة الحرب العالمية على الإرهاب، ويدقق على الوضع الحالي.
كذلك فهم كينغ أن "المارد الثلاثي: العنصرية والمادية المتطرفة والعنف العسكري" يتدخل في المجتمعات التي تضع "دوافع الربح وحقوق الملكية" فوق البشر أنفسهم. (42) أن الأوان مرة أخرى للاستعداد إلى رسالة السلام التي حملها كينغ بأن نهدي الحرب على الإرهاب، ونبذ أشكال العنصرية والشمولية التي تزدهر فيها.
كلمة أخيرة

منذ العام الذي أتمت فيه كتابة المسلمين قادمون، أخذ تحليلاً فيه للأسف يتأكد مرة بعد مرة. فالولايات المتحدة والمملكة المتحدة، في وسط جولة أخرى من مبادرات مكافحة الإرهاب، بدعم دائم من شركات الإعلام ومن يسمون خبراء الإرهاب، الذين يتلونون أجرًا عن تأييد تحارة الخوف الرسمية. يأتي التهديد هذه المرة على شكل "داعش" الذي يصفها مستولو الأمن على جانبي الأطلسي بأنها "أعظم خطر إرهابي على الإطلاق" وهو زعم عبدي، لكنه بطبعه الحال لا يجده من يندده. (1) النسق المتبوع هو المعاد تكراره مرة بعد مرة في العقد الأخير: عنف هذه الجماعة المروّع لا يعتبر نتاجاً لسياسة سياسية ساهمت السياسة الخارجية للولايات المتحدة والمملكة المتحدة في خلقه، بل يفترض أن نتاج "الطرف"، تلك الصورة السائدة من المعتقد الإسلامي التي تستولي أحيانًا على عقول المسلمين.

ويغض الطرف عن تراث حرب العراق عام 2003، وما تنتج عنها من تأجيج الانقسامات الطائفية لدعم احتلال عسكري فاشل. يقول ديفيد كاميرون، رئيس الوزراء البريطاني، إن داعش لا يمكن "تفسيرها على أساس حرب حدثت منذ عشر سنين"، ويدعي أنها لا يمكن ربطها بالمسألة الطائفية. (2) وهكذا ينسى أن أصل هذه الجماعة هو جماعة أُي مصعب الزرقاوي التابعة لتنظيم القاعدة في العراق، وبالتالي فإن التمرد على الاحتلال الأمريكي البريطاني يُنسى أيضًا. ومن الأمور المنسية كذلك السياسة الأنجلوأمريكية في سوريا، التي وصلت إلى حد حفظ توازن القوى بين نظام بشار الأسد وفصائل المعارضة المختلفة – في موقف يكون الربح فيه دائيًا.
هم مسؤولي الأمن الغربيين الذين يخشون خطر الحكومة السورية ومعارضتها الإسلامية بالقدر نفسه على إسرائيل، وحلفائها في الخليج والغرب. بعد إجراء هذه الحسبة النكدة، يرفع هؤلاء المسؤولون أنفسهم من نتائج سياساتهم، استولت داعش على مناطق واسعة، والخطير الحقيقي، ولو أن يُصبح، أن الشباب المشتركون في النزاع يمكن أن يثيروا أعمال عنف في مدن أوروبية وأمريكية. لكن حكوماتنا، مرة أخرى، ترد بقصصهم في بلادهم على أن هذا سيمنعهم من قصفنا في بلادنا.

بينما تدعم برامج التلفزيون الإخبارية جهود داعش الدعائية عن طريق تضخيم إصداراتها من الفيديوهات، يفرض حجاب من الصمت على رمزية البرزات الرياضية البرتغالية التي يثير الضحايا الغربيين على ارتدائها. فليس من المقبول أن يشير أي معلق إلى أن داعش تحاكي بدرجة ما، عنف مسوّر اعتقال غوانانامو كا يظهر في الإعلام. في الوقت نفسه، تدعم حكومات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة النخبة الخليجية - وهم بالتأكيد أقوى من الرجعية الدينية في المنطقة - بصفقات أسلحة بملابس المليونات من الدولارات، أما الدعم المالي السرّي الذي قدمته هذه النخب إلى داعش فيتم التباهي بأنه من جانب واشنطن ولندن. وفق ذلك كله، تهدف وسائل الإعلام الأمريكية والطبيعة السياسية للمذاهب الجماهيرية التي ترتكبها إسرائيل بحق أطفال غزة. وإن مقولة تتناهى: "هم الآن ضد إسرائيل، وغدا سيكونون ضدكم" تناهت تماماً مع آذان جهور أمريكي دفع طويلاً لآن يرى الفلسطينيين متطرفين بالفطيرة. مرة أخرى، فإن صيحة "متطرف مسلم" تساعد على إخفاء سياسات الإمبراطورية.

في بريطانيا، تقترح حكومة كاميرون خوض "حرب الجيل ضد أيديولوجية متطرفة ومسممة" داخليًا بمحاكمة جامعية لكل من يسافر إلى سوريا والعراق. فحملة جواز السفر البريطاني يمكن منعهم من دخول البلاد، كما يتم تصعيد استخدام صلاحيات جديدة لزخ الجنسية عن مواطنين بريطانيين. صدر تشريع في 2014 يمكن الحكومة البريطانية من إسقاط الجنسية عن المتجنسين بها، ولو كان
ذلك يعني عدم حملهم أي جنسية، ويتم الترويج لهذه السياسة بشعار "الجنسية فضلا لا حق". لكن الجنسية هي الحق الذي يتبع كافة الحقوق، ويساقطها هو بوابة كافة ألوان الإيداء بها في التعذيب والقتل دون محاكمة بطائرات بدون طيار. بالإضافة إلى ذلك فإن "قانون العدالة والأمن" (2013) يتيح عقد إجراءات المحاكمة ERPًا حتى تحجب أنشطة الجهات الاستخباراتية البريطانية والأمريكية، لسياها ما يشمل استخدام التعذيب، عن المراقبة الشفوية. وفي الوقت نفسه، سيني برنامج تشائل لمحر أثر التحول إلى التطرف الذي عرضته في الفصل الخامس، على أساس تشريعي، مما يعني على الأرجح زيادة أعداد من مثيري التنظيمات إجراءات في الخطة. وبنهاية عام 2013، تم تحديد 153 طالبًا تحت سن الخمسة عشيرة كانوا معتقلين في ظل البرنامج، مما يدل على إدخال المراقبة الأمنية حتى إلى حياة المسلمين دون سن المراهقة.6

في الولايات المتحدة، يواصل الخبراء المحافظون تطبيق الخوف من المسلمين. في يونيو 2014، قال مذيع فوكس نيوز الشهير بيل أوريليني إن روبرت بيرغفالد، والد الأسير لدى طالبان هو بيرغفالد "يدو كمسلم" لأن لديه خليفة، ويتحدث بعض كليات لغة الداخل. وبحلول أغسطس، حيث التزام من داعش في دربه، أفادت فوكس نيوز أن الجماعة تخطط لإرسال إرهابيين يدخلون تكساس من الحدود المكسيكية. كان المحافظون، الذين لم يفسروا أن أمريكا اللاتينية يمكن أن تشير "قاعدة عمليات خوض حرب غير متوازنة ضد الولايات المتحدة"، حسب كلام تقرير مشروع المحدود الأمريكي.7 وبالنسبة إلى اليمني الأمريكي، فإن تصور الإرهابيين المسلمين يعبر عن الحدود المكسيكية هو مسارب لفزع المثل الذي يوجد التهديد بالإرهاب مع تدهور الوضع في صورة واحدة للنظام. ليس معهم عدم وجود دول فعلي على خطوط إرهابي لعبور الحدود المكسيكية. انسنسياً في إدارة أوباما إلى القافلة بتفعيل تقارير متضخمة عن الخطر الذي تملكه داعش على الولايات المتحدة، واهتمام كبير بالهجرة بناء على اقتراح رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال مارتن
ديميسي: "سبب الحدود المفتوحة وقضايا الهجرة، فهو خطر حاضر، أي المقاتلين الذين يتركون المعركة الحالية ويعودون إلى وطنهم." (8)

عندما ينتقل المشاهدون من الأخبار يمكنهم أن يتابعوا آخر جزء من مسلسل فوكس "24" الذي أذيع في 2014. بدور خطه القصصي حول إرهابيين مسلمين يشتبه بوجود جماعة مسلحة بدون طيار مستهدفة بـ لندن، بمساعدة شخصية على مثال جوليان أسانج بـ "ويكيليكس" والمسلمين في علاقة تعاون أقرب إلى الظهور في التلفزيون الأمريكي من دراما "آلاف الضحايا" الذين حاولوا جراء ضربات جوية لطائرات بدون طيار في اليمن والصومال وباكستان يتم إخفاء حكايتهم عن العرض بصورة مهينة.

من نتائج هذه الشبكة الكاسحة ما يحدث من عنف في الشوارع البريطانية والأمريكية. يبرز وسط هذا حالتان استفادتا عمداً لنشاطها السياسي. فقد تعرض عضو البرلمان جورج غالادري للضرب مرارًا في شارع غرب لندن في أغسطس 2014. من رجل كان يعتصر على انتقاده إسرائيل. بعدها، بأسبوع تم مطاردة ليندا سيرنر، الناشطة الأمريكية الفلسطينية البارزة، التي أجريت معها مقابلة شخصية لكاتبه المسلمون قادمون، وتم تهديدها بقطع رقبتها وهي تسير بالقرب من مكتبها في بروكلين. (9)

إن كان من موضع لا يبدو فيه الإجماع الرسمي قويًا فهو علاج بوكالة الأمن القومي ومراقبتها الضخمة لحياتها الرقمية، التي نه إليها إدوارد سويندون علاجًا في 2013. فقد ضمن المتخصصون في مجال التكنولوجيا المزعجون من هذا، والنشطاء المهممون بالخصوصية، تركزًا مستمرًا على سياسات جمع المعلومات الخاصة بوكالة الأمن القومي. كان الاهتمام أقل بخبرات الأفراد والمجتمعات التي تراقبها الوكالة على وجه التحديد. ففي يوليو 2014، نشر جلين غرينتون ومرتضى حسن مقالًا
عدد أسماء تستخدمها وكالة الأمن القومي، ويتنا كيف يوضع الأفراد تحت المراقبة.

كانت هناك سنوات حداد بسبب مقتل للإرهابيين في ضلوعهم في التكاثر مرايا. كان كل من وردت أسماؤهم أمريكيين مسلمين بارزين. وتقويض هذه الوثائق وكالة الأمن القومي معلومات وقوفها عن كيفية وضع قائمة مستهدفين بالمراقبة، وبدلاً من الاسم الحقيقي للمستهدف، استخدمت المذكرة "محمد رشيد" كاسم مختلِق، لكن الأمر لم يحظ باهتمام كبير.

في الشهر التالي، نشر جريء سكافيل ورابان ديفيدز تقرير آخر في ذي إنترسيبت كشف عن أن عدد المجموعين على لائحة المركز القومي لمكافحة الإرهاب، المتواجدين من السفر جواً، زاد عشرة أضعاف حتى وصل إلى 47 ألفًا في ظل إدارة أوامبا. أظهرت الوثائق السرية المسرية أن المركز يحتفظ بقاعدة بيانات للمستخدمين في العالم كله - "بيئة داتامارك هويات الإرهابيين" - تحتوي مليون اسم، حتى عام 2013، أي ضعف العدد قبلها بأربع سنوات. وضمت قاعدة البيانات 20.800 شخص داخل الولايات المتحدة مركزين على نحو غير متوازن في ديربورن، ميشيغان ذات الكثافة السكانية للأمريكيين العرب. مرة أخرى، تم تجاهل التقرير، فلم يكن هناك اهتمام كبير يتعلق عرب الأمريكيين كأهداف للمراقبة الحكومية.

قليل من يذكر أن التحدي القوي لبرامج مراقبة وكالة الأمن القومي يعني ضمن ما يعني رفض فكرة مشروعية مراقبة مجتمعات بعينها على أساس إثني أو ديني. كان ما تربت من فشل في معالجة التحري الإسلامي الأمريكية - أو بالأحرى تجربة السود - وخضوعهم لمراقبة الحكومة قد أدى إلى إشارة "حوار تومي" حول المراقبة الحكومية المركز كاملاً تقريبًا على حقوق الحضور بين لدى الطبقة الوسطى البيضاء.
مع ذلك، كانت المجتمعات التي تعرضت للتقييم العرقي والرقابة الحكومية هي تحدودًا على الأشخاص في معارضة هذه الممارسات. ففي نيويورك استمرت الحملة على مراقبة دائرة الشرطة للمسلمين قربها من بناء مخالفات مع جماعات أخرى تأثرت بالتصنيف العرقي: اللاتين والأمريكيين الأفارقة الذين يعانون معاناة شديدة من المعدلات غير المتوازنة لعمليات التوقف والتقيط. في منطقة الخليج في كاليفورنيا (باسي إريبا) نجحت حملة جاهزة في وقف افتتاح ما يسمى بمركز دراية بالمنطقة كان قد تلقى تمويلًا من وزارة الأمن الوطني ليكشف هذه الرقابة. لم تكن دورات انتخابية عديدة من الاتحاد حول هذه القضية ومنهم المشردين والفقراء والمسلمون والأمريكيين الأفارقة، وكان المركز سيستهدفهم جميعًا حالي الانتهاء.
وعلى النوال نفسه خطط دائرة لوس أنتلوجوس "وحدة ديمغرافية" لتصنيف المجتمعات على أساس العرق والذين، لكنه أغلق بعد حملة وحدت جماعات مختلفة.

بينما أشارت هذه الحملات الجماهيرية إلى درب واحد من دروب التغيير، جاءت أخبار من كونتيكت عن نص قانون يطرح منهجًا جديدًا في التعامل مع المحاكات الفيدرالية في قضايا الإرهاب. فقد تم نقل طلحة إحسان وبابار أحمد إلى الولايات المتحدة من بريطانيا في 2012، بتهمة تقديم "الدعم المادي" للارهاب، وقد حجزت لمدة عامين في حبس ايازرا. وتحت هذه الظروف من الضغط النفسي، ومع الاعتقاد أنه في أحسن الأحوال وهم يتأثرون نقاط القوة في قضيتهم، فإن احتجال الدراسة في محاكمة أمريكية عن الإرهاب كان معلقا في وجوههم، فقد وافق كلاهما على طلب عقد صفقة، تعني أن أحمد يواجه حكماً أقصى بالسجن بخمسة وعشرين عامًا وإحسان حكاً بخمسة عشرة عامًا.

اربطت التهم الموجهة إليها بموقع على الإنترنت هو (Azzam.com) كان يطلق من كونتيكت من 1999 حتى 2001. كان هذا هو الرابط الضييف بالولايات المتحدة الذي يسمح أن تنظر القضية في النظام القضائي الأمريكي الذي يسمح عادةً بعقوبات أشد من بريطانيا. لكن كان يعني ذلك أيضًا عدم جوائز متابعة القضية في
المواقع المعادنة لمحاكمات الإرهاب الفيدرالية، فعقدت المحاكمة في نيويورك، حيث
تبين أن القضية الرئيسية جائت منها هولم فهم المنطقت المغلقة الذي تستند إليه
القضية.

في جلسة الاستئناف إلى مرتقب الحكم في يوليو 2014، ادعت الحكومة أن الموقع
كان عملية دعم للقاعدة، وأن الشخص الذي يساعد متمردي
الشيشان وطالبان لم يعد أن "عقوله" تجعل من مؤيدي القاعدة. لكن القاضية هول
شكت في الأمر، عندما ذكر المدعون أن
أعادت إعلان أسماء بن
أدن عام 1996 للحرب على الولايات المتحدة، قالت إن نيويورك تايمز فعلت
الشيء نفسه. عرض في المحكمة فيديو غريب موجود على موقع
Azzam.com لمقاتل شيشان يعد جنديًا روسيًا. قالت الحكومة إن هذا دليل على أن المرتزقين
بالموقع يعرفون أنهم يدعمون مرتكيج جرائم حرب. كان رد القاضية هو "صدامًا:
إن الولايات المتحدة نفسها ترتكون جرائم حرب، وعلى يكون مؤيدوها مدائن
بالإرهاب إذا كان ذلك أساسًا كافيًا للمحاكمة. عندما استخدم المدعون كليات مثل
"الجهاد" طلبت القاضية هول تعريفات مستمرة تيز بين العنف ضد المدنيين والدفاع
عن النفس ضد مارينين. من أهم دعائم قضية الحكومة وثيقة أرسلت إلى
Azzam.com دون طلب تحوي معلومات سرية عن عركات مجموعة مقاتلة تابعة للبحرية،
فسرتها القاضية بأنها دليل آخر على أن إحسان وأحمد لم يقصدوا إحداث الولايات
المتحدة، فقد نشر المعلومات لكنها لم يستخدمها فقط ولم يسليها لأحد. ورفضت
في بيانها الختامي المفردات المعادنة المتعلقة مثل "الطرف" و "التحول إلى الطرف.
وقالت إن أحمد كان مخطئًا بدعمه طالبان: لكن لا يوجد دليل على دعمه القاعدة.
كذلك أخطأ إحسان بتأييد طالبان قبل 11/9، لكنه لم يؤيد العنف. وقالت إن
دافعها لم يكن التعبير عن الرغبة في إنهاء الظلم.

أصدرت القاضية هول أحكامًا مخففة: تم خصم المدة التي قضىها أحمد في
السجن في بريطانيا، وباقي على اكتمال مدة سجنه حوالي ثلاثة عشر شهرا. وصدر
على إحسان حكم قضى مدة بالفعل وأطلق سراحه، وصار في عهدة ضباط الهجرة ليعود إلى بريطانيا إنسانًا حرًا. ولأول مرة في قضية إرهاب بعد 11/9، يقرر قاضٍ أمريكي أن يرفض المرجعية الحكومية ويقيس جوانب القضية متحررًا من نهاج "التحول إلى التطرف" الرسمية وميثولوجيا (أساطير) "الذهنيات المتطرفة المتعلقة بها."

لا يوجد بديعة الحال احتذال قريب بانتشار هذا النهج في محاكمات الإرهاب الأخرى، بل إن ضغط آلة المراقبة الشاملة والتجريم الموجه عنصرًا وقتل دون محاكمة يزداد باستمرار.
شكر وتقدير

اعتمدت تأليف هذا الكتاب على منحة من "أوين سوسنيتي فليوشيب". وظهرت أجزاء من الفصول 4 و 8 قبل ذلك في دورية ريس آند كلاس [العرق والطبقة] (العدد 54، المجلد الثاني، 2 أكتوبر، 2012) وكريتيكال مسلم [المسلم الناقد] (العدد 3، 2011)، وأشكر رئيس تحرير المجلتين لنساحها إعادة نشر أجزاء من المقالتين هنا. أما من ساعدوا في إخراج هذا الكتاب فعددهم أكبر من أن يشمله الذكر بالاسم. لكنني أود أن أخص بالشكر كل من قبوا أن يلتقوا بي أو أن أجري معهم مقابلة. أما من قدموا مساعدة استثنائية فكانوا: فهد أحمد، وهشام عايدة، وآمنة أكبر، وهازرميت أتوال، وجيمي بورن، ونانسي تشينج، وليزارد دي سانتيس، ومحمد ديري، وليز فيكيته، ومايك جيرمان، وستيفن هوبل، وديبا كومار، وكيت مارتن، ونانسي موراي، وفاطم محمد، وفايزا باتل، وودني باتن، وبيبا شا، ورضوان صابر، وإيه سيفاندان، وهازيل ووترز. لكنهم ليسوا مسئولين بالطبع عن الآراء التي عبرت عنها هنا. قام آندى همسياو في فيرسو بعمل دقيق ومتقن في تحرير المخطوطة الأصلية. وأخيرًا، أعرب عن امتناني لنانوكانا لرحا لما قدمته من دعم صادق وملاحظات ثقيلة وتحليل دقيق أثناء كتابة هذا الكتاب.
الحواشي

القدمية

1. مقابلة هادفية شخصية مع عمر ريان، 18 يوليو، 2012.
3. Ibid., 3.
4. مقابلة شخصية مع إمام عبد الله بيه الأمين، ديترويت، 31 مارس، 2011.
5. مقابلة شخصية واسعة مع أندو أرين، 7 أبريل، 2011.
8. لم توقف إدارة أوباما تمامًا عمليات التسليم غير المعتادة، لكنها تسعي لشرعة هذه الممارسات باستخدام ضياعات دبلوماسية بعدم تعذيب المحتجزين، ومراجعة معاملتهم لدى الدول المستقبلة.


25. See, for example, Glenn Greenwald and Spencer Ackerman, “How the NSA Is Still Harvesting Your Online Data,” Guardian, June 27, 2013.


31. Ibid., 244.

32. Ibid., 245–46.


38. Ibid., col. 1245.


41. *Indictment, United States of America v. Dzhokhar A. Tsarnaev*, 4.


52. “Hardball with Chris Matthews,” MSNBC, April 18, 2013.


54. “UK Mosque Bombing Suspect Also Accused of Muslim Man’s Murder,” Reuters, July 20, 2013.


59. John Mueller, "Six Rather Unusual Propositions about Terrorism,”
60. “Draft List of Deaths Related to the ConVict from 2002 to the Present”,
61. “Human Costs of War: direct War Death in Afghanistan, Iraq, and
Pakistan, October 2001–February 2013,” Costs of War Project, Watson
62. Gilbert Burnham, Riyadh Lafta, Shannon Doocy, and Les Roberts,
"Mortality after the 2003 Invasion of Iraq: A Cross-Sectional Cluster
Sample Survey,” Lancet, 368, October 21, 2006, 1421

الفصل الأول: عدد مثالي

1. مقابلة شخصية مع فارسات لطيف، نيوس، 3 يوليو، 2011.
2. مقابلة هاتفية مع فارسات لطيف، 7 مايو، 2002.

3. Ibid.
4. Keith Poole, “Attack on Afghanistan: We'll Drive Extremists Out, Say
5. Humayun Ansari, “The Infidel Within”: Muslims in Britain Since 1800,
6. David Docherty, David E Morrison, and Michael Tracey, Keeping Faith?
7. Figures supplied by the Institute of Race Relations, http://
www.irr.org.uk/news/deathswithknown-orsuspected-racial-
8. Virinder Kalra, From Textile Mills to Taxi Ranks: Experiences of


15. Ibid., 255.


31. Interview with Rachid Elabed, Dearborn, Michigan, April 1, 2011.

32. Pew Research Center, Muslim Americans: Middle Class and Mostly Mainstream, 18.


49. Haddad, *Not Quite American?*, 33, 44.


52. مقابلة شخصية مع غلام بومباوالا، هيوستن، تكساس، 16 أبريل، 2011، ومقابلة شخصية هاتفية مع غلام بومباوالا، 16 أغسطس 2011.

53. مقابلة شخصية مع مهدي براي، واشنطن العاصمة، 21 أكتوبر، 2010.

54. مقابلة شخصية مع داورد وليد، ديترويت، 29 مارس، 2011.

55. مقابلة شخصية مع رشيد عبد، ديربورن ميشيغان.


57. مقابلة شخصية مع إمام جوهري عبد الملك، فوز تشرش، فيرجينيا، 24 يناير، 2011.


الفصل الثاني: سياسات مكافحة التطرف


2. Ibid., 60.


37. Ibid., 215.


40. Ibid., 14–16.


49. Ibid., 60.
51. Ibid., 94.
54. Ibid., 184, 191.
56. Ibid., 97–98.
58. Ibid., 104.


70. Ibid.


84. Garton Ash, "We Are Making a Fatal Mistake."


90. Gareth Peirce, "Was It Like This for the Irish?" *London Review of Books*, April 10, 2008, 6, 8.


93. Husain, *The Islamist*. 


98. Ibid., 102.


100. بين سبتمبر 2001، ومارس 2011، اعترف 421 شخصًا بجرائم تتعلق بالإرهاب، أغلبهم مسلمون، مع وجود غيرهم، ولا توجد أرقام متشابهة عن نسبة من اتهموا بأعمال الحكومة إرهابًا "مستلحقة من القاعدة". مع ذلك، منذ أبريل 2005، تم تصنيف المتهمين بضلوعهم في إرهاب "دولي"، وهو المصطلح الذي يستخدمه أجهزة الاستخبارات، لتحديد الإرهاب المرتبط بالشرق الأوسط والقاعدة. وإذا افترضنا أن نطاق التهديدات تتعلق بالإرهاب الدولي حوالي 366 شخصًا في السنوات العشر، يبلغ عدد المسلمين في بريطانيا 2.4 مليون تقريبًا، ويُقدر "مركز القانون والأمن" بكلية الحقوق بجامعة نيوبروك بحوالي 310 شخصًا "مهماً بجرامات ترتبط بالإرهاب الدولي في الولايات المتحدة في السنوات العشر التي تلت 11/9. ونланد مصارع أخرى لديها أرقام أعلى أو أدنى، ولا يوجد بين بشأن عدد السكان المسلمين في الولايات المتحدة، فالتقديرات تتراوح بين 2.3 مليون نسمة تقريبًا وستة ملايين نسمة. وبباء على تقدير عدد السكان، يمكن استنتاج أن العدد المتهم بالإرهاب الدولي/ الجهادي، هو نفسه تقريبًا في أمريكا وبريطانيا.


الفصل الثالث: جذور الفضب الليبرالي

1. مقابلة شخصية هاتافية مع يوينس عبد الله محمد، 30 مارس، 2011.


3. مقابلة شخصية هاتافية مع يوينس عبد الله محمد، 30 مارس، 2011.


8. مقابلة شخصية هاتافية مع يوينس عبد الله محمد، 30 مارس، 2011.


21. Losurdo, "Towards a Critique of the Category of Totalitarianism."
23. Ibid., 393.
24. Ibid., 268–69.
25. Ibid., 265.
31. According to Home Office figures, the number of people convicted of terrorism related crimes in Britain more than doubled between 2003, when the Iraq war began, and 2006, before halving again by


52. Ibid., 234.

53. Ibid., 123–24.


الفصل الرابع: أسطورة التحول إلى التطرف


17. Ibid., 120.

18. Ibid., 135.


26. Ibid., 12.

28. Mitchell D. Silber and Arvin Bhatt, “Radicalization in the West: The Homegrown Threat,” New York Police Department Intelligence Division, 2007, 2, 6–7, 10, 31, 85. The NYPD stated in a subsequent “clarification” that the report did not mean to imply that behaviors such as growing a beard could be indicators for the purposes of surveillance.

29. Ibid., 20.


34. Galati, Handschu v. Special Services Division, 124.


47. Ibid., 3, 15.


Shane and Mekhennet, “Imam’s Path.”


69. Shane and Mekhennet, "Imam's Path."
الفصل الخامس: قلوب وعقل


6. مقابلة شخصية مع جيل سكوت (اسم مستعار) أجرها رضوان صابر، مانشستر، 22 أكتوبر 2011.

7. في عام 2012، تم استبدال إجراءات منع الإرهاب والتحقيق بأوامر تقيدية، وهي إعادة تسمية تخفف نفس الصلاحيات العامة.


11. Ibid., Ev 74.


16. Private e-mail from a government department to an arm’s-length official body, 2007.

17. مقابلة شخصية مع مدير السلطة المحلية، برادفورد، 28 أبريل، 2009.


31. مقابلة مع ناشط اجتماعي، بولتون، 14 يونيو، 2011.

32. مقابلة شخصية مع أخصائي رعاية الشباب، لندن، 30 أبريل، 2009.


35. Ibid.


43. مقابلة شخصية مع هديّة مرادمدي، واشنطن العاصمة، 27 يوليو، 2011.


45. مقابلة شخصية مع هديّة مرادمدي.


60. E-mail correspondence from Steve Pursglove, West Midlands Police Counter Terrorism Unit, October 26, 2009.


65. مطالعات شخصية، 22 يونيو، 2011.

الفصل السادس: لا حرية لأعداء الحرية


10. Ibid., 5, 7, 8.


12. Madigan, "Man Accused in Catonsville."


14. Bishop, "Retired Agent Faults."


22. Ibid.

23. Ibid.
24. Ibid.
25. Harris, "Newburgh Four."
33. Ibid., 21.


43. Ibid., 105.

44. Ibid., 294.


47. Aaronson, *The Terror Factory*, 44.


57. مقابلة شخصية هاتفية مع مايكل جيرمان، 29 أكتوبر، 2010.


60. مقابلة هاتفية مع غلام بومبايوا، 16 أغسطس، 2011.


63. مقابلة هاتفية مع ستيف جينتر، 16 أغسطس، 2011.

64. مقابلة شخصية مع براد ديردورف، هيوستن، 15 أبريل، 2011.


66. Ibid., 9, 10, 87.

67. Ibid., 11.

68. Ibid., 98–99, 110.

69. مقابلة مع غلام بومبايوا، هيوستن، 15 أبريل، 2011.


الفصل السابع: بعد الانفجار

1. مقابلة شخصية مع عثمان أحمد، مينابوليس، 23 سبتمبر، 2011.


4. مقابلة شخصية مع عثمان أحمد.


7. مقابلة شخصية مع إيه. كيه. ويلسون، مينابوليس، 21 سبتمبر، 2011.


10. مقابلة شخصية مع لوري سارويا، مينابوليس، 22 سبتمبر، 2011.

11. Focus group with Somali-American students, Minneapolis, September 21, 2011.


Technology Center of Excellence Based at the University of Maryland, August 2012.

28.  مقابلة شخصية مع حسان جاما والشيخ عبد الرحمن شيخ عمر، مينابوليس، 24 سبتمبر، 2011.

29.  مقابلة مع إيه. كيه. ويلسون.

30.  Ibid.

31.  مقابلة مع دينيس جينسن، سانت بول، 23 سبتمبر، 2011.

32.  City of Saint Paul Police Department, African Immigrant Muslim Community Outreach Program: Project Summary, 2009.


34.  مقابلة مع دينيس جينسن.


36.  مقابلة مع دينيس جينسن.

37.  Ibid


39.  مقابلة مع دينيس جينسن.

40.  مقابلة شخصية مع جينيفر أودونيل، سانت بول، 23 سبتمبر، 2011.


49. Scahill, Dirty Wars, 224.


52. مقابلة شخصية مع عبد الرزاق يحيى.


54. مقابلة شخصية مع نيمكو أحمد.

55. Focus group with Somali–American students, Minneapolis, September 21, 2011.

56. Ibid.
الفصل الثامن: صليبيون في القرن الحادي والعشرين


2. مقابلة شخصية مع هشام عبيد، كاتب، تكساس، 14 أبريل، 2011.


5. مقابلة شخصية مع هشام عبيد.


34. Ibid., 17.


43. Ibid., 13–14, 16, 19, 128.

44. Ibid., 9, 21.


الفصل التاسع: لا نحلم بعوالم أخرى


4. Ibid., 8.

8. Ibid., 32.
10. Ibid., 301–2.


27. Ibid., 23–24.


31. طبقًا للسِنِتَاتُور دايان فاينشتاین من لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ، فإن إف. بي. أي. لديه الآن أكثر من 10 آلاف شخص يعملون في استخبارات مكافحة الإرهاب، تُhiro مكتب مؤتمر صحفي مع سيناتور دايان فاينشتاین (نائب كاليفورنيا) وساسكي تشامبليس (نائب جورجيا)، 6 يونيو، 2013. (Farhad Khosrokhavar, *Guardian* newspaper, 2011).


كلمة أُخرى


